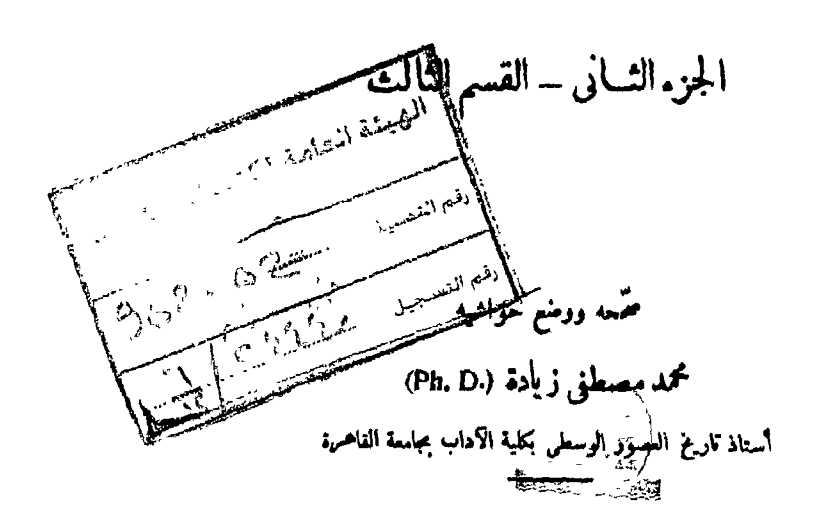
كتاب السلوك
لمعرفة دول الملوك

لتقى الدين أحمد بن على المقريزى

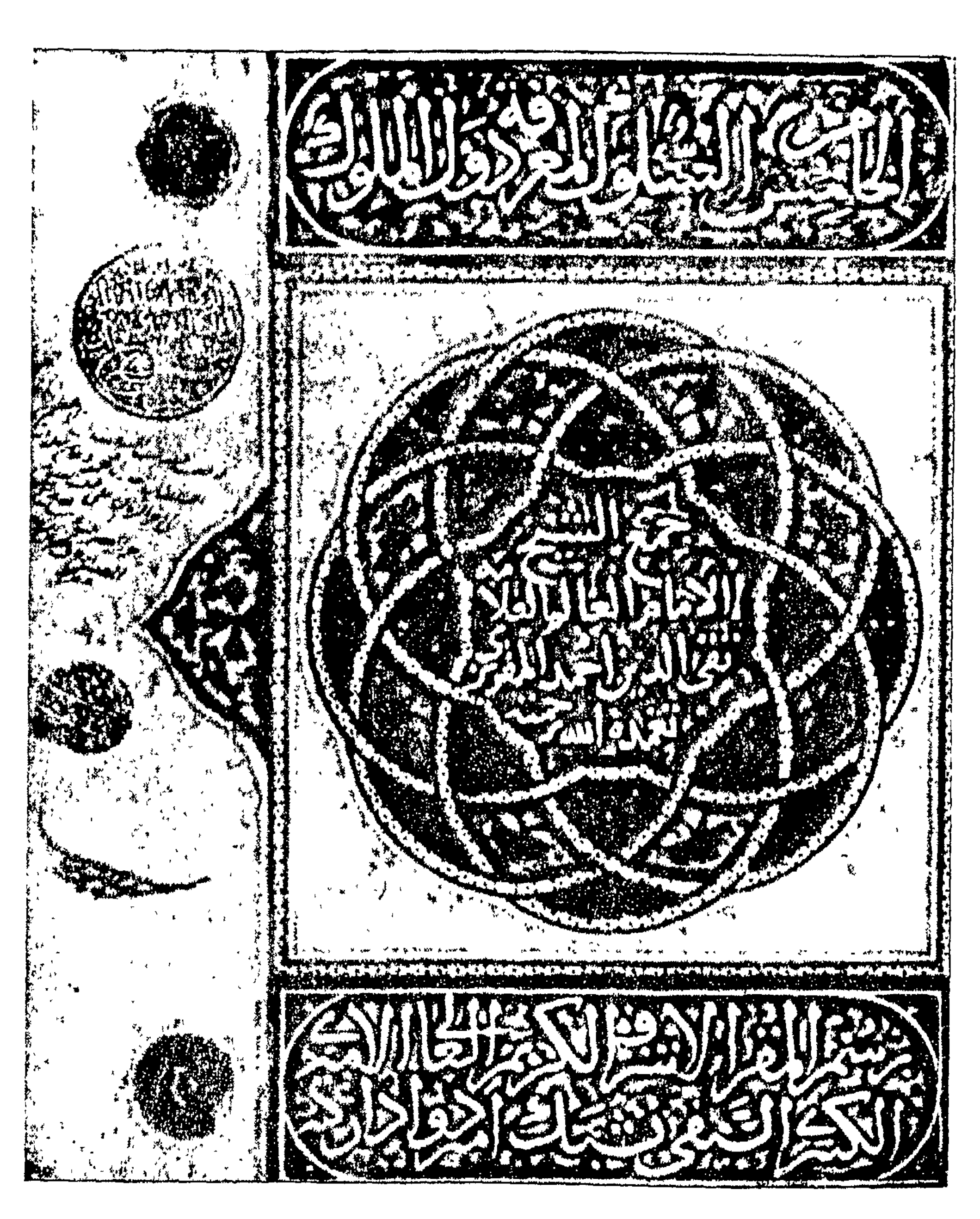
الجزء الثانى – القسم الثالث



صححه ووضع حواشيه

محمد مصطفى زيادة (Ph. D.)

أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة القاهرة



صفحة العنوان من مخطوطة فاتح كتبخانسى فى استنبول ، رقم ٤٣٨٨ .

انظر ما يلى هنا ، ص ٥٥١ .

تصدير

للقسم الثالث من الجزء الثانى من كتاب السلوك للمقريزى

يفصل بين هذا القسم الجديد والأقسام السابقة عليه من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى فاصل مدته خمس عشرة سنة وزيادة ، وهى مدة طويلة فى حياة الفرد ، قصيرة فى حياة العلم ، ولا سيما التاريخ نفسه . ولست مستطيعا عذراً مقبولاً أفسّر به أو أبرّر هذه القطيعة الزمنية الجائرة بينى وأستاذى وصديقى المقريزى ، ما عدا انصرافى إلى مصالح تاريخية أخرى من صميم وظيفتى التعليمية ، لإمداد طلابى بما يروى بعض أظمائهم الشديدة إلى المعرفة ، اعتقاداً منى بأن ذلك الانصراف الضرورى سوف ينتهى فى أقل من بضع سنين . ولذا أرجو مخلصا أن يكون هـذا القسم الجديد مثابة عهد كذلك جديد ألا أنصرف مرة طويلة أخرى عن المقريزى والسلوك ، لأقوم على نشر سائره قياما متصلا فى المستقبل المباشر .

على أنى أرجو هنا أولا أن يدلّ هذا القسم الذى بين يدى القارئ على أنى لا أزال واعياً قوانين النشر ، حافظا فنونه ، متبعاً كل القواعد التى رسمتها لنفسى فى نشر الأقسام السابقة ، غير مهمل شيئاً مما اكتسبت أثناء ذلك من خبرة ومران . وأذكر أنى تعرّضت سابقا لبعض النقد ، بسبب شىء من الإطالة فى الحواشى ، وأحسبنى متعرضا هنا لهذا البعض نفسه ، لمظنة شىء من الاختصار كذلك فى الحواشى ، مع العلم أنى توخيت سالفا وحاضرا أن ألتزم القاعدة الذهبية فى النشر قدر المستطاع ، وألا أشذّ عن هذه القاعدة سواء بالحواشى أو بالملاحق إلا من أجل تنوير المتن ، أو من أجل توفير الوقت للباحث ، بالإشارة إلى ما فى بطون المخطوطات من معرفة خافية .

ويحتوى هذا القسم على عدد يسير من سلطنات أولاد السلطان الناصر محمد بن قلاون ، وهم الذين تصف المراجع العامة عهودهم وأشخاصهم بالضعف وقلة الأهمية ، وإحدى هاتين

الصفتين واضحة فاتحة فى سطور المتن و بين سطوره ، وثانيتهما — أى قلة الأهمية — نابعة فيما يبدو من خلو هذه العهود من الحروب والعلاقات الخارجية ، مع امتلائها بحوادث داخلية هامة ، محورها عجز أمراء الدولة أن يجدوا فى تكوينهم متسعاً لقبول مبدأ التوريث فى السلطنة ، أو أن يروا فى السلاطين أولاد الناصر محمد موضعاً لاحترام أو ثقة أو خشية . ولهذا وذاك عمل كل أمير من أمراء الدولة لحسابه فى عنف وأنانية واستهتار ، و بدا المجتمع المملوكى فى مصر والشام كأنما لكل أمير فيه قانون خاص به ، يجمع الثروة والنفوذ لنفسه على مقتضاه ، و يبنى المسجد والمدرسة باسمه إشباعا لروح التقوى ، أو حبا للذكرى .

غير أنى لست متخذاً من هذا التصدير القصير ميداناً لشرح القيمة التاريخية لمحتويات هذا القسم ، بل ألتزم طريقتى فى تقديم المتن وحواشيه للقارئ ، يرى فيه وفيها ما يشاء ، و يستمدّ منه ومنها ما يبتغى . لكن هذا التصدير يكون مبتوراً ناقصاً إذا أنا لم أذكر فيه أنواع المساعدة العظيمة التى تلقيتها أثناء العمل فى هذه الصفحات من تلاميذى وزملائى ، وأول أولئك الدكتور عباس حلمى إسماعيل ، إذ أعاننى كثيراً فى مرحلة المقابلة بين المخطوطتين اللتين اعتمدت عليهما حتى الآن فى تقويم المتن ؛ ثم الدكتور السيد الباز العرينى ، لنقله الملحق رقم ١ هنا من مخطوطة النويرى ؛ ثم الأستاذ الدكتور جمال الدين محمد الشيال ، لقيامه سابقاً على إعداد نصف الفهارس ؛ ثم السيد رشاد عبد المطلب لقيامه على إعداد نصفها الثانى ، وترتيبها كلها بعد ذلك للمطبعة مع الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، وهو الذى نهض بدوره على مراجعة تجارب الكتاب والفهارس قبل اعتمادى النهائى لها للطبع . وأقدم لأولئك جميعا الشكر الأوفى ، كما أقدمه لمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، اعترافا بجهدها الصابر فى إخراج هذا الكتاب فى صورة جديرة بالباحث الحديث ، والقارئ العربى الجديد .

مصر الجديدة { ٣١ ديسمبر ١٩٥٨ م
٢٠ جمادى الثانية ١٣٧٨ هـ }

محمد مصطفى زيادة

صفحة

المحتويات

السنوات الواردة بالجزء الثانى كله من كتاب السلوك للمقريزى

أسماء السلاطين بالجزء الثانى كله من كتاب السلوك للمقريزى

صفحة

ملاحـــق

ملحق رقم ١

ملحق رقم ٢

ملحق رقم ٣

أسماء المراجع الواردة فى الحواشى

(تحتوى القائمة التالية على أسماء المراجع الإضافية التى استلزمها هذا القسم من الجزء الثانى من كتاب السلوك ، فضلا عما تقدمت الإشارة إليه بالقوائم الواردة بكل قسم من الأقسام السابقة) .

مراجع عربية مخطوطة ومطبوعة

ابن بهادر (محمد بن محمد ...) : كتاب فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر ، مخطوط ، جزءان ، صور شمسية بالمكتبة العامة ، جامعة القاهرة ، رقم ٢٦١٦٦ .

ابن تغرى بردى (أبو المحاسن يوسف ...) : النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، ج ١٠ . (دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩) .

ابن حبيب (حسن ...) : درة الأسلاك فى دولة الأتراك ، مخطوط . جزءان ، صور شمسية بالمكتبة العامة ، جامعة القاهرة ، رقم ٢٢٩٦١ .

ابن كثير (إسماعيل بن عمر ...) : البداية والنهاية فى التاريخ ، ج ١٤ . (مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٥٨ هـ) .

الشعرانى (عبد الوهاب ...) : الطبقات الكبرى المسماة لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ، جزءان . (القاهرة ، ١٣٠٥ هـ) .

الطورى : البحر الرائق شرح كنز الدقائق . (المطبعة العلمية ، القاهرة ١٣١١ هـ) .

كحالة (عمر رضا ...) : معجم قبائل العرب ، المكتبة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٤٩ م) .

مصلحة المساحة المصرية : الدليل الجغرافى لأسماء المدن والنواحى . (المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٩٤١) .

المقريزى (أحمد بن على ...) : الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام . (مطبعة التأليف ، القاهرة ، ١٨٩٥) .

مراجع أوربية

Bjorkman (W.) : Beiträge zur Geschichte der Staatskanzlei im islamischen Aegypten. (Hamburg, Gruyter & Co. 1928).

Budge (Sir E. A. Wallis) : A History of Ethiopia, Nubia & Abyssinia. 2 Vols. (London, 1928).

Gibb (Sir Hamilton) & Bowen (Harold) : Islamic Society and the West. Vol. I Part II. (Oxford University Press, 1957).

Makhairas (Leontios) : Recital concerning the Sweet Land of Cyprus, entitled Chronicle, edited with transtation and notes by R.M. Dawkins, 2 Vols. (Oxford University Press, 1932).

Nohl (Johannes) : The Black Death. A Chronicle of the Plague. Translated by C. H. Clarke. (London, Allen and Unwin, 1926).

Poliak (A.N.) : Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and The Lebanon. (1200 — 1900). (Royal Asiatic Society, London, 1939).

Trimingham (J. Spencer) : Islam in Ethiopia. (Oxford University Press, 1952).

تصحيحات

صفحة	السطر	الصيغة المراد إثباتها
٥٦٥	٨	تحكمها
٥٦٦	٢٣	Genéalogie
٥٦٧	٢٢	بماف الخيل
٥٨٢	٢١	النجوم الزاهرة
٥٨٣	٣	الأربعاء
٥٨٨	١٦	من أجناد الحلقة
٦٠٢	١	خوان سلار
٦١٢	١١	"أخرجوا هذا المعثر من قدامى"
٦١٦	٨	المالكى
٦٢٤	٢١	غزلوا
٦٣٣	٢٥	Feudalism
٦٤٢	٢٣	الزاهرة
٦٤٤	٨	شيخو العمرى
٦٤٦	٢٠	شبرا الخيم
٦٦٥	٢٤	الاقتصاديين
٦٧٤	٢٣	مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة
٧٠١	٤	إهانته
٧٠١	١١	قنطار

صفحة	السطر	الصيغة المراد إثباتها
٧٣٠	٢٠	المصر
٧١٤	٢٠	أرفون
٧١٧	٨	طقتمر
٧٢٤	٦	بعمل
٧٢٦	٥	حزازات
٧٣٠	٢	صمغار
٧٣٣	٣	يلبغا
٧٣٣	٤	يلبغا
٧٥٦	١٤	شدا
٧٦٠	٣	القدس
٧٦٨	٤	مقاودها
٧٧٢	١	ولم يُعرف أحدٌ
٧٨٢	٧	الأزقة
٨٠٤	١١	القصر المنيف
٨٠٦	١٥	المشهرات
٨١٣	١٣	الملا
٨٢٨	١	فضل
٨٣١	٢٢	الخيف
٨٣٢	٣	فاتفق
٨٣٧	٢٥	أن يتابع
٨٤١	١	ابن طلبه

صفحة	السطر	الصيغة المراد إثباتها
٨٥١	٢٢	فرقوا
٨٥٢	٥	تعز
٨٥٢	١٧	صحبة
٨٥٢	٢٠	ابن الأطروش
٨٥٣	٢٥	قرية قرب صنعاء
٨٧٠	٨	أرنان

المقـــريزى

كتاب السلوك لمعـــرفة دول الملوك

الجزء الثـانى - القسم الثالث

(١ ب) السلطان[1] الملك المنصور أبو بكر بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون

جلس على تخت السلطنة بالإيوان من قلعة الجبل بعهد أبيه له صبحة توفى والده ، من يوم الخميس حادى عشرى ذى الحجة ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة . ولقبه الأمراء الأكابر بالملك المنصور ، وجلسوا حوله ؛ واتفقوا على إقامة الأمير سيف الدين طُقُزْدَمُر الحموى — زوج أمه — نائب السلطنة بديار مصر ، وأن يكون الأمير قوصون مدبر الدولة[2] ورأس المشورة[3] ، ويشاركه فى الرأى الأمير بشتاك .

ورُسِم بتجهيز التشاريف والخلع ، وعُيِّن الأمير قطلوبغا الفخرى لتعزية نواب الشام بالسلطان [الناصر محمد] ، والبشارة بسلطنة ابنه وتحليفهم ، ويكون (٢ ا) صحبته تقاليدهم ؛ فتوجَّه من يومه .

---

(١) من هنا يبدأ الجزء الخامس من مخطوطة السلوك فى مجموعة فاتح كتبخانسى باستنبول ، وهى المخطوطة التى اعتمدها الناشر أصلا للنشر ، ورمز إليها بالحرف "ف" فيما سبق ، وفيما يلى كذلك . وهذا الجزء رقمه ٤٣٨٨ فى كتالوج فاتح كتبخانسى . (انظر مقدمة القسم الأول من الجزء الثانى من كتاب السلوك ، صفحة ج — هـ) ، وبصفحة العنوان والصفحة الأولى منه ، وكلاهما مصور هنا ، عبارات وقفية دالة على انتقال هذه النسخة من كتاب السلوك عن صاحبها الأول ، وهو الأمير يشبك بن مهدى دوادار السلطان قايتباى ، إلى الأمير تغرى بردى القادرى أستادار السلطان الغورى (ابن أياس : بدائع الزهور — بولاق — ج ٢ ، ص ٢٢٣ ، ٣٢٤ ، ج ٣ ، ص ٦١) ، ثم إلى السلطان العثمانى محمود ، من غير تعيين لترتيب هذا السلطان بين أصحاب هذا الاسم من السلاطين العثمانيين .

(٢) تقدمت الإشارة إلى هذه الوظيفة فى ج ١ ، ص ٤٠٥ ، ٧٣٠ ، من غير تعريف ، ولعلها مرادفة لوظيفة رأس المشورة التالى ذكرها هنا . والمشورة ومجلسها ورئاستها تحتاج إلى بحث المعنيين بدراسة دستور الحكم فى العصر المملوكى . انظر ما سبق هنا ، ج ٢ ، ٤٩٨ ، وكذلك ما يلى خاصاً بالمشورة فى أخبار سنة ٧٤٨ هـ (رمضان) ، أى أوائل أيام السلطان حسن ، حيث ورد أن أمر المشورة والتدبير كان موكولا إلى تسعة أمراء ، ثم اقتضت الأحوال وقتذاك أن يصير هذا العدد إلى عشرة ، وفى هذه العبارة دلالة على احتمال المرادفة بين وظيفة مدبر الدولة ورأس المشورة ، فضلا عن دلالتها على تغير عدد أمراء مجلس المشورة ، — بالزيادة والنقصان — فيما يبدو — حسب تغير الأحوال .

(٣) انظر الحاشية السابقة .

وفيه نودى بالقاهرة ومصر أن يتعامل الناس بالفضة والذهب بسعر[1] الله ، فسرّ الناس ذلك ، فإنهم كانوا منعوا من المعاملة بالفضة ، وألا يكون معاملتهم إلا بالذهب .

وفيه أفرج عن بركة الحبش وقف الأشراف ، وكان النشو قد أخذها منهم ، وصار ينفق فيهم من بيت المال .

و [فيه] كتب إلى ولاة الأعمال برفع المظالم ، وألا يُرْمَى على بلاد الأجناد شعير ولا تبن[2] .

وفى يوم الخميس ثامن عشريه أنعم على عشرة بإمريات طبلخاناه .

وفى يوم السبت سلخه جمع القضاة بجامع القلعة للنظر فى أمر الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن أبى الربيع سليمان و إعادته إلى الخلافة ، وحضر معهم الأمير طاجار الدوادار وغيره . فاتفقوا على إعادته ، لعهد أبيه (٢ ب) إليه بالخلافة[3] ، بمقتضى مكتوب ثابت على قاضى قوص .

وفيه ، فُرِّقت التشاريف والخلع على الأمراء ، ليلبسوها فى يوم الخدمة من العام المقبل .

و [فيه] أقيم الأمير قوصون فى تدبير أمور الدولة .

ومات فى هذه السنة من الأعيان الأمير سيف الدين الحاج قطز الظاهرى ، أحد أمراء الطبلخاناه ، وقد أناف على مائة سنة ؛ وهو آخر من بقى من المماليك الظاهرية بيبرس ؛ وكان مشكورا .

و [مات] الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا ، فى يوم

---

(١) المقصود بذلك أن الحكومة تركت تسعير الذهب والفضة حراً ، ففى لسان العرب (مادة سعر) " أنه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم سعِّر لنا ، فقال إن الله هو المسعِّر ، أى أنه هو الذى يُرخص الأشياء ويغليها ، فلا اعتراض لأحد عليه ، ولذلك لا يجوز التسعير " ، من جانب السلطات الحاكمة . انظر أيضاً الطورى (البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، ج ٨ ، ص ٢٣٠ ، القاهرة ، المطبعة العلمية ، ١٣١١ هـ) .

(٢) يشير المقريزى هنا إلى مقرر من المقررات التى أفاض فى شرح أصولها وتاريخها فى كتابه (المواعظ والاعتبار — بولاق — ج ١ ، ص ١٠٣ وما بعدها) ، حيث ورد هذا المقرر الإقطاعى باسم موظف التبن (ص ١٠٧) ، بالإضافة إلى عدد من المقررات الإقطاعية الواجبة على الأجناد خاصة لديوان الجيش .

(٣) تقدمت أخبار هذا الخليفة فى القسم الثانى من هذا الجزء الثانى ، ص ٥٠٢ — ٥٠٣ .

الرابع والعشرين من رجب ؛ وكان فقيها أديبا شاعراً جواداً.

وتوفى الصاحب أمين الدين أمين[1] الملك أبو سعيد عبد الله بن تاج الرياسة بن الغنّام تحت العقوبة مخنوقا ، يوم الجمعة رابع جمادى الأولى . ووزر [الصاحب أمين الدين] ثلاث مرات ، و باشر نظر الدولة واستيفاء (١٣) الصحبة والدولة ، وخدم من الأيام الأشرفية ، فولى بمصر ودمشق وطرابلس ، وحسن إسلامه . وكان رضى الخلق .

ومات الأمير علاء الدين مغلطاى العزى نائب أياس والفتوحات السيسية بها ؛ وكان مشكور السيرة .

ومات طوغان الشمسى سنقر الطويل والى الأشمونين وشاد الدواوين بمصر والشام ، وهو منفى بالشام ؛ وكان ظالما غشوما مذموم السيرة .

ومات الأمير آنوك بن السلطان [الناصر محمد] ، فى يوم الجمعة سابع ربيع الأول ؛ فاشتد حزن [والده] السلطان[2] عليه .

وتوفى الشيخ المعتقد عز الدين عبد المؤمن بن قطب الدين أبى طالب عبد الرحمن بن محمد ابن السكالى أبى القاسم عمر بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن المعروف بابن العجمى الحلبى الشافعى ، بمصر ؛ تزهّد بعد الرياسة والاشتغال بالعلم وكتابة الخط المنسوب ، وحج (٣ ب) ماشياً من دمشق ، وجاور بمكة مرارا ، وقدم مصر سنة اثنتين وثلاثين ، وأقام بها حتى مات ؛ وكان لا يقبل لأحد شيئاً ، ويقيم حاله مِنْ وَقف أبيه بحلب ؛ وتزّيا بزى الصوفية ؛ وكان فيه مروءة ، وله مكارم وصدقات ؛ وله شعر جيد .

وتوفى افتخار الدين جابر بن محمد بن محمد الخوارزمى الحنفى شيخ [المدرسة] الجاولية بالكبش ، فى يوم الخميس سادس عشر المحرم ؛ وكان بارعا فى النحو شاعرا .

وتوفى عز الدين عبد الرحيم بن نور الدين على بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز ابن محمد بن الفرات ، أحد نواب القضاة الحنفية ، فى ليلة الجمعة ثانى عشرى ذى الحجة .

وتوفى أوحد الدين بالقدس فى رابع عشرى شعبان .

---

(١) انظر ما سبق ، ص ٥١٣ .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٥٩٣

ومات الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصورى نائب حلب ، ببلاد المراغة ، وقد أقطعه إياها أبو سعيد بن خربندا ؛ [وكان موته] بمرض الإسهال ؛ وقد أعيا الملك (٤ ا) الناصر قتله ، و بعث إليه كثيراً من الفداوية ، فصانه الله منهم ، بحيث قُتل من الفداوية بسببه نحو مائة وأربعة وعشرين فداويا . ولما بلغ السلطان [الناصر محمد] موته قال : "والله ما كنت أشتهى موته إلا من تحت سيفى ، وأكون قد قدرت عليه و بلغت مقصودى ، ولكنّ الأجل حصين" .

وكانت له مع الفداوية أخبار طويلة[1] : منها أن السلطان [الناصر محمد] أعطى يونس التاجر مالا كثيرا ، و بعثه إلى توريز ليتخذ له بها أصحابا يثق بهم حتى يرد إليه الفداوية فيأوا عنده ؛ وعرّف يونس بمقاصده . ثم إن[2] [السلطان] تلطف مع صاحب مصياف ، و بذل له مالا كثيرا حتى ندب له من الفداوية طائفة . فبعثهم السلطان إلى يونس ، فآواهم وأعلمهم بالغرض ، فانتظروا وقتا يصلح للوثوب مدة أيام إلى أن ركب [النوين الكبير] جوبان يريد مدينة (٤ ب) توريز ؛ وركب [أقوش] الأفرم وقراسنقر إلى جانبيه . فخرج اثنان من الفداوية ، أحدهما للأفرم والآخر لقراسنقر ؛ فبدّر أحدهما وضرب أقوش الأفرم ، فاتقى[3] الضربة بيده ، و [كان[4]] عليه قرضية[5] ؛ فانشق كمه ، وجرحت يده . وجَبُن الآخر عن قراسنقر ، فقُتل الفداوى . ووقع الحذر ، وكبست الفنادق والخانات بتوريز ؛ وقُبض على يونس ، فقام الوزير [ناصر الدين خليفة بن[6] خواجا على شاه] معه حتى

---

(١) سوف يدرك القارئ مغزى إفاضة المقريزى هنا فى هذه الأخبار ، وهى ترجع إلى أواسط عصر الناصر محمد ، من سنة ٧٢٨ هـ فصاعداً ، ومعظمها وارد فيما سبق نشره من هذا الجزء من كتاب السلوك .

(٢) فى ف " ثم إنه " ، وفى حذف الضمير وإثبات العائد توضيح للجملة .

(٣) فى ف " ما بقى " ، وما هنا من ب ، ٢٠٥ ب .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٥٤١) . انظر ما سبق بالقسم الأول من هذا الجزء من السلوك ، ص ٣٠٤ ، حيث وردت وفاة جوبان سنة ٧٢٨ هـ .

(٥) كذا فى ف ، وفى ب ، ٢٠٥ ب ، " قرطية " . انظر ، ج ١ ، ص ٨٢ ، حيث ورد هذا اللفظ برسم " قرطية " .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ما سبق بالقسم الثانى من هذا الجزء من السلوك ، ص ٤٤٦ .

تخلص من القتل . [ولم يصب قراسنقر بسوء] ، وعولج الأفرم حتى برئ من جراحته ، واحترسا على أنفسهما .

و [من غرائب الاتفاق فيما سبق[١] أنه] كان لقراسنقر فراش من العليقة ، وله معرفة بأهل مصياف ، فتتبع نواحى توريز حتى ظفر بفداوى [أرسله السلطان الناصر محمد لقتل] قراسنقر ، فإذا هو أخوه ، فاستماله وقرّبه من قراسنقر . فأعطاه [قراسنقر] مائة دينار ، ورتب له فى كل شهر ثلاثمائة درهم ، وخدم عنده فراشا رفيقا لأخيه ، وزاد فى الإنعام (٥ ا) عليه حتى بلغت عطيته له خمس مائة دينار . فأعلم [هذا الفداوى] قراسنقر بما نُدب إليه من قتله ، وضمن له أنه يعرفه بجميع من يرد من الفداويّة . فسر [قراسنقر] بذلك ، وأعلم جوبان والوزير [ناصر الدين خليفة] ، فكبسوا على جماعة ممن دلّهم عليهم ، فظفروا بواحد ، وفرّ بعضهم ، وقتل بعضهم نفسه ، [وجيء بالفداوى المقبوض عليه] ، فعوقب حتى مات ولم يعترف بشىء .

واشتد الأمر بتوريز وغيرها على الغرباء[٢] ، وقصاد السلطان تطالعه[٣] بذلك فى كل وقت ، إلى أن كتبوا إليه بأن نائب بغداد بلغه عن تاجر أنه اشترى مملوكين للسلطان بمائة وعشرين ألف درهم ، فأحضر[٤] [نائب بغداد التاجرَ] وألزمه بإحضارهما ، فافتدى بأربع مائة دينار حتى تركه ، وأخرجه من بغداد . فبعث [التاجر] بطائفة من الفداوية لقتله ، وقتل قراسنقر ، فتفرقوا بالأردو[٥] وتوريز و بغداد ، وأقاموا فى الانتظار لانتهاز الفرصة . (٥ ب) فبينا نائب بغداد يوما وقد مرّ فى الشارع ، إذْ وَثَبَ عليه أحد الفداوية وصاح : "ياللملك الناصر" ، وضربه بالخنجر فى صدره ، ومرّ يعدو فلم يُقْدَر عليه . وعاد [الفداوى] إلى مصياف ، وكتب إلى السلطان [الناصر محمد] بما جرى وقتلِ نائب بغداد . فلما بلغ ذلك قراسنقر وجوبان اشتد حذرهما ، وألزم قراسنقر فرّاشه وأخاه الفداوى حتى دلاّه على

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين هنا ، وفى سائر الفقرة ، لتوضيح العبارة ؛ ويبدو أن المقريزى عكف على شىء من الاختصار حتى لا يبدو ناقلا حرفياً من مرجعه الذى استمد منه هذه الأخبار .

(٢) فى ف "الغرما" ، وما هنا من ب ، ٢٠٥ ا .

(٣) فى ف "فطالعه" ، وما هنا من ب ، ٢٠٥ ا .

(٤) فى ف ، "فاحضره" ، وحذف الضمير وإثبات الفاعل وعائد الضمير يساعد على توضيح العبارة .

(٥) فى ف " الاردوا " . انظر ج ١ ، ص ٥٦٩ ، حاشية ٢ ، لتعريف هذا اللفظ .

أربعة من الفداوية ، فقبض عليهم ، فاعترف أحدهم ، وحكى له الخبر بنصه فقُتلوا وشهّروا .

وأقام [رجال[1] جوبان] مدة فى طلب الفداوية ، فلم يدخل منهم أحد إلا ظُفر به . فلما قدم المجد السلامى إلى القاهرة وصحب كريم الدين الكبير ، واتصل بالسلطان ، أقامه[2] [السلطان] عينا له ببلاد الشرق ، وبعثه بالهدايا والتحف . فصحب[3] [المجد السلامى] جوبان والوزير ، ولزمهما ، وطالع السلطان بالأحوال . [ثم] بعث السلطان إليه بعدة (٦ أ) من الفداوية ، وكان من لطف الله به أنه يوم قدم [المجد السلامى] توريز قُبض بها على ثلاثة [من أربعة][4] من الفداوية ، وفرّ الرابع الذى معه كتاب السلطان إليه . فعوقب الثلاثة حتى ماتوا ، ولم يعترفوا بشىء ووصل الذى فرّ إلى مصياف وكتب إلى السلطان بما جرى . فما زال السلامى يقرّر الصلح بين الوزير خواجا علّى شاه وجوبان و بين السلطان إلى أن تمّ ، وشرطوا فيه ألا يدخل إليهم فداوى .

[ثم حدث أنه] بينما قراسنقر فى عدة من أمراء الساحل بتصيّد إذ وثب عليه من خلفه فداوى وضربه ، فوقعت الضربة فى خاصرة الفرس ، وألقى قراسنقر نفسه إلى الأرض ، فسلم ، وقتل أصحابه الفداوى

ثم لما توجه الأمير أيتمش[5] [بن عبد الله المحمدى الناصرى] فى المرة الثانية [إلى أبى سعيد] ، بعث السلطان [الناصر] فى أثره فداويين قُبض على أحدهما ، وقتل الآخر نفسه ، فلم يعترف المقبوض عليه بشىء حتى (٦ ب) مات قتلا بحضور أيتمش . وعتب جوبان[6] على [أيتمش] بسبب ذلك ، وأنه وقع الصلح على أن لا يدخل أحد من هؤلاء إلينا ، فاعتذر

---

(١) فى ف " واقاموا " ، وحذف الضمير واثبات العائد للتوضيح .

(٢) فى ف ، وفى ب ، ٥٠٢ ب ، " واقامه " .

(٣) فى ف " فصحبه " ، وما هنا من ب ، ٥٠٢ ب .

(٤) فى ف " فبينما " ، وأضيف ما بين الحاصرتين لتعديل سياق العبارة .

(٥) ندب السلطان الناصر محمد هذا الأمير لكثير من سفاراته المعقدة فى البلاد الأجنبية ، ولا سيما بلاد إيلخانات فارس والعراق ، لمعرفته بلغة المغول ، فضلا عن بلادهم وبيوتهم وأحكامهم . وأول سفارة قام عليها أيتمش الى أبى سعيد سنة ٧٢٢ هـ ، والثانية المذكورة هنا بالمتن سنة ٧٢٦ ، حسبما جاء فى ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٢٣ — ٤٢٤ . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة — طبعة القاهرة — ج ٩ ، ص ٣٠١) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٦) فى ف " وعتب عليه جوبان " ، والتعديل للتوضيح .

[أيتمش] بأن هؤلاء إن كانوا فداوية فقد كانوا فى البلاد من قبل تقرير الصلح ، وضمن أن السلطان لا يعود إلى إرسال أحد منهم . فمشى[1] ذلك على [جوبان] ، وأعيد أيتمش إلى مصر .

فلما عاد المجد السلامى أيضا بعث السلطان إلى مصياف بالإنكار على[2] [الفداوية] فى تأخر قضاء شغله ، فأرسلوا إليه رجلا منهم ليقوم بما يؤمر به ، فخلا به السلطان وعرّفه مقاصده ، وأنزله عند كريم الدين بحيث لا يراه أحد ، فكان راتبه فى كل يوم خروفا يأكله كله فى كشك من أول النهار ، ثم يأكل فى وسط النهار دجاجا أو أوزا أو لحما مشويا ، ثم يتعشى بثلاثة ألوان من الطعام ، ويشرب فى كل يوم ستين رطلا من الخمر (١٧) فأقام [الرجل الفداوى] على ذلك أربعة وثلاثين يوما ، ثم سافر لقصده . وتسلّم القاصد الذى يدله على الغريم السكين [ليعطيها للرجل الفداوى] ، وقد خُتمت . وتوجه السلامى أيضاً بهدية جليلة ، فوصل الجميع إلى البلاد . وخفى أمر الفداوى حتى كان يوم عيد الفطر ، ودخل الناس يهنون أبا سعيد وجوبان ، وفيهم قراسنقر ؛ ثم انصرفوا بعد أكلهم إلى الوزير خواجا عَلِى شاه ، وأكلوا طعامه . [ثم] بعث السلامى إلى الفداوى فأحضره ، وأوقفه بطريق قراسنقر ، ودخل رفيقه حتى ينظر وقت فراغ قراسنقر من الطعام ليعرف به الفداوى . فاتفق أن قراسنقر قام ومشى إلى أثنا الدهاليز ، وقد سبقه القاصد[3] وعرف به الفداوى ، وأعطاه السكين ووصف له شكله وزى ثيابه ، وقال له هو أول من يركب . فعند ما وضع قراسنقر رجله (٧ ب) [فى[4] الركاب] استدعاه الوزير ، فعاد ؛ وقد قام [دمرداش[5]] نائب الروم من المجلس ، وكان فيه شبه من قراسنقر وخلعته التى عليه حمراء مثل خلعة قراسنقر. فعند ما ركب [دمرداش] وتوسط الطريق مرّ بالفداوى ، فظنّه قراسنقر ، فألقى نفسه من سطح كان فوقه ، فصار على كفل الفرس وصاح بسعادة [السلطان] الملك الناصر [محمد] ، وضربه

(١) فى ف ، ومضى عليهم ذلك ، والتعديل للتوضيح .

(٢) فى ف " بالانكار عليهم " .

(٣) فى ف " الرجل " .

(٤) ما بين الحاصرتين غير وارد فى ف ، ولكنه فى ب ٢٠٠٣ أ .

(٥) انظر ما سبق ، ص ٢٩٣ .

فى رقبته ألقاه عن فرسه قتيلا . وقام [الفداوى] يعدو ، فأدركه القوم وأحضروه إلى جوبان ، فاتهم بأنه كان مع السلامى ، فلولا لطف الله به وعناية الوزير لقتل [السلامى] شرّ قتلة . وقتل الفداوى بعد ما عوقب أشد العقوبة ، ولم يعترف بشىء .

و[مما حدث كذلك أنه] بينا قراسنقر فى بعض الأعياد ، وقد خرج مع أمراء المغل من حضرة أبى سعيد إلى عند جوبان ، إذ وثب عليه فداوى ، فألقى قراسنقر نفسه إلى الأرض ، فوقع الفداوى (١٨ ا) عليه وضربه بالسكين فأخطأه ، ووقعت السكين فى الأرض . فقُطّع الفداوى فوق صدر قراسنقر قطعا ، وأقيم قراسنقر وقد خرب شاشه ، وطاحت الكلفتاه[1] عن رأسه ، وكاد عقله أن يذهب .

وكان قراسنقر أحد[2] مماليك المنصور قلاون ، عمله كوكنداو[3] ، ثم ترقى حتى ولى نيابة حلب ، ونيابة دمشق . وكان كبير القدر ، بشوش الوجه ، صاحب رأى وتدبير ومعرفة ؛ وبلغت عدة مماليكه ستمائة مملوك . وكان كثير العطاء لا يستكثر على أحد شيئا ، وكان مهابا كثير المال ، وترك ولدين [وهما] أمير علىّ ، وأمير فرج ، وإليه تنسب المدرسة القراسنقرية بخط رحبة باب العيد من القاهرة ، ودار قراسنقر بحارة بهاء الدين .

ومات الأمير تنكز نائب الشام ، يوم الثلاثاء نصف (٨ ب) المحرم .

سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة : أهلّ المحرم بيوم الأحد . ففى يوم الاثنين ثانيه خلع على جميع الأمراء والمقدمين فى الموكب بدار العدل ، وذلك أن الأمراء طلعوا بخلعهم التى فرقت عليهم كما تقدم ، وطلع القضاة فاجتمعوا بدار العدل . وجلس الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبى الربيع سليمان على الدرجة[4] الثالثة من تحت السلطنة ، وعليه خلعة خضراء وفوق عمامته طرحة سوداء مرقومة . ثم خرج السلطان من باب السرّ على

---

(١) فى ف " الكلفاه " ، وما هنا من ب ٣٠٠ ا .

(٢) فى ف " اخدم الملك " وما هنا من ب ٣٠٠ ا .

(٣) كذا فى ف ، وكذلك ب ٣٠٠ ا ، وهو الجوكندار . انظر فهرس المصطلحات بالجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) هنا إشارة لترتيب الجلوس فى حضرة السلطان المملوكى ، وفى العبارة كلها تصوير طيب لناحية من نواحى النظم والتقاليد المملوكية .

العادة ، فقام الخليفة والقضاة ومَن كان [جالساً[1]] هناك من الأمراء . وجلس [السلطان] على الدرجة الأولى دون الخليفة ، فقام الخليفة وافتتح الخطبة بقوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ، وإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ (٩ ا) وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ، وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا . إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ . ثم أوصى السلطان بالرفق بالرعية ، وإقامة الحق وتعظيم شعائر الإسلام ونصرة الدين ، ثم قال : " فوضتُ إليك جميع أحكام المسلمين ، وقلدتك ما تقلدته من أمور الدين ، ثم تلا قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا .

وجلس [الخليفة] فجيء فى الحال بخلعة سوداء فألبسها الخليفة للسلطان بيده ، وقلده سيفا عربيا . وأخذ علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر فى قراءة عهد الخليفة للسلطان حتى فرغ منه ، ثم قدمه للخليفة ، فكتب عليه ، ثم كتب (٩ ب) بعده القضاة بالشهادة عليه . ثم قدم السماط ، فأكل الأمراء وانفضت الخدمة .

وفى يوم الأربعاء رابعه كان ابتداء زيادة النيل .

وفى يوم الخميس خامسه قدم الأمير بيغرامن عند [أمير] أحمد بن الناصر محمد بن قلاون ، وقد حلفه بمدينة الكرك لأخيه السلطان الملك المنصور .

وفيه أنعم على الأمير بَيْلَك العلائى الساقى بإمرة البروانى ، وأنعم بعشرته على مغلطاى أمير شكار ، وأنعم على بزلار الساقى بطبلخاناه [أمير[2] حاج ملك] بن أيدغمش .

وفى عصر يوم الأحد ثامنه قبض على الأمير بشتاك الناصرى ، وذلك أنه طلب أن يستقر فى نيابة الشام ، ودخل على الأمير قوصون وسأله فى ذلك ، وأعلمه أن السلطان [الناصر محمد] كان قبل موته وعده بها . وألح [بشتاك] فى سؤاله ، وقوصون يدافعه ويحتج عليه أنه قد كتب إلى الطنبغا [الصالحى نائب الشام] (١٠ ا) تقليداً باستقراره فى نيابة

---

(١) ما بين الحاصرتين غير وارد فى ف ، وهو من ب ، ٣٠٥ ب .

(٢) فى ف " بطبلخاناه بن ابى دغمش" ، وما هنا من ب (٣٠٤ ا) ، وما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٠٠) .

الشام على عادته ، فلا يليق عزله سريعاً . فقام [بشتاك] عنه وهو غير راض ، فإنه كان قد توهم من قوصون ، وخشى منه لما كان بينهما قديماً من المنافرة ، ولأنه قد صار المتحكم فى الدولة ، فطلب أن يخرج من مصر ، ويبعد عنه . فلما لم يوافقه [قوصون] على ذلك سعى فيه بخاصكية السلطان ، وحمل[1] إليهم مالا كثيراً فى السر ، و بعث إلى الأمراء الكبار يطلب منهم المساعدة على قصده ، فما زالوا بالسلطان حتى أنعم له بنيابة الشام . وطلب [السلطان] الأمير قوصون وأعلمه بذلك ، فلم يوافقه وغض من بشتاك ، وآخر ما قرره مع السلطان أنه يحدث الأمراء فى ذلك ، و يعدهم بأنه يولى بشتاك إذا قدم الأمير قطلوبغا [الفخرى[2]] بنسخة اليمين[3] من الشام . فلما دخل الأمراء عرفهم السلطان طلب بشتاك نيابة الشام ، فأخذوا فى الثناء عليه (١٠ ب) والشكر ، فاستدعاه [السلطان] وطيب خاطره ، ووعده بها عند قدوم قطلوبغا ، وتقدم إليه بأن يتجهز للسفر[4] .

فظن [بشتاك] أن ذلك صحيح ، وقام مع الأمراء من الخدمة ، وأخذ فى عرض خيوله ، وبعث لكل من أكابر الأمراء المقدمين ما بين ثلاثة أرؤس إلى رأسين [من الخيل] بالقماش الفاخر ، وبعث معها أيضاً الهجن المَهَرية[5] . ثم بعث [بشتاك] إلى [الأمراء][6] الخاصكية ، مثل [ملكتمر] الحجازى ، وطاجار [بن عبد الله الناصرى الدوادار] ، ويلبغا [اليحياوى ، والطنبغا الماردانى] ، و [تنكز بغا بن عبد الله] الماردينى ، شيئاً كثيراً من الذهب والجوهر واللؤلؤ والتحف ، وفرق عدة من الجوارى فى الأمراء ، بحيث لم يبق أحد من الأمراء

---

(١) فى ف " وعمل " ، وما هنا من ب ٤٠٤ ا .

(٢) انظر ما سبق .

(٣) فى ف "اليمن" ، وما هنا من ب ، ٤٠٤ ا .

(٤) هنا تصوير دقيق لما كان يجرى عادة من وراء الستار ، من ترتيبات الإدارة والعزل والولاية ، ولا سيما زمن صغار السلاطين .

(٥) المهرية نسبة إلى قبيلة مهرة التى اشتهرت بإبلها ببلاد اليمن . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ، ٤ ، ص ٧٠٠) .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين من الأسماء من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٦ ، وغيرها) . وتلبغى الإشارة هنا إلى المطابقة الحرفية فى معظم هذه الصفحات بين متن المقريزى ومتن ابن تغرى بردى ، ومع أن أولهما أستاذ وأصل للثانى ، فالمقريزى ينقصه ما استطاع ابن تغرى بردى إضافته من الأسماء والألقاب والعبارات التوضيحية بعض الأحيان . وسوف يدأب الناشر فيما يلى على إثبات ما يتطلبه المتن هنا من إضافات بين حاصرتين من ابن تغرى بردى وكتابه النجوم الزاهرة ، دون أية حاجة بعد هذه الحاشية إلى الإشارة إلى هذا المرجع ، إلا أن تكون الإضافة من مرجع آخر

إلا وأرسل إليه . ثم فرق [بشتاك] على مماليكه وأجناده . وأخرج ثمانين جارية من جوار به أعتقهن وزوجهن من مماليكه ، بعد ما شوّرهن باللؤلؤ والزركش ، وغير ذلك مما له قيمة كبيرة جداً . وفرق [بشتاك] من شونته (١١ ا) على الأمراء اثنى عشر ألف أردب غلة ، وزاد حتى وقع الإنكار عليه ، واتهمه السلطان والأمير قوصون بأنه يريد التوثب على الملك ، وعملوا هذا من فعله حجة للقبض عليه وكان ما خص الأمير قوصون من تفرقته هذه حجرين من حجارة معاصر قصب السكر ، بما فيهما من القدود والأعسال والأبقار والأغلال والآلات ، وخمس مائة فدان من القصب مزروعة فى أرض ملك له ، فأدهش الأمراء بكثرة عطائه ، واستغنى منه جماعة من مماليكه .

ولما كثرت القالة فيه بأنه يريد إفساد الدولة خلا به بعض خواصه وعرفه ذلك ، وأشار عليه بإمساك يده عن العطاء ، فقال لهم : "إذا قبضوا على أخذوا مالى ، وأنا أحق به منهم أن أفرقه وأسر به إذا بذلته ، و يبقى لى مكارم على الناس أذكر بها ، و إذا (١١ ب) سلمت فالمال كثير"

هذا وقد قام قوصون فى أمر بشتاك ، وما زال بالسلطان حتى قرر معه القبض عليه ، عند قدوم قطلوبغا [الفخرى وأشاع قوصون أن بشتاك يريد[1] القبض على قطلوبغا] ، فبلغ ذلك بعض خواص قطلوبغا ، فبعث إليه من تلقاه وعرفه ما وقع من تجهيز بشتاك ، وأنه على عزم من أن يلقاك فى طريقك ويقتلك ، فكن على حذر ؛ فأخذ [قطلوبغا] من الصالحية يحترز على نفسه حتى نزل سرياقوس .

واتفق من الأمر العجيب أن بشتاك خرج إلى حوشه بالريدانية خارج القاهرة ، ليعرض هجنه وجماله ، فطار الخبر إلى قطلوبغا [الفخرى] بأن بشتاك قد خرج إلى الريدانية "فى انتظارك" ، فاستعد ولبس السلاح من تحت ثيابه ، وسار وقد تلقاه عدة من مماليكه وهو على أهبة الحرب . وعرج [قطلوبغا] عن الطريق ، وسلك من تحت الجبل لينجو من بشتاك ؛ وكان عند بشتاك علم من قدومه . فلما قرب [قطلوبغا] من الموضع الذى فيه بشتاك (١٢ ا) لاحت له غبرة خيله ، فحدس أنه قطلوبغا قد قدم ، فبعث إليه أحد مماليكه

---

(١) انظر ما سبق هنا ، ص ٥٦٠ ، حاشية ٥ .

يبلغه السلام ، و يعرفه أن يقف حتى يأتيه ليجتمع به . فلما بلغ [قطلوبغا][1] ذلك زاد خوفه من بشتاك ، وقوى عنده صحة ما بلغهُ عنه ، فقال للمملوك[2] : "سلم على الأمير ، وقل له لا يكن اجتماعى به ولا بأحد حتى أقف قدام السلطان ، ثم بعد ذلك أجتمع به ." فمضى مملوك بشتاك ، وفى ظن قطلوبغا أنه إذا بلّغه مملوكه الجواب ركب إليه ، فأمر مماليكه أن يسيروا قليلا قليلا ، وساق بمفرده مشوارا[3] واحدا إلى القلعة . ودخل [قطلوبغا] على السلطان و بلّغه طاعة النواب وفرحهم بأيامه . ثم أخذ يعرف السلطان والأمير قوصون وسائر الأمراء ما اتفق له مع بشتاك ، وأنه كان يريد معارضته فى طريقه وقتله ؛ فأعلمه السلطان وقوصون بما اتفقا عليه من القبض على بشتاك .

فلما كان عصر هذا (١٢ ب) اليوم ، ودخل الأمراء إلى الخدمة على العادة بالقصر ، وفيهم الأمير بشتاك ، وأكلوا السماط ، تقدم الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير طقزدمر [الناصرى الساقى] إلى بشتاك ، وأخذا سيفه وكتّفاه . وقُبض معه على أخيه أيوان وعلى طُولُوتمر[4] ومملوكين من المماليك السلطانية كانا يلوذان به . وقُيّدوا جميعا ، وسفّروا إلى الإسكندرية فى الليل صحبة الأمير أسندمر العمرى . وقبض على جميع مماليكه ، وأوقعت الحوطة على دوره و إصطبلاته ، وتتبعت غلمانه وحاشيته .

وأنعم من إقطاع بشتاك على الأمير قوصون بخصوص الشرق[5] زيادة على إقطاعه ، وأخذ السلطان المطرية ومنية ابن خصيب وشبرا . وفرق [السلطان] بقية إقطاع بشتاك على [ملكتمر] الحجازى وغيره من الأمراء .

---

(١) فى ف " فلما بلغه ذلك " ، والتعديل للتوضيح .

(٢) فى ف " فقال له " ، والتعديل للتوضيح .

(٣) المشوار هنا لفظ عامى معناه الشوط أو الطلق الواحد من المعى أو الركوب ، ويبدو أنه مأخوذ من لفظ عامى آخر ، وهو الشوار ، ومعناه العامى كذلك المكان المشرف على منحدر يقف عنده الماشى أو الراكب . (محيط المحيط) .

(٤) فى ف "طولودمر" ، وهذان الاسمان مضبوطان هكذا فى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٨ .

(٥) المقصود بهذه الناحية المعروفة بهذا الاسم ، نقلا عن ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٩ ، حاشية ١) بلدة اسمها الحالى (الحمام) بمركز أبنوب ، بمديرية أسيوط الحالية .

فلما أصبحوا يوم الاثنين تاسعه قبض على المجد السلامى ، واتهم بأن لبشتاك عنده (١٣ ا) جواهر مودعة .

وفيه حملت حواصل بشتاك ، وهى من الذهب مائتا ألف دينار مصرية ، ومن اللؤلؤ والجواهر والحوائض الذهب والكلفتاه الزركش شىء كثير جداً . ومن الغلال أحد عشر ألف أردب ، سوى ما تقدم ذكره مما أنعم به [بشتاك] وفرّقه .

وفيه أخرج أحمد شاد الشراب خاناه إلى طرابلس ، لنقله كلاماً بين الأمراء ، [وميله مع بشتاك] .

وفى يوم الخميس ثانى عشره أنعم على كل من شعبان ورمضان أخوى السلطان(١) بإمرة .

وفيه قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن بكتمر(٢) الحاجب وأنعم من الغد بإمرته على أخيه جمال الدين عبد الله بن الحاجب .

وفى يوم الاثنين ثالث عشريه خلع على الأمير طُقُزْدَمُرْ ، واستقر فى نيابة السلطنة ، فجلس فى دست النيابة ، وحكم وصرّف الأمور .

وفيه أيضاً خلع على الأمير نجم الدين (١٣ ب) محمود بن على بن شَرْوِين المعروف بوزير بغداد ، واستقر فى الوزارة .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشريه قدم محمل الحاج من الحجاز ، صحبة [ملكتمر] الحجازى

وفيه أيضاً قدم الأمير ناصر الدين محمد بن بيلبك المحسنى من دمشق على البريد ، بالاستدعاء .

وفيه أنعم على الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بكتمر الساقى أحد العشرات ، بإمرة طبلخاناه

وقدم البريد من حلب بأن الأمير بن فياض وسليمان بن مهنا وأخوتهما قطعوا الطريق على التجار ، عندما بلغهم أن أميرهم موسى بن مهنا قد قُبض عليه ، بعد موت السلطان [الناصر محمد] ؛ وكان موسى قد خلع عليه وسافر .

وفى يوم الاثنين سلخه قبض على الأمير آقبغا عبد الواحد وأولاده ، وخلع على الأمير

(١) هنا إشارة لبعض نظم الحكم الإقطاعى زمن سلاطين المماليك .
(٢) فى ف " الحاجب بكتمر " ، وما هنا من ب (١٠٠٥ ا) .

طقتمر[1] الأحدى ، واستقر أستادار عوضه . وسبب ذلك أنه فى أيام السلطان الملك الناصر قد ولى الأستادارية ، (١٤ ا) وتقدمة المماليك وشد العمائر ، وتحكم فى سائر الأمور وأرباب الأشغال ، وعظمت مهابته . فاتفق أنه غضب على فراش له ، وضربه ضربا مبرحا ، كما هى عادته . فخدم [الفراش] عند أبى بكر بن السلطان ، ليحميه من آقبغا ، فبعث آقبغا فى طلبه ، فمنعه أبو بكر ، وأرسل إليه مع مملوكه يقول له : "أريد أن تهبنى هذا الفراش" . فأغلظ [آقبغا] على المملوك وسبّه ، وقال "قل له يرسل الفراش وهو جيد له" . وكان أبو بكر قبل ذلك خرج[2] من الخدمة السلطانية إلى بيته ، وآقبغا يضرب مملوكا ، فوقف وشفع فيه ، فلم يعبأ به آقبغا ، ولا قبل شفاعته ، وصار واقفا وآقبغا قاعد ؛ فانصرف [أبو بكر] وقد خجل . فلما أعاد مملوكه جواب آقبغا ، غضب وحلف لئن صار سلطانا ليصادرنه وليضربنه بالمقارع ، وحَمَى الفراش من آقبغا . فلما أفضت السلطنة إليه بعد موت أبيه ، عرّف الأمير قوصون (١٤ ب) والأمير طقزدمر النائب بيمينه ، فأجابه قوصون إلى مصادرته أولا قبل ضربه ، وأراد بذلك مدافعةً عنه ، فقُبِض عليه ورُسِم للأمير طيْبُغا الجدى[3] و [الأمير نجم[4] الدين بلبان الحسامى البريدى] والى القاهرة بإيقاع الحوطة على موجوده ، وسُلِّمَ ولده الكبير للمقدم إبراهيم بن صابر . فبات [آقبغا] ليلته بغير أكل ، وأصبح يوم الثلاثاء أول صفر ، فتحدث له الأمراء أن ينزل فى ترسيم [طيبغا] الجدى ، ليتصرف فى أموره ، فنزل بصحبته ، وأخذ فى بيع موجوده . وكان مما أبيع له سراويل لزوجته بمائتى ألف درهم فضة ، وقبقاب وخفّ نسائى وسرموجة[5] لإمرأته بخمسة وسبعين ألف درهم . فَثَارَ بِهِ جماعة ممن ظلمهم فى أيام تحكمه ، وطلبوا حقوقهم منه ، وشكوه . فأقسم السلطان

---

(١) فى ف " طقطمر " ، وما هنا من ب ، ٥٠٥ ب وكذلك ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٠ .

(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٠٥ ب ، وكان قبل ذلك خرج ابو بكر ..

(٣) فى ف " الحمدى " وما هنا من ب ، ٥٠٥ ب . انظر كذلك ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٠ .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين مما يلى هنا بالصفحة التالية .

(٥) تقدم هذا اللفظ بصيغة "سرموزة" فى ج ١ ، ص ٢٩٤ حاشية ٣ . انظر Dozy : Supp. Dict Ar. حيث توجد كذلك صيغة سرموج ، وسرموز .

الذى لم يرضهم ليسمرنه على جمل ويشهره بالقاهرة ، ففرّق فيهم مائتى ألف درهم (١٠ ا) حتى سكتوا عنه .

وفى يوم الأحد سادسه خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن الحسنى ، واستقرّ فى ولاية القاهرة ، عوضا عن نجم الدين بلبان الحسامى البريدى لقلة حرمته ؛ وخُلع على نجم الدين واستقر فى ولاية مصر .

وفيه قدم الأمير بدر الدين أمير مسعود بن خطير من الشام على البريد ، باستدعاء .

وفيه رسم لابن الحسنى [والى القاهرة] أن يستخلص من خالد وابن معين مقدمى دار الوالى مالا ، من أجل طمعهما وكثرة تحكمها .

وفيه أيضا قبض على الصدر الطيبىّ ناظر المواريث ، وسلم إلى الوالى على مال يحمله ، فعاقبه [الوالى] حتى حمل مالا جزيلا .

وفى يوم الاثنين سابعه خُلع على الأمير بدر أمير مسعود ، واستقر حاجبا ، عوضا عن الأمير برسبغا ، واستقر برسبغا على إمرته بغير وظيفة .

وفى يوم الأربعاء تاسعه قُبض على مقدم[1] الدولة إبراهيم (١٠ ب) بن صابر ، وسُلِّمَ لمحمد بن شمس [الدين[2]] المقدم ، وأحيط بأمواله . فوجد له نحو تسعين حجرة فى الجُشار[3] ، ومائة وعشرين بقرة فى الزرايب ، ومائتى كبش ، وجوقتين كلاب سلوقية ، وعدة طيور جوارح مع نزدارية ؛ ووجد له من الغلال وغيرها شىء كثير ، فتوقف وحَمَل المال شيئا بعد شىء .

وفيه جهز ابن طغيه[4] وقريب الشيخ حسن [كجك ؟[5]] ، وسُفِّرا وكُتب إلى نواب الشام بإكرامهما .

(١) انظر ما سبق ، ص ٣٧٠ ، حاشية ٥ .

(٢) ما بين الحاصرتين من ب ، ٥٠٦ ا . انظر كذلك ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١١ .

(٣) انظر ما سبق ، ج ١ ، ص ٤٩٠ ، حاشية ٢ ، وانظر فهرس الألفاظ الاصطلاحية فى آخر هذا الجزء من السلوك .

(٤) انظر ما سبق هنا ، ص ٥٠٠ ، ٥٠٧ ، ٥٣٤ .

(٥) انظر ما سبق ، ص ٣٩٨ ، حاشية ١ .

وفيه وقع بين قاضى القضاة حسام الدين الغورى الحنفى وبين موفق الدين ناظر الدولة ، بسبب معلومه ، وقد توقف صرفه ، فكتب [قاضى القضاة حسام الدين] إليه ورقة يذكر فيها مساوىء الكتاب ، وأفحش القول فيهم . فشق ذلك على [موفق[1] الدولة] وعلى بقية الكتاب ، و بلغوا السلطان عنه تسلطه على أعراض الناس وسفه قوله .

فلما (١٦ أ) كان الغد يوم الخميس عاشره ، وحضر القضاة بدار العدل على العادة ، تكلم [القاضى] الغورى مع السلطان بالتركى فى الكتاب بقوادح ، وطعن فى إسلامهم . فعتب [السلطان] معه ، واستدعى الوزير بعد الخدمة ، وأنكر عليه ما وقع من الغورى ، وقال : " لولا أنه من بلدك وإلا كنت ضربته بالمقارع ، لكن إكرامه لك ، فاطلبه وحذره ألا يعود لمثلها " ؛ فطلبه الوزير وعتبه عتباً شديداً .

وفيه قدم البريد من الأمير طشتمر [حمص أخضر] الساقى نائب حلب بخروج [زين الدين قراجا] بن دلغادر[2] عن الطاعة ، وموافقته لأرتنا[3] متملك الروم على المسير لأخذ حلب ، وأنه قد قوى بالأبلستين وجمع جمعاً كثيراً ؛ وسأل الأمير [طشتمر] أن ينجد بعسكر من مصر .

وفيه رسم [السلطان] بضرب آقبغا عبد الواحد بالمقارع ، فلم يمكنه الأمير قوصون من ذلك ، (١٦ ب) فاشتد حنقه ، وأطلق لسانه بحضرة خاصكيته .

وفيه شفع الأمير ملكتمر الحجازى فى ولى الدولة أبى الفرج بن الخطير صهر النشو ، فأفرج عنه ، واستدله الحجازى وخلع عليه ، وجعله صاحب ديوانه .

وفيه عقد السلطان نكاحه على جاريتين من المولدات اللاتى فى بيت السلطان ، وكتب علاء الدين كاتب السر صداقهما ، فخلع عليه وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم . ورسم السلطان لجمال الكفاة ناظر الخاص أن يجهزهما بمائة ألف دينار ، وشرع فى عمل المهم للعرس .

وفى يوم السبت تاسع عشره ركب الأمير قوصون والأمراء على الملك المنصور

(١) فى ف " عليه " ، والتعديل للتوضيح .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة (Zambaur Genèalozie pp.258—259) ، حيث يتضح أن هذا الأمير أول السلالة الدلغادرية فى حكم إمارة الأبلستين بآسيا الصغرى .

(٣) انظر ما سبق ، ص ٤٣١ ، ٤٤٥ ، ٤٦٩ .

أبى بكر ، وخلعوه من الملك فى يوم الأحد عشريه ؛ وأخرج [أبو بكر] هو وإخوته إلى قوص صحبة الأمير بهادر بن جركتمر .

وسبب ذلك أن [السلطان] قرب (١٧ ا) الأمير يلبغا اليحياوى ، وشغف به شغفاً كثيراً ، ونادم الأمير ملكتمر الحجازى ، واختص به وبالأمير طاجار الدوادار وبالشهابى شاد العمائر وبالأمير قُطْلُبُغا الحموى ، وجماعة من الخاصكية ؛ وعكف على اللهو وشرب الخمور وسماع الملاهى . فشق ذلك على الأمير قوصون وغيره ، لأنه لم يعهد من ملك قبله شرب خمر . فحملوا الأمير طقزدمر النائب على محادثته فى ذلك وكفه عنه ، فزاده لومه إغراء ، وأفحش فى التجاهر باللهو حتى تحدث به كل أحد من الأمراء والأجناد والعامة . وصار [السلطان] يطلب الغلمان فى الليل ، ويبعثهم لإحضار المغانى ، فغلب عليه الشراب فى بعض لياليه ، فصاح من الشباك على الأمير أيدغمش : "يا آمير آخوراهات لى ابن عطمط" ، فقال أيدغمش : "ياخوند ! ما عندى فرس بهذا الاسم" . (١٧ ب) فنقل ذلك السراخورية[1] والركابية[2] ، فتداولته الألسنة . فطلب قوصون الأمير طاجار والشهابى شاد العمائر ، وعنفهما وقال : "سلطان الإسلام يليق به أن يعمل مقامات ، ويحضر إليها البغايا والمغانى ؟" ، وعرفهم أن الأمراء قد بلغهم هذا . فبلغوا السلطان كلام[3] [قوصون] ، وزادوا فى القول ، فأخذ جلساؤه من الأمراء فى الوقيعة فى قوصون والتحدث فى القبض عليه ، وعلى الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير بيبرس الأحمدى والأمير طقزدمر النائب . فنم عليهم الأمر يلبغا اليَحياوى لقوصون — وكان قد استماله بكثرة العطاء فيمن استمال من المماليك السلطانية — ، وعرفه أن الاتفاق قد تقرر على القبض عليه فى يوم الجمعة وقت الصلاة .

فانقطع [قوصون] عن الصلاة ، وأظهر أن برجله وجعاً ، وبعث فى ليلة السبت يعرف [الأمير بيبرس] الأحمدى (١٨ ا) بالخبر ، ويحثه على الركوب معه . وطلب

(١) السراخورية فئة المكلفين بعلف الخيل وغيرها من الدواب . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٢ ، حاشية ٢ ، وما بها من المراجع .

(٢) انظر المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٢١٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٦١٠ .

(٣) فى ف " كلامه " ، والتعديل للتوضيح .

[قوصون] المماليك السلطانية ، وواعدهم على الركوب صحبته ، وملأهم بكثرة مواعيده إيام ؛ وبعث إلى الأمير الحاج آل ملك[1] ، والأمير جنكلى بن البابا . فلم يطلع الفجر حتى ركب قوصون من القلعة من باب السر[2] في مماليكه ومماليك السلطان ، وسار نحو الشيزرة[3] ، و بث[2] مماليكه في طلب الأمراء . فأتاه جركتمر بن[4] بهادر في إخوته ، و برسبغا [بيبرس] ، والأحمدي ، وقطلوبغا الفخرى . وأخذوا آقبغا عبد الواحد من ترسيم [طيبغا] المجدى ، فسار معه المجدي أيضاً . ووقفوا بأجمعهم عند قبة النصر ، ودقوا طبلخاناتهم ، فلم يبق أحد من الأمراء حتى أتاهم .

هذا والسلطان وندماؤه في غفلة لهوم وغيبة سكرهم ، إلى أن دخل عليهم أرباب الوظائف وأيقظوهم من نومهم ، [وعرفوهم[5]] مادهموا به . فبعث السلطان طاجار إلى طقزدمر النائب (١٨ ب) يسأله عن الخبر ، ويستدعيه ، فوجد عنده جُنْكُلى بن البابا والوزير وعدة من الأمراء المقيمين بالقلعة . فامتنع [طقزدمر] من الدخول إلى السلطان ، وقال : " أنا مع الأمراء حتى أنظر عاقبة هذا الأمر " ، وقال لطاجار : " أنت وغيرك سبب هذا حتى أفسدتم السلطان بفسادكم ولعبكم ، قل للسلطان يجمع مماليكه ومماليك أبيه حوله " . فعاد طاجار و بلغ السلطان ذلك ، فخرج [السلطان] إلى الإيوان وطلب المماليك ، فصارت كل طائفة تخرج على أنها تدخل إليه فتخرج إلى باب القلة حتى صاروا نحو الأربعمائة مملوك ، وصاروا يدا واحدة [من باب القلة إلى باب القلعة][6] ، فإذا هو قد أغلق فرجعوا إلى النائب [طقزدمر] بعد ما أخرقوا بوالى [باب] القلعة ، وأنكروا عليه وعلى من عنده

(١) في ف "ال جلك والامير جنكل" ، وما هنا من ب ، ١٠٠٧ . انظر ما سبق هنا ص ٢٠٠ ، وكذلك ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٣ .

(٢) في ف " حتى ركب قوصون من باب سر القلعة " ، وهذا الباب معروف بالصيغة المثبتة بالمتن .

(٣) ليس في المراجع المتداولة هنا بالحواشي ما يدل على هذا الموضع ، على أن ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٣) يذكر أن الأمير قوصون سار نحو الصحراء .

(٢) في ف " ورتب " ، وما هنا من ب ١٠٠٧ .

(٤) في ف " جوكتمر بن بهادر " ، وفي ب ، ١٠٠٧ " جركتموه بهادر " ، وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٩٧ ، ٥٣٤) . ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٥) ما بين الحاصرتين من ب ، ١٠٠٧ .

(٦) في ف " وساروا يدا واحدة إلى باب القلعة " ، والمثبت بالمتن من ب ١٠٠٧ ، وهو الأصح . انظر كذلك ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٤ .

من الأمراء . فقال لهم [طقزدمر] : " السلطان ابن أستاذكم جالس على الكرسى ، وأنتم تطلبون غيره ؟ " فقالوا (١١٩) : " مالنا أستاذ إلا قوصون . ابن أستاذنا مشغول عنا لا يعرفنا " ، ومضوا إلى باب القرافة ، وهدموا منه جانبا وخرجوا ، فإذا خيول بعضهم واقفة . فركب بعضهم ، وأردف عدة منهم ، ومشى باقيهم إلى قبة النصر . ففرح بهم قوصون والأمراء ، وأمر لهم بالخيول والأسلحة ، وأوقفهم مع أصحابه . وبعث الأمير مسعود[1] ابن خطير الحاجب إلى السلطان يطلب منه [ملكتمر] الحجازى و يلبغا اليحياوى وطاجار وغيره ، و يعرفه أنه أستاذهم وابن أستاذهم ، وأنهم على طاعته ، وأنهم إنما يريدون هؤلاء ، لما صدر عنهم من الفساد ورمى الفتن . [وطلع الأمير مسعود إلى القلعة] ، فوجد السلطان فى الإيوان ، وهؤلاء[2] الأمراء حوله فى طائفة من المماليك ، فقبّل الأرض ، و بلغه الرسالة . فقال السلطان : " لا كيد ولا كرامة لهم ، ولا أسيّر مماليكى [ومماليك أبى لهم] ، وقد كذبوا فيما نقلوه عنهم ، ومهما قد روا عليه يفعلوه " (١٩ ب) . فما هو إلا أن خرج عنه أمير مسعود حتى اقتضى رأيه أن يركب بمن معه ، و ينزل [من القلعة] و يطلب النائب [طقزدمر] ومن عنده من الأمراء ، و يدق كوساته . فتوجه إلى الشباك ، وأمر أيدغمش أمير آخور أن يشد الخيل للحرب ، فأعلمه أنه لم يبق بالاصطبل غلام ولا سايس ولا سراخورى يشد فرسا واحداً . فبعث إلى النائب [طقزدمر] يستدعيه ، فامتنع عليه .

ثم[3] بعث قوصون الأميرَ بلك الجدار والأمير برسبغا إلى النائب [طقزدمر] يعلمانه بأنه متى لم يحضر الغرماء إليه و إلا زحف[4] على العلمة وأخذهم غصبا . فبعث [طقزدمر] إلى السلطان يشير عليه بإرسالهم ، فعلم [السلطان] أن النائب وأمير آخور قد خذلاه ، فقام ودخل على أمه . فلم يجد الغرماء بدّا من الإذعان ، وخرجوا إلى النائب [طقزدمر] ، وهم ملكتمر الحجازى وألطنبغا الماردينى و يلبغا اليحياوى (٢٠ ا) وطاجارا الدوادار والشهابى

(١) فى ف ، وفى ب ، ٢٠٧ ا كذلك ، " وبعث امير مسعود " ، والإضافة وأداة التعريف من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٤ .

(٢) فى ف " وهم حوله " ، والتعديل للتوضيح .

(٣) فى ف و "بعث" ، والتعديل للتوضيح .

(٤) الجملة غير مستقيمة فى الأسلوب الحديث ، غير أن معناها غير بعيد ، ومى بنصها وعدم استقامتها واردة فى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٤ .

شاد العمائر و بَكْلَمِشْ الماردينى وقطليجا الحموى ؛ فبعثهم [طقزدمر النائب] إلى قوصون صحبة بلك و برسبغا . فلما رآهم قوصون صاح فى الحاجب أن يرجلهم عن خيولهم من بعيد ، فأنزلوا منزلا قبيحا ، وأخذوا حتى وقفوا بين يديه ، فعنّفهم ووبخهم ، وأمر [بهم] فقيدوا ، وعملت الزناجير فى رقابهم والخشب فى أيديهم .

ثم نزل قوصون والأمراء فى خيم ضربت لهم عند قبة النصر ، واستدعى [طقزدمر] النائب ، والأمير جنكلى بن البابا ، وأيدغمش أمير آخور ، والوزير ، والأمراء المقيمين بالقلعة . واتفقوا على خلع الملك المنصور وإخراجه و إخوته [من القلعة] ، فتوجه برسبغا فى جماعة إلى القلعة ، وأخرج المنصور وأخوته ، وهو سابع سبعة ، ومع كل منهم مملوك صغير وخادم وفرس و بقجة قماش . وأركبهم [برسبغا] (٢٠ ب) إلى شاطئ النيل ، وأنزلهم فى حراقة ، وسافر بهم [جركتمر بن] بهادر إلى قوص ؛ ولم يترك [برسبغا] فى القلعة من أولاد السلطان إلا كجك . وسلم [قوصون] الأمراء المقيدين إلى والى القاهرة ، فمضى بهم إلى خزانة شمايل بالقاهرة ، وسجنهم بها إلا يلبغا اليحياوى ، فإنه أفرج عنه .

- وكان يوما عظيما بالقلعة والقاهرة ، من تألم الناس على أولاد السلطان والأمراء وكثرة البكاء والعويل .

و بات قوصون ومن معه ليلة الأحد بخيامهم عند قبة النصر ، وركبوا بكرة يوم الأحد عشريه إلى القلعة ، واتفقوا على إقامة كجك . فكانت مدة سلطنة المنصور أبى بكر تسعة وخمسين يوما ، ومن حين قلده الخليفة أربعين يوما .

ومن الاتفاق العجيب (٢١ ا) أن الملك الناصر أخرج الخليفة أبا الربيع سليمان وأولاده إلى قوص مرسّما عليهم ، فقوصص بمثل [ذلك[1]] ، وأخرج الله أولاده مرسّما عليهم إلى قوص على يد أقرب الناس إليه ، وهو قوصون مملوكه وثقته ووصيّه على أولاده ، فليعتبر العاقل و يتجنب أفعال السوء[2] .

---

(١) موضع هذا اللفظ فى ف كلمة "ما" ، وما هنا من ب ، ٢٠٨ ا .

(٢) أورد ابن بهادر (كتاب فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر ، ج ٢ ، ص ٢٨١) فى هذا الصدد أنه يقال إن السلطان الناصر محمد أوصى إلى مماليكه الكبار مثل قوصون وبشتاك والطنبغا وغيرهم بأن يولوا ابنه أبا بكر السلطنة قبل غيره من أبنائه ، فإذا أساء السيرة أقاموا غيره من أولئك الأبناء .

السلطان الملك الأشرف

علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاون

أقيم سلطانا فى يوم الاثنين حادى عشرى صفر ، سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، ولم يكمل له من العمر خمس سنين ، وأمه أم ولد اسمها أردو ، تترية الجنس . ولقب [كجك] بالملك الأشرف ، وعرضت [نيابة[1]] السلطنة على الأمير ايدغمش أمير آخور ، فامتنع وامتنع منها ، فوقع الاتفاق على إقامة الأمير قوصون فى النيابة ، فأجاب وشرط على الأمراء أن يقيم على حاله بالأشرفية (٢١ ب) من القلعة ، ولا يخرج منها إلى دار النيابة[2] خارج باب القلعة . فأجابوه إلى ذلك ، فاستقر من يومه نائب السلطان ، وتصرف فى أمور الدولة فقال [فى ذلك بعض الشعراء] :

سلطاننا اليوم طفل والأكابر فى ... خلف وبينهم الشيطان قد نزغا

فكيف يطمع من مسّته مظلمة ... أن تبلغ السؤل والسلطان ما بلغا

وفى يومه أفرج عن الأمير الطنبغا الماردينى ؛ وخُلع على الأمير مسعود [بن خطير] ، واستمر حاجبا على عادته .

وفى [ليلة[3]] الأربعاء أخرج بالأمير طاجار ، والأمير قطلوبغا الحموى ، والأمير ملكتمر الحجازى ، والشهابى [شاد العمائر] ، من خزانة شمايل ؛ وحملوا إلى ثغر الإسكندرية ، فسجنوا بها .

وتوجه الأمير بلك الجدار على البريد إلى حلب ، (٢٢ ا) لتحليف النائب والأمراء والأجناد . وتوجه الأمير بيغرا إلى دمشق بسبب ذلك ، والأمير جركتمر بن بهادر إلى طرابلس وحماه لتحليف من فيها ؛ وكُتب إلى الأعمال بإعفاء الجند من المغارم .

وفى يوم الخميس رابع عشريه ركب الأمير قوصون فى دست النيابة ، وترجّل له الأمراء ، فكان موكبا عظيما .

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ، ١٠٠٨ .

(٢) هنا تحديد لموقع دار النيابة .

(٣) ما بين الحاصرتين من ب ، ١٠٠٨ .

وفيه أنفق [الأمير قوصون] في العسكر لكل مقدم ألف من الأمراء ألف دينار ، ولكل أمير طبلخاناه خمس مائة دينار ، ولكل أمير عشرة مائتي [دينار] ، ولكل مقدم حلقة خمسين دينارا ، ولكل جندي خمسة عشر دينارا .

وفي يوم السبت سادس عشريه سُمِّر ولي الدولة أبو الفرج بن الخطير صهر النشو . وسببه أنه لما أفرج عنه كثرت الإشاعة بأن [الأمير ملكتمر] الحجازي يستقر به في نظر (٢٢ب) الخاص ، وأنه ينهض بما نهض به النشو ، و[أنه] صار يخلو بالسلطان [المنصور أبي بكر] ويحادثه في أمور الدولة ، و [أنه] كثر نزول [ملكتمر] الحجازي وغيره من الأمراء إلى بيته ليلا ، وحضوره عنده إلى مجالس اللهو ؛ واتهم الملك المنصور [أبو بكر] بأنه نزل إليه أيضا . فنقل ذلك أعداؤه من الكتاب إلى الأمير قوصون ، وأغروه به إلى أن كان من قيامه على السلطان ما كان ، فقبض على ولي الدولة وسجنه . فقام الكتاب في قتله حتى أجابهم [قوصون] إلى ذلك ، فطلب ابن المحسني والي القاهرة طوائف من العامة ، وألزمهم أن يشعلوا الشموع من بعد صلاة الصبح خارج باب زويلة ، وأخرج ولي الدولة من خزانة شمايل ، وسمره على جمل تسميرا فاحشا بمسامير خافية ، وأمر فنودي عليه : "هذا جزاء من يرمى الفتن ويتحدث فيما لا يعنيه ، (١٢٣) ويفسد عقول الملوك" . وشهر [ولي الدولة] والشموع بين يديه بالقاهرة ومصر ، فطافوا به الأزقة والشوارع وهو ساكت يتجلد ، فإذا مرّ بالشهود في الحوانيت أو بجمع من القضاة صاح : "يا جماعة ! اشهدوا لي أني مسلم ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وأنا أموت عليها" . فكان يوما مشهودا . ولم يزل [ولي الدولة] على ذلك أياما حتى مات ، وقال فيه بعضهم .

قد أخلف النشو صهر سوء قبيح فعل كما رأوه
أراد للشر فتح باب فأغلقوه وسمروه

وكانت عدة الشموع التي أشعلت يوم تسميره ألفا وخمسمائة شمعة .

وفي يوم الخميس مستهل ربيع الأول أنعم [الأمير قوصون] على أحد وعشرين رجلا من المماليك السلطانية (٢٣ ب) بإمريات ، منهم ستة طبلخاناه والبقية عشرات .

وفى يوم الجمعة تاسعه — و يوافقه أول أيام النسىء — وفى النيل ستة عشر ذراعا ، وفتح سد الخليج بكرة يوم السبت . فنقص الماء أربع أصابع ، ثم رد النقص وزاد أصبعه من سبعة عشر ذراعا فى يوم الخميس خامس عشره ، فسر الناس بذلك سرورا زائدا .

وفى يوم الأربعاء رابع عشره توجه الأمير طوغان لإحضار أحمد بن السلطان [الناصر محمد] من الكرك محتفظا به ، لينفى إلى أسوان : وسبب ذلك ورود كتاب ملكتمر السرجوانى نائب الكرك يتضمن أن أحمد قد خرج عن طوعه ، وكثر شغفه بشباب أهل الكرك وانهماكه فى معاقرة الخمر ، وأنه يخاف على نفسه منه أن يوافق الكركيين على قتله ، وطلب الإعفاء من نيابة الكرك .

وفى يوم السبت سابع عشره (٢٤ أ) خلع على الأمير طقزدمر النائب ، واستقر فى نيابة حماه عوضا عن الملك الأفضل [ابن الملك المؤيد الأيوبى] ، وأنعم على الأفضل بإمرة ألف فى دمشق .

و [فيه] أنعم على الأمير آقبغا عبد الواحد بإمرة فى دمشق ، ورسم بسفره إليها .

وفى يوم الخميس ثانى عشريه خلع على جميع الأمراء وأهل الدولة بدار العدل ، وقد أجلس السلطان على التخت ، وقبل الأمراء الأرض بين يديه ، ثم تقدموا إليه على قدر مراتبهم ، وقبلوا يده . فكانت عدة الخلع يومئذ ألف خلعة ومائتى خلعة ؛ وكان يوما مشهوداً .

وفيه توجه جركتمر بن بهادر إلى إسوان ، للاحتفاظ على المنصور أبى بكر و إخوته ، وكان قد حضر [إلى القاهرة] هو وغيره ممن توجه لتحليف نواب الشام بنسخ حلفهم .

وفى تاسع عشريه ورد البريد من الكرك بكتاب أحمد (٢٤ ب) بن السلطان يتضمن أنه لا يحضر حتى يأتيه الأمراء الأكابر إلى الكرك ويحلفهم ، ثم تحضر إخوته من بلاد الصعيد إلى قلعة الكرك ، و يحضر [هو] بعد ذلك وينتصب سلطانا . فأجيب من الغد بأنه لم يطلب إلا لشكوى النائب منه ، وجهزت له هدية سنية ؛ [وأنه يحضر إلى القاهرة حتى تحصل المصالحة] .

وفيه أفرج عن الشريف مبارك ابن عطيفة .

وفيه أنعم على عشرة من مماليك السلطان بإمريات ، ونودى بالقاهرة بألا يرمى على أحد من التجار والباعة شيء من البضائع .

وفيه قبض على بدوى معه كتاب أمير يحيى بن طهير بغا [المنفى[1]] لأحمد بن السلطان [الناصر محمد] يحذره من دخول مصر ، وأنه متى دخل إليها قتل . فأنكر[2] [قوصون على أمير يحيى] ذلك ، فزعم أنه كتاب أخته زوجة أحمد .

و [فيه] ورد كتاب [عبد] المؤمن [والى] قوص[3] يخبر بوصول المنصور أبى بكر وإخوته ، وأنه ركب فى خدمته . (١٢٥ ا) فلما عاد [عبد المؤمن من خدمته] بعث إليه المنصور بخمس مائة دينار ، فكتب [الأمير قوصون] جوابه بالاحتراس عليه .

و [فيه] أخذت أمور قوصون تضطرب . وذلك أنه ألزم المماليك السلطانية بالمشى فى خدمته ، كما كانوا فى الأيام الناصرية يمشون فى خدمة السلطان [الناصر محمد] ، فلم يوافقوه على ذلك ؛ وكان [قوصون] مع كثرة إحسانه قد ألقى الله بغضته فى قلوب [الناس[4]] جميعاً حتى صاروا يلهجون بها .

وفى يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر قدم من الكرك الأمير شرف الدين ملكتمر السرجوانى نائبها ، والأمير طرغاى [الطباخى[5]] ، وأخبرا بامتناع أحمد من الحضور ، وأنه أقام على الخلاف .

وفى يوم الجمعة خامس عشره اجتمع الأمراء للمشورة فى أمر أحمد بن السلطان حتى تقرر الأمر على تجريد العسكر لأخذه .

وفى يوم السبت سادس عشره (٢٥ ب) ابتدأت الفتنة بين الأمير قوصون و بين المماليك السلطانية . وذلك أنه أرسل يستدعى من [الطواشى[6]] مقدم المماليك مملوكا من

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٤١٧) .

(٢) فى ف " فأنكر عليه ذلك " ، والتعديل للتوضيح .

(٣) فى ف ، وفى ب ، ٥٠٩ ب كذلك ، وورد كتاب مومن قوص" ، والتعديل بالإضافة من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٤ .

(٤) فى ف " قلوبهم " ، وما هنا من ب ، ٥٠٩ ب .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢١٦ — ٢١٧) .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين مما يلى بالصفحة التالية .

طبقة الزمردية[1] جميل الصورة ، فمنعه خشداشيته أن يخرج من عندهم . فتلطف بهم [الطواشى] المقدم حتى أخذه ، ومضى به إلى قوصون وبات عنده . وطلب [قوصون] من الغد نحو أربعة أو خمسة [مماليك] ، منهم شيخو وصرغتمش وأيتمش عبد الغنى ، فامتنع خشداشيتهم من ذلك ، وقام منهم نحو المائة مملوك ، وقالوا : " نحن مماليك السلطان ، ما نحن مماليك قوصون " ؛ وأخرجوا الطواشى المقدم على أقبح صورة . فمضى [الطواشى المقدم] إلى قوصون وعرفه ذلك ، فأخرج إليهم الأمير برسبغا الحاجب وشلوشى دواداره فى عدة من مماليكه ليأتوه بهم ، فإذا بالمماليك السلطانية قد تعصبوا مع كبارهم ، وخرجوا (١٢٦) على حمية إلى باب القلة يريدون الأمير بيبرس الأحمدى ، فإذا به راكب . فمضوا إلى بيت الأمير جنكلى بن البابا ، فلقوه فى طريقهم ، فتقدموا إليه وقالوا له : " نحن مماليك السلطان مشترى ماله ، كيف نترك ابن أستاذنا ونخدم غيره ، فينال غرضه منا ، ويفضحنا بين الناس ؟ " ، وجهروا بالكلام الفاحش . فتلطف بهم [جنكلى] فلم يرجعوا عما هم عليه ، فحنق منهم وقال لهم : " أنتم الظالمون بالأمس . لما خرجتم قلت لكم أنا ونائب السلطان طقزدمر ارجعوا إلى خدمة أستاذكم ، قلتم ما لنا أستاذ غير قوصون ، والآن تشكون منه " . فاعتذروا ومضوا ، وقد حضر الأمير [بيبرس] الأحمدى فاجتمعوا به ، وتوجهوا إلى منكلى بغا الفخرى ، فإذا قد وافاه برسبغا من عند قوصون ، فأرادوا أن يوقعوا به ، فكفهم الفخرى عنه ، وما زال يتلطف بهم .

هذا وقوصون (٢٦ ب) قد بلغه خبرهم ، فأراد أن يخرج ويجمع الأمراء ، فما زال به من عنده من الأمراء حتى سكن إلى بكرة النهار ، فكانت ليلة مهولة بالقلعة . ثم طلب قوصون جنكلى والأحمدى والفخرى وبقية الأمراء إليه ، وأغرام بالمماليك السلطانية . فبعثوا بأمير مسعود إليهم ليحضرهم[2] ، فإذا جمعهم قد كثف [وكثر] ، فلم يلتفتوا إليه ، فعاد[3] . وخرج إليهم ألطنبغا [المارداني] وقطلوبغا [الفخرى] — وهما أكبر

(١) الزمردية إحدى طباق المماليك بالإيوان بالقلعة ، واشتهرت كذلك باسم الذهبية ، وخصصت للمماليك الواردين من بلاد الخطا والقبجاق . انظر (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٥ ، حاشية ٥) .

(٢) فى ف " ليحضرونهم " .

(٣) فى ف " فعادوا " .

بالناصرية — ومازالا بهم حتى أخذا من وقع عليه الطلب ، ودخلا بهم إلى قوصون ، فقبلوا يده ، فقام لهم وقبل رؤوسهم وطيّب خاطرهم ووعدهم بكل خير ، وانصرفوا وفى الظن أنه قد حصل الصلح ؛ وذلك يوم السبت المذكور .

فلما كانت ليلة الأثنين وقت الغروب تحالف المماليك السلطانية على قتل قوصون ، وبعثوا إلى من بالقاهرة (١٧ ا) منهم ؛ فبات قوصون — وقد بلغه ذلك — على حذر . وركب [قوصون] يوم الاثنين ثامن عشره الموكب مع الأمراء تحت القلعة ، وطلب أيدغمش أمير آخور ، وأخذ يلوم[1] الأمراء على إقامته فى نيابة السلطنة ، وهم يترضونه ويعدونه بالقيام معه . فأدركه الأمير بيبرس الأحمدى ، وأعلمه بأن المماليك السلطانية قد اتفقوا على قتله ، فمضى بالموكب[2] مع الأمراء إلى جهة قبة النصر . فارتجت القلعة ، وغلقت أبوابها ، ولبست المماليك السلطانية السلاح بالقلعة ، وكسروا الزردخاناه . وقد امتلأت الرميلة بالعامة ، وصاحوا : " يا ناصرية " ، فأجابهم المماليك من القلعة . ثم رجعوا إلى باب إصطبل قوصون وهجموا عليه ، وكسروا من كان يرجمهم من أعلاه . فبلغ ذلك قوصون ، فعاد بمن معه [من الأمراء] ، فأوقعوا بالعامة حتى (٢٧ ب) وصلوا إلى سور القلعة ، فرماهم المماليك [السلطانية] بالنشاب [لحماية العامة] . فقتل أمير محمود[3] صهر الأمير جنكلى بن البابا بسهم ، وقتل معه آخر . ووصل [الأمراء] إلى إصطبل قوصون ، وقد بدأ النهب فيه ، فقتلوا [من العامة] جماعة كبيرة ، وقبضوا على جماعة . فلم تطق المماليك السلطانية مقاومة الأمراء ، وكفوا عن الحرب ، وفتحوا باب القلعة . فطلع إليها الأمير برسبغا الحاجب ، وأنزل ثمانية من أعيان المماليك إلى قوصون ، وقد وقف بجانب زاوية تقى الدين رجب تحت القلعة . فوسّط [قوصون] واحداً منهم اسمه صربغا ، فإنه هو الذى فتح خزائن السلاح وألبس المماليك ؛ وأمر به [قوصون] فعلق على باب زويلة . وشفع الأمراء فى البقية ، فسجنوا بخزانة شمايل مقيدين . ورُسم بتسمير عدة من العامة ،

(١) فى ف "يلزم" ، وما هنا من ب ، ١٠ ٥ ا .

(٢) فى ف " فمضى بهم الى جهة قبة النصر ... " ، والتعديل مما يلى ، للتوضيح .

(٣) فى ف امير محمود منهم ابن البابا ... " ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٨) ، ومنه كذلك ما بين الحاصرتين .

فسُمّر منهم تسعة على باب زويلة ؛ وأمر بالركوب على العامة وقبضهم ، ففروا (١٢٨) حتى لم يقبض[1] منهم على حرفوش [واحد] . ثم طلع الأمير قوصون إلى القلعة قريب العصر ، ومُدّ له وللأمراء سماط ، فأكلوا . وبقيت الأطلاب[2] وأجناد الحلقة تحت القلعة إلى آخر النهار ؛ فكان يوما مشهوداً ، وكانت جملة من قتل فيه من الفئتين ثمانية وخمسين رجلا .

وفى ليلة الثلاثاء طلع الأمير برسبغا فى جماعة إلى طباق المماليك بالقلعة ، وقبضوا على مائة مملوك منهم ، وعُملوا فى الحديد ، وسجنوا بخزانة شمايل ، فنهم من قتل ، ومنهم من نفى[3] [من مصر] .

وفى يوم[4] الثلاثاء تاسع عشره سُمّر تسعة من العوام .

وفى يوم الأربعاء عشريه سُمّر ثلاثة من الطواشية على باب زويلة ، فى عدة من الحرافيش . وسبب ذلك أن قوصون لما نزل من القلعة ومضى إلى قبة النصر ، وقابلته المماليك أخذت الطواشية فى الصياح على نسائه ، وأفحشوا فى (٢٨ ب) سبّهن . فمات أحدهم [تحت العقوبة] وأفرج عن الاثنين .

وفيه عرضت مماليك الطباق ، وأنعم على مائتى مملوك منهم بإقطاعات كثيرة المتحصل ، وعين جماعة منهم للإمريات . وأكثر قوصون من الإحسان إليهم ، والإنعام عليهم .

و[فيه] قدم البريد من دمشق بكتب أحمد بن السلطان إلى نائب الشام ، وهى مختومة لم تفك ؛ فإذا فيها أنه كاتب [الأمير طشتمر حمص أخضر] نائب حلب وغيره [من النواب] ، وأنهم قد اتفقوا معه ؛ وأكثر [أحمد] من الشكوى من قوصون . فأوقف قوصون الأمراء عليهما ، وما زال بهم حتّى وافقوه على تجريد العسكر إلى الكرك .

وفيه فرقت المماليك التى كانت الفتنة بسببهم على خشداشيتهم ، فسلم صرغتمش إلى

(١) فى ف " يقدر " .

(٢) انظر ما سبق ، ج ١ ، ص ٢٤٨ ، وغيرها .

(٣) فى ف " بقى " وما هنا ، وكذلك ما بين الحاصرتين من ب ، ٥١٠ ب

(٤) فى ب " ليلة " ، وما هنا من ب ، ٥١٠ ب .

الأمير ألطنبغا الماردانى[1] ، وسلم أيتمش لأيدغمش أمير آخور ، وسلم شيخو إلى أرنبغا السلاح دار .

وفى يوم الجمعة ثانى (١٢٩ ا) عشريه قدم البريد من الكرك بأن أحمد بن السلطان لم يوافق طرغاى [الطباخى] على القدوم معه ، وأن طرغاى توجه من الكرك عائدا بغير طائل . وكانت الإشاعة قد قويت بالقاهرة أن أحمد على عزم السير إلى مصر ، وطلب السلطنة . فكثر الاضطراب ، ووقع الشروع فى تجهيز العساكر صحبة الأمير قطلوبغا الفخرى ، واستحلفه قوصون ، وبعث إليه عشرة آلاف دينار ، وعين معه الأمير قلرى أخو بكتمر الساقى ، ومعهما أربعة وعشرون أميرا ، ما بين طبلخاناه وعشرات ؛ وأنفق عليهم [جميعاً] ثم بعث [قوصون] إلى [قطلوبغا] الفخرى بخمسة آلاف دينار عند سفره ، وركب لوداعه صحبة الأمراء حتى أناخ بالريدانية فى يوم الثلاثاء خامس عشريه . ولم يكن الأمراء راضين بسفرهم ، بل أشار الأمير آل ملك والأمير جنكلى بن البابا على قوصون بألا يحرك ساكنا ، (٢٩ ب) فلم يقبل ، فأشارا عليه بأن يكتب إلى أحمد يعتبه على مكاتبته نائب الشام ، فكتب إليه بذلك ، فأجاب بأن طرغاى [الطباخى] أسمعه كلاما فاحشا وأغلظ عليه فى القول ، فحمله الحنق على مكاتبة نائب الشام ، وأن الأمير قوصون والده بعد والده ، ونحو هذا من القول .

وفيه قدم الأمير أزدمر الكاشف ، ومعه ابن حُرَّجا خولى الأغنام السلطانية تحت الاحتفاظ ، فأخذ منه ألف ألف درهم من غير أن يضرب ، لكثرة أمواله وسعادته .

و [فيه] قدم الخبر من شطى [بن عبية أمير العرب] بأن أحمد بن السلطان [الناصر] قد اختلفت عليه مماليكه ، وقتلوا الشاب الذى كان يهواه ويعرف بشهيب ، من أجل أنه كان يهينهم .

وفيه أفرج عن مماليك دمرداش الذين بعثهم السلطان الملك الناصر [محمد] إلى صفد ، ورُسم بتفرقتهم على الأمراء .

---

(١) فى ف " الارديني " ، وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢١ ص ٤٠٨) .

وفى يوم الثلاثاء (٣٠ ا) ثالث جمادى الأول ركب الأمير قوصون نائب السلطنة إلى سرياقوس ، وصحبته الأمراء على جارى العادة .

وفيه خلع على ضياء الدين يوسف بن خطيب بيت الآبار ، وأعيد إلى حسبة القاهرة .

وفى هذا الشهر ظهر لقوصون مخالفة الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب عليه . وسببه أنه شق عليه إخراج أولاد السلطان [الملك الناصر] إلى الصعيد ، وتجهيز العسكر لقتال أحمد بن السلطان . وكان قد بعث إليه أحمد يشكو من قوصون ، وأنه يريد القبض عليه ، ويطلب منه النصرة عليه . فكتب [طشتمر حمص أخضر] إلى الأمراء وإلى قوصون بالعتب ، فقبض على قاصده بقطيا ، وسجن . وكتب [قوصون] إلى الأمير ألطنبغا [الصالحى] نائب الشام بأن نائب حلب قد شرع يتكلم فى الفتنة ، وأنه لا يصغى إلى قوله ، وحمل إليه إنعاما كثيراً ، فأجاب بالسمع والطاعة والشكر والثناء .

وفيه (٣٠ ب) أيضاً تنكرت الأحوال بين الأمير قوصون و بين الأمير أيدغمش أمير آخور ، وكادت الفتنة تقع بينهما . وذلك أن بعض مماليك أمير على بن أيدغمش وشى إليه بأن قوصون قدر مع برسبغا أنه يبيت بالقاهرة ، ويكبس فى عدة من مماليك قوصون على أيدغمش[1] . فأخذ أيدغمش فى الاحتراز ، وامتنع من طلوع القلعة أياما بحجة أنه متوعك الجسم . وصار إذا سيّر قوصون فى سوق الخيل يغلق [أيدغمش] باب الإصطبل ، ويوقف طائفة الأوجاقية عليه . فاشتهر الخبر بين الناس ، وكثرت القالة . و بلغ قوصون تغير أيدغمش عليه . فحلف للأمراء أنه لا يعرف لتغيره سبباً ، فما زالت الأمراء بأيدغمش حتى طلع إلى القلعة ، وعرّف قوصون بحضرتهم ما بلغه ، فحلف قوصون على المصحف أن هذا لم يقع منه ولا عنده منه خبر ، وتصالحا . فبعث إليه أيدغمش بعد نزوله إلى الإصطبل (٣١ ا) بالناقل له ، فرده إليه ولم يعاقبه .

وفيه قدم الخبر من الإسكندرية بوفاة الأمير بشتاك بمحبسه ، فاتهم قوصون بقتله .

و[فيه] قدم الخبر من جركتمر بن بهادر بأنه وصل إلى الملك المنصور أبى بكر ، وشكى من ترفعه وتعاظمه عليه ، فكُتب بطلب عبد المؤمن والى قوص على البريد . فلما

(١) فى ف " عليه " ، والتعديل للتوضيح .

قدم خلع عليه قوصون ، وأكثر من الإنعام عليه ، وقرر معه ما يعمله ، وأعاده على البريد ، وكتب إلى جركتمر بن بهادر بمساعدته على ما هو بصدده .

وفيه أنشأ الأمير قوصون قاعة لجلوسه مع الأمراء من داخل باب القلة ، وفتح لها شباكا يطل على الدركاه ، وجلس فيه مع أكابر الأمراء ومدّ السماط بها ، وصار يدخل إليه الأمراء والمقدمون والأجناد . وزاد [قوصون] فى راتب سماطه كثيراً من الحلوى والدجاج ونحو ذلك ، وأكثر (٣١ ب) من الخلع والإنعامات إلى الغاية ، بحيث لم يمنع أحدا من خير يصل إليه منه . وكان [قوصون] قبل ذلك يجلس بباب القلة موضع النيابة ، فى موضع صنعه[١] وأدار عليه دراً بزين يحجبه عن الزحمة من كثرة الناس .

وفيه قدم الخبر من عبد المؤمن والى قوص بأن المنصور أبا بكر وجد فى نفسه تغيراً ، وفى جسمه توعكا ، لزم الفراش منه أياما ، ومات . ثم قدم جركتمر بن بهادر وأخبر بذلك ، فاتهم قوصون بأنه أمر بقتله .

وفيه قدم الخبر من العسكر المجرد [إلى الكرك] بغلاء السعر عندهم ، وأن التبن بلغ أربعين درهما الحمل . ثم قدم الخبر بنزول العسكر مع قطلوبغا الفخرى على الكرك ، وقد امتنعت واستعد أهلها للقتال ، وكان الوقت شتاء . فأقام [العسكر] نحو العشرين يوما فى شدّة من البرد والأمطار والثلوج وموت الدواب ، (٣٢ ا) ، وتسلط أهل الكرك عليهم بالسب واللعن ، و [كثرت] غاراتهم فى الليل عليهم ، وتقطيع قربهم وروايامم .

هذا وقوصون يمد[٢] [قطلوبغا الفخرى] بالأموال ، ويحرضه على لزوم الحصار .

و [فيه] قدم البريد من [عند ألطنبغا[٣] الصالحى نائب] دمشق بأن تمر الموساوى قدم من حلب ، واستمال جماعة من الأمراء إلى [طشتمر حمص أخضر] نائب حلب .

---

(١) فى ف " ضيقة " ، وما هنا من ب ، ٥١١ ب .

(٢) فى ف "يمده" ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح ، وذلك بعد مراجعة ابن تغرى بردى : نفس المرجع ، ج ١٠ ، ص ٣٣ .

(٣) المفهوم أن البريد قدم من عند نائب دمشق إلى قوصون ، ولهذا أضيف ما بين الحاصرتين فى هذه العبارة للتوضيح ، مع العلم بأنها واردة فى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣٣) كما فى السلوك حرفياً .

فكتب [قوصون] بالقبض عليه ، وحمل تشريف لنائب حلب . وكتب [قوصون إلى ألطنبغا الصالحى نائب دمشق] أن يطالع بالأخبار ، وأعلم القاصد بأنه إنما أرسل لكشف أخباره . فلم يرض نائب حلب بالتشريف ، وعابه ؛ وكتب إلى قوصون يعتبه على إخراج أولاد السلطان ، فأجابه بأعذار غير مقبولة . .

ثم قدم الخبر من شطى [بن عبية أمير العرب] بأن قطلوبغا الفخرى قد خامر بالكرك على قوصون ، وحلف لأحمد هو ومن معه من الأمراء ، وأنهم أقاموه سلطانا ولقبوه بالملك الناصر ، وذلك بمكاتبة طشتمر [حمص أخضر] نائب حلب له يعتبه (٣٢ ب) على موافقة قوصون، وقد فعل بأولاد السلطان ما فعل ، ويعزم عليه أن يدخل فى طاعة أحمد ، ويقوم معه بنصرته . فصادف ذلك من [قطلوبغا] الفخرى ضجره من طول الإقامة [على حصار الكرك] ، وشدة البرد وكثرة الغلاء ؛ فجمع من معه وكتب إلى أحمد وخاطبه بالسلطنة ، وقرر الصلح معه ؛ وكتب [إلى طشتمر حمص أخضر] نائب حلب بذلك ، فأعاد جوابه بالشكر والثناء ، وأعلمه بأن الأمير طقزدمر نائب حماه وأمراء دمشق قد وافقوه على القيام بأمر أحمد .

وكان الأمير ألطنبغا [الصالحى] نائب الشام قد أحس بشىء من هذا ، فاحترس على الطرقات حتى ظفر بقاصد طشتمر [حمص أخضر] نائب حلب على طريق بعلبك ، ومعه كتب [من هؤلاء الأمراء إلى أحمد] . فبعث[1] ألطنبغا بهذه الكتب إلى قوصون ، فقدمت ثانى يوم ورود كتاب شطى بمخامرة [قطلوبغا] الفخرى ، فإذا فيها "الملكى الناصرى" ، فاضطرب قوصون وجمع الأمراء وعرفهم بما وقع ، (٣٣ ا) وأوقفهم على الكتب ، وذكر لهم أنه وصل منه إلى قطلوبغا الفخرى فى هذه السفرة أربعين ألف دينار ، سوى الخيل والقماش والتحف .

و [فيه] رسم [قوصون] بإيقاع الحوطة على دور الأمراء المجردين إلى الكرك ، فما زال به الأمراء حتى كف عن ذلك ، وألزم مباشريهم بحمل حواصلهم ، وصار فى أمر مريج ثم كتب قوصون إلى ألطنبغا [الصالحى] نائب الشام بخروجه لقتال طشتمر [حمص أخضر]

(١) فى ف " فبعث بها " ، والتعديل للتوضيح .

نائب حلب ، ومعه نائب حمص ، ونائب صفد ، ونائب طرابلس ؛ وكتب إليهم بالسمع والطاعة له ؛ وحمل [قوصون] النفقات إلى العساكر الشامية . فخرج الأمير ألطنبغا الصالحى نائب الشام من دمشق بالعسكر فى جمادى الآخرة ، فتلقاه الأمير أرقطاى نائب طرابلس على حمص ، وصار من جملته ، وأخبره بكتاب [طشتمر حمص أخضر] نائب حلب يدعوه لموافقته ، وأنه أبى عليه . ثم كتب الأمير ألطنبغا نائب الشام إلى الأمير طقزدمر[1] نائب حماة (٣٣ ب) ليحضر معه ، فاعتذر بأنه من وجع رجله ما يقدر على الركوب ، — وكان قد وافق نائب حلب — فبعث إليه نائب الشام بقبول عذره ، وحلّفه على طاعة [السلطان] الأشرف [كجك] ، وألا يوافق طشتمر [حمص أخضر] نائب حلب ولا قطلوبغا الفخرى ، ولا يخرج من حماة حتى يعود [ألطنبغا من حلب ؛ فحلف [الأمير طقزدمر] على ذلك .

وعندما بلغ طشتمر [حمص أخضر] نائب حلب مسير [ألطنبغا] نائب الشام إليه بالعساكر ، استدعى ابن[2] دلغادر ، فقدم عليه حلب ، واتفق معه على الخروج إلى الأبلستين ، وسار به ومعه ما خف من أمواله ، وأخذ أولاده ومماليكه . فأدركه عسكر حلب ، وقد وصل إليهم كتاب ألطنبغا نائب الشام بالاحتراس عليه ومنعه من الخروج عن حلب ، وقاتلوه عدة وجوه ، فلم ينالوا منه غرضا ، وقتل من الفريقين خمسة نفر ، وعادوا (٣٤ ا) وأكثرهم جرحى . فلما وصل طشتمر [حمص أخضر] إلى الأبلستين كتب إلى أرتنا[3] يستأذنه فى العبور إلى الروم ، فبعث إليه [أرتنا] بقاضيه وعدة من ألزامه[4] ، وجهز له الإقامات . فمضى [طشتمر حمص أخضر] إلى قيصرية ، وتوجه أرتنا لمحاربة دمرداش[5] [بعد أن] رتب [للأمير طشتمر] فى كل يوم ألفى درهم .

---

(١) فى ف " فكتب الى الامير طقزدمر نايب حماه " . . . والتعديل للتوضيح .

(٢) فى ف " ابن دالغادر " ، وما هنا من ب ، ١٢ه ب ، وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣٤) .

(٣) فى ف " اريا " ، وما هنا من ب ، ١٢ه ب ، وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ص ٣٤ .

(٤) فى ف " الزليه " ، وما هنا من ب ، ١٢ه ب .

(٥) فى ف " توجه ارتنا لمحاربة دمرداش ورتب له فى كل يوم . . . " ، وأضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : نفس المرجع ، ج ١٠ ، ص ٣٤ .

وأما ألطنبغا [الصالحى] نائب الشام ، فإنه قدم إلى حلب ، وكتب إلى قوصون يعلمه بتسحب طشتمر [حمص أخضر] ، وأنه استولى على حلب . فقدم كتابه فى يوم الأربعاء ثانى رجب ، صحبة أطلش [الكريمى] ، فأخرجه قوصون فى رابعه إلى الشام لكشف الأخبار .

وفى خامسة خلع على جميع الأمراء المقدمين والطبلخاناه والعشرات ، ولبس معهم الأمير قوصون تشريف النيابة ، وخلع على ثلاثمائة من المماليك السلطانية ، فكان يوما مشهوداً .

وفى يوم الاثنين ثامنه (٣٤ ب) فرق قوصون إقطاعات الأمراء المجردين صحبة [قطلوبغا] الفخرى ، وعدتهم اثنان وثلاثون أميرا ، منهم أمراء طبلخاناه ستة عشر ، وأمراء عشرات ستة عشر ، وأميران مقدمان . وأعطى [قوصون] إمرياتهم لأربعة وثلاثين أميرا ، عوضا عن أولئك .

وفى يوم الأربعاء عاشره نزل الوزير نجم الدين وناظر الخاص جمال الكفاة إلى بيوت الأمراء المجردين ، وأخذوا ما قدروا عليه من أموالهم وخيولهم ؛ ففرقها قوصون على الأمراء المستجدين . وأخرج [قوصون] أيضاً إقطاعات أولاد الأمراء المجردين ، ومماليكهم ومن يلوذبهم من أجناد الحلقة ، لجماعة سواهم .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشريه قدم الأمير الشيخ على بن دلنجى القازانى أحد الأمراء العشرات المجردين ، وأخبر بمسير قطلوبغا الفخرى من الكرك (١٣٠) إلى دمشق ، ومواقعته مع ألطنبغا نائب الشام ، وأنه فرّمنه فى ليلة الوقعة ؛ فخلع عليه [قوصون] خلعة كاملة بكلفتاه زركش وحياصة ذهب .

وكان من خبر ذلك أن ألطنبغا [الصالحى] نائب الشام لما دخل حلب استولى على حواصل طشتمر حمص أخضر وأسلحته وخيوله وجماله ، وباع ذلك على أهل حلب . وبينا هو فى ذلك إذبلغه دخول قطلوبغا الفخرى إلى دمشق بمن معه من العسكر ، وأنه دعا للناصر أحمد ، وقد وافقه آقسنقر السلاى نائب غزة ، وأصلم نائب صفد ، ومن تأخر بدمشق من الأمراء ، وهم شيخو البشمقدار وتمر الساقى ، وأنّ آقسنقر نائب غزة وقف لحفظ

الطرقات حتى لا يصل أحد من مصر ، واستولى على القصر المعينى[(١)] بلد قوصون بالغور ، وأخذ ما فيها من القند والسكر (٣٥ ب) وغير ذلك ، وقبض على نوابه وأمواله وغلاله ، وأن قطلوبغا [الفخرى] أخذ فى تحصيل الأموال من دمشق للنفقة على الأمراء والأجناد ، وأن الأمير طقزدمر نائب حماة قدم عليه فى غد دخوله ، فركب وتلقاه وقوى به . واستخدم [قطلوبغا الفخرى] جندا كبيراً ، ونادى بدمشق : من أراد الإقطاع والنفقة فليحضر ، وأخذ مالا كثيراً من التجار وأرباب الأموال ، وأكره قاضى القضاة [تقى الدين بن] السبكى حتى أخذ مال الأيتام ، وأخذ أجر الأملاك والأوقاف لثلاث سنين ، فلم يبق أحد بدمشق إلا وغرم المال على قدر حاله . فجمع [قطلوبغا الفخرى] مالا عظيما ، وأتته جماعات من الجند والتركمان ، وكتب أوراقا من ديوان الجيش بأسماء الأجناد والبطالين لإقطاعات بالحلقة ، فتجهزوا جميعهم بالخيل والأسلحة . وحلف [قطلوبغا] الجميع (٣٦ آ) للسلطان الملك الناصر أحمد ، وعمل برسمه العصائب السلطانية والسناجق الخليفية ورقاب الخيل والكنابيش والسروج والغاشية والقبة والطير ، وسائر ما يحتاج إليه من أبهة السلطنة ، وجهز الكوسات والبغال . وكتب [قطلوبغا] إلى الناصر أحمد يعرفه بذلك فأجابه بالشكر والثناء ، وبعث إليه موسى بن التاج إسحق بمال ، وسأل أن يكون ناظر الخاص على ما كان عليه أبوه فى أيام أبيه [السلطان] الملك الناصر [محمد] . فأجابه [قطلوبغا] إلى ذلك ، وأقام بدمشق يدبر أمره ؛ وطلب ابن صبح [نائب صفد] ، وبعثه لجمع العشير والجبلية من بلاد صفد وطرابلس وغيرها ، فأتاه منهم جمع كثير . وكتب [قطلوبغا] إلى سليمان بن مهنا أن يعرفه بمسير ألطنبغا [الصالحى] من حلب ، فكتب الأمير ألطنبغا يعرف الأمير قوصون بذلك ، (٣٦ ب) فازداد اضطرابه ، وجمع الأمراء . فاتفق الرأى على تجريد أمراء إلى غزة ، فتوجه برسبغا الحاجب وأمير محمود الحاجب وعلاء الدين على بن طغريل فى جماعة وأجيب الأمير ألطنبغا نائب الشام على يد أطلمش الكريمى بأن يسير من حلب إلى قتال قطلوبغا الفخرى بدمشق ، فتوجه [أطلمش] على البريد

(١) فى ف " العينى " ، وما هنا من ب ، ٣١٥ ا . انظر ابن تغرى بردى نفس المرجع ، ج ١٠ ، ص ٦٤ ، حاشية ١ ، وما بها من مراجع .

[من البرية] لانقطاع الدرب ، ووصل إلى حلب ، [وعرّف ألطنبغا الخبر] ، فسار ألطنبغا منها حتى قدم حمص ، وقد خرج قطلوبغا الفخرى من دمشق إلى خان لاجين وأمسك المضيق ، وأقام الجبلية والعشير على الجبلين ، ووقف هو بالعسكر [فى وسط الطريق] .

وأما ألطنبغا[1] الصالحى فإنه حلّف من معه ، وسار من حمص حتى قرب من قطلوبغا ، وعدة الجمعين نحو ثلاثة عشر ألف فارس . فتمهل ألطنبغا كراهة لسفك الدماء ، وراسل قطلوبغا مدة ثلاثة أيام ، فلم يتم بينهما أمر ؛ (١٢٧ ا) وبعث قطلوبغا إلى جماعة من أصحاب ألطنبغا يعدهم ويستميلهم حتى وافقوه .

فلما تعبت الرسل وملّت العساكر من شدّة البرد ، بعث ألطنبغا فى الليل عدة ممن معه على طريق المرج ليهجموا على قطلوبغا من ورائه ، ويلقاهم [هو] من أمامه . وركب [ألطنبغا] من الغد ، فمال كل أمير ممن معه إلى جهة قطلوبغا ، وصاروا من جملته . فلم[2] يبق مع [ألطنبغا] سوى أرقطاى نائب طرابلس ، وأسنبغا بن [بكتمر] البوبكرى وأيدمر المرقبى[3] من أمراء دمشق ، فانهزموا على [طريق] صفد إلى جهة غزة ، والقوم فى أثرهم ، [بعد[4] أن] كانت بينهم وقعة [هائلة انهزم فيها ألطنبغا نائب الشام] ، وهرب فيها من معهم ، وخلصوا [هم] بأنفسهم .

وعاد قطلوبغا الفخرى إلى دمشق منصوراً ، وكتب مع البريد إلى الأمير طشتمر حمص أخضر يعرفه بنصرته ويدعوه إلى الحضور ، وأنه فى انتظاره بدمشق . وحلّف [قطلوبغا الفخرى] من معه (٣٧ ب) للملك الناصر أحمد ، وأمر الخطباء فدعوا له على منابر دمشق وضرب السكة باسمه ، وكتب يعرفه بذلك وبعث [قطلوبغا] إليه تقدمة جليلة ، واستحثه على المسير إلى دمشق ليسير فى خدمته إلى مصر ، وبعث بخطوط الأمراء إليه .

---

(١) فى ف ، وكذلك ب (١٢٥ ب) ، " تخالف الطنبغا من معه . . . " ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣٧)

(٢) فى ف فلم يبق معه ، والتعديل للتوضيح .

(٣) فى ف " الرقى "

(٤) فى ف " فكانت بينهم وقعة هربوا فيها من معهم "

وأما ألطنبغا الصالحى نائب دمشق فإنه وصل إلى غزة ومعه أرقطاى وطرنطاى البشمقدار فيمن معهم ، فتلقام الأمير برسبغا ومن معه . وكتب [ألطنبغا] إلى قوصون بذلك ، فقامت قيامته ، وقبض على أخوة أحمد شاد الشرابخاناه ، وعلى قرطاى أستادار قطلوبغا الفخرى .

ثم قدم على قوصون[1] كتاب قطلوبغا [الفخرى] يعنفه على إخراج أولاد السلطان [الناصر محمد] وقتل المنصور أبى بكر ، وأن الاتفاق وقع على سلطنة الناصر أحمد ، ويشير عليه بأن يختار بلدا يقيم بها (٣٨ ا) حتى يسأل له [السلطان] الملك الناصر [أحمد] فى تقليده إياها . فقام [قوصون] وقعد ، وجمع الأمراء ، فوقع الاتفاق على تجهيز التقادم للأمراء بغزة . فجهز [قوصون] لكل من ألطنبغا [الصالحى] نائب الشام وأرقطاى نائب طرابلس ثلاثين بدلة وثلاثين قباء مسنجبة بطرازات زركش ، ومائتى خُف ومائتى كلفتاه ، وكسوة لجميع مماليكهما وغلمانهما وحواشيهما ؛ وجهز لكل من الأمراء الذين معهما ثلاث بدلات وأقبية بسنجاب ، وكسوة لمماليكهم وأتباعهم . وأخذ [قوصون] فى الإنعام على المماليك السلطانية ، وأخرج ثلاثمائة ألف دينار من الذخيرة لتجهيز أمره حتى يخرج بالعساكر إلى الشام ، وأخرج أربعمائة قرقل وزرديات وخوذ وغيرها ، وأنعم على جماعة من المماليك بإمريات ، وغير إقطاعات جماعة منهم بإقطاعات المجردين ؛ وكتب (٣٨ب) إلى الأمراء بمسيرهم من غزة ، وهيأ لهم الإقامات والخيول ، وبعث إليهم بالحلاوات والفواكه وسائر ما يليق بهم .

فبينا قوصون[2] فى ذلك إذ ركب الأمراء عليه ، فى ليلة الثلاثاء تاسع عشرى رجب وقت عشاء الآخرة . وسبب ذلك تنكر قلوب أكابر الأمراء عليه ، لأمور بدت منه ، منها قتل الأمير بشتاك ، ثم قتل الملك المنصور أبى بكر ، ثم وقوع الوحشة بينه وبين أيدغمش ، فأخذ أيدغمش فى التدبير عليه . ثم كان[3] من انتصار قطلوبغا الفخرى على

---

(١) فى ف " فقدم عليه " ، والتعديل للتوضيح .

(٢) فى ف " فبينا هو " .

(٣) " فى التدبير عليه الى ان كان . . . " ، والتعديل للتوضيح .

ألطنبغا [الصالحى] نائب الشام ما كان ، فكتب [قطلوبغا] إلى أيدغمش سرّا بأنه سلطان أحمد ، وحرضه على الركوب إلى الكرك بمن قدر على استمالته .

وكان قوصون قد احتفل لقدوم ألطنبغا [الصالحى] نائب الشام ومن معه ، وفتح ذخيرة[1] السلطنة ، وأكثر (٣٩ أ) من النفقات والإنعامات حتى بلغت إنعاماته على الأمراء والخاصكية وما فرّقه فيهم وفى العسكر ستمائة ألف دينار . فشاع بأنه يريد [أن] يتسلطن ، فخاف أيدغمش وغيره من تحكمه فى السلطنة ، وحرّض الخاصكية حتى وافقه الأمير ألطنبغا الماردانى ويلبغا اليحياوى ، فى عدة من المماليك السلطانية ، وعدة من أكابر الأمراء منهم الحاج آل ملك وجنكلى بن البابا ، أنهم يسيرون جميعاً إلى الكرك عند قدوم ألطنبغا [الصالحى] نائب الشام وخروجهم إلى لقائه .

فلما كان يوم الاثنين ركب قوصون فى الموكب تحت القلعة على العادة ، وطلب الأمير يلجك[2] ابن أخته ، وأخرجه إلى لقاء نائب الشام — وقد ورد الخبر بنزوله على بلبيس — ليأتى به سريعا . فوافى يلجك الأمير ألطنبغا الصالحى ومن معه على بلبيس[3] ، [فلم يوافقه على السرعة ، وقصد أن يكون حضوره فى يوم الخميس أول شعبان . وبات ألطنبغا ليلة الثلاثاء على بلبيس] ، وركب من الغد ونزل سرياقوس ، فبلغه ركوب (٣٩ ب) الأمراء على قوصون وأنه محصور بالقلعة ، فركب بمن معه إلى بركة الحاج ، وإذا بطلب قوصون وصنجقه فى نحو مائة مملوك قد وافوه ، وأعلموه أن فى نصف الليل ركب الأمراء وأحاطت بإصطبل قوصون ، وحصروه فى القلعة ، فخرجوا هم على حمية حتى وصلوا إليهم .

وكان من خبر ذلك أن قوصون لما بعث يلجك ليأتيه بنائب الشام سريعا ، تواعد أيدغمش ومن وافقه على أن يركبوا فى الليل إلى الكرك . فجهز كل منهم حاله ، حتى كان

---

(١) فى ف " وخيره " ، وما هنا من ب (١٤ ٥ ب) . انظر كذلك ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣٨) .

(٢) فى ف "يكجك" ، والرسم المثبت هنا تمايلى . انظر كذلك ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ ، وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣٩) .

(٣) فى ف " فوافاه ومن معه على بلبيس . . . " ، والتعديل للتوضيح ، وما بين الحاصرتين من ب ، ٥١٤ ب . انظر ابن تغرى بردى ، نفس المرجع ، ج ١٠ ، ص ٣٩ .

ثلث الليل فتح الأمراء باب السر ، ونزلوا إلى أيدغمش بالإصطبل . ومضى كل واحد إلى إصطبله ، فلم ينتصف الليل إلا وعامة الأمراء بأطلابهم فى سوق الخيل تحت القلعة ، وهم ألطنبغا الماردانى ويلبغا اليحياوى وبهادر الدمرداشى والحاج آل ملك والجاولى وقمارى (٤٠ ا) الحسنى أمير شكار وأرنبغا وآقسنقر السلارى . وبعثوا إلى إصطبلات الأمراء مثل جنكلى بن البابا وبيبرس الأحمدى وطرغاى [الطباخى] وتمر وغيرهم ، فأخرجوا أطلاب الجميع إليهم . وخرج لهم أيدغمش بمماليكه ومن عنده من الأوجاقية ، فوقفوا جميعا ينتظرون نزول قوصون إليهم ، حتى يمضوا إلى الكرك . فأحس قوصون بهم ، وقد انتبه ، فطلب الأمراء المقيمين بالقلعة ، فأتاه منهم اثنى عشر أميرا منهم جنكلى بن البابا والأحمدى وطرغيه وقباتمر والوزير . وابست مماليكه التى كانت عنده بالقلعة ، وسألته أن ينزل ويدرك إصطبله ، ويجتمع بمن فيه من مماليكه وكان يعتز بهم ، فإنهم كانوا سبع مائة مملوك ، وطالما كان يقول : " إيش[١] أبالى بالأمراء وغيرهم ! عندى سبع مائة مملوك ألقى بهم كل من فى (٤٠ ب) الأرض " ؛ فلم يوافقهم [قوصون] لما أراد الله به ، وأقام إلى أن طلع النهار . فلما لم تظهر له حركة أمر أيدغمش أن يطلع الأوجاقية إلى الطبلخاناه [السلطانية] وأخرج لهم[٢] الكوسات . ودق [أيدغمش] حربيا ، ونادى : " معاشر أجناد الحلقة ومماليك السلطان وأجناد الأمراء والبطالين يحضروا ، ومن ليس له لبس ولا فرس ولا سلاح يحضر يأخذ له الفرس والسلاح ويركب معنا " . فأتاه جماعة كثيرة من أجناد والحلقة والمماليك ، ما بين لابس السلاح راكب وبين ماش أو على حمار ، وأقبلت العامة كالجراد المنتشر . فنادى أيدغمش : "[٣] يا كسابة ! عليكم بإصطبل قوصون ، انهبوه " ، فأحاطوا به ومماليك قوصون من أعلاه ترميهم بالنشاب حتى أتلفوا[٤] منهم عدة كثيرة . فركب مماليك يلبغا اليحياوى أعلا بيت يلبغا حيث مدرسة السلطان حسن الآن ، ورموا مماليك قوصون بالنشاب مساعدة

---

(١) فى ف " ايش انا الذى عندى سبع مايه مملوك .. " .

(٢) فى ف " واخرج الاوجاقية الكوسات ودق حربيا .. " .

(٣) المقصود بالكسابة هنا الأفواد الذين يذهبون مع الجيوش للنهب والسلب . (ابن تغرى بردى ، نفس المرجع ، ج ١٠ ، ص ٤١ ، حاشية ٢) .

(٤) فى ف " اتلفوا " ، وما هنا من ب ، ٥١٥ ب

العوام] ، وجرحوا منهم جماعة ، وحالوا بينهم وبين العامة . فهجم[١] [العامة] عند ذلك [على] إصطبل قوصون ، ونهبوا ركبخاناته وحواصله ، وكسروا باب قصره بالفئوس بعد مكابدة شديدة ، وطلعوا إليه . فخرجت مماليك قوصون على حمية ، وشقوا القاهرة ، وصاروا إلى [ألطنبغا الصالحى] نائب الشام . فبعث أيد غمش فى أثرهم إلى [ألطنبغا] نائب الشام ومن معه من الأمراء بالسلام عليهم ، وأن يمنعوا مماليك قوصون من الاختلاط[٢] بهم ، فإن الأمير يلبغا اليحياوى والأمير آقسنقر قادمان فى جمع كبير لأخذ مماليك قوصون وحاشيته . فأمر [ألطنبغا] نائب الشام مماليك قوصون ويلبغا و برسبغا أن يكونوا[٣] على حدة (٤١ ب) ولبس الجميع . وأخذ برسبغا وجماعته نحو الجبل ، فلقيهم يلبغا اليحياوى ومن معه ، [وكان ذلك] بعد ما أُمسك قوصون ، فسار خلفهم إلى قرب إطفيح[٤] ، وهم فى جميع كبير .

ولم تمض إلا ساعات من النهار حتى نُهب جميع ما فى إصطبل قوصون من الخيل والسروج وآلات الخيل والذهب وغير ذلك ، وقوصون ينظر و يضرب يدا على يد ، و يقول " يا أمراء ! هذا تصرف جند ؟ يُنهب هذا المال جميعه ؟ " ، وكان أيدغمش قصد بذلك أن يقطع قلب قوصون . فبعث [قوصون] إلى أيدغمش بأن " هـذا المال عظيم ، وهو ينفع المسلمين والسلطان ، فكيف تفعل هـذا و ينادى بنهبه ؟ " فردّ جوابه : " نحن قصدنا أنت ، ولو راح هذا المال وأضعافه " . هذا والقلعة مغلقة الأبواب ، وجماعة قوصون يرمون من الأشرفية[٥] (٤٢ ا) بالنشاب إلى قرب العصر ، والعامة تجمع نشابهم وتعطيه لأجناد الأمراء المحاصرين للقلعة . فألقى حينئذ قوصون بيديه ، واستسلم ودخل عليه مماليكه وقد

---

(١) فى ف " فهجموا " ، والتعديل للتوضيح .

(٢) فى ف " اختلاطهم " ، وما هنا من ب ، ٥١٥ ب .

(٣) فى ف " يركنوا " ، وما هنا من ب ، ٥١٥ ب .

(٤) عبارة ف — وب كذلك ٥١٥ ب — مضطربة ، ونصها " فلقيهم يلبغا اليحياوى ومن معه بعد ما امسك قوصول وقد سيره الامير ايد غمش وطلبهم حتى قاربوا ناحية اطفيح ... " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : نفس المرجع ، ج ١٠ ، ص ٤٢ ، حيث توجد تفصيلات أكثر .

(٥) القاعة الأشرفية بالقلعة نسبة إلى بانيها السلطان الأشرف خليل ، وهى التى صارت تعرف باسم الإيوان أو دار العدل منذ أعاد بناءها السلطان الناصر محمد بن قلاون ، ومكان الإيوان فى العصر الحاضر جامع محمد على . (ابن تغرى بردى ، نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ٢٦ ، حاشية ٢) .

خُذِلوا ؛ فدخل عليه بلك الجدار وملكتمر السرجوانى يأمرانه أن يقيم فى موضع حتى يحضر ابن أستاذه من الكرك ، فيتصرف فيه كما يختار ، فلم يجد بدا من الإذعان ، وأخذ يوصى الأمير جنكلى على أولاده . وأخذ [قوصون] وقيد ، ومضوا به إلى البرج[١] الذى كان به بشتاك ، ورسم عليه جماعة من الأمراء . وكان الذى تولى مسكه وحبسه أرنبغا أمير جندار[٢] وجنكلى بن البابا وأمير مسعود حاجب الحجاب .

وأما [الطنبغا الصالحى] نائب الشام ومن معه ، فإن برسبغا ويلجك والقوصونية لما فارقوه سار هو وأرقطاى نائب طرابلس والأمراء يريدون القلعة (٢ ٤ ب) . فأشار الأمير ألطنبغا نائب الشام على الأمير أرقطاى نائب طرابلس أن يردّ برسبغا ويلجك والقوصونية ويقاتل أيد غمش ، فإنه ينضم إليهم جميع حواشى قوصون ويأخذون أيدغمش ، ويخرجون قوصون ويقيمونه كبيرا لهم ويخرجونه إلى حيث يختار ، ويقيمون سلطانا أو ينتظرون قدوم أحمد ؛ فلم يوافقه أرقطاى لعفته عن سفك الدماء . فلما وافيا تحت القلعة وأيدغمش واقف فى أصحابه ، أقبل إليهما [أيد غمش] وعانقهما ، وأمرهما أن يطلعا إلى القلعة ، فطلعا . وأمر أيد غمش فقبض على ابن المحسنى والى القاهرة ، وأحضره والأمراء واقفون تحت القلعة ، فأنزله عن فرسه وسجنه بالقلعة ، بعدما كادت العامة أن تقتله لكونه من جهة قوصون ؛ (٤٣ ا) ثم أرسل[٣] أيدغمش الأمير أقسنقر والأمير قازان فى عدة مماليك وراء برسبغا ويلجك ومن معهما . وجلس أيد غمش مع ثقاته من الأمراء ، وقرّر معهم تسفير قوصون فى الليل إلى الإسكندرية ، والقبض على ألطنبغا [الصالحى نائب الشام] وأرقطاى [نائب طرابلس] ومن يلوذ بهما من الغد ، وتسفير الأمير بيبرس الأحمدى و [الأمير جنكلى] بن البابا لإحضار السلطان من الكرك .

---

(١) اسم موضع هذا البرج فى العصر الحاضر برج المقطم . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٤٣ ، حاشية ٣ .

(٢) عبارة ف — وكذلك ب ١٥٥ ب — غامضة ، ونصها : " وكان الذى تولى ذلك منه اروم بغا امير جاندار . . " ، وتعديلها المثبت بالمتن من ابن تغرى بردى نفس المرجع ج ١٠ ، ص ٤٣ .

(٣) فى ف ، وفى ب كذلك " ومضى الأمير اقسنقر ... " ، وتعديل العبارة للتوضيح من ابن تغرى بردى : نفس المرجع ، ج ١٠ ، ص ٤٤ .

وفى يوم الأربعاء، سلخه خرج الحصنى بوابا المدرسة الصالحية تجاه باب المارستان وقت الصبح، بأعلام خليفية ومصحف على رأسه، وهو ينادى بصوت عال: "يا مسلمين قاضى يفعل كذا بنساء المسلمين من غير كناية، ويأكل الحشيش، هذا لا يحل". فاجتمع الناس عليه، ومضى بهم إلى بيت قاضى القضاة حسام الدين الغورى الحنفى بالمدرسة الصالحية، وكسروا بابه، (٤٣ ب) ودخلوا عليه. ففر منهم [حسام الدين] إلى السطح وهم فى أثره، وقد نهبوا جميع ما عنده حتى خشب الرفوف حتى وجدوه، فضربوه ونتفوا لحيته، وهو يعدو إلى أن خرج من البيت. واستجار [حسام الدين] بقاضى القضاة موفق الدين الحنبلى، فأجاره وأدخله داره، وأقام الحنابلة على بابه لمنع العامة منه وقد اقتحموا بابه، فقال لهم [قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى]: "معكم مرسوم بنهبى؟" قالوا: "لا! لكن سلمنا الغورى". فقال لهم: "هذا غريم السلطان قد صار عندى، وأنتم قد أخذتم ماله"، وما زال بهم حتى انفضوا عنه.

وشنع الحال فى النهب، وكان ذلك من سوء تدبير أيدغمش، فإنه جرأ العامة على نهب إصطبل قوصون لغرضه، فوجدوا فيه مَا لاَ يكاد يوصف. وبلغ ذلك مماليك الأمراء والأجناد، (٤٤ ا) فأتوه ووقفوا لانتظار من يخرج بشىء حتى يأخذوه، فإن امتنع من دفعه إليهم قتلوه. فوجد لقوصون أربع سرارى نهب جميع ما لهن، وحملت[1] أكياس الذهب والفضة ونثرت بالدهاليز والطرق. فأخذ مماليك أيدغمش وغيره شيئا كثيراً من المال، ونزلت مماليك يلبغا [اليحياوى] من سور إصطبله وقووا على الناس، واقتسموا الذهب. وأخرجت النهابة من البسط الرومية والآمدية وعمل الشريف[2] شيئا كثيرا، قطعوها قطعا وتقاسموها، وكسروا أوانى البلور والصينى وسلاسل الخيل الفضة والذهب، ومن السروج واللجم ما لا يحد، وقطعوا الخيم وثياب الخركاوات ما بين حرير وزرنيب[3] بحاصله.

وكان بحاصل قوصون[4] لما نهب ما ينيف [على] أربع مائة ألف دينار ذهبا فى

---

(١) فى ف "جلة"، وما هنا من ب ٤٦٤ ا.

(٢) لم يستطع الناشر أن يجد شرحا لهذا النوع من البسط فى المراجع المتداولة بهذه الحواشى. انظر المقريزى: المواعظ والاعتبار — بولاق — ج ٢، ص ٧٢.

(٣) كذا فى ف، وفى ب ٥١٦ ب "زربفت".

(٤) فى ف "وكان بحاصله"، والتعديل للتوضيح.

أكياس ، ومن الحوايص والزركش (٤٤ ب) والأوانى — ما بين أطباق وخونجات[1] — زيادة على مائة ألف دينار ، ومن حلى النساء ما لا ينحصر ، وثلاثة أكياس أطلس فيها جواهر بما ينيف على مائة ألف دينار ، ومائة وثلاثين زوج بسط ، منها ما طوله أربعون ذراعا وثلاثون ذراعا ، كلها من عمل الروم وآمد وشيراز ، وستة عشر زوجا من عمل الشريف[2] بمصر ، قيمة كل زوج اثنا عشر ألف درهم ، وأربعة أزواج بسط حرير لا يقوم عليها ، ونوبة[3] خام جميعها أطلس معدنى قص[4] . فانحط لذلك سعر الذهب حتى كان صرفه بأحد عشر درهما الدينار ، من كثرة ما صار فى الأيدى ، بعد ما كان الدينار بعشرين درهما ، ولأن أيدغمش نادى فى القاهرة ومصر أن من أحضر من العامة ذهبا لتاجر أو صيرفى أو (٤٥ ا) متعيش يقبض عليه ويحضر به إليه ، فكان من معه منهم ذهب يأخذ فيه ما يدفع إليه من غير توقف . وكثرت مرافعة الناس بعضهم لبعض[5] فيما نهب ، فجمع أيدغمش شيئا كثيرا من ذلك . ثم إن العامة — بعد نهب إصطبل قوصون وقصره ، حتى أخذوا سقوفه ورخامه وأبوابه ، وتركوه خرابا — مضوا إلى خانكاته بباب القرافة ، فمنعهم أهلها من النهب ، فما زالوا حتى فتحوها ونهبوها ، وسلبوا الرجال والنساء ثيابهم ، فلم يدعوا لأحد شيئا ، وقطعوا بسطها ، وكسروا رخامها ، وخربوا بركتها ، وأخذوا الشبابيك وخشب السقوف والمصاحف ، وشعّثوا الجدر . ثم مضوا إلى بيوت مماليك قوصون ، وهم حشد عظيم ، فنهبوها وأحرقوها وما حولها حتى بيعت الغلة بستة دراهم[6] كل أردب من القمح (٤٥ ب) ، وتتبعوا حواشى قوصون بالقاهرة والحكورة وبولاق والزريبة وبركة قرموط وغير ذلك ،

(١) خونجات مفردها خونجة وخونجا ، وهو معرب لفظ خوان فى اللغة الفارسية ، والمقصود هنا خوان صغير أو صينية من الخشب أو المعدن . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) انظر حاشية ٢ بالصفحة السابقة .

(٣) لعل معنى هذا اللفظ هنا ما جاء فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، ونصه " ولوبه عند المغنين اسم لطائفة من آلات الطرب إذا أخذت معا" . انظر فهرس الألفاظ الاصطلاحية فى آخر الجزء الأول من كتاب السلوك .

(٤) هنا تصوير دقيق لثروة هائلة يتملكها أمير كبير من أمراء المماليك ، ولا عجب أن يؤدى تكديسها فى خزائن أصحابها ، أو تبديدها على الصورة الواردة هنا ، إلى اضطراب الحال الاقتصادية بالقاهرة ، كما يتضح من العبارة التالية .

(٥) فى ف " بعضهم بعضا " ، وما هنا من ب ، ١٦٥ ب .

(٦) فى ف " ارادب " ، وما هنا من ١٦٥ ب .

وباعوا الأمتعة والأوانى والثياب بأبخس ثمن ، وصاروا إذا رأوا نهب أحد قالوا هو قوصونى فالحال يذهب جميع ماله . وزادت الأوباش حتى خرجوا عن الحد ، وشمل الخوف كل أحد ، فقام الأمراء على أيدغمش وأنكروا عليه تمكين العامة من النهب ، فأمر بسبعة من الأمراء ، فنزلوا إلى القاهرة والعامة مجتمعة[1] على باب الصالحية فى نهب بيت [قاضى القضاة حسام الدين] الغورى ، فقبضوا على عدة منهم ، وضربوهم بالمقارع . وأشهروهم ، فانكفوا عن النهب .

وفى ليلة الخميس أخرج الأمير قوصون من سجنه بالقلعة ، فى مائة فارس حتى ركب النيل ، ومضى إلى الإسكندرية .

وكان قوصون (٤٦ ا) فى أول أمره على حاله ، وفى أوسطه وآخره من[2] أعاجيب الزمان ومما قيل فيه .

قوصون قد كانت له رتبة   تسمو على بدر السما الزاهرِ
لحطه فى القيد أيدغمش   من شاهق عالٍ على الطائرِ
ولم يجد من ذلةٍ صاحبًا   فأين عين الملك الناصرِ
صار عجيبا أمره كله   فى أول الأمر وفى الآخرِ

وفى يوم الخميس أول شعبان خُلع السلطان الملك الأشرف كجك من السلطنة ، وكانت مدته خمسة أشهر وعشرة أيام لم يكن له فيها أمر ولا نهى ، وتدبير أمور الدولة كلها إلى قوصون وكان إذا حضرت العلامة[3] أعطى قلما فى يده ، وجاء فقيهه الذى يقرئ أولاد السلطان ، فيكتب العلامة والقلم فى يد السلطان .

(٤٦ ب) السلطان الملك الناصر
شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاون الصالحى

أمه اسمها بياض ، كانت تجيد الغناء[4] ، [وكانت] من عتقاء الأمير بهادر آص رأس

(١) فى ف " مجتمعين " ، وما هنا من ب ، ٥١٦ ب .
(٢) فى ف " على " ، وما هنا من ب ، ٥١٦ ب .
(٣) فى ف " العامة " ، وما هنا من ب ٥١٦ ب .
(٤) فى ف " كانت تجيد الغنا عتقها بهادر الامير راس نوبه " ، وما هنا من ب ، ٥١٧ ا .

نوبة . وكانت شهوتها[1] قوية ، ولها بالناس اجتماعات فى مجالس أنسهم . فلما بلغ السلطان [الناصر محمد] خبرها اختص بها ، وحظيت عنده ، فولدت أحمد هذا على فراشه . ثم تزوجها الأمير ملكتمر السرجوانى ، وقد مضى من أخباره جملة . فلما استولى الأمير أيدغمش على الدولة بعد قوصون ، وقرر مع الأمراء خلع الأشرف كجك فى يوم الخميس أول شعبان ، بعث بالأمير جنكلى بن البابا والأمير بيبرس الأحمدى والأمير قارى أمير شكار إلى السلطان [أحمد] بالكرك بكتب الأمراء يخبرونه بما وقع ، ويستدعونه إلى تخت ملكه ، وضربوا اسمه على (٤٠٧ ا) أملاك قوصون جميعها ؛ وأعلن بالدعاء له فى خانكاه سعيد السعداء .

وفيه جلس أيدغمش وألطنبغا [الماردانى] ويلبغا [اليحياوى] وبهادر الدمرداشى ، واستدعوا بقية الأمراء .

و [فيه] قبض على ألطنبغا [الصالحى] نائب الشام وعلى أرقطاى نائب طرابلس ، ومضى بهما أمير جندار إلى قاعة سجنهما . وأخذوا بعدهما سبعة عشر أمير طبلخاناه وقياتمر أحد مقدمى الألوف وجركتمر بن بهادر وغيره ، حتى كانت عدة من قبض عليه فى هذا اليوم خمسة وعشرين أميرا .

و [فيه] قبض على مزن مغرلى كان حاقق جركتمر بن[2] بهادر بأنه هو الذى قتل الملك المنصور ؛ وكتب بذلك أيضاً إلى الأمير قطلوبغا الفخرى .

وفيه طلب [أيدغمش] جمال الدين يوسف والى الجيزة ، وخلع عليه بولاية القاهرة ، فنزل إلى القاهرة ، فإذا بالعامة فى نهب (٤٠٧ ب) بيت بعض مماليك قوصون ، فقبض على عشرين منهم ، وضربهم بالمقارع وسجنهم ، بعد ما أشهرهم . فاجتمعت الغوغاء ووقفوا لأيدغمش ، وصاحوا عليه : " وليت على الناس قوصونى ما يخلى منا أحد " ، وعرّفوه ما وقع . فبعث [أيدغمش] الأوجاقية إليه فى طلبه ، فوجدوه بالصليبية يريد القلعة ، فصاحت عليه الغوغاء : " قوصونى ! يا غيريه على الملك الناصر " ، ورجموه من كل جهة . فقامت

---

(١) فى ب ٤١٧ ا " شهرتها " .

(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٤١٧ ب " بهادر بن جركتمر " .

الجبلية والأوجاقية فى ردّهم ، فلم يطيقوا ذلك ، وجرت بينهم الدماء . فهرب [الوالى] إلى إصطبل [ألطنبغا] الماردانى ، وحمته مماليك[1] [ألطنبغا] من العامة . فطلب أيدغمش الغوغاء ، وخيرهم فيمن يلى ، فقالوا نجم الدين الذى كان قبل ابن المحسنى ، فطلبه وخلع عليه ، فصاحوا : "بحياة الملك الناصر عزل عنا ابن رخيمة المقدم وحمامص رفيقه ، ومَكِّنّا منهما" . فأذن لهم فى نهبهما ، فشرع (٤٨ ا) نحو الألف منهم إلى دار ابن رخيمة بجانب بيت الأمير كوكاى بالقاهرة ، فنهبوه ونهبوا [بيت] رفيقه .

وفى يوم الجمعة ثانيه دعى على منابر مصر والقاهرة للسلطان الملك الناصر أحمد .

وفى يوم الاثنين خامسه تجمعت الغوغاء بسوق الخيل ، ومعهم الرايات الصفر ، وتصايحوا بأيدغمش : "زودنا انروح إلى أستاذنا الملك الناصر ، ونجىء صحبته" ، فكتب لهم مرسوما بالإقامة والراتب فى كل منزلة ، وتوجهوا مسافرين من الغد .

وفى يوم الأربعاء سابعه وصل الأمراء [الذين كان سجنهم قوصون] من سجن الإسكندرية ، وهم ملكتمر الحجازى وقطليجا الحموى ، وأربعة وخمسون نفرا من المماليك السلطانية . ومن الغريب أن الحراقة التى سارت بهؤلاء الأمراء إلى الإسكندرية ، لما قبض عليهم قوصون ، هى الحراقة التى سار فيها [قوصون] إلى الإسكندرية (٤٨ ب) حتى سجن بها . [وكان قوصون لما دخل إلى الإسكندرية مقيدا] خرج[2] والى الثغر ليتسلمه ، وقد ركب بالأمراء عندما أفرج عنهم ليتوجهوا إلى القاهرة ، فسلموا على قوصون ، فبكى واعتذرلهم مما صدر منه فى حقهم . وعندما قدموا إلى ساحل مصر ركب الأمراء إلى لقائهم ، وخرجت العامة لرؤيتهم ، بحيث غلقت الأسواق يومئذ حتى طلعوا إلى القلعة . فتلقت خوند الحجازية زوجها الأمير ملكتمر الحجازى بجواريها وخدامها ، ومغانيها تضرب بالدفوف والشبابات فرحًا به ، وجارتُها أختها امرأة قوصون فى عويل وبكاء وصياح هى وجواريها وخدامها ، كما كان بالأمس لما انتصر قوصون على الحجازى والأمراء ،

---

(١) فى ف " مماليكه " ، والتعديل للتوضيح .

(٢) فى ف ، وفى ب ، ٥١٨ ا "فخرج" ، والتعديل والإضافة مابين الحاصرتين للتوضيح ، وذلك بعد مراجعة ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٥٣ .

فى بيته الأفراح والتهانى ، وفى بيت الحجازى البكاء والعويل ؛ وكان فى ذلك عبرة للمعتبر .

و [فيه] قدم كتاب الأمراء (٤٩ ا) المتوجهين إلى الكرك ، وهم جنكلى بن البابا و بيبرس الأحمدى وقمارى ، بأنهم لما وصلوا إلى الكرك نزلوا بظاهرها ، و بعث كل منهم مملوكه يعرّف السلطان [أحمد] بقدومه . فبعث إليهم [السلطان] رجلا من نصارى الكرك فقال : " يا أمراء ، السلطان يقول لكم إن كان معكم كتب فهاتوها ، أو مشافهة قولوها " . وفى الحال عادت مماليكهم ، ولم يمكنوا من الاجتماع بالسلطان ، وقيل لهم إن السلطان قد سيّر كتابه إلى الأمراء . فدفعت الكتب إلى النصرانى فمضى بها ، ثم عاد من آخر النهار بكتاب مختوم ، وقال عن السلطان إنه قال : " سلّم على الأمراء ، وعرّفهم أن يقيموا بغزة إلى أن يرد لهم ما يعتمدوه (كذا) " . وحضر مملوك من قبل[1] [السلطان] يأمر الأمير قمارى بالإقامة على ناحية الصافية ، و بعث إليه (٤٩ ب) بخاتم .

و [جاء فى كتاب[2] الأمراء المتوجهين إلى الكرك] أنهم وجدوا الكتاب يتضمن إقامتهم على غزة ، والاعتذار عن لقائهم ، فعاد الأميران[3] [جنكلى بن البابا و بيبرس الأحمدى] إلى غزة . فلما وقف[4] الأمير أيدغمش على ذلك كتب من وقته إلى الأمير قطلوبغا الفخرى يسأله أن يستحث السلطان فى قدومه إلى تخت ملكه ، وكتب إلى الأمراء بانتظار السلطان ، وعرفهم بمكاتبته للفخرى . وأخذ [أيدغمش] فى تجهيز أمور السلطنة ، وأشاع قدوم السلطان خوفا من إشاعة ما عامل به الأمراء ، فيفسد عليه ما دبره . فلما قدم البريد إلى دمشق بكتاب أيدغمش وَافى قدوم كتاب السلطان أيضاً من الكرك يتضمن القبض على الأمير طرنطاى البشمقدار والأمير طينال ، وحمل مالهم إلى الكرك . وكان الأمير [قطلوبغا] الفخرى قد ولى طينال [نيابة] طرابلس ، وطرنطاى [نيابة] حمص ، (٥٠ ا) ، فاعتذر [فى جوابه بأن طينال فى شغل بحركة الفرنج ، وأشار بأن لا يحرّك

---

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٥١٨ ب " قبله " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٢) أضيف مابين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) فى ف " الامير بن "

(٤) فى ف "وثق" ، وما هنا من ب ، ٥١٨ ب .

ساكنٌ في هذا الوقت ، وسأل سرعة حضور السلطان ليسير بالعسكر في ركابه إلى مصر ؛ وأكثر [الأمير قطلوبغا] الفخري من مصادرة الناس بدمشق

وفي يوم السبت حادى عشره كان حضور يلجك ابن أخت قوصون ، و برسبغا الحاجب ، صحبة آقسنقر الناصري من الصعيد .

وفي خامس عشره استقر شمس الدين موسى بن التاج إسحاق في نظر الخاص .

و [فيه] أخرج [الأمير قطلوبغا] الفخري الإقطاعات بأسماء الاجناد ، وعزل وولى ، وكان دواداره يعلّم عنه .

وفي هذه الأيام قدم الأمير طشتمر [حمص أخضر] نائب حلب من بلاد أرتنا إلى دمشق ، فتلقاه الأمير قطلوبغا الفخري وأنزله [في مكان يليق به] ؛ و بعث [قطلوبغا] من يومه بالأمير آقسنقر (٥٠ ب) السلاري نائب غزة ليتلقى الأمراء .

وفيه قدم كتاب السلطان من الكرك إلى [قطلوبغا] الفخري يتضمن قدوم الأمراء من مصر ، وأنه لم يجتمع بهم ، وأنه في انتظار قدوم الأمير طشتمر [حمص أخضر من بلاد أرتنا إلى حلب ، وأنه لا يخرج من الكرك قبل ذلك] . فكتب [قطلوبغا الفخري] الجواب بقدوم طشتمر ، و [أشار على السلطان] بسرعة[1] الحركة إلى دمشق . وأخذ الفخري في تجهيز جميع ما يحتاج إليه السلطان ، وفي ظنه أن السلطان يسير إليه بدمشق ، فيركب في خدمته بالعساكر إلى مصر ، فلم يشعر إلا وكتاب السلطان قد ورد عليه مع بعض الكركيين يتضمن أنه يركب من دمشق ليجتمع مع السلطان على غزة . فشق ذلك عليه ، وسار من دمشق بعساكرها ، و بمن استجده من [أهل][2] الطاعة حتى قدم غزة في عدد كبير ؛ فتلقاه الأمير جنكلي [بن البابا] و [الأمير بيبرس] الأحمدي و [الأمير] قماري .

وكان قدوم قاصد السلطان من الكرك لكشف (١٠١) من في السجون من الأمراء ، فمضى إلى الإسكندرية بسبب ذلك ، وورد كتابه على الأمير أيدغمش بالشكر على

---

(١) في ف " وسرعة " ، والتعديل والإضافة بين الحاصرتين للتوضيح . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٥٥) ، حيث العبارة أقل اختصارا مما هنا .

(٢) في ف " الطاعة " ، وما هنا من ب ، ٥١٨ ب .

ما فعله، وجعل له أن يحكم حتى يحضر السلطان .

[وفيه] قبض على خمسة وثمانين من مماليك قوصون ، فقيدوا وسجنوا بخزانة شمايل .

وفى يوم الثلاثاء عشريه قبض على ولد الأمير جركتمر بن بهادر وعمره نحو اثنتى عشرة سنة ، إرضاء لأم المنصور أبى بكر .

وفى يوم الخميس سلخه وصل عبد المؤمن والى قوص مقيدا ، صحبة شجاع الدين قنغلى [المتوجه] إلى قوص ؛ وكان قد توجه لإحضاره ، وكتب إلى الوافدية أجناد قوص وإلى العربان بأخذ الطرقات عليه . فلما قدم قنغلى إلى قوص ركب ليلا بالوافدية ، وأحاط بدار الولاية ، فلبس عبدالمؤمن سلاحه ، وألبس جماعته ، وقاتل[1] [قنغلى ورجاله] حتى (١٠ ب) نجا منهم ، وهم فى أثره يومين وليلتين ، يأخذون من انقطع من أصحابه ، حتى أمسكوه وقيدوه .

[وعند ما وصل ابن عبد المؤمن إلى القاهرة] خرجت[2] العامة إلى رؤيته ، وقصدوا قتله ، فأركب إليه الأمير أيدغمش جماعة حتى حموه ، وأتوا به إلى القلعة ، فلما طلعها أقامت أم المنصور [أبى بكر] العزاء ، وأمر به فسجن .

وفى ليلة الجمعة أول شهر رمضان نزلت أم المنصور أبى بكر من القلعة ، ومعها مائة خادم ومائة جارية لعمل العزاء ، فدخلت بيت جركتمر[3] بن بهادر ونهبت ما فيه ، وألقته إلى من تبعها من العامة ؛ ففرت حرم جركتمر[4] منها حتى نجت من القتل .

وفى يوم الثلاثاء خامسه تفاوض الأميران ملكتمر الحجازى ويلبغا اليحياوى حتى خرجا إلى المخاصمة ، وصار لكل منهما طائفة ، ولبسوا آلة الحرب . فتجمعت الغوغاء تحت القلعة لنهب (٢٠ ا) بيوت من ينكسر من الفريقين[5] ، فلم يزل الأمير أيدغمش بهم حتى كفوا عن القتال ، وبعث إلى العامة جماعة من الأوجاقية ، فقبضوا على جماعة منهم ، وأودعوهم السجن .

---

(١) فى ف "وقاتلهم" ، والتعديل والإضافة بين الحاصرتين للتوضيح .

(٢) فى ف "فخرجت" ، والتعديل والإضافة بين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) فى ف "بهادر بن جركتمر" ، والصحيح ما هنا . المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٦٢) .

(٤) فى ف " بهادر " ، انظر الحاشية السابقة .

(٥) فى ف " الفرقتين " ، وما هنا من س ١٩ ٥ ا .

وفى سادسه قبض على جماعة من القوصونية .

وفى يوم الخميس سابعه قدم أولاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون من قوص ، وعدتهم ستة فركب الأمراء إلى لقائهم ، وهرعت العامة إليهم . فساروا من الحراقة على القرافة حتى حاذوا تربة جركتمر ، فصاحت العامة : " هذه تربة الذى قتل أستاذنا الملك المنصور " ، وهجموها ، وأخذوا ما فيها وخربوها حتى صارت كوم تراب . فلما وصل أولاد السلطان تحت القلعة أتاهم الأمير جمال الدين يوسف والى الجيزة الذى تولى القاهرة ، وقبل ركبة رمضان بن السلطان ، فرفسه[1] (٢ هـ ب) برجله وسبّه ، وقال : " أتنسى ونحن فى الحراقة عند توجهنا لقوص ، وقد طلبنا مأكلا من الجيزة ، فقلت خذوهم وروحوا إلى لعنة الله ، ما عندنا شيء ؟ " فصاحت به العامة : " لله مكّنا من نهبه ، هذا قوصونى ! " ، فأشار بيده أن انهبوا بيته ، فتسارعوا فى الحال إلى بيته المجاور للجامع الظاهرى من الحسينية ، حتى صاروا منه إلى باب الفتوح . فقامت إخوته ومن يلوذ به فى دفع العامة بالسلاح ، و بعث الأمير أيدغمش أيضاً بجماعة ليردهم عن النهب ، وخرج إليهم نجم الدين والى القاهرة ؛ وكان أمرا مهولا قتل فيه من العامة عشرة رجال ، وجرح خلق كثير ، ولم ينتهب شيء .

وفى يوم الأحد عاشره قدم مملوك الأمير قطلوبغا الفخرى ومملوك الأمير طقزدمر بوصول (٥٠٣ ا) العساكر إلى غزة فى انتظار قدوم السلطان إليهم من الكرك ، وأن يحلف جميع أمراء مصر وعساكرها على العادة . فجمعوا بالميدان ، وأخرجت نسخة اليمين المحضرة ، فإذا هى تتضمن الحلف للسلطان ، ثم للأمير قطلوبغا الفخرى . فتوقف الأمراء عن الحلف لقطلوبغا حتى ابتدأ الأمير أيدغمش وحلف ، فتبعه الجميع خوفا من وقوع الفتنة ؛ وجهزت نسخة اليمين [إلى قطلوبغا[2]] .

وفيه قبض على عدة من العامة نهبوا بعض كنائس النصارى ، وصلبوا تحت القلعة ، ثم أطلقوا .

وأما العسكر الشامى فإنه أقام بغزة ، وقد جمع لهم [نائبها] الأمير آقسنقر الإقامات

(١) فى ف " فرفته " ، وما هنا من به ٥١٩ ب .

(٢) فى ف "اليه" ، والتعديل للتوضيح .

من بلاد الشوبك وغيرها ، حتى صار عنده ثلاثة آلاف غرارة من الشعير وأربعة آلاف رأس من الغنم ، وغير ذلك مما يحتاج إليه . وكتب الأمراء إلى السلطان (٥٣ ب) بقدومهم صحبة مماليكهم مع الأمير قارى أمير شكار ، فساروا إلى الكرك ، وقد قدمها أيضاً الأمير يحيى بن طايربغا صهر[1] السلطان برسالة الأمير أيدغمش يستحثه على المسير إلى مصر ، فأقاموا جميعا ثلاثة أيام لم يؤذن لهم فى دخول المدينة . ثم أتاهم كاتب نصرانى وبازدار يقال له أبو بكر ويوسف بن البصال ، وهؤلاء الثلاثة هم خاصة السلطان من أهل الكرك ، فسلموا عليهم وطلبوا ما معهم من الكتب . فشق ذلك على الأمير قارى ، وقال لهم : " معنا مشافهات من الأمراء للسلطان ، ولا بدّ من الاجتماع به " . فقالوا : " لا يمكن الاجتماع به ، وقد رسم إن كان معكم كتاب أو مشافهة أن تعلمونا بها " . فلم يجدوا[2] بدا من دفع الكتب إليهم ، وأقاموا إلى غد . فجاءتهم كتب مختومة ، وقيل للأمير يحيى : " اذهب إلى عندهم (٥٤ أ) الأمراء بغزة " ، فساروا [جميعا] عائدين إلى غزة ، فإذا فى الكتب الثناء على الأمراء ، وأن يتوجهوا إلى مصر ، فإن السلطان يقصد مصر بمفرده ، ويسبقهم . فتغيرت خواطرهم ، وقالوا وطالوا ، وخرج [قطلوبغا] الفخرى عن الحد ، وأفرط به الغضب ، وعزم على الخلاف . فركب إليه الأمير طشتمر [حمص أخضر] نائب حلب والأمير جنكلى بن البابا و [الأمير] بيبرس الأحمدى ، وما زالوا به حتى كف عما عزم عليه ، ووافق على المسير ، وكتبوا عما كان من ذلك إلى الأمير أيدغمش ، وتوجهوا جميعا من غزة يريدون مصر .

وكان أيدغمش قد بعث ولده بالخيل الخاص إلى السلطان ، فلما وصل إلى الكرك أرسل السلطان من أخذ منه الخيل ، ورسم بعوده إلى أبيه . وأخرج [السلطان] من الكرك رجلا يعرف بأبى بكر البزدار ومعه رجلان ليبشروا بقدومه ، فوصلوا إلى (٥٤ ب) الأمير أيدغمش فى يوم الاثنين خامس عشريه ، وبلغوه السلام من السلطان ، وعرفوه أنه قد ركب الهجن وسار على البرية صحبة العرب ، وأنه يصابح أو يماسى ، فخلع عليهم

(١) فى ف " طهربغا صهم " ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٥٧) .
(٢) فى ف " يحد " .

[أيدغمش] ، و بعثهم إلى الأمراء ، فأعطام كل من الأمراء المقدمين خمسة آلاف درهم ، وأعطام بقية الأمراء على قدر حالهم ؛ وخرج العامة إلى لقاء[1] [السلطان] .

فلما كان يوم الأربعاء سابع عشريه قدم قاصد السلطان إلى الأمير أيدغمش بأن السلطان يأتى ليلا من باب القرافة ، وأمره أن يفتح له باب السر حتى يعبر منه ، ففتحه . وجلس أيدغمش وألطنبغا الماردانى حتى مضى جانب من ليلة الخميس ثامن عشريه أقبل السلطان فى نحو العشرة رجال من أهل الكرك ، وقد تلثم وعليه ثياب مفرجة ، فتلقوه وسلموا عليه ، فلم يقف معهم ، وأخذ جماعته ودخل بهم . (١٠٠) ورجع الأمراء وهم يتعجبون من أمره ، وأصبحوا فدقت البشائر بالقلعة ، وزينت القاهرة ومصر .

واستدعى السلطان الأمير أيدغمش فى بكرة يوم الجمعة ، فدخل إليه وقبل له الأرض . فاستدناه [السلطان] وطيب خاطره ، وقال له : " أنا ما كنت أتطلع إلى الملك ، وكنت قانعا بذلك المكان ، فلما سيرتم فى طلبى ما أمكننى إلا أن أحضر كما رسمتم " ؛ فقام أيدغمش وقبل الأرض [ثانيا] .

ثم كتب [أيدغمش] عن السلطان إلى الأمراء الشاميين يعرفهم بقدومه إلى مصر ، وأنه فى انتظارهم ، وكتب علامته بين الأسطر " المملوك أحمد بن محمد " ؛ وكتب إليهم أيدغمش أيضاً . وخرج مملوكه بذلك على البريد ، فلقيهم على الوزادة ، فلم يعجبهم هيئة عبور السلطان ، وكتبوا إلى أيدغمش بأن يخرج إليهم هو والأمراء إلى سرياقوس ، ليتفقوا على ما يفعلونه .

فلما كان يوم عيد الفطر منع السلطان (١٠٠ ب) السماط ، ومنع الأمراء من طلوع القلعة ، ورسم أن يعمل كل أمير سماطه فى داره ، ولم ينزل لصلاة العيد ، وأمر الطواشى عنبر السحرتى مقدم[2] المماليك و [نائبه] الطواشى الإسماعيلى أن يجلسا على باب القلعة[3] ، ويمنعا من يدخل عليه .

---

(١) ف " لقائه " ، والتعديل للتوضيح .

(٢) فى ف " المقدم " ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٥٩)

(٣) فى ف " الباب " ، والتعديل للتوضيح .

وخلا [السلطان] بنفسه مع الكركيين ، فكان الحاج على إخوان سلار[١] إذا أتى مع الطعام على عادته خرج إليه يوسف وأبو بكر البزدار ، وأطعماه ششنى[٢] ، وتسلما منه السماط ، وعبرا به إلى السلطان ؛ ووقف خوان سلار ومن معه حتى يخرج إليهم الماعون .

وحدث جمال الدين بن المغربى[٣] رئيس الأطباء أن السلطان استدعاه وقد عرض له وجع فى رأسه ، فوجده جالساً وإلى جانبه شاب من أهل الكرك جالس ، وبقية الكركيين قيام ، فوصف له ما يناسبه ، وتردد إليه يومين وهو على هذه الهيئة .

وفى يوم الأحد تاسع شوال (٦ ١٠) قدم الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير طشتمر حمص أخضر ، وجميع أمراء الشام وقضاتها ، والوزراء ونواب القلاع ، فى عالم كبير حتى سدوا الأفق ؛ ونزل كثير منهم تحت القلعة فى الخيم . وكان قد خرج إلى لقائهم الأمير أيدغمش والحاج آل ملك والجاولى والطنبغا الماردانى ؛ وأخذ [قطلوبغا] الفخرى [يتحدث] مع أيدغمش فيما عمله[٤] السلطان من قدومه فى زى العربان ، واختصاصه بالكركيين ، وإقامة أبى بكر البزدار حاجباً . وأنكر [أيدغمش] ذلك على السلطان[٥] غاية الإنكار ، وطلب من الأمراء موافقته على خلعه ورده إلى مكانه ، فلم يمكنه الأمير طشتمر [حمص أخضر] من ذلك ، وساعده الأمراء أيضاً ، وما زالوا به إلى أن أعرض عما هم به .

---

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ٢٠ ٥ ا ، وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٥٩ ، حاشية ١) ، حيث ورد نقلا عن القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧١) أن هذه التسمية صيغة عربية عامية للفظ الفارسى المركب من لفظين ، وهما خوان ومعناه صينية ، وسلار ومعناه ممسك ، أى أن هذه الوظيفة فى المطبخ السلطانى هى تقديم الخوان بالطعام للسلطان .

(٢) كذا فى ف ، وكذلك ب ، ٥٢٠ ب ، والششنى لفظ فارسى جرى استعماله فى اللغة العربية بمبناه ومعناه ، أى حصة قليلة تؤخذ من الشىء ، كائنا ما يكون من طعام أو شراب أو مادة من المواد ، ليستدل بها على كيفية الشىء ، وششنى الطعام فى المطبخ السلطانى ما يؤخذ منه لمذاقه واختباره من باب المحافظة على حياة السلطان . (محيط المحيط) .

(٣) فى ف "جمال الدين" فقط ، وما هنا من ب ، ٥٢٠ ب .

(٤) فى ف " عليه " ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٦٠) .

(٥) فى ف " وانكر ذلك عليه " ، والتعديل والإضافة بين الحاصرتين للتوضيح .

فلما كان يوم الاثنين عاشره أُلبس السلطان شعار السلطنة ، وجلس على تخت الملك ، وقد حضر الخليفة الحاكم بأمر الله (٥٦ ب) وقضاة مصر الأربعة ، وقضاة دمشق الأربعة ، وجميع الأمراء والمقدمين . وعهد إليه الخليفة ، وقبّل الأمراء الأرض على العادة ؛ ثم قام السلطان على قدميه ، فتقدم الأمراء و باسوا يده واحداً بعد واحد ، على مراتبهم . وجاء الخليفة بعدهم ، وقضاة القضاة[1] ما عدا الحسام حسن بن محمد الغورى ، فإنه لما طلع مع القضاة وجلسوا بجامع القلعة حتى يؤذَن لهم على العادة ، جمع عليه صبى من صبيان المطبخ السلطانى جمعاً كبيراً من الأو باش ، لحقد كان فى نفسه عليه عندما تحاكم هو وزوجته عنده ، فإنه أهانه وضربه . وهجم [هذا الصبى] على القضاة بأو باشه ، ومدّ يده إلى الغورى من بينهم ، فأقامه[2] [الأو باش] وحرقوا عمامته ، وقطعوا ثيابه ، وهم يسحبونه و يصيحون عليه : "يا قوصونى ! " . ثم ضربوه[3] بالنعال ضربا مؤلما ، وقالوا له : "يا كافر ! يا فاسق ! " (٥٧ ا) فارتجت القلعة ، وأقبل علم دار حتى خلصه منهم ، وهو يستغيث : " يا مسلمين ! كيف يجرى هذا على قاض من قضاة المسلمين " . فأخذ المماليك جماعة من تلك الأو باش ، وجروهم إلى الأمير أيدغمش فضربهم ، و بعث طائفة من الأوجاقية فساروا بالغورى إلى منزله ، ولم يحضر الموكب . فثارت العامة على بيته بالمدرسة[4] الصالحية ونهبوه ، وكان يوماً شنيعاً .

وفى يوم الخميس ثالث عشره خُلع على جميع الأمراء الكبار والصغار ومقدمى الحلقة ، وأنعم على الأمير طشتمر حمص أخضر بعشرة آلاف دينار ، وعلى الأمير قطلوبغا [الفخرى] بما حضر صحبته من الشام ، وهو أربعة آلاف دينار ومائة ألف درهم فضة ، ونزل فى موكب عظيم . وكان قد قدم معه من أمراء الشام سنجر الجمقدار وتمر الساقى وطرنطاى البشمقدار وآقبغا عبد الواحد ، وتمر (٥٧ ب) الموساوى والجلالى وابن قراسنقر وأسنبغا بن البو بكرى ، وبكتمر العلائى وأصلم نائب صفد .

---

(١) هنا تصوير جيد لبعض مراسيم السلطنة المملوكية ، عند قيام سلطان جديد .

(٢) فى ف " واماموه " ، والتعديل للتوضيح .

(٣) فى ف " ضربوه ضربا مولما " ، وما هنا من ب ، ٥٢١ ا .

(٤) فى ف " بالصالحية " ، وما هنا من ب ، ٥٢١ ا .

وفيه طلب [السلطان] الوزير نجم الدين ، ورسم له أن يكون يوسف البزدار ورفيقه مقدمى البزدارية ومقدمى الدولة ، وخلع[1] [السلطان] عليهما كلفتاه زركش وأقبية طرد وحش بحوائص ذهب . فحكما فى الدولة وتكبرا على الناس ، وسارا فيهم بحمق زائد ، وصارا لا يأتمران بأمر الوزير ، ويمضيان ما أحبا . وصحبهما كثير من الأشرار ، وعرفوهما بأرباب الأموال ، فشملت مضرتهما كثيراً من الناس ، وانهمكا فى اللهو ، فثقل أمرهما على الكافة .

وفى عصر يوم السبت خامس عشره خُلع على الأمير طشتمر حمص أخضر ، واستقر فى نيابة السلطنة بديار مصر ، فجلس والحجاب قيام بين يديه ، والأمراء فى خدمته . فكان (٥٨ ا) أول ما بدأ به أن قلع الشباك الذى كان يجلس فيه قوصون ، وخلع الخشب الذى عمله فى باب القلعة ، وباشر النيابة بحرمة وافرة .

وفى يوم الاثنين سابع عشره أخرج [السلطان] محمل الحاج .

وفيه أخرج [السلطان] عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامى والى قوص من السجن ، وسمر على باب المارستان المنصورى من القاهرة بمسامير جافية شنعة ، وطيف به مدة ستة أيام ، وهو يحادث الناس فى الليل بأخباره . فما حدثهم به أنه هو الذى ركب حتى ضرب النشو كما تقدم ذكره ، وأنه لما سقطت عمامته ظنها رأسه . وكان إذا قيل له اصبر يا عبد المؤمن يقول اسأل الصبر ، وينشد كثيراً :

يُبكى علينا ولا نبكى على أحد ونحن أغلظ أكباداً من الإبل

فلما كان يوم السبت ثانى عشريه شنق [عبد المؤمن] (٥٨ ب) على قنطرة السد ظاهر مدينة مصر عند الكيمان ، وترك حتى ورم وأكلته الكلاب .

وكان [عبد المؤمن] من السلامية بالعراق ، فبعثه المجد السلامى إلى السلطان [الناصر محمد] مرارا حتى عُرف [عنده] . ثم تنكر [عبد المؤمن] على المجد السلامى ورافعه إلى السلطان حتى تغير عليه ، وكتب إلى أبى سعيد بإحضاره . فأثبت المجد [السلامى] محضرا على عبد المؤمن بأنه رافضى كافر قتال الأنفس ، وقدم به على السلطان وتحاقق معه[2] . فتعصب قوصون

(١) فى ف " بخلع " ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٦١) .

(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٢١ ب ، والتعديل للتوضيح .

لعبد المؤمن حتى بطلت حجة الجد [السلامى] عليه مع ظهورها ؛ فاختص عبد المؤمن بقوصون ، ولبس الكلفتاه ، ثم ولى قوص . وكان شجاعا فاتكا ، يتجاهر بالرفض ، و يقول إذا حلف على شىء : " وحياة مولاى على " .

وفى هذه الأيام أخرج بأحد وعشرين أميرا إلى الإسكندرية ، صحبة الأمير (١٠٩ ا) طاشتمر طُلّليه ، منهم أرقطاى نائب طرابلس ، وجركتمر بن بهادر ، وابن المحسنى والى القاهرة ، وأسنبغا بن البوبكرى ، ويلجك بن أخت قوصون ، و برسبغا الحاجب . [فلما[1] وصلوا إلى الثغر وسجنوا به ، قُتل قوصون وألطنبغا الصالحى نائب الشام ، وجركتمر بن بهادر ، و برسبغا الحاجب] .

و [فيه] رسم للأجناد الذين استخدمهم [قطلوبغا] الفخرى بعودهم إلى دمشق بطالين ، فكثر تشكيهم ، ووقفوا للنائب فلم تسمع لهم شكوى .

و [فيه] أكثر السلطان من الإنعام على أهل الكرك حتى خرج عن الحد ، وعزم على مسك بيبرس الأحمدى وغيره من الأمراء ، فاحترزوا على أنفسهم إلى أن وقع الكلام[2] مع السلطان فى شىء من ذلك . فاجتمع عنده الأمراء ، وابتدأ الحاج آل ملك فى طلب بلد يتوجه إليه ، وسأل نيابة حماة ، فخلع عليه فى يوم (١٠٩ ب) الخميس عشريه واستقر فى نيابة حماة ، عوضا عن طقزدمر . وخلع [السلطان] على بيبرس الأحمدى ، واستقر فى نيابة صفد ، وعلى آقسنقر واستقر فى نيابة غزة .

وفى يوم الاثنين مستهل ذى القعدة سار [الأمير الحاج] آل ملك إلى نيابة حماة .

وفيه خلع [السلطان] على الأمير قطلوبغا الفخرى ، واستقر فى نيابة الشام ، وعلى الأمير أيدغمش بنيابة حلب .

وفى يوم الثلاثاء ثانيه استقر قمارى أمير آخور ، عوضا عن أيدغمش ؛ واستقر أحمد شاد الشر بخاناه أمير شكار ، عوضا عن قمارى ؛ واستقر آقبغا عبد الواحد فى نيابة حمص .

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٥٢١ ب فقط ، ولا وجود له فى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٦٢) .

(٢) فى ف " وقع مع السلطان " ، وما هنا من ب ، ٥٢٢ ا .

و[فيه] رسم [السلطان] أن يستقر سنجر البشمقدار وتمر الساقي من جملة أمراء مصر.

و[فيه] أنعم [السلطان] على قراجا بن دلغادر، وقد قدم إلى مصر بإنعامات كثيرة، وكتب له بالأمرية على التركمان، وتوجه إلى نيابة الإبلستين.

(١٠٦) وفي يوم الأحد سابعه خرج الأمير أيدغمش متوجها إلى نيابة حلب.

وفي يوم الاثنين خامس عشره خرج الأمير قطلوبغا الفخري متوجها إلى دمشق، ومعه من تأخر من عسكر الشام. وخرج الأمير طشتمر [حمص أخضر] النائب ومعه جميع الأمراء لوداعه، ومدّ له سماطا عظيما.

وفي يوم السبت عشريه قبض على الأمير طشتمر حمص أخضر نائب السلطنة، وسببُ ذلك أنه أكثر من معارضة السلطان بحيث تغلب عليه ورد مراسيمه، وصار يتعاظم ويظهر من الترفع على الأمراء والأجناد مالا يحتمل مثله، وإذا شفع إليه أحد من الأمراء رد شفاعته ولم يقبلها، ولا يقف لأمير إذا دخل إليه، وإذا أتته قصة عليها علامة السلطان بإقطاع أو غيره أخذ ذلك وطرد من هي باسمه، وأخرق به. (٦٠ ب) وقرر [طشتمر] مع السلطان أنه لا يمضي من المراسيم [السلطانية] إلا ما يختاره، وتقدم إلى الحاجب بأن لا يقدم أحد قصة إلى السلطان حتى يكون حاضرا، ومنع ذلك؛ فلم يتجاسر أحد أن يقدم قصة للسلطان في غيبته وتقدم[1] جماعة من المماليك السلطانية لطلب ما يزيد في مرتباتهم، فرسم [طشتمر] أن كل من خرج عن خبزه يعود إليه، ولم يمكن المماليك السلطانية من أخذ شيء. وأخذ [طشتمر] إقطاع الأمير بيبرس الأحمدي وتقدمته لولده، فكرهته الناس. وصارت أرباب الدولة وأصحاب الأشغال كلها في بابه، وتقربوا إليه بالهدايا والتحف. وانفرد [طشتمر] بأمور الدولة، وحطّ على الكركيين، وقصد منعهم من الدخول على السلطان، فلم يتهيأ له ذلك. وكان ناصر الدين (٦١) المعروف بفأر السقوف قد توصل بالكركيين حتى استقر [بفضل توصيتهم في وظيفة] إمام السلطان يصلي به، و[صار كذلك] ناظر المشهد النفيسي، عوضا عن تقي الدين علي بن القسطلاني خطيب جامع عمرو وجامع القلعة.

(١) في ف "تعرض"؛ وكذلك في ب ٢٠٢، ب.

وخلع [السلطان] على [ناصر الدين[١]] بغير علم النائب [طشتمر] ، فبعث إليه [طشتمر] عدة نقباء ونزع عنه الخلعة ، وسلمه إلى المقدم إبراهيم بن صابر ، وأمر بضربه وإلزامه بحمل مائة ألف درهم . فضربه ابن صابر عريانا ضربا مبرحا ، واستخرج منه أربعين ألف درهم ، ثم أفرج عنه بشفاعة أيدغمش و[قطلوبغا] الفخرى ، بعد ما أشهد عليه أنه لا يطلع إلى القلعة .

وأخذ [طشتمر] قصر معين بالغور من مباشرى قوصون ، وأحاط بما فيه من القند والعسل والسكر ، وغير ذلك . فكثر حنق السلطان منه وتغيره عليه ، إلى أن قرر مع المقدم عنبر السحرتى والأمير آقسنقر السلارى فى القبض عليه (٦١ ب) وعلى قطلوبغا الفخرى ، وأن يستدعى مماليك بشتاك وقوصون وينزلهم بالأطباق من القلعة ، ويقطعهم إقطاعات بالحلقة ، ليصيروا من جملة المماليك السلطانية ، خوفا من حركة طشتمر النائب . فعارض [طشتمر] السلطان فيهم ، فرتب السلطان عدة مماليك بداخل القصر للقبض عليه .

وكان مما جدد [طشتمر] فى نيابته أن منع الأمراء أن تدخل إلى القصر بمماليكها ، وبسط من باب القصر بسطاً إلى داخله ، فكان الأمير لا يدخل القصر وقت الخدمة إلا بمفرده ، فدخل هو أيضاً بمفرده ومعه ولداه إلى القصر ، وجلس على السماط على العادة . فعند ما رفع السماط قبض كشلى السلاح دار أحد المماليك — وكان معروفاً بالقوة — على كتفيه من خلف ظهره قبضاً عنيفاً ، وبدر إليه جماعة فأخذوا سيفه ، وقيدوه (٦٢ آ) وقيدوا ولديه . ونزل أمير مسعود الحاجب فى عدة من المماليك السلطانية ، فأوقع الحوطة على بيته ، وأخذ مماليكه جميعهم فسجنهم .

وخرج فى الحال ساعة القبض على طشتمر الأمير ألطنبغا المارداني والأمير أروم بغا السلاح دار ، ومعهما من أمراء الطبلخاناه والعشرات نحو من خمسة عشر أميراً ، ومعهم من المماليك السلطانية وغيرهم ألف فارس ، ليقبضوا على قطلوبغا الفخرى [نائب الشام] . وكتب [السلطان] إلى الأمير آقسنقر الناصرى نائب غزة بالركوب معهم بعسكره ، فجمع من عنده ومن فى معاملته من الجبلية . وكان [قطلوبغا] الفخرى قد ركب من الصالحية ، فبلغه مسك طشتمر ومسير العسكر إليه من هجّان بعث به إليه بعض ثقاته ، فساق إلى

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٢٢٥ ب " عليه " ، والتعديل للتوضيح .

قطيا ولم يأكل بها شيئاً ، ورحل وقد استعد (٦٢ ب) حتى تعدى[1] العريش ، فإذا آقسنقر بعسكر غزة فى انتظاره على الزعقة . وكان ذلك وقت الغروب ، فوقف كل منهما تجاه صاحبه حتى أظلم الليل ، فسار[2] الفخرى بمن معه وهم ستون فارساً على البرية . فلما أصبح آقسنقر علم أن الفخرى فاته ، فمال أصحابه على أثقال[3] الفخرى فنهبوها ، وعادوا إلى غزة . واستمر الفخرى ليلته ومن الغد حتى انتصف النهار وهو سائق ، فلم يتأخر معه إلا سبعة فرسان ومبلغ أربعة آلاف دينار ، وقد وصل بيسان وعليها الأمير أيدغمش نازل . فترامى عليه [الفخرى] وعرفه بما جرى ، وأنه قطع خمسة عشر بريداً فى مسير واحد . فطيب [أيدغمش] خاطره ، وأنزله فى خام ضُرِبَ له ، وقام له بما يليق به . فلما جنّه الليل أمر به فقيد وهو نائم ، وكتب (٦٣ آ) بذلك إلى السلطان مع بُكا الخضرى .

وكان [السلطان] لما بلغه هروب [قطلوبغا] الفخرى تنكر على الأمراء ، واتهمهم بالمخامرة عليه ، وهمّ أن يمسكهم فى يوم الاثنين تاسع عشريه ؛ فتأخر عن الخدمة الجاولى وجماعة . فلما كان وقت الظهر بعث [السلطان] لكل أمير أربعين طائر أوز ، وسأل عنهم ؛ ثم بعث آخر النهار إليهم ، يأمرهم أن يطلعوا من الغد . فقدم بُكا عشية يوم الثلاثاء مستهل ذى الحجة ومعه سيف [قطلوبغا] الفخرى ، فسرّ السلطان بذلك ، وكتب بحمله إلى الكرك فلما طلع الأمراء إلى الخدمة فى يوم الثلاثاء ترضاهم ، وبشرهم بمسك [قطلوبغا] الفخرى ، ثم أخبرهم أنه متوجه[4] إلى الكرك ، وأنه يعود بعد شهر . وكان السلطان قد تجهز إلى الكرك ، فأخرج فى ليلة الأربعاء طشتمر حمص أخضر فى محارة[5] (٦٣ ب) بقيده ، ومعه جماعة من المماليك السلطانية موكلون بحفظه ، وعين مع المقدم عنبر السحرتى عدة من المماليك .

(١) فى ف " عدا " ، والمعنى المقصود يقتضى الصيغة المثبتة بالمتن .

(٢) فى ف " لجا " ، وفى ب ، ٥٢٣ ا " نجا " .

(٣) فى ف " الابغال " ، وفى ب ، ٥٢٣ ا " الاثقال " ، والتعديل والإضافة بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٦٥) .

(٤) فى ف " توجه " .

(٥) المحارة صندوق للسفر شبه الهودج . (محيط المحيط) .

وتقدّم [السلطان] إلى الخليفة بعد ما ولاه نظر المشهد النفيسى ، عوضاً عن ابن القسطلانى ، أن يسافر معه إلى الكرك . ورسم لجمال الكفاة ناظر الخاص والجيش ، ولعلاء الدين على بن فضل الله كاتب السر ، أن يتوجها معه إلى الكرك ؛ وركب معه الأمراء من قلعة الجبل يوم الأربعاء ثانيه ، بعدما ألبس ثمانية من المماليك خلع الإمريات على باب الخزانة . وخلع [السلطان] على آقسنقر [السلارى] ، وقرره نائب الغيبة ؛ وخلع على شمس الدين محمد بن عدلان ، واستقر قاضى العسكر ؛ وخلع على زين الدين عمر بن كمال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر البسطامى ، واستقرّ به قاضى القضاة الحنفية ، عوضا (٦٤ أ) عن [حسام الدين] الغورى .

فلما قارب [السلطان] قبة النصر خارج القاهرة وقف حتى قبّل الأمراء يده على مراتبهم ، ورجعوا عنه . فنزل عن فرسه ، ولبس ثياب العربان ، وهى كاملية مفرجة وعمامة بلثامين ؛ وسايَرَ الكركيين ، وترك الأمراء الذين معه — وهم قمارى والحجازى وأبو بكر ابن أرغون النائب — مع المماليك [السلطانية] والطُّلب وتوجه [السلطان] على البرية إلى الكرك ، وليس معه إلا الكركيين ومملوكين ، وهم فى أثره ، فقاسوا مشقة كبيرة من العطش وغيره ، حتى وصلوا ظاهر الكرك ، وقد سبقهم السلطان إليها ، وقدمها فى يوم الثلاثاء ثامنه . فكتب [السلطان] إلى الأمراء بمصر يعرفهم ذلك ، ويسلم عليهم ؛ فقدم كتابه يوم الخميس سابع عشره .

[ولما دخل الملك الناصر أحمد إلى الكرك] لم يمكن أحدا من[1] [العسكر] أن يدخل المدينة سوى (٦٤ ب) [علاء الدين على بن فضل الله] كاتب السرّ ، وجمال الكفاة[2] [ناظر الخاص والجيش] ، فقط . ورسم [السلطان] أن يسير[3] الأمير المقدم عنبر [السحرتى] بالمماليك [إلى[3] قرية الخليل عليه السلام ، وأن يسير قمارى وعمر بن

(١) فى ف " منهم " ، والتعديل والإضافة بين الحاصرتين فى هذه العبارة من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٦٧) .

(٢) فى ف " الكفاية " .

(٣) فى ف " ورسم الامير ان يسير المقدم عنبر بالمماليك الى غزة ... " ، وما بين الحاصرتين ولم يرد فى ب ، ٥٢٣ ب ، فقط .

النائب أرغون والخليفة إلى القدس . ثم رسم [السلطان] أن ينتقل المقدم بالمماليك إلى غزة ، لغلاء السعر بالخليل .

وفى أثناء ذلك وصل أمير على بن أيدغمش [بالأمير قطلوبغا] الفخرى[1] مقيدا إلى غزة ، وبها العسكر المجهز من مصر ، ومضى به إلى الكرك . فبعث السلطان إليه من تسلم الفخرى منه ، وأعاده إلى أبيه ، ولم يجتمع به . فسجن [قطلوبغا] الفخرى وطشتمر حمص أخضر بقلعة الكرك ، بعد ما أهين [الفخرى] من العامة إهانة بالغة ، ونكل به نكالا فاحشا .

و [فيه] كتب [السلطان] لآقسنقر نائب غزة بإرسال حريم [قطلوبغا] الفخرى إلى الكرك ، وكانوا قد ساروا من القاهرة بعد مسيره بيوم ، فجهزهن [آقسنقر] إليه ، فأخذ أهل الكرك جميع ما معهن حتى ثيابهن ، وبالغوا فى الفحش والإساءة .

و [فيه] كتب [السلطان] لآقسنقر [السلارى] نائب الغيبة (١٦٠) بمصر أن يقع الحوطة على موجود طشتمر حمص أخضر ، وقطلوبغا الفخرى ، ويحمل ذلك بالكرك .

وكان [السلطان] إذا رسم بشىء جاء كاتب كركى لكاتب السر وعرفه عن السلطان بما يريد ، فيكتب ذلك ويناوله للكاتب ، فيأخذ عليه علامة السلطان ، ويبعثه حيث رسم به .

وأما العسكر المتوجه من القاهرة إلى غزة ، فإن ابن أيدغمش لما قدم عليهم غزة ومعه قطلوبغا الفخرى ، أراد الأمير ألطنبغا الماردانى أن يؤخره عنده بغزة ، حتى يراجع فيه السلطان . فلم يوافقه ابن أيدغمش ، وتوجه إلى الكرك ، فرحل الماردانى وبقية العسكر عائدين إلى القاهرة ، فقدموها يوم السبت خامس ذى الحجة .

و [فيه] أخذ السلطان فى تحصين الكرك وشحنها بالغلال (٦٠ ب) والأقوات ، وأخرج [بكتمر[2]] العلائى منها إلى طرابلس ومحمد أبوه إلى صفد .

---

(١) فى ف " بالفخرى " ، والتعديل للتوضيح .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٦٠٤ .

وفى هذه السنة أخرج حسام الدين حسن الغورى من مصر بعد عزله من قضاء القضاة الحنفية، فتوجه إلى العراق . وسبب ذلك أنه كان قد توحش ما بينه وبين القضاة [الثلاثة(١) ، لقبح أفعاله . وكان إذا جلس مع السلطان احتوى عليه وخاطبه باللسان التركى ، ونكب على القضاة] . وكان يتجرأ على الناس ويضع منهم ، ولا يزال ينصر المرأة على زوجها إذا شكته إليه حتى يخرج فى ذلك عن الحد . فادعت امرأة عنده على زوجها بما استحق من صداقها وكسوتها ، وأظهرت صداقها عليه فإذا فيه أن المنجم(٢) فى كل سنة دينار . فاستدناها منه ، وأمرها فكشفت عن وجهها وأعجبته ، وقال لأبيها وكان قد حضر معها : "يا مدمغ(٣) ! مثل هذه تزوجها بدينار كل سنة ؟ والله يا مدمغ يساوى مبيتها كل ليلة مائة درهم" (٦٦ ا) والتفت [القاضى] إلى زوجها وقال : "يا تيس ! تستغلى هذه بهذا القدر ؟ والله أنت أدمغ من أبيها ، [هذه يساوى مبيتها] كل ليلة مائة درهم" .

وحكى [القاضى الغورى] عن نفسه فى مجلس الأمير قوصون بحضرة الأمراء ، أنه لما كان محتسبا ببغداد وقف على حانوت حلوانى قد حل صاحبه تمرا وقصّرهُ حتى ابيضّ ، فسأل عنه ، فقال هذه قَسْب(٤) وقصّرته بالبيض ، فقال له : "ويلك ! مجنون أنت ؟ أنا عندى جارية سوداء ، لى عشر سنين أقصرها بالبيض ، وما ابيضت" . وادعت امرأة على زوجها عنده بحق وجب عليه ، فكتب بحبسه ، فقال [له الزوج] : "والمرأة أيضا تكون برواق البغدادية حتى أحصل لها حقها" ، فقال له [الغورى] "ويلك ! أنت مجنون ؟ أنا أكون أحق من البغدادية بهذى ، وتكون عندى أحفظها" ، (٦٦ ب) وأشار لنقيبه(٥) فأخذ المرأة إلى طبقته ، وأقامت عنده مدة حتى أصلح أمرها مع زوجها .

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٥٢٤ ا ، فقط .

(٢) المقصود بهذا اللفظ المال الذى ينبغى تأديته على أقساط فى الأجل المسمى . (محيط المحيط) .

(٣) المدمغ الأحمق ، وصوابه فى اللغة الدميغ أو المدموغ ، وما هنا من لحن العوام (محيط المحيط) .

(٤) القسب تمر يابس . (محيط المحيط) .

(٥) فى ف " لنفسه " ، وما هنا من ب ، ٥٢٤ ب .

وكان [القاضى الغورى] إذا تداعى عنده اثنان يأمر موقعه فيكتب ما يقول أحدهما فى غيبة الآخر ، فإذا انتهى كلامه أخرجه ، وأحضر خصمه فيكتب أيضا مايقول . وكذلك إذا شهد عنده جماعة فرق بينهم ، وكتب ما يقول كل واحد على انفراد ، فكانت المحاكمة لا تنتهى عنده إلا بعد مدة . وكان من الغى[1] على جانب كبير . ودُعى مرة إلى عقد نكاح بعض أولاد الأمراء هو والقضاة الثلاثة ، فلما دخل معهم وقد فرش البيت بالحرير والزركش تجنب[2] القضاة الجلوس على ذلك ، وتنحوا عنه . فجلس هو على مقعد حرير مزركش ، وقال : " ياجماعة الجند أتبصروا (كذا) فعل هؤلاء (١٦٧) يدعوا (كذا) الجلوس على هذا الحرير ، وأقسم بالله لوقدروا عليه باعوه فى الأسواق ، وأكلوا ثمنه " . فضحك من فى المجلس ، ونزل بالقضاة من الخجل مالا يعبر عنه . وتقدم إليه مرة مديون وضامنه فى الدين ضمانَ إحضار ، فادعى عليه غريمه ، فاعترف بما عليه ، وأقر الضامن له بضمانه . وكان المديون رث الهيئة زَرِىّ الحال ، فصاح [القاضى] : " اخرجوا هذا المعثر من قدامى ، ونظر إلى ضامنه وقال : " أعط هذا ماله " . فقال : " يامولانا هذا غريمه أحضرته إليه ، فقال : هاتوا الجحش يعنى الفلقة ، واقتلوا هذا حتى يعطى المال . أنت تلبس المسنجب والفرجيات[3] واللباس الرفيع حتى أخرج هـذا أن يعطى ماله لمعثر " ؛ فلم يجد [الضامن] بدا من التزامه بالمال خوفا من الإخراق .

ورأى [القاضى الغورى] مرة (٦٧ ب) رجلا بيده فروجين ، قد مسك أرجلهما بيده ، وصارت رأسهما إلى أسفل . فأمر به أن يصلب ، فما زال به الناس حتى ضرب به ضربا مؤلما ، وتركه .

وألزم [القاضى الغورى] الشهود أن يكون فى كل مسطور شهادة أربعة ، وأن يكتبوا سكن المديون ؛ ومجونه وجنونه كثير ، له فيه نوادر مستقبحة وقبائح شنيعة . فلما[4] رسم بعزله أثبتت

(١) وصف ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤١) هذا القاضى الغورى بأنه " كان يكثر من السخف ، وكان عظيم الغى ، قليل المعرفة ... " .

(٢) فى ف " تحت " ، وما هنا من ب ، ٥٢٤ ب .

(٣) فى ف " القوصيات " ، وما هنا من ب ، ٥٢٤ ب ، وهو أقرب للمعنى المقصود .

(٤) فى ف " فلم " .

عليه محاضر توجب إراقة دمه ، فقام بعض الأمراء معه ، وما زال ببعض قضاة الشافعية حتى حكم بحقن دمه وتسفيره من مصر .

وفى هذه السنة اتفقت واقعة غريبة ، وهى أن رجلا بوارديا[1] يقال له محمد بن خلف — بخط السيوفيين من القاهرة — قبض عليه فى يوم السبت سادس عشر رمضان ، وأحضر إلى المحتسب ، فوجد بمخزنه من فراخ الحمام والزرازير الملوحة عدة أربعة (٦٨ أ) وثلاثين ألف ومائة وستة وتسعين ، من ذلك فراخ حمام [عدة] ألف ومائة وستة وتسعين فرخا ، وزرازير [عدة] ثلاثة وثلاثين ألف زرزور ، وجميعها قد نتنت وتغيرت ألوانها . فأدب وشهر ، وأتلفت كلها .

وفيها قدم الأمير بيبرس الأحمدى نائب صفد بمن معه [إلى] دمشق[2] ، [وليس بها نائب[3] . فجاء مرسوم السلطان من الكرك بمسكه] ، فقبض عليه أمراؤها[4] ، وأنزلوه بقصر تنكز .

ومات فى هذه[5] السنة من الأعيان جمال الدين إبراهيم بن أيبك الصفدى ، [أخو الصلاح[6] الصفدى] ، فى رابع جمادى الآخرة بدمشق . وكان يتقن عدة صنائع ، وسمع بالقاهرة والشام ، وشدّ أطرافا من الحساب والفرائض ، وغير ذلك .

ومات السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون الألفى الصالحى ، مقتولا بقوص ، وحمل رأسه إلى قوصون .

---

(١) يتضح من سياق العبارة أن البواردى هو تاجر الطيور المحفوظة بالتبريد أو التمليح ؛ انظر كذلك ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٧٢) ؛ ومن المعروف فى إنجلترا وغيرها من البلاد الباردة بغرب أوربا أن طيور الصيد يجرى حفظها لمدة طويلة ، قبل تنظيفها لطبخها وأكلها .

(٢) هذا اللفظ وارد فى ف ، ٥٢٠ ا ، فقط .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن بهادر : كتاب فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر ، ورقة ٢١٧ .

(٤) فى ف " امراوه " ، وما هنا من ب ، ٥٢٠ ا

(٥) فى ف " ومات فيها ... " ، وما هنا من ب ٥٢٠ ا .

(٦) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٥٢٠ ب .

و[مات الأمير علاء الدين (٦٨ ب) ألطنبغا الصالحى نائب دمشق[1] ، وهو أحد المماليك المنصورية قلاون ، وربى عند [السلطان] الناصر محمد ، وتوجه معه إلى الكرك . فلما عاد [الناصر إلى السلطنة] أنعم عليه بإمرة[2] ، وعمله جاشنكيره ، ثم ولاه حاجبا ، ونقله من الحجوبية إلى نيابة حلب ، بعد موت أرغون النائب ؛ فسار سيرة مشكورة . ثم عزله [السلطان الناصر] فى [سبيل] رضى[3] الأمير تنكز ، وأقدمه إلى مصر ، ثم ولاه غزة . ثم ولاه قوصون نيابة الشام ، وآل[4] أمره إلى أن مات مسجونا بالإسكندرية .

و[مات] القان أزبك بن طغرلجا بن منكوتمر بن طغان بن باطو بن دوشى خان بن جنكز خان ، ملك الططر بالمملكة الشمالية ، بعد ما حكم بها مدة ثمان وعشرين سنة ؛ وقام بعده [ابنه][5] جانى بك خان . وكان [أزبك] قد أسلم وحسن إسلامه .

و[توفى] قاضى القضاة الشافعية بحلب برهان الدين إبراهيم (٦٩ ا) بن الفخر خليل ابن إبراهيم [الرسعنى[6]] .

و[مات] الأمير بشتاك الناصرى مقتولا بالإسكندرية ، فى ربيع الآخر . وكان إقطاعه سبع عشرة إمرة طبلخاناه ، تعمل مائتى ألف دينار كل سنة . وأنعم عليه الناصر محمد فى يوم بألف ألف درهم ؛ وكان راتب سماطه كل يوم خمسين رأس غنم وفرسا ، لا بد من ذلك . وكان كثير التيه ، لا يحدث مباشريه إلا بترجمان ، [ويعرف[7] بالعربى ولا يتكلم به] .

ومات الأمير طاجار الدوادار ، قتلا .

---

(١) فى ف " حلب " .

(٢) فى ف " بإمرته وعمل " ، وما هنا من ب ، ٥٢٠ ا .

(٣) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٢٠ ب ، ويتضح المعنى بمقابلة العبارة على نظيرتها فى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٧٣) ، ونصها : "وأقام ألطنبغا بحلب حتى وقع بينه وبين تنكز نائب الشام ، فشكاه تنكز إلى الملك الناصر ، فعزله عن نيابة حلب ، وولاه نيابة غزة ... " .

(٤) فى ف " واولى " ، وما هنا من ب ، ٥٢٠ ا .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من (Zambaur : Genealogie, Tables) .

(٦) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٥٢٠ ب ، فقط

(٧) ما بين الحاصرتين من المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٢ ، حيث توجد ترجمة طويلة لهذا الأمير الذى بلغ من الثروة وسعة الإقطاع ما لم يبلغه الأمير قوصون نفسه .

و[مات] الأمير جركتمر بن بهادر[1] رأس نوبة ، قتلا .

ومات[2] أمير على بن الأمير سلار ، يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر .

و[مات] الأمير سيف الدين قوصون مقتولا بسجن الإسكندرية . رقاه السلطان [الناصر محمد] حتى صار أكبر الأمراء ، يركب فى ثلاثمائة فارس صفين ، قدام[3] كل صف رجل يضرب بالقُبُز[4] كما يركب ملوك المغل[5] ، وكان يفرق كل سنة ثلاثين حياصة ذهب ومائة قباء بسنجاب ، ويفرّق فى عيد (٦٩ ب) الأضحى ألف رأس غنم وثلاثمائة رأس بقر .

وتوفى خطيب الجامع الأموى بدمشق بدر الدين محمد بن قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى .

و[مات] وكيل بيت المال بدمشق نجم الدين محمد [بن] عمر بن أبى القاسم بن عبد المنعم بن أبى الطيب الدمشقى .

و[توفى] الملك الأفضل محمد بن المؤيد إسماعيل بن الأفضل على بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان صاحب حماه[6] ؛ وكان باشرها عشر سنين ، ثم نقل إلى إمرة مائة بدمشق ، فمات بها فى ليلة الثلاثاء حادى عشر ربيع الآخر عن ثلاثين سنة .

و[مات] الأمير موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عصية[7] ابن فضل بن ربيعة أمير (٧٠ ا) آل فضل[8] ، بتدمر .

(١) فى ف ، وكذلك فى ب " بهادر بن جركتمر " . انظر ما سبق هنا .

(٢) هذه الوفاة واردة فى ب ، ٥٢٥ ب ، فقط .

(٣) فى ف " قيام " ، وما هنا من ب ، ٥٢٥ ب .

(٤) القز آلة موسيقية ، وهى كلمة تركية (انظر أقرب الموارد ومحيط المحيط) . وفى العبارة تصوير لركوب الأمير قوصون ، كما أن فيها ما يدل على ضخامة ثروة هذا الأمير . انظر ما سبق هنا ، ص ٥٩٢ ، حاشية ٤ ، وكذلك ما ورد بالصفحة السابقة فى وصف ثروة الأمير بشتاك الناصرى .

(٥) فى ف " الخل " ، وما هنا من ب ، ٥٢٥ ب .

(٦) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٢٥ ب " صاحب حماه بعد ما باشرها عشر سنين ... " ، والتعديل للتوضيح .

(٧) فى ف " تحصيه " ، وما هنا من ب ، ٥٢٥ ب ، وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٧٦) .

(٨) فى ف "الفضل" ، وماهنا من ب ، ٥٢٥ ب ، وابن تغرى بردى (نفس المرجع والصفحة) .

و [مات] الأمير بيبرس السلاح دار الناصرى نائب الفتوحات ، بأياس .

و [مات] شرف الدين بن الملك المغيث صاحب الكرك ، بالقاهرة .

و [مات] عز الدين أيبك ، يوم الاثنين تاسع المحرم .

و [مات] الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى أبو[1] محمد عبد الرحمن ابن يوسف القضاعى المزى[2] الدمشقى بها ، عن ثمان وثلاثين سنة .

و [مات] الأمير عز الدين الكبكى ، يوم الأربعاء ، ثامن عشر المحرم .

و [مات] الأمير تمر الساقى ، يوم الأحد ثامن عشرى ذى القعدة .

و [توفى] تاج الدين بن الفكهانى المالكى ، يوم الاثنين سابع ذى الحجة .

و [مات] مستمراً ولى الدولة أبو الفتوح[3] ابن الخطير ، وكان قد تزوج وهو نصرانى بابنة شرف الدين عبد الوهاب (٧٠ ب) النشو [ناظر الخاص ، قبل اتصاله بالسلطان الناصر محمد ، فلما تولى [النشو نظر] الخاص عظم ولى الدولة ، وتقدم على أخوة النشو] ، وباشر عند عدة من الأمراء . فلما أمسك [النشو أمسك[4]] معه ، وصودر هو وأخوه الشيخ الأكرم ، وما زالا فى الحبس حتى أفرج عنهما فى مرض السلطان [الناصر محمد] الذى مات فيه ، فى جملة من أفرج عنه . وخدم [أبو الفتوح] عند [ملكتمر] الحجازى إلى أن نكب ، وسمر[5] فى يوم السبت سادس عشرى صفر . وكان جميل الوجه حسن الخلق ، يذوق الأدب ، ويحفظ الأشعار والوقائع ، ويعرف الأحاجى والتصحيف .

و [مات] الأمير بدر الدين لؤلؤ الحلبى . وكان ضامن حلب ، [و] قدم القاهرة غير مرة ، ورافع أهلها إلى أن سلمهم السلطان له ، فعاقبهم وأخذ أموالهم ثم ولى شد الدواوين بحلب ، فكثر شاكوه[6] ، فتسلمه الأكز[7] مشد الجهات بديار مصر . ثم نقل إلى شد الدواوين

(١) فى ف " ابى " ، وما هنا من ب ، ٢٥ ب .

(٢) فى ف " المزنى " ، وما هنا من ب ، وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ج ١٠ ، ص ٧٦) .

(٣) فى ب ، ٢٥ ب ، " ابو الفرج " .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى ف ، ٢٦ ا ، فقط .

(٥) فى ف " وعمر " ، وما هنا من ب ، ٢٦ ا

(٦) فى ف " شاكره " ، وما هنا من ب ، ٢٦ ا .

(٧) فى ف " الاخو " ، وما هنا من ب ٢٦ ا .

بالقاهرة ، (٧١ ا) وعزل وأخرج بعد محنة إلى حلب شاد الدواوين . ثم ضرب بالمقارع حتى مات ، قال ابن الوردى :

أشكو إلى الرحمن لؤلؤا الذى أضحى يصادر سادةً وصدورا

نثر الجنوب بل القلوب بسوطه فترى أشاهد لؤلؤا منثورا

سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة . أهلت والناس فى أمر مريج لغيبة السلطان بالكرك ، وعند الأمراء تشوش كبير ، لما بلغهم من مصاب قطلوبغا الفخرى . و [صار] الأمير آقسنقر نائب الغيبة فى تخوف ، فإنه بلغه أن جماعة من مماليك الأمراء الذين قبض عليهم قد باطنوا بعض الأمراء على الركوب عليه ، فترك الركوب للموكب أياما حتى اجتمعوا عنده ، وحلفوا له . ثم اتفق رأيهم على أن كتبوا للسلطان (٧١ ب) كتابا فى خامس المحرم ، بأن الأمور ضائعة لغيبة السلطان ، وقد نافق عربان الصعيد ، وطمع الناس ، وفسدت الأحوال كلها ، وسألوه الحضور . و بعثوا به الأمير طقتمر الصلاحى ، فعاد جوابه فى حادى عشره بأنى قاعد فى موضع أشتهى ، وأى وقت أردت أحضر إليكم . وذكر طقتمر أن السلطان لم يمكنه من الاجتماع به ، وأنه بعث مَن أخذ منه الكتاب ، ثم أرسل إليه الجواب .

و [فيه] قدم الخبر بأن [السلطان[1]] قتل الأمير طشتمر حمص أخضر والأمير قطلوبغا الفخرى ، وذلك أنه قصد أن يقتلهما بالجوع ، فأقاما يومين بلياليهما لا يطعمان طعاماً . فكسرا قيدهما ، وقد ركب السلطان للصيد ، وخلعا باب السجن ليلا ، وخرجا إلى الحارس وأخذا سيفه وهو (٧٢ ا) نائم ، فأحسّ بهما وقام يصيح حتى لحقه أصحابه ، فأخذوهما . و بعثوا إلى السلطان بخبرهما ، فقدم فى زى العربان ، ووقف على الخندق و بيده حربة ، وأحضرهما وقد كثرت بهما الجراحات . فأمر [السلطان] يوسف بن البصارة ورفيقه بضرب أعناقهما ، وأخذ يسبهما و يلعنهما ، فردّا عليه ردًّا قبيحا ، وضرب رقابهما ؛ فاشتد قلق الأمراء .

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٢٦ ب " بأنه " ، والتعديل للتوضيح .

و [فيه] قدم كتاب السلطان إلى الأمراء يطيب خواطرهم ، ويعرفهم أن مصر والشام والكرك له ، وأنه حيث شاء أقام ، ورسم أن تجهز له الأغنام من بلاد الصعيد ، وأكد فى ذلك ، وأوصى آقسنقر بأن يكون متفقا مع الأمراء على ما يكون من المصالح . فتنكرت قلوب الأمراء، ونفرت خواطرهم ، واتفقوا على خلع[1] السلطان و إقامة أخيه إسماعيل ، فى يوم الأربعاء حادى (٧٢ ب) عشريه ، فكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما ، منها مدة إقامته بالكرك ومراسيمه نافذة بمصر أحد وخمسون يوما ، وأقامته بمصر مدة شهرين وأيام .

وكانت سيرته سيئة ، نقم الأمراء عليه فيها أموراً ، منها أن رسله التى كانت ترد من قبله إلى الأمراء برسائله وأسراره أو باش أهل الكرك ، فلما قدموا معه إلى مصر أكثروا من أخذ البراطيل وولاية المناصب غير أهلها . و [منها] تحكمهم[2] على الوزير وغيره ، وحجبهم السلطان حتى عن الأمراء والمماليك وأرباب الدولة ، فلا يمكن أحدا من رؤيته سوى يومى الخميس والاثنين نحو ساعة . ومع ذلك فإنه جمع الأغنام التى كانت لأبيه ، والأغنام التى كانت لقوصون ، وعدتها أربعة آلاف (٧٣ ا) رأس وأربعماية رأس من البقر التى استحسنها أبوه . وأخذ الطيور التى كانت بالأحواش على اختلاف أنواعها ، وحملها على رءوس الحمالين إلى الكرك . وساق الأغنام والأبقار إليها ، ومعهم عدة سقائين وسائر ما يحتاج إليه . وعرض الخيول والهجن ، وأخذ ما اختاره منها ، ومن البخاتى وحمر الوحش والزراف والسباع ، وسيرها إلى الكرك . وفتح الذخيرة[3] ، وأخذ ما فيها من الذهب والفضة ، وهو ستمائة ألف دينار وصندوق فيه الجواهر التى جمعها أبوه فى مدة سلطنته . وتتبع جوارى أبيه حتى عرف المتمولات منهن ، فكان يبعث إلى الواحدة منهن يعرفها أنه يدخل عليها الليلة ، فإذا تجملت بحليها وجواهرها أرسل من يحضرها إليه ، فإذا خرجت من موضعها ندب (٧٣ ب) من يأخذ جميع ما عندها ، ثم يأخذ جميع ما عليها حتى سُلب أكثرهن ما بأيديهن . وعرض

(١) فى ف " خلعه " ، والتعديل للتوضيح .

(٢) فى ف " وتحكمهم " .

(٣) يبدو أن هذا اللفظ جرى فى المصطلح المملوكى بمعنى ممتلكات السلطان من المنقولات عامة .

الركاب خاناه ، وأخذ جميع ما فيها من السروج واللجم والسلاسل الذهب والفضة ، ونزع ما عليها من الذهب والفضة . وأخذ الطائر الذهب الذى على القبة ، وأخذ الغاشية الذهب وطلمات الصناجق ؛ وما ترك بالقلعة مالاً حتى أخذه . وشنع فى قتل أمراء أبيه ، وأتلف موجودهم ، وأحضر حريم طشتمر حمص أخضر من حلب وقد تجهزن للسير ، فأخذ سائر ما معهن ، حتى لم يترك عليهن سوى قميص وسروال لكل واحدة . وأخذ أيضاً جميع ما مع حريم قطلوبغا الفخرى ، حتى لم تجد زوجته سرية تتكز ما تتقوت به ، إلى أن بعث لهم جمال الكفاة شيئاً تحملوا به إلى القاهرة .

(١٧٤) السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون الألفى الصالحى

جلس على تخت الملك يوم الخميس ثانى عشرى المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، بعد خلع أخيه باتفاق الأمراء على ذلك ، لأنه بلغهم عنه أنه لما أخرجه الأمير قوصون فيمن أخرج إلى قوص أنه كان يصوم يومى الاثنين والخميس ، ويشغل أوقاته بالصلاة وقراءة القرآن ، مع العفة والصيانة عما يرمى به الشباب[1] من اللهو واللعب .

وحلف له الأمراء والعساكر ، وحلف لهم السلطان أن لا يؤذى أحدا ، ولا يقبض عليه بغير ذنب يجمع على صحته . ودقت البشائر ، ولقب بالملك الصالح عماد الدين ، ونودى بالزينة .

و [فيه] فرق [السلطان] أخباز الأمراء البطالين ، (٧٤ ب) ورسم بالإفراج عن المسجونين ، وكتب بذلك إلى الوجه القبلى و [الوجه] البحرى ، وأن لا يترك بالسجون إلا من وجب عليه القتل .

و [فيه] أخرج [السلطان عدداً كبيرا] من سجون القاهرة ومصر ، وتوجه القصاد للإفراج عن الأمراء من الإسكندرية .

---

(١) فى ف " اللسان " ، وما هنا من ب ، ٢٧، ٥ ا .

و [فيه] استقر الأمير أرغون العلائى زوج أم السلطان [الصالح] رأس نوبة ، ويكون رأس المشورة ومدبر الدولة وكافل السلطان . واستقر الأمير آقسنقر السلارى نائب السلطنة .

وفى يوم الجمعة ثالث عشريه دعى للسلطان على منابر مصر والقاهرة ، وكتب إلى الأمراء ببلاد الشام بالأمان والاطمئنان ، وتوجه بذلك طقتمر الصلاحى .

و [فيه] كتب تقليد الأمير أيدغمش نيابة الشام ، واستقر عوضه فى نيابة حلب [الأمير] طقزدمر [الحموى نائب حماة] ، واستقر فى نيابة (١٧٠) حماة الأمير علم الدين سنجر الجاولى .

و [فيه] كتب [السلطان] بحضور الحاج آل ملك ، وحضور الأمير بيبرس الأحمدى ، [إلى القاهرة] .

و [فيه] كتب السلطان الملك الصالح إلى أخيه الناصر أحمد بالسلام ، وإعلامه بأن الأمراء أقاموه فى السلطنة ؛ لأنهم علموا أن[1] [الملك الناصر أحمد] ليس له رغبة فى ملك مصر ، وأنه يحب بلاد الكرك والشوبك ، " فهى بحكمك وملكك " . ورغب إليه فى أن يبعث القبة والطير والغاشية والنمجاة ؛ وتوجه بكتاب[2] السلطان الأمير قبلاى .

و [فيه] خرج الأمير بيغرا ومعه عدة أمراء وأوجاقية ، لجر الخيول السلطانية من الكرك .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشريه قدم الأمراء والمسجونون بالإسكندرية ، وعدتهم ستة وعشرون [أميرا] ، منهم قياتمر ، والمرقبى ، وطبيغا المحمدى ، وابن طوغان (٧ ب) جق ، ودقماق ، وأسنبغا بن البوبكرى ، وابن سوسون ، وناصر الدين محمد بن المحسنى والى القاهرة ، وأمير على بن بهادر ، والحاج أرقطاى نائب طرابلس . وفى يوم الخميس تاسع عشريه أوقفوا بين يدى السلطان ، فرسم أن يجلس أرقطاى مكان الجاولى ، وأن يتوجه البقية على أسرهات ببلاد الشام .

وفى يوم السبت أول صفر قدم من غزة الأمير قارى ، والأمير أبو بكر بن أرغون

(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٢٢٧ ب " اله " ، والتعديل للتوضيح .
(١) فى ف " وتوجه به " ، والتعديل للتوضيح .

النائب ، والأمير ملكتمر الحجازى ، وصحبتهم الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد ، والمقدم عنبر السحرتى ، والمماليك السلطانية ، مفارقين للناصر أحمد .

وفيه توجه الأمير طقزدمر [الحموى] لنيابة حلب

وفى يوم الاثنين ثالثه خلع على الأمير علم الدين سنجر (٧٦ ا) الجاولى نائب حماة خلعة السفر ، وخلع على أمير مسعود بن خطير خلعة السفر لنيابة غزة .

و [فيه] خلع على بدر الدين محمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله . واستمر فى كتابة السر بدمشق ، عوضا عن أخيه شهاب الدين أحمد .

و [فيه] رُسم بسمر مماليك قوصون ومماليك بشتاك إلى البلاد الشامية متفرقين ، وكتب للنواب بإقطاعهم الأخباز شيئاً فشيئا .

وفيه استقر الأمير جنكلى بن البابا فى نظر المارستان ، عوضا عن الجاولى .

و [فيه] جلس الأمير آقسنقر [السلارى] النائب بدار النيابة ، بعد ما عمرها وفتح بها شباكا ، ورُسم له أن يعطى الأخباز من ثلاثمائة إلى أربع مائة دينار ، ويشاور فيما فوق ذلك .

و [فيه] استقر المسكين إبراهيم بن قروينة فى نظر الجيش ؛ وعُين ابن التاج (٧٦ ب) إسحاق لنظر الخاص ، عوضا عن جمال الكفاة [ناظر الجيش والخاص] ، لغيبته بالكرك ؛ فقام الأمير جنكلى فى إبقاء الخاص على جمال الكفاة حتى يحضر .

وفى يوم الخميس سادسه توجه [الأمير سنجر] الجاولى وأمير مسعود [بن خطير] ، إلى محل ولايتهما .

وفيه أنعم السلطان على أخيه شعبان بإمرة طبلخاناه ، وعلى خليل بن خاص ترك بإمرة طبلخاناه . ونودى بأن أجناد الحلقة ، ومماليك السلطان وأجناد الأمراء ، لا[1] يركب أحد منهم فرساً بعد عشاء الآخرة ، ولا يقعدوا جماعة يتحدثون .

---

(١) فى ف " ان لا " .

وفى يوم الاثنين رابع عشريه خلع على جميع الأمراء ، كبيرهم وصغيرهم .

وفى يوم الثلاثاء خامس عشريه قدم علاء الدين [على] بن فضل الله كاتب السر ، ومعه جمال الكفاة والشريف شهاب الدين بن أبى الركب ، من الكرك ، مفارقين للناصر أحمد ، (٧٧ أ) بحيلة دبرها جمال الكفاة . و[كان] قد بلغه عن الناصر أنه يريد قتلهم ، خوفا من حضورهم إلى مصر ، ونقلهم ما هو عليه من سوء السيرة ؛ فبذل [جمال الكفاة] مالا جزيلا ليوسف بن البصارة حتى مكّنهم من الخروج من المدينة . وأسرّ إليه السلطان الناصر أنه يبعث من يقتلهم ويأخذ ما معهم ، فعرجوا فى مسيرهم عن الطريق صحبة بدوى من عربان شطى إلى أن قدموا غزة ، فخلصوا ممن خرج فى طلبهم . فأقبل عليهم الأمراء والسلطان ، وخلع عليهم بالاستمرار على وظائفهم .

وفى يوم الخميس سابع عشريه نهب سوق خزانة البنود بالقاهرة ، حتى عمّ النهب حوانيته كلها من النهب فى الجانبين ، وكسرت عدة جرار خمر من خزانة البنود ، وهتكت نساء الفرنج . وبلغ ذلك الوالى ، (٧٧ ب) فركب نائبه لردّ العامة عن الفرنج ، فرجموه وردوه ردّا قبيحا إلى أن احتمى بالمدرسة الجمالية المجاورة لخزانة البنود ، وأساءوا الأدب على الفقهاء المجاورين بها ، فخرجوا يحملون المصاحف ، ووقفوا للسلطان . فرسم [السلطان] بضرب[1] [الوالى] على باب الجمالية ، ونودى من الغد ألا يتعرض أحد لأسير من الفرنج ، وهدد من أخذ لهم شيئا بالشنق .

و[فيه] قدم الخبر من حلب بأنه قد وقع فى بلاد الموصل وبغداد وأصفهان وسائر بلاد الشرق غلاء شديد ، حتى بلغ الرطل الخبز بالمصرى إلى ثمانية دراهم نقرة ، وأكلت الجيف . وصار من مات يلقى فى العراء[2] عجزا عن مواراته ؛ وفنيت الدواب عندهم . ثم عقب هذا الغلاء جراد عظيم سدّ الأفق ، ومنع الناس من كثرته رؤية (٧٨ أ) السماء ، وأكل جميع الأشجار حتى خشبها . وانتشر [الجراد] إلى حلب ودمشق والقدس وغزة ،

---

(١) فى ف " فرسم بضربه " ، والتعديل للتوضيح .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٢٨ ب " القراة " .

فأضرَّ بما هناك ضررا شديدا بالغا ، وأفسد الثمار كلها . فلما دخل [الجراد] الرمل هلك بأجمعه حتى ملأ الطرقات ، وتحسنت أسعار بلاد الشام .

وفى هذا الشهر عقد السلطان على بنت الأمير أحمد بن الأمير بكتمر الساقى من بنت تنكز ، وأصدقها عشرة آلاف دينار . وخلع [السلطان] على [الأمير] قمارى وجميع أقاربها ، وعمل مهما عظيما ؛ ورسم أن يعمل لها بشخاناه[1] وداير بيت زوكش بثمانين ألف دينار .

و [فيه] أنعم [السلطان] على الأمير أرقطاى بتقدمة ألف ، وطُلب ناظر طرابلس بسبب تقرير ما نهب لأرقطاى [أيام نيابته] ، فذكر أنه نهب له شىء كثير ، من ذلك زردخاناه ضمن ثلاثين صندوقا ، فيها نحو اثنى عشر جوشنا[2] ، وفيها (٧٨ ب) بركصطوانات[3] حرير قيمة الواحد منها زيادة على عشرين ألف درهم ، ومن السروج والخيول والخيام والجمال وغيرها شىء كثير . فكتب إلى نواب الشام بتتبع من معه شىء من ذلك ، وحمله إليه .

و [فيه] أخرج الأمير قرمجى الحاجب إلى صفد حاجبا ، بسؤاله .

و [فيه] خلع على قراجا وأخيه أولاجا ، واستقرا حاجبين .

و [فيه] سأل الأمير آقسنقر [السلارى] الإعفاء من النيابه ، فلم يعف .

وفى يوم الخميس حادى عشر ربيع الأول قدم الأمير الحاج آل ملك ، من حماة .

وفيه قبض على فياض بن مهنا ، لشكوى الأمير الحاج آل ملك منه ، وسجن بالقلعة .

و [فيه] رسم للأمير طقتمر الأحدى بنيابة طرابلس ، بحكم وفاة الأمير طينال .

وفيه وقعت منازعة بين الأمير جنكلى بن البابا وبين الضياء المحتسب ، بسبب (٧٩ أ) وقف الملك المنصور أبى بكر على القبة المنصورية ، فإنه أراد إضافته إلى المارستان وصرف

---

(١) البشخاناه لفظ فارسى معناه السرير ، أو ناموسية السرير ، أو غرفة النوم (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) انظر فهرس الألفاظ الاصطلاحية فى آخر الجزء الأول من السلوك .

(٣) فى ف " بركصطلونا " ، والصحيح ما أثبت بالمتن . انظر فهرس الألفاظ الاصطلاحية فى آخر الجزء الأول من السلوك .

متحصله فى مصرف المارستان . فلم يوافقه الضياء ، واحتج بأن لهذا مصرفاً عيّنه واقفه لقراء وخدام ، ووافقه القضاة على ذلك . فاستقرّ وقف المنصور أبى بكر على ما شرطه لطلبة العلم والفقراء والأيتام والقراء ، وقرّر فيه نحو ستين نفراً بمعاليم ما بين خبز ودراهم ، فعمّ النفع به ويعرف اليوم هذا الوقف بالسيفى .

و [فيه] وشى الخدام للسلطان بقاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة ، بأنه قد استولى على الأوقاف هو وأقاربه ، ولم يوصلوا أربابها استحقاقهم . فرسم للطواشى محسن الشهابى والطواشى كافور الهندى بأن يتحدثا فى المدرسة الأشرفية المجاورة للمشهد النفيسى ، وكتب لهما توقيع بذلك ، ورسم لعلم دار بنظر المدرسة (٧٩ ب) الناصرية بين القصرين ، وبنظر جامع القلعة . فشق ذلك على ابن جماعة ، وسعى عند الأمير أرغون العلائى ، فلم ينجح سعيه .

و [فيه] استقر سيف الدين وأخوه من آل فضل على أخباز آل مهنا ، سليمان بن مهنا وأخوته ، بعد ما توفر منها جملة أقطعت للأجناد وأمراء الشام .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشريه رسم للأمير ألطنبغا الماردانى بنيابة حماة ، عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، وخلع عليه وركب البريد من يومه ، وسار فى خمسة من مماليكه ؛ وسبب ذلك ترفعه على الأمير أرغون العلائى .

و [فيه] كتب بحضور [الأمير سنجر] الجاولى إلى نيابة غزة ، عوضاً عن أمير مسعود [بن خطير] ، ونقل أمير مسعود إلى إمرة طبلخاناه بدمشق .

و [فيه] قدم خبر من شطى بأن [الناصر] أحمد قرر مع بعض الكركيين أن يدخل إلى مصر ويقتل السلطان ، فتشوش الأمراء[1] من ذلك ، ووقع الاتفاق[2] على تجريد [العسكر] لقتاله .

وفى يوم الأربعاء رابع عشريه (١٨٠) خلع على شجاع الدين عزلوا والى الأشمون ، واستقرّ فى ولاية القاهرة ، عوضاً عن نجم الدين ؛ واستمرّ نجم الدين على إمرته .

وفى يوم الخميس ثالث ربيع الآخر توجهت التجريدة إلى الكرك صحبة بيغرا ، وهى

(١ ، ٢) هذه الألفاظ غير واضحة فى ف ، لكنها فى ب ، ١٠٢٩ .

أول التجاريد . وعقيب ذلك حدث بالسلطان رعاف مستمر ، فاتهمت أمه أردو أم الأشرف كجك بأنها سحرته ، وهجمت عليها ، وأوقعت الحوطة على جميع موجودها ، وضربت عدة من جواريها ليعترفوا عليها . فلم يكن غير قليل حتى عوفى السلطان ، فرسم بزينة القاهرة ومصر ، وحملت أم السلطان إلى مشهد السيدة نفيسة قنديل ذهب زنته رطلان وسبع أواق ونصف أوقية .

وفى يوم الجمعة خامس عشريه — وهو آخر توت — انتهت زيادة النيل إلى ثمانية عشر ذراعا وتسع أصابع .

وفيه قلعت الزينة لعافية السلطان ، ثم انتكس [السلطان] وعوفى .

وفى يوم الثلاثاء سادس جمادى الأولى (٨٠ ب) قدم الأمير بيبرس الأحمدى [نائب صفد] . وكان من خبره أن الناصر [أحمد] لما كان بالكرك قبل خلعه كتب لآقسنقر نائب غزة أن يركب إلى صفد ويقبض عليه ، وأنه كتب لأمراء صفد بالاحتفاظ عليه . فبلغ ذلك الأحمدى من عيونه ، فركب ليلا بمن معه وهو مستعد ، وخرج من صفد . فتبعه عسكرها ، فمال عليهم وقتل منهم خمسة ، وجرح جماعة وهو منهم . فبلغ ذلك [آقسنقر] نائب غزة ، وقد قرب من صفد ، فكر راجعا إلى غزة ، وكتب بالخبر إلى السلطان [الناصر أحمد] . ومر الأحمدى سائراً إلى دمشق ، وفيها الأمير بيبرس الحاجب وطرنطاى الحاجب . فنزل [الأحمدى] ميدان الحصا ، وخرج الأميران المذكوران فى عدة من العسكر إليه ، فسلموا عليه وتوجعوا له ، ثم عادوا . فقدم فى ثانى يوم قدومه كتاب السلطان [الناصر أحمد] على [نائب دمشق] بإكرامه واحترامه ، ثم قدم من الغد يوسف ابن البصارة بكتاب السلطان [الناصر أحمد] إلى (٨١ ا) أمراء دمشق ، بأنه قد طلب بيبرس الأحمدى إلى الكرك فعصى ، وخرج من صفد بعد ما قتل جماعة منها ، وأمرهم بأخذ الطرقات عليه ومسكه وحمله إلى الكرك . فأخذوا فى أهبة الحرب ، وركبوا لقتاله[1] فى يوم الخميس ثامن المحرم ، وبعثوا إليه سرًّا يعرفونه بما ورد عليهم . فركب [الأحمدى] إلى لقائهم حتى

(١) فى ف " القاله " ، الحوادث وما هنا من ب ، ٢٩ ب .

تراءى الفريقان ، فبعث إليه الأمراء بعض الحجاب يعلمه بمرسوم السلطان فيه ، فأعاد الجواب " بأنى طائع للسلطان إذا كان على كرسى ملكه بمصر ، وأسير إليه وفى عنقى منديل ، ليعاقبنى أو يعفو عنى . وأما سلطان[1] يقيم بالكرك ، ويضرب رقاب الأمراء ، ويهتك حريمهم ويخرجهم بحيث يتصدق الناس عليهم ، ثم يطلبنى إليه ، فلا سمع ولا طاعة . وهأنا لا أسلم نفسى حتى أموت على فرسى ، ومن كان فى نفسه منى فليأت إلى قتالى " .
فلما سمعوا جوابه أمرهم ابن البصارة بأن يهجموا عليه ويمسكوه ، فاحتجوا عليه بأن المرسوم (١٨ ب) لا يتضمن قتاله ، " وهذا الذى قاله يحتاج إلى قتال شديد . ولكنا نكتب إلى السلطان بما اتفق ، ونستأذنه فى قتاله ، ونمتثل ما يرسم به " ، وتكفلوا له بحفظه حتى يعود بالجواب[2] ؛ فمشى ذلك عليه ، وسار بكتبهم . واجتمع الأمراء بالأحمدى ، وكتبوا إلى أمراء مصر بما اتفق ، وكتبوا لأيدغمش نائب حلب وللحاج آل ملك بحماه ، وعرفوا الجميع أن هذا الأمر إن تمادى بهم ركبوا جميعهم وعبروا لبلاد العدو ؛ فكان هذا أكبر الأسباب فى خلع الناصر [أحمد] . ولم يزل [بيبرس الأحمدى] بدمشق حتى كتب إليه الملك الصالح أن يقدم إلى مصر ، فقدمها واستقر على إقطاعه .

وفى هذا الشهر عزل آقبغا عبد الواحد من نيابة حمص ، وأنعم عليه بإمرة مائة بدمشق .

وفى يوم الأحد عاشر جمادى الآخرة خرج أروم بغا السلاح دار لنيابة طرابلس ، غضبا عليه لمكاتبته الناصر أحمد له .

و [فيه] كتب بقدوم طقتمر الأحمدى [إلى القاهرة] .

وفيه (١٨٢ ا) قبض على جمال الكفاة [ناظر الجيش والخاص] ، والموفق ناظر الدولة ، والصفى ناظر البيوت ، وجماعة من الكتاب ، وسلموا لشاد الدواوين .

و [فيه] قبض على ابن رخيمة مقدم الوالى ، ورفيقه . وسبب القبض على جمال

---

(١) فى ف " السلطان " ، وما هنا من ب ، ٥٢٩ ب .

(٢) فى ف " الجواب " ، وما هنا من ب ، ٥٣٠ ا .

السكفاة كراهة [آقسنقر السلارى] النائب له ، لنقله للسلطان أخباره ، مع توقف الدولة على الوزير ، وكثرة شكوى المماليك والخدام .

وكان السلطان قد كثر إنعامه على الخدام[1] وحواشيهم ، وعلى جواريه ، ورتب لهم رواتب كبيرة ، وأنعم عليهم بعدة رزق . وصار كثير من الناس يحملون إلى الخدام الهدايا ، لتستقر لهم الرواتب والمباشرات وغيرها . فكثرت كلف[2] الوزير وطلب الإعفاء ، فرسم له ألا يمضى إلا بما كان بمرسوم الشهيد الملك الناصر محمد ، فوفّر ألفا وأربعمائة دينار فى كل شهر . وأخذ النائب يغرى الأمير أرغون العلائى بجمال السكفاة ، فتعين موسى بن التاج إسحاق لنظر الخاص بسعى الخدام ، وتعين أمين الدين [إبراهيم[3]] (٨٢ ب) بن يوسف المعروف بكاتب طشتمر لنظر الجيش . وإبراهيم بن يوسف هذا كان من سامرة[4] دمشق ، كتب عند الأمير بكتمر الحاجب فأسلم ، ثم كتب بعد مسك بكتمر عند بهاء الدين أرسلان الدوادار ، ثم بعد موته عند الأمير طشتمر حمص أخضر ، ومن بعد موته كتب عند الأمير قارى أستادار . ثم طلب هو وموسى بن التاج فى يوم الاثنين حادى عشرة ليخلع عليهما ، فقام الأمير جنكلى [بن البابا] والحاج آل ملك وأرقطاى فى مساعدة جمال السكفاة ، وتلطفوا بالنائب حتى كف عنه ، على أن يحمل مالا هو ورفيقه . فالتزم [جمال السكفاة] بمائة ألف دينار ، وخلع عليه وعلى بقية المسوكين ، فحمل المال شيئاً بعد شىء ، ثم أعفى عما بقى منه .

وفيه قدم أياز الساقى على البريد بموت أيدغمش نائب الشام فجأة ، فوقع الاختيار على استقرار الأمير طقزدمر [الحموى] فى نيابة الشام ، ويستقرّ (٨٣ ا) عوضه فى نيابة حلب ألطنبغا الماردانى ، ويستقرّ يلبغا اليحياوى عوضه فى نيابة حماة . فكتب بذلك فى يوم الخميس رابع عشره ، وخرج يلبغا اليحياوى إلى نيابته بحماة ، ومعه كل من يلوذ به .

و [فيه] قدم كتاب سليمان بن مهنا يسأل فى الإفراج عن أخيه فياض ، وردّ ما أخرج

(١) موضع هذا اللفظ بياض فى ف ، لكنه فى ب ، ١٥٣٠ ا .

(٢) فى ف " كلفا " ، وما هنا من ب ، ١٥٣٠ ا .

(٣) ما بين الحاصرتين من ، ب ، ١٥٣٠ ا .

(٤) فى ف ، وكذلك فى ١٥٣٠ ا "سمرة" . انظر ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٧٨ .

عن آل مهنا من الإقطاعات ، وإلا سار بعربه إلى الشرق . فأعيدت الإقطاعات إلى مهنا [وأولاده] ، وأوقف إفراج فياض على ضمانه إياه .

[فيه] أنعم على الأمير أرغون العلائى بعشرين ألف دينار ومائتى ألف درهم .

و[فيه] أنعم على الأمير بهادر الدمرداشى بثلاثة بلاد ، زيادة على ما بيده .

و[فيه] قدم الخبر بأن قاضى القضاة الشافعى بدمشق تقى الدين السبكى لما أراد أن يخطب بالجامع الأموى لم يرض به أهل دمشق خطيبا ، وكرهوا خطبته ، ولم يؤمنوا على دعائه ، وصاحوا عليه صياحا منكرا ، وترك جماعة الصلاة ، وقالوا ما نصلى خلفك ؛ فثارت (٨٣ ب) عليه العامة فلما كانت الجمعة الثانية جرى أفحش ما جرى فى الأولى ، فآل الأمر إلى أن أشهد على نفسه أنه ترك الخطابة .

[فيه] قدم الخبر بأن شطى وثب عليه رجل وهو مع العسكر على الكرك ، فضربه بحربة أرداه عن فرسه فحمل إلى بيوته ، وأن العسكر فى شدة من الأمطار وقلة الواصل إليهم ، وأن [الناصر] أحمد ردّ جواب كتاب السلطان إليه بما لا يليق . فكتب [السلطان] لأحمد بتعداد مساوئه ، وتهديده بتخريب الكرك حجرا حجرا ، وكتب بمسير عسكر غزة ، صفد إلى نجدة [الأمير] بيغرا ، وحمل الغلال والإقامات ، وحشد العربان معهم ، ومحاصرة الكرك .

فيه أفرج عن فياض [بن مهنا] بمساعدة الأمير [الحاج] آل ملك ، وسُلِّم إلى [الأمير آقسنقر السلارى] النائب حتى يحضر كتاب أخيه سليمان بن مهنا .

وفيه أنعم على أرغون العلائى بإقطاع قارى بعد موته ، واستقر تمر الموساوى أمير شكار عوضا عن قارى .

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس (١٨١) على العادة ، فقدم عليه التقى السبكى قاضى دمشق ، فأقبل عليه السلطان والأمراء . فلما عاد السلطان من سرحة سرياقوس مرض أياما حتى استرخت أعضاؤه ، وصار العلائى و[آقسنقر السلارى] النائب يدبران أمور الدولة .

و [فيه] ورد الخبر بمافية شطى ، وأنه ركب مع العسكر على الكرك ، وقاتلوا أهلها وهزموهم إلى القلعة . فأذعن [الناصر] أحمد ، وسأل أن يمهل حتى يكاتب السلطان ، ليرسل من يتسلم منه القلعة ، فرجعوا عنه . فلم يكن غير قليل حتى استعد ، وقاتل من معه ؛ فخرج جركتمر الماردانى[1] ليجهز ألفى راجل[2] من غزة وصفد .

و [فيه] أنعم على فياض بالعود إلى بلاده ، فتوجه إليها بعدما حلف على التزام الطاعة ، وأن لا يتعرض لأمور التجار .

وفى رابع عشريه أخرج جماعة من الأمراء إلى الشام ، منهم ملكتمر[3] السرجوانى ، وبكا (٨٤ ب) الخضرى ، وقطلقتمر[4] ، وأباجى ، ويحيى بن طغير [الدين بغا] وأخيه ؛ ثم أعيد ملكتمر من يومه .

و [فيه] قدمت رسل متملك[5] الخطا ، وقد خرجوا من بلادهم سنة تسع وثلاثين [وسبعمائة] ، ومعهم كتاب للسلطان[6] الملك الناصر محمد ، يتضمن أن بعض الفقراء قدم عليهم وأقام عندهم مدة ، وهم يسجدون للشمس عند طلوعها ، فما زال ينكر عليهم ذلك و يدعوهم إلى الإسلام حتى عرف به الملك ، فأحضره إليه وسمع كلامه ، ودعاه إلى الإسلام وهداه الله إليه وأسلم ، فبعث رسله إلى مصر فى طلب كتب العلم و إرسال رجل عارف يعلمهم شرائع الإسلام ، فإن الرجل الذى هداهم به مات . فأقبل السلطان [الملك الصالح إسماعيل] عليهم ، وخلع عليهم ، ورسم بتجهيز الكتب العلمية لهم .

---

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٣٠ ب " الماردينى " ، وما هنا من ابن حجر الدرر الكامنة ، ج ١ ص ٥٣٤).

(٢) فى ف " راجلا " .

(٣) فى ف " جاسكتمر " ، وما هنا من ب ، ٥٣٠ ب .

(٤) فى ف " قطلوا اقتمر " ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣٠٤) .

(٥) تقدمت الإشارة فيما سبق (السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢ ، ٣٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٥١٨) إلى بلاد الخطا ، وهى بلاد متاخمة لصين الحالية ، أو هى الصين كلها فى العصور الوسطى ؛ واسم ملكها المقصود هنا ، نقلا عن القلقشندى (صبح الأعشى : ج ٤ ، ص ٤٨٦) سندمر (Yisun-Timur) ، وهو من سلالة فرع طولى بن جنكزخان . انظر (Lane- Poole : Muh. Dyns. pp, 215, 242) .

(٦) فى ف " السلطان " ، وما هنا من ب ، ٥٣٠ ب .

وفى يوم الاثنين ثانى رجب أنعم على أربعة بإمريات طبلخاناه ، منهم أمير حاجى بن الناصر محمد .

و[فيه] أنعم (١٨٠ ا) على خمسة بإمريات عشرة ، ونزلوا إلى المدرسة المنصورية على العادة بالقاهرة ، فكان يوما مشهودا .

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجوانى ، واستقر فى الوزارة عوضا عن نجم الدين محمود بن على بن شروان وزير بغداد ، لتوقف أحوال الدولة وشكوى المماليك السلطانية من تأخر جوامكهم .

وفى يوم الأربعاء رابعه كانت فتنة رمضان أخى السلطان ، وذلك أنه كان قد أنعم عليه بتقدمة ألف ، فلما خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس تأخر عنه بالقلعة ، وتحدث مع جماعة من المماليك فى إقامته سلطانا . فلما مرض السلطان بالاسترخاء قوى أمره ، وأشاع ذلك ، وراسل[1] بكا الخضرى ومن خرج معه من الأمراء ، وواعد[2] من وافقه على الركوب بقبة النصر . فبلغ ذلك السلطان ومدبر دولته الأمير أرغون العلائى ، فلم يعبأ به إلى أن (١٨٠ ب) أهل رجب جهز الأمير رمضان خيله وهجنه بناحية بركة الحبش ، وواعد أصحابه على[3] يوم الأربعاء . فبلغ الأمير آقسنقر أمير آخور عند الغروب من ليلة الأربعاء ما هم فيه من الحركة ، فركب بمن معه ، وندب عدة من العربان ليأتوه بخبر القوم إذا ركبوا . فلما أتاه خبرهم ركب وسار إليهم ، وأخذهم عن آخرهم من خلف القلعة ليلا ، وساقهم إلى الإصطبل . وعرّف [آقسنقر أمير آخور] السلطان و[أرغون] العلائى[4] من باب السر بما فعله ، فطلباه إليهما ، فصعد بما ظفر به من أسلحة القوم . واتفقوا على طلب إخوة السلطان إلى عنده ، والاحتفاظ بهم . فلما طلع الفجر خرج [أرغون] العلائى من بين يدى السلطان ، وطلب الإخوة ، ووكل ببيت رمضان حتى طلعت الشمس . وصعد الأمراء الأكابر باستدعاء[5] ، وأعلموا بما وقع ، فطلبوا رمضان إليهم فامتنع من الحضور ، وهم

(١) فى ف " باسل " ، وما هنا من ب ، ٥٣١ ب .
(٢) فى ف " واعد " ، وما هنا من ب ، ٥٣١ ب
(٣) فى ف " فى " ، وما هنا من ب ، ٥٣١ ب .
(٤) فى ف " والسلامى " ، وما هنا من ب ، ٥٣١ ب .
(٥) فى ف " بالاستدعا " ، وما هنا من ب ، ٥٣١ ب .

يلحون فى طلبه (٨٦ ا) إلى أن خرجت أمه وصاحت عليهم ، فعادوا عنه إلى [أرغون] الملائى . فبعث [أرغون] عدة من الخدام والمماليك لإحضاره ، فخرج [رمضان] فى عشرين مملوكا إلى خارج باب القلة ، وسأل عن النائب [آقسنقر[1] السلارى] ، فقيل له إنه عند السلطان مع الأمراء ، فمضى إلى باب القلعة وسيوف أصحابه مصلتة ، وركب من خيول الأمراء ، ومر بمن معه إلى سوق الخيل تحت القلعة ، فلم يجد أحدا من الأمراء ، فتوجه جهة قبة النصر . ثم وقف [رمضان] ومعه بكا الخضرى ، وقد اجتمع الناس عليه .

[وبلغ السلطان والأمراء خبره] ، فأخرج بالسلطان محمولا بين أربعة لما به من الاسترخاء ، وركب النائب وآقسنقر أمير آخور وقارى أخو بكتمر . وأقام أكابر الأمراء عند السلطان ، ووقفت أطلابهم تحت القلعة ، وضربت الكوسات حربيا ، ونزل النقباء فى طلب الأجناد . فوقف النائب بمن معه تجاه رمضان وقد كثر جمعه (٨٦ ب) من أجناد الحسينية ومن مماليك بكا ومن العامة ، وبعث يخبر السلطان بذلك ، فمن شدة انزعاجه نهضت قوته ، وقام على قدميه يريد الركوب بنفسه . فقام الأمراء وهنوه بالعافية ، وقبلوا له الأرض ، وهونوا عليه أمر أخيه . فأقام [السلطان] إلى بعد الظهر ، والنائب يراسل رمضان ويعده الجميل ، ويخوفه العاقبة ، وهو لا يلتفت إلى قوله . فعزم النائب على الحملة [عليه] بمن معه ، وسار فلم يثبت العامة والمتجمعة من الأجناد مع رمضان ، وانفلوا عنه ، فانهزم [رمضان] هو وبكا الخضرى فى عدة من المماليك ، وتوجهوا نحو البرية ، والأمراء فى طلبه ؛ ثم عاد النائب إلى السلطان .

فلما كان بعد عشاء الآخرة من ليلة الخميس ، أحضر برمضان وبكا ، وقد أدركوهما بعد المغرب عند البويب[2] ، (٨٧ ا) ورموا بكا بالنشاب حتى ألقوه عن فرسه ، وقد وقف فرس رمضان من شدة السوق . فوكل[3] برمضان من يحفظه ، وأذن الأمراء بنزولهم

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق هنا ، ص ٦٢٠ . انظر كذلك ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٩٤) .

(٢) الواضح من المتن أن هذا الموضع غير بعيد عن القاهرة ، ووصف ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٦٤) موضعا بهذا الاسم بأنه " مدخل أهل الحجاز الى مصر " .

(٣) فى ف " وتوكل " ، وما هنا من ب ، ٥٣٢ ا .

بيوتهم فنزلوا ، وطلعوا بكرة يوم الخميس إلى الخدمة على العادة .

وجلس السلطان وطلب مماليك رمضان ، [فأحضروا . وأمر السلطان بحبسهم] ، وحبسوا أياما ، ثم فرقوا على الأمراء

و [فيه] رسم لجمال الكفاة بتجهيز التشاريف للأمراء الأكابر ، فحمل إلى كل من الأمير جنكلى بن البابا ، والأمير بيبرس الأحمدى ، والأمير الحاج آل ملك ، والأمير قمارى ، والأمير أرقطاى ، تشريف كامل وألف دينار ، وللنائب [آقسنقر السلارى] تشريف وألفا دينار وفرسان ، ولمقدمى الحلقة [تشاريف] بأقبية سادجة[1] مروزى[2] ، لأجل إعادتهم ، فإنها كانت بغااليطق[3] ملونة .

وفى يوم الخميس ثانى عشره أمّر [السلطان] ستة أمراء .

وفى يوم الاثنين سادس عشره (٨٧ ب) قدم الأمير بيغرا ومن معه من العسكر المجرد لقتال الناصر أحمد ، بعد ما حاربوه . و [كان قد] جرح منهم جماعة ، وقلت أزوادهم ، فكتب [السلطان] بإحضارهم [إلى الديار المصرية] ؛ ولما مثلوا بالخدمة خُلع عليهم .

و [فيه] كتب [السلطان] باستقرار طرنطاى البشمقدار فى نيابة غزة ، عوضاً عن الجاولى ؛ وقدم الجاولى إلى مصر .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشريه وُسّط الأمير بكا الخضرى ، ومعه مملوكان من المماليك السلطانية ، بسوق الخيل تحت القلعة .

وفى هذا الشهر استجد السلطان بالقلعة عمارة جليلة ، وأقام آقجبا الحموى شاد العمائر ، وقرر على أرباب الدواوين رخاما يحملونه إليها . وقصد بذلك محاكاة [عمارة[4] الملك]

---

(١) فى ف " سادج " ، وما هنا من ب ، ٢٣٠ ا . والسادج بالدال تحريف للفظ الفارسى المعرب " سادج " ، ومعناه ما لا نقش فيه من القماش مثلا (محيط المحيط) ، ولعل هذا التحريف هو مصدر اللفظ العامى المصرى " سادة " ، ومعناه كذلك مالا نقش فيه من القماش أو غيره .

(٢) المروزى قماش سميك من الحرير الجيد أو القطن ، والنسبة إلى مدينة مرو التى اشتهرت بهذا النوع من القماش (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٣) فى ف " بغاالطيف " ، وفى ب ، ٢٣٠ ا ، " بعاليط " انظر فهرس الألفاظ الاصطلاحية فى آخر الجزء الأول من السلوك .

(٤) ما بين الحاصرتين من ب ٢٣٠ ا .

المؤيد بحماه المعروفة بالدهيشة[1] . فتوجه آقجبا وأبجيج المهندس إلى حماه حتى عرفا ترتيبها .
وكتب [السلطان] إلى حلب يطلب ألفى حجر أبيض ، وألفى حجر أحمر من دمشق ،
فحملت وسخر (١٨٨) لها الجمال ، فبلغت أجرة الحجر منها ثمانية دراهم من دمشق. واثنى
عشر درهما من حلب . ووقع الاهتمام فى العمل ، فكان المصروف فى العمارة كل يوم عشرة
آلاف درهم .

وفى هذا الشهر أيضاً وقف السلطان الملك الصالح ثلثى ناحية سنديس ، من القليوبية ،
على ستة عشر خادما لخدمة الضريح الشريف النبوى ؛ فتمت عدة خدام الضريح الشريف
أربعون خادما .

وفى يوم الخميس رابع شعبان قدم الأمير علم الدين سنجر الجاولى من غزة .

و [فيه] قدم البريد بموت [الأمير] أرنبغا نائب طرابلس ، فعملت عليه أوراق بحقوق[2]
سلطانية مبلغها ألفا ألف درهم .

و [فيه] قدمت أولاد الأمير أيدغمش من دمشق ، فألزموا بتفاوت[3] الإقطاعات
التى انتقلت إلى أبيهم من مصر وحلب ودمشق ، فبلغت جملة كثيرة باعوا فيها خيولا وعصابة

---

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٢٣٢ ب ، " الدهشة " ، وما هنا من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٢) . انظر كذلك ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، س ٨٩ ، حاشية ٤) حيث ورد أن هذه القاعة كانت تقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من جامع محمد على بالقلعة الحالية .

(٢) أورد المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٠٥) قائمة طويلة بأنواع المكوس والمقررات التى جرى المصطلح المملوكى على تسميتها الحقوق السلطانية بالبلاد المصرية ، ولا بد أن أشباهها ببلاد الشام لم تقل عن هذه الحقوق تنوعا وإمعانا فى ابتزاز الأموال .

(٣) جرى هذا المصطلح فى الدولة المملوكية على العملية الحسابية التى يقوم عليها ديوان الجيش ، لمعرفة مبلغ ما استولى عليه المنتفع بالإقطاع من الضرائب والمقررات والحقوق مدة انتفاعه ، حسب السنين الهجرية ، مع أن هذه الضرائب والمقررات والحقوق يكون جمعها حسب السنوات الميلادية ، التى ترتكز إليها مواسم المحاصيل والزراعة . ويكون ذلك الحساب عند انتهاء هذه المدة بالعزل أو الانتقال أو الوفاة ، وفى الحالة الثالثة يكون الورثة مسئولين عن تفاوت إقطاعات أبيهم الى ديوان الجيش ، كما هنا . انظر (Poliak : Feudalism in the Middle East. p. 22) ، وما به من المراجع العربية ، وكذلك أبو الفداء (المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٥٤) حيث ورد تعريف واضح لتفاوت الإقطاع فى أخبار سنة ٧٤٦ هـ ، ونصه . " ومنها كتب ... ما مضمونه مسامحة الجند بما كان يؤخذ منهم لبيت المال بعد وفاة الجندى والأمير ، وذلك أحد عشر يوما وبعض يوم فى كل سنة ، وهـذا القدر هو التفاوت بين السنة الشمسية والقمرية ، وهذه مسامحة بمال عظيم " .

مرصعة لأمهم (٨٨ ب) بلغت مائة ألف درهم . وباعوا حمام أيدغمش أبيهم[1] خارج باب زويلة إلى[2] خوندطغاى[3] ، وعدة أملاك أيضا .

وفى يوم السبت ثالث شوال توفى الأمير بهادر الجوبانى .

وفى عاشره توجه الأمير بيبرس الأحمدى والأمير كوكاى فى ألفى فارس تجريدة لقتال [الناصر] أحمد بالكرك ، وهى ثانى تجريدة . وكُتب بخروج تجريدة من دمشق ، وحمل المنجنيق ونصبه على الكرك .

وفى يوم الاثنين ثانى عشريه صار نقل الأمير يلبغا اليحياوى إلى حماة مع طُلْبه ، فركب الأمير أرغون العلائى فى عدة من الأمراء حتى زيّن خيله زينة عظيمة ، ورتبها بنفسه ، وشقوا القاهرة ، وكتب لهم بالإقامات فى الطرقات .

وفيه أيضا أعيد نجم الدين محمود وزير بغداد إلى الوزارة ، وأعفى ملكتمر السرجوانى منها لتوقف أحوال (٨٩ ا) الدولة . وخلع على جمال الكفاة ، واستقر مشير[4] الدولة ، بسؤال وزير بغداد فى ذلك ؛ فنزلا معا بتشاريفهما . وصار جمال الكفاة يطلع بكرة النهار إلى باب القلة و [معه] الوزير ، فيصرفان الأشغال . وطلب[5] [جمال الكفاة] ضمان جميع الجهات ، وزاد فى كلّ جهة نحو العشرين ألف درهم ، ومنع أن يحمل [شىء[6]] من

---

(١) فى ف " لابيهم " ، وما هنا من ب ، ٥٣٢ ب .

(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٣٢ ب " من " ، وبهذا التغيير يستقيم المعنى .

(٣) هذه الخوند هى زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاون ، وعاشت بعده حتى سنة ٧٤٩ هـ . انظر المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ .

(٤) لم يستطع الناشر أن يجد إشارة إلى هذه الوظيفة ، أو أن يعثر على تعريف لها ، فى مرجع من المراجع المتداولة بهذه الحواشى . ويبدو — إن صح وجود هذه الوظيفة فى التنظيم المملوكى — أنها من المستحدثات التى أريد بها إنشاء وظيفة موازية لوظيفة مدبر الدولة (انظر السلوك ، ج ١ ، ص ٤٠٥ ، ٧٣٥ ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ ، ٥٥١ ، ٦٢٠) ليلأها الأمير الذى تحطه هذه الوظيفة الثانية ، أو أنها نوع من التقنين لوظيفة رأس المشورة التى سبق ورودها هنا (ص ٥٥١ ، ٦٢٠) . انظر كذلك ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٧٩) حيث ورد أن الأمير إبراهيم جمال الكفاة تولى وظيفة " نظر الدولة " ، لا " مشير الدولة " ، بالإضافة إلى نظر الجيش والخاص .

(٥) فى ف ، وكذلك فى ب " وطلبا " .

(٦) ما بين الحاصرتين من ب ، ٥٣٢ ب

مال الجيزة ، ولا يصرف منها إلا بمرسوم السلطان ؛ فشت أحوال الدولة .

وفى يوم الأربعاء خامس ذى القعدة استقر لاجين أمير آخور ، عوضا عن الأمير آقسنقر الناصرى . وسبب ذلك أنه سأل أن يتزوج بخوند أردوأم الأشرف كجك ، فأجيب إلى ذلك وتزوّج بها ؛ وكانت جميلة الصورة . ثم بعد زواجها بأيام سأل [الأمير آقسنقر] أن يمشى صرغتمش الناصرى فى خدمته ، وكان قد اشتراه [السلطان] الناصر محمد بنحو مائة ألف درهم ، [دفع] عنها [السلطان] قريبا من نحو خمسة (٨٩ ب) آلاف دينار مصرية ، لجماله ؛ و بسببه كانت فتنة [الأمير] قوصون مع المماليك السلطانية ، لما طلبه بالليل . وكان آقسنقر يهواه وهو يترفع عليه ، فاستشار السلطان الأمير أرغون العلائى فى إرسال صرغتمش إلى آقسنقر ، فأنكر ذلك . ثم طلب [السلطان] صرغتمش ، وعرفه[1] بطلب آقسنقر له ، فامتنع أشد امتناع ، وقال : " أقتل نفسى ، ولا أمضى إليه وأمشى فى خدمته " . فبعث السلطان إلى قارى والحجازى والنائب [آقسنقر السلارى] وعرّفهم بذلك كله ، فكلهم أنكر على آقسنقر [الناصرى] طلبه صرغتمش وعابه ؛ وأخذ الحجازى يتلطف بآقسنقر [الناصرى] حتى كفّ عن طلبه على كره .

ثم رسم [السلطان] لآقسنقر [الناصرى] أن يتوجه مع التجريدة إلى الكرك ، وحمل إليه عشرة آلاف دينار وخمس مائة جمل . وأخذ الأمراء فى حمل التقادم إليه على حسب هممهم (١٩٠ ا) حتى لم يبق إلا سفره . [ثم] تخيل الأمير أرغون العلائى من سفره أن يخامر مع [الناصر] أحمد ، فبعث إليه يمنعه من السفر ، فشقّ عليه ذلك ولم يوافق ، فأرسل إليه السلطان الأمير قارى أستادار ، فتلطف به حتى وافق بشرط الإعفاء من الأمير آخورية فأعفى ؛ وسكن الحجازى بالأشرفية من القلعة ، وتحول آقسنقر إلى دار الحجازى .

وفى هذه السنة بعث أرتنا صاحب الروم بهدية جليلة صحبة قاضى الروم ، وسأل أن تجرى على ما كان عليه [الأمر] فى أيام الشهيد [السلطان الناصر محمد] من تجهيز التقليد بنيابة الروم .

---

(١) فى ف " عرف " ، وما هنا من ، ٥٣٣ ا .

وفيها رتب السلطان دروساً للمذاهب الأربعة بالقبة المنصورية ، ووقف عليها[١] وعلى قراء وخدام وغير ذلك ناحية دهشنا من الشرقية[٢] ، فاستمر ذلك ، وعُرِف بوقف الصالح .

وفيها استقر (٩٠ ب) علاء الدين على بن عثمان بن أحمد بن عمرو بن محمد الزرعى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب ، عوضا عن البرهان إبراهيم الرسعنى . ثم صُرِف [الزرعى] ببدر الدين إبراهيم بن الصدر أحمد بن عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشاب المصرى .

وفيها ولدت امرأة بدمشق مولودا ، برأسين وأربعة أيدى .

وفيها كان بعرفة يوم عرفة فتنة بين العرب والحجاج من قبل الظهر إلى غروب الشمس قتل فيها جماعة . [و] سببها أن الشريف رميثة بن أبى نمى[٣] أمير مكة شكا من بنى حسن إلى أمير الحاج . فركب [أمير الحاج] فى يوم عرفة بعرفة لحربهم ، وقاتلهم وقتل من الترك ستة عشر فارسا ، وقتل من جماعة بنى حسن عدة ، وانهزم بقيتهم . فنفر الناس من عرفة على تخوف ، ولم ينهب لأحد شىء ، ولا تزال بنو حسن بغى . ثم رحل (٩١ ا) الحاج بأجمعهم يوم النفر الأول ، ونزلوا الزاهر خارج مكة ، وساروا منه ليلا إلى بطن مرو .

وفى يوم الخميس ثانى عشر ذى الحجة رسم بتجريد الأمير أبى بكر بن أرغون النائب ، والأمير أصلم ، والأمير أرنبغا

و بلغت زيادة النيل فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعا وتسع أصابع

ومات فيها من الأعيان برهان الدين إبراهيم بن محمد السفاقسى المالكى فى ذى الحجة ، وله إعراب القرآن ، وشرح ابن الحاجب فى الفقه .

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٣٢ ا " عليهم " .
(٢) بل هذا اللفظ فى ف عبارة " بعد موت " ، وفى ب ٥٣٣ ا " بعد موت السلطان " .
(٣) فى ف " يحيى " ، وما هنا من ب ٥٣٣ ب ، وهو الصحيح .

و [مات] الأمير أرنبغا الناصرى ، نائب طرابلس .

و [مات] الأمير أيدغمش الناصرى ، نائب الشام .

و [مات] الأمير بيبرس الأحمدى الحاجب وهو بدمشق ، فى رجب . وهو أحد المماليك الناصرية ، ترقى فى الخدم حتى صار أمير آخور ، ثم عزل بأيدغمش ، واستقر حاجبا . (٩١ ب) وتجرد إلى اليمن ؛ ثم لما عاد سجن فى العشرين من ذى القعدة سنة خمس وعشرين ، وأقام معتقلا تسع سنين وثمانية أشهر إلى أن أفرج عنه فى ثانى عشرى رجب سنة خمس وثلاثين . وأخرج إلى حلب أميرا بها ، ثم نقل إلى إمرة بدمشق ، فى سنة تسع وثلاثين ، فما زال بها حتى مات . وله دار بالقاهرة داخل باب الزهومة بحارة العدوية[1] ، وحفيده أمير على بن أمير أحمد بن الحاجب المقرى .

[ومات[2] الأمير بكا الخطيرى مقتولا ، فى رابع عشرى رجب . ومات الأمير بهادر الجوبانى رأس نوبة] .

و [مات] الأمير قمارى أمير شكار ، يوم الاثنين خامس جمادى الأولى .

و [مات] الأمير طشتمر حمص أخضر نائب صفد وحلب ، مقتولا بالكرك .

و [مات] الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية ابن فضل أمير آل فضل ، بظاهر سلمية .

و [مات] الأمير طيبال نائب صفد ونائب غزة ونائب (٩٢ ا) طرابلس ، وهو بصفد ، فى يوم الجمعة رابع ربيع الأول .

و [توفى] تاج الدين أبو المحاسن عبد القادر بن عبد المجيد بن عبد الله بن متى اليمانى المخزومى الشافعى الأديب الكاتب ، بالقدس عن ثلاث وستين سنة . قدم القاهرة وأقام بها ، وله شعر جيد .

---

(١) فى ف " تجاه القرونين " ، وما هنا من ب ، ٥٣٣ ب ، والمقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٩ ، ٥١ — ٥٢ .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٥٣٣ ب ، وفى ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٠٤ .

و [مات] الحاجب صلاح الدين محمد بن إبراهيم ، المعروف بابن البرهان .

و [توفى] فخر الدين محمد بن يحيى بن عبد الله بن شكر المالكى ، بمصر عن سبعين سنة .

و [توفى] المقرئ بدر الدين محمد بن أحمد بن نصحان الدمشقى ، شيخ القراء بها ، عن خمس وسبعين سنة .

و [مات] الأمير قطلوبغا الفخرى نائب الشام ، مقتولا بالكرك .

و [مات] سعد الملك مطرف ، فى حادى عشرين جماد الأولى .

* * *

سنة أربع وأربعين وسبعمائة

يوم الاثنين مستهل المحرم قدم مبشر الحاج ، وأخبر بكثرة ما كان فى (٩٢ ب) هذه الحجة من المشقات . وذلك أنه لما كان يوم عرفة تنافر أشراف مكة مع الأجناد من مصر ، فركبوا لحربهم بكرة النهار ، ووقفوا للحرب صفين . فمشى [الشريف] عجلان بينهم ، فلم تطعه الأشراف ، وحملوا على الأجناد وقاتلوهم ، فقتل منهم ومن العامة جماعة . وأبلى الشريف [عجلان[1]] بن عقيل ؛ وأبلى [كذلك] الأمير أيدمر بلاء عظيما ، فعانبه بعض مماليك الأمير بشتاك ، ورماه بسهم فى صدره ألقاه عن فرسه ، وقتل معه أيضاً جماعة ، وآل الأمر إلى نهب شىء كثير ؛ ثم تراجع عنهم الأشراف .

وفيه قدم عيسى بن فضل بقود أخيه سيف بن فضل على عادته . وكان سليمان بن مهنا قد سافر إلى بلاده ، فأكرمه السلطان وأنعم عليه ، وأنزله [منزلة حسنة] .

وفى يوم السبت سادسه قدم من الكرك (٩٣ ا) الطواشى صفى الدين جوهر ورفيقه مختار ، فارين من [الناصر] أحمد .

وفى يوم الأحد سابعه خرج المجردون إلى الكرك من القاهرة ، صحبة الأمير أصلم والأمير بيبغا حارس الطير .

وفى يوم الأربعاء عاشره قبض السلطان على أربعة أمراء ، وهم [الأمير] آقسنقر

(١) ما بين الحاصرتين بياض فى ف .

السلارى نائب السلطنة ، و[الأمير] بيغرا أمير جاندار صهره ، و[الأمير] قراجا الحاجب ، وأخيه أولاجا ؛ وقيدوا ورسم بسجنهم فى الإسكندرية .

و[فيه] خرج الأمير بلك[1] على البريد إلى الجردين إلى الكرك ، فأدركهم على السعيدية ، فطيب خواطرهم ، وأعلمهم بالقبض على الأمراء ، وعاد سريعاً ؛ فقدم قلعة الجبل طلوع الشمس من يوم الخميس حادى عشره ، [وبعد وصوله[2] قبض السلطان] على الأمير طيبغا الدوادار الصغير .

وسبب [قبض السلطان على هؤلاء الأمراء[3]] أن الأمير آقسنقر [السلارى] كان فى نيابته لا يردّ قصة ترفع إليه ، (٩٣ ب) فقصده الناس من الأقطار ، وسألوه الرزق والأراضى التى أنهوا أنها لم تكن بيد أحد ، و[كذلك] نيابات القلاع وولايات الأعمال والرواتب وإقطاعات الحلقة . فلم يردّ أحدا سأله شيئاً من ذلك ، سواء كان ما أنهاه صحيحا أم باطلا . فإذا قيل له هذا الذى أنهاه يحتاج إلى كشف تغير وجهه ، وقال : " ليش تقطع رزق الناس ؟ " . فإذا كتب بالإقطاع لأحد ، وحضر صاحبه من سفره أو تعافى من مرضه وسأله فى إعادته ، قال له : " رح خذ إقطاعك " ، أو يقول له : " نحن نعوضك " . ففسدت الأحوال ، [ولا] سيما بالمملكة الشامية ، فكتب النواب بذلك للسلطان ، [فكلمه السلطان] فلم يرجع ، وقال : " أنا أى من طلب منى شيئاً أعطيته ، وما أرد قلبى عن أحد " ، بحيث أنه كانت تقدّم له القصة وهو يأكل فيترك (١٩٤) أكله ويكتب عليها من غير أن يعرف ما فيها ؛ فأغلظ له بسبب ذلك آقسنقر الناصرى أمير آخور . واتفق مع ذلك أنه وشى به أنه يباطن للناصر أحمد ، ويواصل كتبه إليه ؛ فقرر [أرغون] العلائى مع السلطان مسكه ، فمسك هو وحاشيته .

(١) فى ف " ال ملك " ، وفى ب ، ٥٣٤ ا " بلك " ، وما هنا من ابن تغرى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٨٦ .

(٢) موضع ما بين الحاصرتين فى ف ، وكذلك فى ب ٥٣٣ ب "فقبض" ، وما هنا من ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٨٦ .

(٣) عبارة ف ، وكذلك ب ، ٥٣٣ ب ، "وسبب ذلك أن الامير" ، وما هنا من ابن تغرى : نفس المرجع والجزء والصفحة .

وفى يوم الجمعة ثانى عشره خلع [السلطان] على [الأمير] الحاج آل ملك ، واستقر فى نيابة السلطنة ، عوضا عن آقسنقر السلارى . وكان العلائى قد قرر مع السلطان أن يعرض على الأمراء نيابة السلطنة ، فأول من عرضت عليه الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا فامتنع ، فقالوا بعده الأمير [الحاج] آل ملك ، فأظهر البشر وأجاب لها إن قبلت شروطه . فلما طلع [الأمير الحاج آل ملك] لصلاة الجمعة على العادة ، اشترط على السلطان ألا يفعل شيئاً فى المملكة إلا برأيه ، وأنه يمنع الخمر من البيع ، ويقيم منار الشرع ، وأنه (٩٤ ب) لا يعارض فيما يفعله . فقبل السلطان شروطه ، ولبس [الأمير الحاج آل ملك] تشريف النيابة بجامع القلعة ، بعد صلاة الجمعة . وأنعم عليه [السلطان] زيادة على إقطاع النيابة بناحيتى المطرية والخصوص ، ومتحصلهما أربعمائة ألف وخمسين ألف [درهم[1]] .

وفى يوم السبت ثالث عشره خلع [السلطان] على منكلى[2] بغا الفخرى ، واستقر أمير جندار ، عوضا عن بيغرا .

وفيه فتح شباك النيابة ، وجلس فيه الأمير [الحاج] آل ملك للمحاكمات . فأول ما بدأ به أن أمر والى القاهرة بأن ينزل إلى خزانة البنود بالقاهرة ، ويحتاط على ما بها من الخمر والبغايا ، ويخرج من فيها من النصارى الأسرى ، ويريق ما هناك من الخمور ، ويخربها حتى يجعلها دكاً . وسبب ذلك أن خزانة البنود كانت يومئذ خانة ، بعد ما كانت سجنا يسجن فيه الأمراء (١٩٠ ا) والجند والمماليك ، كما أن خزانة شمائل سجن لأرباب الجرائم من اللصوص وقطاع الطريق فلما كانت دولة [السلطان] الملك الناصر [محمد بن قلاون] بعد عوده من الكرك ، وشغف بكثرة العمارات ، اتخذ الأسرى وجلبهم إلى مصر من بلاد الأرمن وغيرها ، وأنزل عدة كثيرة منهم بقلعة الجبل ، وجماعة كثيرة بخزانة البنود . فملأ [أولئك الأرمن خزانة البنود] حتى بطل السجن بها ، وعمرها [السلطان] الناصر مساكنا [لهم] ، وتوالدوا بها ، وعصروا الخمور ، بحيث أنهم عصروا فى سنة [واحدة[3]] اثنتين

---

(١) ما بين الحاصرتين من ب ، ٣٥٠ ا .

(٢) فى ف "جنكلى" ، وما هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٩١)

(٣) ما بين الحاصرتين من ب ، ٣٥٠ ا .

وثلاثين ألف جرة ، باعوها جهارا وكان لحم الخنزير يعلق عندهم على الوضم ، و يباع من غير احتشام . واتخذوا عندهم أماكن لاجتماع الناس على المحرمات ، فيأتيهم الفساق و يظلون عندهم الأيام على شرب الخمور ومعاشرة العواهر والأحداث ففسدت حرمٌ كثيرة من الناس (٩٠ ب) وكثير من أولادهم وجماعة من مماليك الأمراء فساداً شنيعا ، حتى إن المرأة إذا تركت أهلها أو زوجها ، أو الجارية إذا تركت مواليها ، أو الشاب إذا ترك أباه ، ودخل عند الأرمن بخزانة البنود لا يقدر أن يأخذه منهم ، ولو كان من كان .

فقام الأمير [الحاج] آل ملك فى أمرهم ، وفاوض [السلطان] الملك الناصر محمد بن قلاون فى فسادهم غير مرة ، فلم يجبه إلى أن أكثر عليه فغضب [السلطان] عليه ، وقال له : " يا حاج ! كم تشتكى من هؤلاء ، إن كان ما يعجبك مجاورتهم انتقل عنهم " . فشق ذلك عليه ، وركب إلى ظاهر الحسينية واختار مكانا ، وعمّره دارا ، وأنشأ بجانبها جامعا ، وحماما وربعا وحوانيتَ .

و بقيت فى نفسه حزازات حتى أمكنته القدرة منهم ، وانبسطت يده فيهم بكونه نائب السلطان ، فنزل والى القاهرة ومعه الحاجب وعدة من أصحاب (٩٦ ا) النائب وهجموا خزانة البنود ، وأخرجوا جميع سكانها ، وكسروا أوانى الخمور ، فكانت شيئاً يجل وصفه كثرة . وهدموها واشترى أرضها الأمير قارى من بيت المال ، وتقدم إلى الضياء المحتسب أن ينادى بتحكيرها ، فرغب الناسُ فى أرضها واحتكروها ، و بنوها دورا وطواحينَ وغيرها .

وقد ذكرنا أخبار خزانة البنود فى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ذكرا شافيا ، فكان يوم هدم خزانة البنود يوماً مشهوداً من الأيام المشهورة المذكورة ، عَدَل هدمها فتح طرابلس وعكا ، لكثرة ما كان يعمل فيها بمعاصى الله .

ثم طلب النائب والى القلعة ، وألزمه أن يفعل مثل ذلك ببيوت الأسرى من القلعة ، فمضى إليها وكسر جرار الخمر التى بها ، وأنزلهم من القلعة ، وجمعهم مع نصارى خزانة البنود

فى موضع (٩٦ ب) بجوار الكوم، فيما بين جامع ابن طولون ومصر، فنزلوه[1] واتخذوا به مساكنهم، واستمروا بها إلى اليوم.

وكانت الأسرى التى بالقلعة من خواص الأسرى، وعليهم كان يعتمد [السلطان] الملك [الناصر محمد بن قلاون] فى أمر عمائره، وكانوا فى فساد كبير مع المماليك وحرم القلعة، فأراح [الله] منهم.

ثم [رسم الأمير الحاج آل ملك] النائب بتتبع أهل الفساد، فمنع الناس من ضرب الخيم على شاطئ النيل بالجزيرة وغيرها للنزهة، وكانت محل فساد كبير لاختلاط الرجال فيها بالنساء، وتعاطيهم المنكرات.

واقترح [الأمير الحاج آل ملك] فى نيابته اقتراحات كثيرة، منها أنه منع من مكاتبة ولاة الأعمال إلا بعد أن يبعث [الوالى] أن كان للشاكى حق شرعى، وجعل عوض المكاتبة له كتابة الشكوى خلف قصة المشتكى؛ وكثيراً ما كان يرد الشكاة إلى الولاة والكشاف؛ وصار يكتب لجميع الولاة يعتمد.

ورسم [الأمير الحاج آل ملك] لأولى (١٩٧ ا) نيابته بإبطال جميع الملعوب[2]، وهى جهة سلطانية كان يتحصل منها مال كثير، ولها ضامن يقال له كحى[3]، له ضرائب مقررة على أرباب الملعوب، من المناطحين بالكباش والمناقرين بالديوك، وعلى المناجين[4] والمصارعين والمُثَاقِفِين وللاكين والمشابكين[5]، وعلى المقامرين على اختلاف أنواع القمار، وعلى القرادة والدبّابة الذين يلعبون بالقرود والدب، وغير ذلك من أنواع اللعب؛ فبطل ذلك كله.

وأبطل [الأمير الحاج آل ملك] أيضاً جهة ابن البطونى، وهى جهة سلطانية لها ضامن

---

(١) فى ف "ونزلوا"، وما هنا من ب. ٥٣٠ ب.

(٢) أورد المقريزى فيما يلى بهذه الفقرة قائمة شاملة لجميع أنواع الملاهى المألوفة بمصر فى هذا العصر، وهى رغم اختصار عبارتها تنبىء عن كثير من الحياة الاجتماعية.

(٣) كذا فى ف، وفى ب، ٥٣٠ ب "كجق"، وفى ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ١٧٩، شخص اسمه كجى، ولعل هذه الصيغة الأخيرة هى الأقرب للصواب

(٤، ٥) كذا فى ف، وكذلك فى ب، ٥٣٠ ب.

عليه مال مقرر يأخذه من[1] كل من رُدَّ عليه عبده أو أمته ، إذا أبقوا[2] . فكان يتعدى حتى يأخذ من يجده من العبيد والإماء قد مضى لمولاه فى حاجة[3] ، ويحبسه عنده حتى يصالحه مولاه على مال يدفعه إليه ؛ فبطل ذلك .

وأبطل [الأمير الحاج آل ملك] النزول عن[4] الإقطاعات والمقايضات[5] بهذه [بعد أن فشى ذلك بين الأجناد] ، حتى (٩٧ ب) إن جنديا قايض آخر بإقطاعه ، ومبلغ ألفين وخمسمائة درهم أقبضه منها ألفين . فألزمه [الأمير الحاج آل ملك] بحمل الألفين لبيت المال ؛ فانكف الأجناد عن المقايضات

ومقت [الأمير الحاج آل ملك] من يرفع إليه قصة بطلب زيادة . ، فرفع له علاء الدين بن القَلَنْجُقِى أحد الأمراء العشرات قصة يسأل فيها زيادة على إقطاعه ، فوقع له عليها بمائتى فدان من الجبل الأحمر ، زيادة على ما بيده

ومنع [الأمير الحاج آل ملك] من مكاتبة نواب الشام — وكتابة التواقيع السلطانية — لأهل الشام ، وكتب مرسوم السلطان إلى الممالك الشامية بإبطال العمل بما كُتب به من بعد وفاة [السلطان] الملك الناصر محمد ، ولا يعتمد إلا على المراسيم المستقرة إلى حين وفاته ؛ ليبطل بذلك ما كان فى نيابة آقسنقر [السلارى] . فبطلت جماعة كثيرة بأيديهم مراسيم سلطانية منصورية وأشرفية وصالحية[6] تجددت بعد [السلطان] الناصر [محمد] ، (٩٨ أ) وأخذت منهم .

وفى يوم الخميس ثامن عشره قدم محمل الحاج .

وفى يوم الأربعاء رابع عشريه نودى بتحكير [خزانة] البنود ، فشرع الناس فى تحكيرها .

---

(١) فى ف " منه " ، وما هنا من ب ، ٥٣٥ ب .

(٢) أبق العبد هرب من مالكه ، تمردا أو عنادا . (محيط المحيط) .

(٣) فى ف " حاجته " ، وما هنا من ٥٣٦ أ .

(٤ ، ٥) الواضح أن النزول عن الإقطاعات والمقايضات كان من أسباب تدهور أحوال الجيش المملوكى فى ذلك العصر . انظر شرح ذلك فى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٩) حيث ورد أن النزول عن الإقطاعات والمقايضات أدى إلى كثرة الدخلاء فى الأجناد ، حتى صار معظم أجناد الحلقة " أصحاب حرف وصناعات ، وخربت منهم أراضى إقطاعاتهم " .

(٦) المنصورية نسبة إلى السلطان المنصور أبى بكر ، والأشرفية نسبة إلى الأشرف كجك ، والصالحية نسبة إلى الصالح إسماعيل ، وهم أولاد السلطان الناصر محمد . غير أنه مما يدعو إلى الالتفات أن يأمر الأمير الحاج آل ملك نائب السلطنة بإبطال مراسيم سلطانية ، وصاحبها السلطان الصالح إسماعيل فى دست السلطنة ، وفى ذلك دلالة على ضآلة ما كان لأولئك السلاطين من سلطة بالقياس إلى أمرائهم من المماليك .

وفى يوم [الخميس[1]] خامس عشريه رسم [السلطان] أن يعاد على ناصر الدين المعروف بفأر السقوف ما أخذ له فى نيابة [الأمير] طشتمر [حمص أخضر] ، وخلع عليه بحسبة مصر ، عوضا عن ابن بنت الأعز ، بشفاعة [الأمير ملكتمر[2]] الحجازى ؛ فأعيد له مبلغ أربعين ألف درهم من بيت المال .

وفيه قدم شهاب الدين أحمد بن فضل الله كاتب السر بدمشق بطلب ، لكثرة شكاته ؛ فقام أخوه علاء الدين على بن فضل الله فى أمره حتى أعيد إلى دمشق معزولا ، من غير مصادرة ؛ ورُتِّب له ما يكفيه .

وفيه أنعم على عدة من المماليك السلطانية بإمريات ، منهم شيخو العمرى ، وألطنبغا برناق .

وفى هذا الشهر كثر تخوف الناس (٩٨ ب) من منسر انعقد [بالقاهرة] ، و [ذلك أن رجال هذا المنسر] كبسوا عدة بيوت ، وكتبوا أوراقا يطلبون فيها مالا من الأغنياء ، " ومتى لم يبعث لنا ذلك كنا ضيوفك " . وأعيا الوالى أمرهم ، فاتفق أنهم كبسوا بيتا ببولاق ، وكان أهله قد أنذروا بهم ، فاستعدوا لهم وتركوا أبوابهم مفتوحة ، فدخلوا نصف الليل ، وإذا بالنشاب قد وقع فى صدورهم ، فأصاب منهم ثلاثة ، ورجع باقيهم منهزمين . فخرج منهم أيضا اثنان والطلب فى أثرهما ، فقتل منهما واحد . وقبضوا منهم على ثلاثة ، وأتوا بهم الوالى ، فأقروا على جماعة بالجزيرة وغيرها ، فتتبعوا إلى أن ظفر بجماعة سُمِّروا وشهروا .

وفيه قدم الرجل الصالح أحمد الزرعى ، فأكرمه الأمير جنكلى بن البابا ، وجمع بينه وبين السلطان . فسأل [الزرعى] أن تعفى بلده زرع[3] من المغارم والسخر ، وأقام أياما ثم عاد إلى الشام .

وفيه (٩٩ ا) قدم الأمير سيف بن فضل ، فأكرمه السلطان ، وكتب له ببلدة زرع[4] حسب سؤاله ، وسافر فمات قبل أن يستغلها .

(١) ما بين الحاصرتين من ب ، ٥٣٦ ا .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٣) ذكر ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٢١) أن هذا الاسم صيغة عامية لقرية زرة ، من أعمال حوران من أواضى دمشق .

(٣) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٣٦ ب " برزع " ، والتعديل للتوضيح

و[فيه] قدم أيضاً أحمد بن مهنا وسيف بن فضل ، بقود .

وفيه وصلت رسل متملك[1] الهند بهدية فيها فصّان ياقوت ، ومعهم كتاب يتضمن السلام والمودة ، وأنهم لم يكونوا يعرفون الإسلام حتى أتاهم رجل عرفهم ذلك ، وذكر[2] لهم أن ولاية الملك لا بد أن تكون من الخليفة . وسأل [متملك الهند] أن يكتب له تقليد من جهة الخليفة بولاية مملكة الهند ، ليكون نائبا عن السلطان بتلك البلاد ، وأن يبعث [السلطان] إليهم رجلا يعلمهم شرائع الإسلام من الصلاة والصيام ونحو ذلك ؛ فأكرمت الرسل ، وطُلب من الخليفة أن يكتب تقليدا لمرسلهم بسلطنة الهند ؛ فكتب له تقليد جليل ، ورسم بسفر ركن الدين الملطى شيخ الخانكاه الناصرية بسرياقوس [مع الرسل] .

وفيه قدم (٩٩ ب) البريد من حلب بطلب ناصر الدين محمد بن صُغَيّر[3] الطبيب ، ليعالج الأمير ألطنبغا المارداني ؛ فأخرج على البريد ، وقدم حلب يوم الثلاثاء سلخه ، وقد احتضر[4] الأمير ألطنبغا ، فمات من الغد ، فعاد ابن صُغَيّر بعد يومين من حلب .

وفى تاسع عشريه رسم بتجريد الأمير جنكلى بن البابا ، والأمير آقسنقر الناصرى ، والأمير أبى بكر بن أرغون النائب ، والأمير طيبغا المجدى[5] [إلى الكرك] .

وفى ثانى عشر صفر قدم الخبر بوفاة الأمير ألطنبغا المارداني نائب حلب ، فصلى عليه صلاة الغائب بجامعه ، وقرئت له ختمة شريفه .

و[فيه][6] عقد مشور عند السلطان فيمن يلى حلب ، فأشار الأمير أرغون العلائى باستقرار الأمير يلبغا اليحياوى [فى نيابة حلب] ، وأن يستقر عوضه فى نيابة حماه

---

(١) لم يستطع الناشر أن يهتدى إلى اسم متملك الهند المقصود هنا ، وهو على أية حال لا يمكن أن يكون محمد الثانى بن طغلق سلطان دلهى وقتذاك ، فإنه لم يكن حديث عهد بالإسلام ، وإن كانت أسرته حديثة عهد بالسلطنة . انظر (Lane-Poole: Muh. Dyns. P.300) ، والقلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٨٨ — ٩١) .

(٢) فى ف " وذلك " ، وما هنا من ب ، ٥٣٦ ب .

(٣) مضبوط هكذا فى ف . انظر (Wiet: Biogs. Du Manhal Safi, pp. 243,432) .

(٤) فى " احتظر " ، وما هنا من ب ، ٥٣٦ ب .

(٥) ما بين الحاصرتين من ب ، ٥٢٦ ب .

(٦) تضيء هذه العبارة بعضا من نظم الدولة المملوكية ، إذ تفيد أن تعيين الأمراء فى النيابات ، وقياسا على ذلك تعيين الأمراء وغيرهم فى الوظائف الكبرى فى الدولة ، كان يتم فى مشور — أى مجلس المشورة — وقد تقدمت الإشارة إلى تكوينه . انظر ما سبق ، ص ٥٠١ ، ٦٢٠ .

الأمير طقتمر الأحمدى ، وأن يستقر بلك الجدار فى (١٠٠ ا) نيابة صفد ، عوضا عن طقتمر الأحمدى ، وعين أرغون شاه للسفر بتقليد الأمير يلبغا ، وأن يتوجه الأمير أحمد لإحضار جوجر الماردانى وأمواله من حلب .

وفى رابع عشريه توجه الأمير ألطنبغا برناق ، بتقليد طقتمر نائب حماه .

وفى يوم السبت خامس عشريه قدم الأمير بيبرس [الأحمدى] والأمير كوكاى ومن معهما من الجردين التجريدة الثانية إلى الكرك ، فركب الأمراء إلى لقائهم . وكان قبل ذلك بيومين ورد كتاب الأمير أصلم بأنه قدم إلى الكرك بمن معه ، وخرج الأمير بيبرس الأحمدى بمن معه ، وطلب أن يُقوّى بعسكر . فكتب إلى ولاة الأقاليم [للخروج إلى الكرك[1]] بطلبهم ، ونزل النقباء إلى الأمراء المعينين للسفر بخروجهم .

وفى يوم الخميس سلخه خرج الأمير بلك الجدار من القاهرة ، لنيابة صفد .

وفى يوم الاثنين رابع ربيع الأول خرج الأمير جنكلى بن البابا (١٠٠ ب) والأمير آقسنقر الناصرى وملكتمر السرجوانى وأمير عمر بن أرغون النائب ، فى أربعة آلاف فارس ، تقوية للأمير أصلم ؛ وهى التجريدة الرابعة للكرك . و[توجه] صحبتهم عدة حجارين ونقابين ونفطية ، وتوجه السلطان بعد سفرهم إلى سرياقوس على العادة .

و[فيه] اشتد [الأمير الحاج آل ملك] النائب على والى القاهرة ومصر فى منع الخمر وغيره من المحرمات ، وتتبع أهل الفساد وإحضارهم إليه . ونودى بالقاهرة ومصر من أحضر سكرانا أو أحدا معه جرة خمر خلع عليه . فقصد العامة لشربة الخمر بكل طريق ، وأتوه [مرة] بجندى قد سكر ، فضربه وقطع خبزه ، وخلع على من أحضره . وقبض العامة أيضا على بعض مماليك الأمراء ، وقد أحضر جرة خمر فى مركب ، فضربه وقطع خبزه . وأخذ [النائب] كثيرا من شربة الخمر وباعته بناحية شبرا الخيم ومنية السيرج ، ومن المراكب ومن البيوت ، فضرب بهم عزايا ، وكشف رؤوسهم ، وصب عليهم الخمر وشهرهم . ونادى من اشترى عنبا بالقنطار قبض عليه ، ويؤتى به إليه . فعرفه شاد الدواوين أن متحصل الديوان من معاملة العنب مائة ألف درهم ، وقد بطلت ، فلم يلتفت إليه ، وتنجز مرسوم السلطان

(١) ما بين الحاصرتين من ب ، ٣٧ ا .

بالمسامحة بذلك . وبعث [النائب] فى خفية من اشترى له عنبا بدرهمين ، فجاءه عشرة أرطال ؛ فطلب المحتسب ، وأنكر عليه كيف يكون العنب بهذا السعر وقد منعنا من اعتصاره .

ومنع [الأمير الحاج ملك النائب] أن يحمل الفرنج إلى الإسكندرية خمرا ، فقام فى ذلك جمال الكفاة ، وذكر أنه يتحصل من ذلك فى السنة نحو الأربعين ألف دينار ، ومتى منع الفرنج من حمل الخمر فسد حال الإسكندرية ، وما زال بالسلطان حتى منع النائب من ذلك .

وأبطل [الأمير الحاج آل ملك] النوايح من القاهرة (١٠١ ب) ومصر ، فقامت الضامنة[1] عند الأمير قارى الأستادار فى إعادة النوايح ، وخوفت أن جهته تبطل ، وكان مرصده للحاشية ؛ فما زال [الأمير قارى يكلم الأمير الحاج آل ملك] حتى أعادها .

وفى هذا الشهر قام قاضى القضاه عز الدين [عبد[2] العزيز] بن جماعة على إمام الجامع الأزهر ، وحبسه . وسبب ذلك أنه كان يلى نظر الجامع ، فأخرجه عنه قاضى القضاة وولاه للقاضى الحنبلى ، فتعصب جماعة للإمام حتى أعاده آقسنقر [السلارى] النائب إلى نظر الجامع . فشق ذلك على القضاة ، وتنكروا له ، فقام رجل وأنهى إليهم أن الإمام من خمس وعشرين سنة وقع فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ، بأن زعم أنه صلى الله عليه وسلم انهزم فى بعض غزواته ، وكتب بذلك محضرا وأثبته . وشنعوا بذلك عليه ، وأخذوه من الجامع إلى الحبس ، فقام الشيخ خليل المالكى والقوام (١٠٢ ا) الكرمانى قياما زايدا حتى وصل إلى السلطان والأمراء أن بين القضاة وبينه عداوة ، بسبب نظر الجامع من قديم . فطلب القضاة إلى القلعة بحضرة السلطان ، وحدثهم [السلطان] فى أمره ، فوقعوا فيه وقيعة قبيحة ، وأنه قد وجب قتله ، وقد حكم بعزله من الإمامة . فما زال [السلطان] بهم حتى حكم الحنفى بتعزيره ، فعزر واستمر على وظيفته . وكثرت القالة فى ابن جماعة بسببه ، فإنه كانت له سمعة عند الخدام ، وتتردد إليه أم السلطان .

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٣٧ ب " ايضا منه " ، وهو تصحيف واضح تقدمت الإشارة إلى أشباهه فيما سبق . ويتضح من التعديلات والتصحيحات السابقة هنا عامة أن بالمتن شيئا من التحريف فى القراءة ، والخطأ فى صيغ الأسماء ، فضلا عن الحذف والاختصار وعدم الاستقامة السياقية بعض الأحيان ، ومرجع هذه المآخذ المألوفة فى المخطوطات تهاون الناسخ ، لا المؤلف .

(٢) ما بين الحاصرتين من ب ، ٥٣٧ ب .

وفيه خلع على نجم الدين أيوب ، وأعيد لولاية القاهرة ، عوضا عن شجاع الدين غُرْلُو[1] ؛ وأخرج غرلو[2] إلى الشوبك ، عوضا عن الطقش .

وفى خامس عشره قدم الخبر بوصول المنجنيق من صفد إلى الكرك ، وأنه هرب من خدام أحمد ومماليكه نحو ستة وأربعين نفرا ، ثم قدموا فى حادى عشريه ، فخلع عليهم .

وفى (١٠٢ ب) رابع عشر ربيع الآخر قدم الخبر بوصول جنكلى بن البابا وآقسنقر [الناصرى] إلى الكرك بمن معهما ، فى يوم السبت سابعه ، فزحفوا من غدهم ، وقاتلوا قتالا شديداً جُرح فيه بالغ[3] وجماعة ، وعدة قُتلوا ، وجُرح كثير . فانكسر أهل الكرك كسرة قبيحة ، فسرّ السلطان بذلك ، وبعث إلى[4] الأمراء المجردين خمسين حجارا .

وفيه قدم رسول [حسن] بن دمرداش بن جوبان بهدية ، وسأل أن يُبْعَث إليه[5] برمة أبيه ، فاعتذر [السلطان] عن ذلك بأنه لم يعرف له قبرا .

واتفق فى زيادة النيل أنه كان وفاؤه يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول — وهو سابع عشر مسرى — ، فزاد زيادة كبيرة بعد الوفاء حتى فاض من جهة قرموط من الخليج ، وطلع من الأسربة . فركب الوالى إلى بولاق ؛ وركب النائب إلى جسر بركة الحبش فى عدة من الأمراء ، وأقام ثلاثة أيام حتى أتقن[6] [بعض الجسور ؟] .

(١٠٣ أ) وفاض [النيل] من جهة قناطر الأوز ، فكتب لوالى الشرقية على أجنحة الحمام أن يقطع اللؤلؤة[7] ، فكثر تقطع الجسور ، وتعبت الولاة فى سدّها حتى تقطعت جميعها

(١ ، ٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٠٣٨ ا " عزلوا " ، وهو خطأ ينبغى تصحيحه فيما سبق كذلك ، ص ٦٢٤ ؛ وسيدأب الناشر على إيراد الصيغة المثبتة بالمتن بغير تعليق ، فيما يلى . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٦٦ — ١٦٧ .

(٣) انظر ما يلى ، ص ٦٥٤ .

(٤) فى ف " اليه " ، وفى ب ، ١٠٣٨ ا " اليهم " ، والتعديل للتوضيح .

(٥) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٠٣٨ ا " اليهم " ، والتعديل بمقتضيه السياق .

(٦) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٠٣٨ ا " اتقنه " ، والتعديل والإضافة بين الحاصرتين للتوضيح .

(٧) لعل المقصود هنا قنطرة أو سدّا قرب منظرة اللؤلؤة التى بناها الخليفة العزيز بالله الفاطمى خارج القاهرة ، واستخدمها الخلفاء الفاطميون بعده ، للإقامة بها لرصد فيضان النيل (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ — ٤٦٩) ، ويبدو من المتن أن هذه المنظرة ظلت مستخدمة لهذا الغرض حتى زمن سلاطين المماليك . انظر كذلك ابن دقماق (كتاب الانتصار ، ج ٥ ، ص ٧٠) حيث ورد بلد اسمه اللؤلؤة من أعمال الدقهلية والمرتاحية ، وربما كان بقرب هذا البلد جسر أو ترعة أو سدّ بذلك الاسم .

بالوجه القبلى و[الوجه] البحرى . وفسدت الأقصاب ، والنيلة والقلقاس ، وسائر الزراعات الصيفية ، والمخازن[1] .

وفيه قدم الخبر بكثرة الفساد والمجاهرة بالخور وأنواع الفسوق [بدمشق] ، وقلة حرمة نائبها الأمير طقزدمر [الحموى] ، وتغلب مماليكه وتحكمهم عليه وسوء سيرتهم ؛ فكتب بالإنكار عليه .

واتفق بظاهر القاهرة أمر اعْتُنِى بضبطه ، وهو أنه كان بناحية اللوق كوم يعرف بكوم الزل يأوى إليه أهل الفسوق من أوباش العامة ، فأخذ بعضهم منه موضعا ليبنى له فيه بيتا ؛ فشرع فى نقل التراب منه ، فبينا هو يحفر إذ ظهر له إناء فخار فيه مكاتيب دار كانت فى هذه البقعة ، وتدل على (١٠٣ ب) أنه كان به أيضاً مسجد ، ورأى آثار البنيان . فأشاع بعض شياطين العامة — وكان يقال له شعيب — ، أنه رأى فى نومه أن هذا البنيان على قبر بعض الصحابة رضى الله عنهم ، وأن من كراماته أنه يقيم المقعد ويرد بصر الأعمى ، وصار يصيح ويهلل ويظهر اختلال عقله . فاجتمعت عليه الغوغاء ، وأكثروا من الصياح ، وتناولوا تلك الأرض بالحفر حتى نزلوا فيها نحو قامتين ، فإذا مسجد له محراب . فزاد نشاطهم ، وفرحوا فرحا كبيراً ، وباتوا فى ذكر وتسبيح . وأصبحوا وجمعهم نحو الألف إنسان ، فشالوا ذلك الكوم ، وساعدهم النساء ، حتى إن المرأة كانت تشيل التراب فى مقنعها . وأتام الناس من كل أوب[2] ، ورفعوا معهم التراب فى أقبيتهم وعمائمهم ، وألقوه فى الكيمان ، بحيث تهيأ لهم فى يوم واحد ما لا تفى مدة شهر بنقله .

وحفر شعيب حفرة كبيرة ، وزعم (١٠٤ أ) أنها موضع الصحابى ، فخرج إليه أهل القاهرة ومصر أفواجا ، وركب إليه نساء الأمراء والأعيان ، فيأخذهن شعيب وينزلهن تلك الحفرة لزيارتها ، وما منهن إلا من تدفع الدنانير والدراهم .

وأشاع [شعيب] أنه أقام الزمنى ، وعافى المرضى ، ورد أبصار العميان ، [فى هذه الحفرة] ؛ وصار يأخذ جماعة ممن يظهر أنه من أهل هذه العاهات ، وينزل بهم إلى الحفرة ،

---

(١) فى ف " ومخازن " ، وما هنا من ب ، ٥٣٨ أ .

(٢) فى ف " ارب " ، وما هنا من ب ٥٣٨ ، ب . والأوب الطريق وكذلك الجهة . (محيط المحيط) .

ثم يخرجهم وهم يسبحون " الله أكبر الله أكبر " ، ويزعمون أنهم قد زال ما كان بهم . فافتتن الناس بتلك الحفرة ، ونزلت أم السلطان لزيارتها ، ولم تبق امرأة مشهورة حتى أتتها .

وصار للناس[1] هناك مجتمع عظيم ، بحيث يسرج به كل ليلة نحو مائتى قنديل ، ومن الشموع الموكبية شيء كثير . فقامت القضاة فى ذلك مع الأمير أرغون العلائى والأمير [الحاج] آل ملك النائب ، وقبحوا هذا الفعل ، وخوفوا عاقبته ، حتى رسم لوالى (١٠٤ ب) القاهرة أن يتوجه إلى [مكان] الحفرة ويكشف أمرها ، فإن كان فيها مقبور يحمل إلى مقابر المسلمين ويدفن به سرّا ، ثم يعفّى الموضع . فلما مضى إليه ثارت به العامة تريد رجمه ، وصاحوا عليه بالإنكار الشنيع حتى رمام[2] [الجند] بالنشاب ، فتفرقوا . وهرب شعيب ورفيقه العجوى ، وما زال الحفارون يعملون فى ذلك المكان إلى أن انتهوا فيه إلى سراب حمام ، ولم يجدوا هناك قبرا ولا مقبوراً ، فطموه بالتراب ، وانصرفوا . وقد انحلت عزائم الناس عنه ، بعدما فتنوا به ، وضلوا ضلالا بعيداً ؛ وجمع شعيب ورفيقه كثيراً من المال والثياب شيئاً طائلا .

وفيه توجه أيدمر الشمسى لكشف أحوال الكرك .

وفى يوم الأحد سابع عشرى جمادى الأولى قدم الأمير أصلم ، وأبو بكر بن أرغون النائب ، وأروم بغا ، من تجريدة الكرك بغير إذن ، واعتذروا بضعف أبدانهم وكثرة (١٠٥ ا) الجراحات فى أصحابهم وقلة الزاد عندهم . فقبل [السلطان] عذرهم ، ورسم بسفر طقتمر الصلاحى وتمر الموساوى ، فى عشرين مقدما من الحلقة وألفى فارس ، فساروا فى سلخه ، وهى التجريدة الخامسة .

و [فيه] قدم البريد من حلب أنه خرجت عساكر حلب وحماة وطرابلس صحبة آقسنقر وصلاح الدين الدوادار إلى جهة سيس [لحرب أهلها من الأرمن] ، لمنعهم الخراج . فلقيهم تركمان الطاعة ، وأغاروا معهم ، وأثروا فى[3] [أهل سيس] آثارا قبيحة حتى أذعنوا لحمل الخراج .

(١) ف " وصار هناك الناس تجتمع جمع عظيم " ، وما هنا من ب ، ٥٣٨ ب .
(٢) فى ف " رموهم " .
(٣) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٣٨ ا " فيهم " ، والتعديل يقتضيه السياق .

وفيه نودى من قبل [الأمير الحاج آل ملك] نائب السلطان بأن أهل الأسواق كلما إذا أذن للصلاة يصلون قدام دكاكينهم بإمام يصلى بهم ، فعملوا أنخاخا[1] وحصرا برسم فرشها للصلاة فى الأسواق .

وتوجه السلطان فى هذه الأيام إلى سرياقوس على العادة ، ورسم بلعب الرمح بين يديه . فاجتمع غواة لعب الرمح ، وحضر طيدمر الملكى ، وابن الطرابلسى (١٠٥ ب) الرماح ، وقطلز الشمسى ، ومن ضاهاهم ، وتكافحوا . فظهر ابن الطرابلسى يومئذ على سائرهم ، وأنعم عليه .

وفيها ترك الأمير طقيغا[2] الناصرى إمريته ، وتزيّا بزى الفقراء ؛ فلزمه بحكم الديوان أربعمائة ألف درهم ، حمل منها مباشروه ثلاثمائة ألف .

وفيها رسم باستقرار الأمير سيف الدين بن فضل أمير الأمراء فى الإمرية ، عوضا عن سليمان بن مهنا ، بعد موته .

و [فيها] كتب بمنع أحمد بن مهنا من القدوم إلى مصر ، فردّه نائب الشام من دمشق ، وعاد إلى أهله . فاتفق [أحمد بن مهنا] مع فياض على إقامة فتنة .

وفيها تزوج السلطان ابنة الأمير طقزدمر [الحموى] نائب الشام ، بعد ما جهز الأمير ملكتمر الحجازى بالمهر إلى دمشق ، فقدمها فى سادس عشر جمادى الآخرة ، وقد تلقاه الأمير طقزدمر ، فدفع إليه المهر وهو مائة ألف درهم . وعاد [الأمير ملكتمر الحجازى من دمشق] من غير أن يأخذ لأحد شيئا هدية ، فبعث له الأمير (١٠٦ ا) طقزدمر [الحموى] ألفى دينار ، ومائة قطعة قماش ، وأربعة أرؤس خيل . وأنعم عليه السلطان بألفى دينار ، وخيول وغيرها .

و [فيه] قدم الخبر بخروج فياض وآل مهنا عن الطاعة ، وإغارتهم على عرب سيف ابن فضل ، وأخذهم قفلا من بغداد إلى نواحى الرحبة ، كان فيه لرجل واحد ما قيمته نحو مائتى ألف دينار ، سوى ما لغيره من التجار .

---

(١) الأنخاخ جمع نخ ، وهو البساط الطويل . (محيط المحيط) .
(٢) كذا فى ف ، وهو فى ب ٥٣٨ ا " طنبغا " .

و[فيه] قدم الخبر بأن سليمان شاه حاكم الأردو[1] جرت بينه و بين أرتنا ملك الروم حرب انتصر فيها أرتنا ، وقَتَل عدة من أصحاب سليمان شاه ، وغَنم ما معهم ، وهزم باقيهم .

وفي مستهل رجب عاد الأمير جنكلي بن البابا والأمير آقسنقر [الناصري] من تجريدة الكرك إلى القاهرة ، فأكرمهما السلطان لكثرة بلائهما في الكرك ، وخلع عليهما .

و [فيه] قدم البريد بمحضر ثابت على قضاة حلب يتضمن أنه لما كان يوم السبت سادس شعبان إذا برعد و برق أعقبته زلزلة (١٠٦ ب) عظيمة ، سمع حسّها من نصف ميل عن حلب ، وهو حسّ مزعج يرجف القلوب . فهُدم من القلعة اثنا وثلاثون برجا سوى البيوت ، وهدم من قلعة البيرة أكثر من نصفها ، وكذلك من قلعة عين تاب وقلعة الراوند وبَهَسْنا و بلاد منبج وقلعة المسلمين . فخرج أهل حلب إلى ظاهرها ، وضربوا الخيم ، وغلقت سائر أسواقها ؛ وفي كل ساعة يسمع دويّ جديد . ثم إنهم تجمعوا عن آخرهم ، وكشفوا رءوسهم ومعهم أطفالهم والمصاحف مرفوعة ، وهم يضجون بالدعاء والابتهال إلى الله برفع هذا المقت . فأقاموا على ذلك أياما إلى خامس عشريه حتى رفع الله ذلك عنهم ، بعدما هلكت بتلك البلاد تحت الردم خلائق لا يحصيها إلا خالقها ؛ فكتب بتجديد عمارة ما هدم من القلاع من الأموال الديوانية .

وقدم الخبر من الكرك بأن العساكر أخذت على طرقها كلها بالاستحفاظ ، (١٠٧ ا) وأُخذت أغناما كثيرة لأهلها ، وقتلت جماعة من الكركيين . فرسم بتجهيز الأمير علم الدين سنجر الجاولي ، والأمير أرقطاي ، والأمير قاري أستادار ، وعشرين أمير طبلخاناه وعشرات ، وثلاثين مقدم حلقة ؛ وأنفق [السلطان] فيهم . فساروا يوم الثلاثاء خامس عشر شوال في ألفي فارس ، وهي التجريدة السادسة ؛ وتوجه معهم عدة حجارين ونفطية .

وفيه خلع على [الأمير] طرغاي الطباخي ، واستقرّ في نيابة طرابلس بعد موت

(١) في ف " الادر " ، وما هنا من ب ، ٥٣٩ ب ؛ انظر ما سبق بالجزء الأول من السلوك ، ص ٦٦٩ ، حاشية ٢ ، لمعرفة المقصود بلفظ الأردو ، وانظر كذلك (Lane-Poole: Muh. Dyns. P. 220) لمعرفة ترتيب سليمان شاه في سلسلة حكام الأردو ، وهم أواخر إيلخانات إيران .

رسغاى(١) السلاح دار ؛ وكتبت أوراق ديوانية بما يلزم رسغاى(٢) بحكم الديوان ، [و] يشتمل على ألفى ألف درهم .

وفيه استقر علاء الدين على بن محمد بن الأطروش السقطى فى حسبة دمشق ، بعناية الأمير أرغون العلائى ، فشنّع [الناس] بسبب ولايته ، لجهله بالأمور الشرعية .

وفى أول شعبان ورد كتاب [الناصر] أحمد من الكرك وهو يترقق و يعتذر عن قتل الأمير قطلوبغا [الفخرى] والأمير طشتمر [حمص أخضر] ، (١٠٧ ب) وأنه إن رُسِم بحضوره حضر ، وإن رُسم بإقامته بالكرك أقام تحت الطاعة ، وأنه لا رغبة له فى الملك . وعقيب ذلك ورد كتاب نائب الشام وكتاب نائب حلب ، وفى ضمنهما كتب [الناصر] أحمد إليهما بختمها ، [وهى] تشتمل على معنى ما ذكر فى كتابه . فتوجه إليه الأمير طشتمر طلليه بجواب يتضمن أنه إن أراد الإقامة بالكرك مطمئناً فليسيّر ما أخذه من المال والخيل وغير ذلك ، و يبعث يوسف بن البصّارة أيضاً ، وإلا هدمت عليه [الكرك] حجرا حجرا ؛ وأسِرّ إلى(٣) طلليه أن يتحيل فى القبض على أحمد .

وفى مستهل رمضان فرغت عمارة القاعة المعروفة بالدهيشة من القلعة ، وفرشت بأنواع البسط والمقاعد الزركش ، وجلس فيها السلطان وبين يديه جواريه . فأكثر من الإنعام والعطاء ، وكان قد اختص بالمملوك بيبغا(٤) الصالحى ، وأمّره وخوّله فى نعم جليلة ، وزوّجه بابنة [الأمير] أرغون العلائى ، وهى أخت السلطان لأمه ، وعمّر له حوانيت خارج باب (١٠٨ ا) القرافة . وكثر استيلاء الجوارى والخدام على الدولة وعارضوا النائب ، وأبطلوا ما أحبوا(٥) إبطاله مما يرسم به ، حتى صار يقول لمن يطلب شيئاً : " رح إلى الطواشية يقضى شغلك " ؛ فإذا بلغهم ذلك أهدروا مكانته وردّوا أفعاله .

---

(١) كذا فى ف ، وهو فى ب ، ٥٤٠ ا ، " زنبغا " ، ولم يستطع الناشر أن يجد فى المراجع المتداولة فى هذه الحواشى ما يساعد على تحقيق هذا الاسم ، أو ترجيح إحدى الصيغتين الواردتين .

(٢) فى ف " ويقا " ، وفى ب ، ٥٤٠ ا " زنبغا " ، انظر الحاشية السابقة .

(٣) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٤٠ ا " واسر اليه " ، والتعديل بالإضافة للتوضيح .

(٤) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٤٠ ا " اختص ببيبغا " ، والتعديل للتوضيح .

(٥) فى ف " وابطلوا ما احبوه " ، وفى ب ، ٥٤٠ ب " وابطلوا ما اجنوه " .

وفى سابعه توجه الأمير آقسنقر الناصرى لنيابة طرابلس ، بعد موت الأمير طوغاى الطباخى[١] ، وقد تنكر السلطان له وتغير عليه .

وفى عشريه رحل محمل الحاج من البركة ، وقد قدم من حجاج المغاربة زيادة على عشرة آلاف إنسان ، ومن حجاج [بلاد] التكرور نحو خمسة آلاف نفر ؛ وحج الطواشى عنبر السحرتى لالا السلطان ، فى تجمل كثير[٢] .

و [فيه] أعاد [الناصر] أحمد [الأمير] طشتمر طلليه بجواب غير طائل ، من غير أن يجتمع به . وقدم معه و بعده من الكركيين [عدة أشخاص] ، فقرروا مع السلطان خواصتهم على [الناصر] أحمد ، وطلبوا إقطاعات عديدة لهم ولأصحابهم . فكتب (١٠٨ب) لهم [السلطان] بها ، وأعيدوا بإنعامات جليلة . فقدم الخبر بأن يوسف بن البصارة بعثه [الناصر] أحمد من الكرك ليحضر إلى مصر ، فوجد قتيلا فى أثناء طريقه ، واتهم [الناصر] أحمد أنه بعث من قتله خوفا منه أن ينمّ عليه لأخيه ؛ وأحاط [الناصر أحمد] بموجوده ، فوجد له أربعة وعشرين ألف دينار ، وثلاثين حياصة ذهب ، وثلاثين كلفتاه زركش ، سوى لؤلؤ وقماش وغير ذلك . فوقع الاتفاق على أن يجرد السلطان[٣] إلى الكرك عدة عساكر من مصر والشام .

وفى يوم الاثنين ثامن ذى القعدة قدم بالغ ومشايخ الكرك طائعين ، فأنعم [السلطان] عليهم وعادوا فى حادى عشره ، ومعهم عدة من المماليك السلطانية ليسلموهم قلعة الكرك .

و [فيه] رسم بتجريدة سابعة فيها الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدى ، والأمير كوكاى ، وعشرون أمير طبلخاناه ، وستة عشر أميراً . وكتب بخروج عسكر (١٠٩ ا) من دمشق ، ومعهم منجنيق وزحافات . وحمل [السلطان] إلى [الأمير بيبرس] الأحمدى

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٤٠ ا " الجاشنكير " ، وما هنا مما سبق ص ٦٥٢ ، وابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢١٦) ، حيث يتضح أن الخطأ هنا منشؤه أن هذا الأمير خدم فى وظيفة جاشنكير زمن السلطان الناصر محمد بن قلاون .

(٢) فى ف " وتجمل كثير " ، وفى ب ٥٤٠ ا " فى محمل كثير " .

(٣) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٤٠ ب " ان يجرد إليه عدة ... "

ألفى دينار ، وإلى كوكاى ألف دينار ، ولكل أمير طبلخاناه أربع مائة دينار ، ولكل[1] أمير عشرة مائتا دينار[2] . وأرسل السلطان أيضاً مع الأمير بيبرس الأحمدى أربعة آلاف دينار لأجل من عساه ينزل من الكرك ؛ وجهزت تشاريف كثيرة . ولقم[3] الأمراء فى طريقهم نحو شهرين ، وخرج معهم ستة آلاف رأس من البقر والغنم ، ومائتا رأس جاموس ، ونحو ألفى راجل . فلم يصعد [لهم الناصر] أحد ، [وجمع الرجال ، وأنفق فيهم مالاً كثيراً] ، وجمع الأسلحة المرصدة بقلعة الكرك ، وركب المنجنيق الذى كان بها .

وفيه قدم سليمان ابن مهنا بقوده ، فخلع عليه .

وفى مستهل ذى الحجة عرض السلطان الخيل ليختار فرساً يركبه يوم العيد ، وأحضر عشرة من التقارانية[4] ، فلقوا كوساتهم عند العرض . فظن العسكر أنها حربية ، فركبوا تحت القلعة ، وتجمعت العامة على عادتهم ، وغلقت الأسواق . فركب إليهم نقيب [٤٠٥ أ] الجيش ، ولامهم على ركوبهم ، وردّهم .

وأخذت القالة تكثر[5] حتى تنكرت قلوب الأمراء ، وادخروا الأقوات خوفاً من الفتنة . ولهجت العامة بقولهم : "يا ولد خرا العيد" ، وغنوا به فى الأسواق . فتوهم السلطان من فتنة تكون يوم العيد ، وهمّ ألا يصلى يوم العيد خوفاً من طائفة تهجم عليه فى الصلاة من جهة أخيه رمضان ، [واستعد[6] لذلك . ثم بعث السلطان إلى أخيه رمضان] ، فقتله ليلة العيد ، وصلى صلاة العيد وهو متحرّز .

- وفى هذه الأيام أعيد ضمان المنسوب[7] من الملاعب والصراع والحكام والسعاة ، ونحو

(١) فى ف " والى " ، وما هنا من ب ، ٥٤٠ ب .

(٢) فى ف ، وفى ب ٥٤٠ ب كذلك " ولمن رسم بأربعة الاف دينار لاجل ... " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٩١ .

(٣) فى ف ، وفى ب ، ٥٤٠ ب " واقاموا " .

(٤) فى ف " للتقاراتيه " ، وما هنا من ب ، ٥٤٠ ب .

(٥) فى ف " فكثر " ، وما هنا من ب ، ٥٤٠ ب .

(٦) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٥٤٠ ب ، فقط .

(٧) انظر ما سبق ، ص ٦٤٢ ، حيث وردت هذه الألفاظ الدالة على بعض نواحى الحياة الاجتماعية فى العصر المملوكى بدون تعليق ، لقلة ما لدى الناشر من شرح فنى ، ما عدا ما تجود به المعاجم اللغوية من شروح عامة .

ذلك . وأعيد ضمان ابن البطونى[1] ، وضمن[2] بزيادة عشرة آلاف درهم .

وفيها قبض بدمشق على [الأمير] آقبغا عبد الواحد فى عدة من الأمراء وسجنوا ، لميلهم[3] إلى [الناصر] أحمد .

وفيها اختلت مراكز البريد ، فجمع لها ثمانمائة فرس ، بعث السلطان منها مائتى فرس ، وأخذ من كل أمير مائة أربعة (١١٠٠ ا) أروس ، ومن كل أمير طبلخاناه فرسين ، ومن كل أمير عشرة فرسا [واحدا] ، وأخذ من الموقعين عدة أفراس .

وفيها نهبت منية السيرج ، وذلك أن جماعة من الفقراء المتصوفين بها أنكروا على النصارى بيعهم الخمر ، وهم معظم أهل المنية ، و بالغوا فى الإنكار حتى ضرب أحد الفقراء نصرانيا أسال دمه ، ودخل إلى صلاة الجمعة بالجامع . فتجمع النصارى ، وأتوا الفقراء بالجامع بعد الصلاة ، وضربوهم . فثار المسلمون بهم ، فأثخنوهم ضربا ، ومالوا على بيوتهم فنهبوها . وتعدى النهب إلى بيوت المسلمين حتى بلغ الخبر إلى [الأمير الحاج آل ملك] النائب ، فبعث الحجاب والوالى ، فقبضوا [على] جماعة كثيرة ، وردوا كثيرا مما نهبوه ، وحملوا الذين قبض عليهم ، وفيهم عدة من الأجناد ، فضربوا وسجنوا وقطعت أخبازهم . وأقامت المنية خرابا و بيوتها مهدمة نحو الشهرين ، حتى عاد أهلها إليها .

وفى هذه السنة ثار (١٠٥٠ ب) عربان الصعيد ، واقتتلوا وقطعوا الطريق ؛ فقتل بينهم نحو الألفى رجل . فركب الأمير علاء الدين على بن الكورانى ، وقد استمال معه طائفة من أعدائهم يريد حربهم ، فلم يثبتوا له وفروا منه ، فأخذ لهم عدة جمال وخيول وسلاح .

وفيها احتربت الدماجنة[4] والسعديون[5] ، فقتل بينهم خلق كثير جداً ، فركب

---

(١) انظر ما سبق ، ص ٦٤٢ .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٠٤١ ا ، " وسمنت " .

(٣) فى ف " وسحبوا بليلهم " ، وما هنا من ب ١٠٤١ ا .

(٤) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٠٤١ ا ، والصحيح فيما يبدو " الدعاجنة " . انظر عمر رضا كحالة (معجم قبائل العرب ، ج ١ ، ص ٣٨٠)حيث ورد أن الدعاجنة بطن كبير من بنى عيدة بالكرك ، ولقرائن حوادث الكرك والناصر أحمد فى هذه الصفحات ترجح القراءة المقترحة . وفى نفس المؤلف والمرجع والجزء والصفحة عشيرة الدعاجين ، وهى قبيلة من قبائل برقة التى تمتد منازلها فى العرق .

(٥) وصف عمر رضا كحالة (نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٥٢١) السعديين بأنهم من قبائل مصر ، وينتسبون إلى عرب الحجاز ، ويقيمون فى مديرية الغربية الحالية .

إليهم الأمير أزدمر كاشف الوجه البحرى ، وقتل منهم أعداداً كثيرة .

وفيها كثر فساد فياض وقطعه الطرقات ، فلم يطق الأمير سيف بن فضل ردّه ومنعه ، لعجزه عن آل مهنا .

وفيها اشتد الحصار على الكرك ، وضاقت على [الناصر] أحمد ومن معه لقلة القوت عندم . وتخلى عنه أهل الكرك ، ووعدوا الأمراء بالمساعدة (١١١ ا) عليه ، فحملت إليهم الخلع ومبلغ ثمانين ألف درهم .

وفيها اشتد الغلاء ببغداد وعامة بلاد العراق ؛ و بلغ الرغيف ببغداد ديناراً عراقيا ، عنه ستة دراهم ، والرطل اللحم بدينار ونصف .

وفيها استقر بيبغا ططر فى نيابة غزة ، عوضا عن طرنطاى البشمقدار .

و [فيها] استقر طرنطاى حاجبا بالقاهرة .

وفيها جرد الأمير يلبغا اليحياوى نائب حلب عسكره لقتال ابن دلغادر ، فلقيهم [ابن دلغادر] وكسرهم كسرة قبيحة . فركب يلبغا بعساكر حلب وسار إليه ، ففرّ منه [ابن دلغادر] إلى جبل ، وترك أثقاله فنهبها العسكر ، وقتلوا كثيراً من تركمانه ، وظفروا ببعض حرمه ، وتبعوه إلى الجبل ، وصعدوه . فقاتلهم ابن دلغادر ، وجرح أكثرهم . وأصيب فرس الأمير يلبغا بسهم قتله ، وانقطع عنه [يلبغا] وأخذ صنجقه ومن أسروه من حرمهم[1] [ابن دلغادر] وما نهبوه له ؛ وتمت الكسرة على العسكر (١١١ ب) فكتب السلطان بالإنكار على نائب حلب ، وتعنيفه على ما فعله .

وفيها استقر المسكين إبراهيم بن قَرَوِنية[2] فى نظر دمشق ، عوضا عن التاج بن الصاحب أمين الملك . واستقر موسى بن التاج إسحاق فى نظر حلب ، واستقر زين الدين محمد بن محمد ابن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر المعروف بابن الصائغ الأنصارى الدمشقى ، فى قضاء الشافعية بحلب ، عوضا عن بدر الدين بن الخشاب ؛ وعاد ابن الخشاب إلى القاهرة .

وكانت هذه السنة من أنكد السنين وأشدها ، لكثرة الفتن والقتل وسفك الدماء

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٤١ ب " جريمه " .
(٢) مضبوط هكذا فى ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٥٢ .

ببلاد الصعيد ونواحى الشرقية و بلاد عرب الشام و بلاد الروم والكرك ، وغلاء الأسعار بالعراق وكثرة الموتى عندهم ، وزيادة النيل التى فسد بها الأقصاب والزراعات الصيفية . فلما أدرك الشعير (١١٢ ا) هاف من السموم ، وهاف كثير من الفول أيضاً و بعض القمح ؛ وتحسن السعر حتى بلغ الأردب عشرين درهما ، بعد ما كان بعشرة دراهم .

و [فيها] بلغت زيادة النيل عشرين ذراعا وخمس عشرة أصبعا .

ومات فيها من الأعيان زين الدين إبراهيم بن عرفات بن صالح بن أبى المنا القناوى الشافعى ، قاضى قنا ؛ كان يتصدق فى السنة بألف دينار فى يوم واحد .

و [توفى] برهان الدين إبراهيم بن على بن أحمد بن على بن عبد الحق ، قاضى القضاة الحنفية بديار مصر ، وهو مقيم بدمشق .

و [مات] إبراهيم بن صابر المقدم .

و [توفى] المحدث شهاب الدين أحمد بن على بن أيوب بن علوى المستولى ، وقد جاوز الثمانين ؛ حدث عن الأبرقوهى ، وكان ورعا خيراً .

و [توفى] شهاب الدين أحمد بن أبى الفرج الحلبى ، بالقاهرة ؛ حدث عن النجيب ، والأبرقوهى ، والرشيد بن علان وغيره ؛ ومولده (١١٢ ب) فى رمضان سنة خمس وستين وستمائة .

و [توفى] المسند شهاب الدين أحمد بن كشتغدى المعزى[1] .

و [مات] الأمير آقسنقر السلارى قتلا بحبس الإسكندرية ؛ تنقل فى الخدم إلى أن ولى نيابة صفد ونيابة غزة ، ثم نيابة السلطنة بديار مصر .

و [مات] الأمير ألطنبغا الماردانى وهو فى نيابة حلب ، وهو الذى أنشأ جامع الماردانى خارج باب زويلة .

و [مات] الأمير ألطنبغا الطى الجاولى ، الفقيه الشافعى ، الأديب الشاعر ؛ أصله

(١) فى ف " المعرى " ، وما هنا من ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٢٣٨

مملوك ابن باخل[1] ، ثم صار إلى الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، فعرف به ، وعمله دواداره وهو نائب غزة ؛ ثم تقلبت به الأحوال ، حتى مات بدمشق فى ربيع الأول ؛ وشعره جيد .

و [توفى] شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود كاتب السر بدمشق ومصر ، فى ربيع الأول .

و [توفى] علم الدين سليمان بن إبراهيم بن سليمان المعروف بابن المستوفى (١١٣ ا) المصرى ناظر الخاص بدمشق ، سابع عشرى جمادى الآخرة ، عن سبعين سنة بها ؛ [وكان كاتب[2] قراسنقر] ؛ وله شعر .

و [مات][3] الأمير طوغاى الطباخى[4] نائب حلب وطرابلس ، فى شهر رمضان .

و [توفى] شهاب الدين عبد اللطيف بن عز الدين عبد العزيز بن يوسف بن أبى العز ، المعروف بابن المرحل ، الحرانى الأصل ، النحوى ، بالقاهرة ؛ وقد جاوز الستين .

و [توفى] الشيخ المعتقد عبد الكريم فى ربيع الأول ، ودفن بالقرافة .

و [توفى] المسند المحدث علاء الدين على بن قيران السكرى ، ومولده فى سنة ثمان وخمسين وستمائة .

و [مات] الأمير عيسى بن فضل الله بن أخى مهنا ؛ ولى إمرة العرب بعد موسى ابن مهنا ، ثم عزل بسليمان بن مهنا ؛ ومات بالقريتين ، ودفن بحمص .

و [توفى] تقى الدين محمد بن القطب عبد اللطيف بن الصدر يحيى بن أبى الحسن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكى ، [وهو] أحد الفقهاء الأجلة القراء .

و [توفى] الإمام شمس الدين محمد بن العماد أحمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد

---

(١) فى ف من باصل » ، وفى ف « ابن باخل » انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٢٢ .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٢٠٤٢ ا ، فقط .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٢٠٤٢ ا ، فقط .

(٤) فى ف ، وفى ب ، ٢٠٤٢ ا « الخاشنكير » انظر ما سبق هنا ، ص ٦٥٤

(١١٣ ب) بن عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى الحنبلى ، فى جمادى الأولى بدمشق ، عن تسع وثلاثين سنة .

و [مات] طغاى بن سوتاى بالمشرق ، قتلا .

و [مات] الأمير آقبغا عبد الواحد الأستادار ، فى محبسه بالإسكندرية ؛ وإليه تنسب المدرسة الآقبغاوية بجوار الجامع الأزهر .

وقتل الشيخ حسن بن دمرداش بن جوبان بن تلك ، بتوريز فى رجب . وكان داهية صاحب حيل ومكر ، وأفنى عدة كثيرة من المغل .

و [مات] طغاى بن سوتاى ؛ ومن أخباره أنه لما مات أبوه ، ووثب بعده على باشا خان بوسعيد ، حاربه طغاى حتى قتله ، فقتله إبراهيم شاه بن بارنباى ، يوم عاشوراء .

* * *

سنة خمس وأربعين وسبعمائة . أهلت والعسكر فى حركة اهتمام بالسفر إلى الكرك ، وقد تعين [الأمير] بغا الفخرى ، والأمير قارى ، والأمير طشتمر طلليه ، للتوجه بهم . وألزم [السلطان] كل (١١٤ ا) أمير مائة مقدم ألف بإخراج عشرة مماليك ، ولم يوجد فى بيت المال ولا الخزانة ما ينفق عليهم منه ، فأخذ مالا من تجار العجم ومن بيت الأمير بكتمر وجماعة آخرين على سبيل القرض ، وأنفق فيهم .

وفى يوم السبت مستهل المحرم قدم مبشر الحاج .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره خرج المجردون إلى الكرك .

وفى رابع عشريه قدم محمل الحاج ، وقد قاسى الحاج فى سفرهم[1] مشقات كبيرة من قلة الماء وغلو الأسعار ، بحيث أبيعت الويبة من الشعير بأربعين درهما عنها ديناران ، والويبة الدقيق بخمسين درهما ، والرطل البشماط بثلاثة دراهم . وأبيع الأردب القمح فى مكة بمائتى درهم ، وبلغ الجمل بمنى إلى أربعمائة وخمسين درهما ، لقلة الجمال . و [كان من أسباب ذلك أن] الشريف[2] عجلان بن رميثة خرج إلى جدة ، ومنع تجار اليمن من عبور مكة ، فعز بها (١١٤ ب) صنف المتجر ، وهلك كثير من مشاة الحاج .

(١) فى ف " سفره " ، وما هنا من ب ، ٤٢ ه ب .

(٢) فى ف " وخرج الشريف .... " ، وتعديل الجملة بالإضافة بين الحاصرتين للتوضيح .

و[فيه] أقامت العساكر على محاصرة الكرك وقطع الميرة عنها ؛ وكانت أموال [الناصر] أحمد قد نفدت من كثرة نفقاته ، فوقع الطمع فيه . وأخذ بالغ — وهو أجل ثقاته من الكركيين — فى العمل عليه ، وكاتب الأمراء ووعدهم أنه يسلم إليهم الكرك ، وسأل الأمان . فكتب إليه عن السلطان أمان ، وقدم إلى القاهرة كما تقدم فى السنة الخالية ، ومعه مسعود وابن أبى الليث ، وهؤلاء أعيان مشايخ الكرك ؛ فأكرمهم[1] السلطان وأنعم عليهم ، وكتب لهم مناشير بجميع ما طلبوه من الإقطاعات والأراضى ؛ و[كانت] جملة ما طلبه بالغ بمفرده نحو أربعمائة وخمسين ألف درهم فى السنة ، وكذلك أصحابه . ثم أعيدوا بعد ما حلفوا ؛ وقد بلغ [الناصر] أحمد خبرهم ، فتحصن بالقلعة ، ورفع جسرها ؛ وصاروا هم بالمدينة ومكاتباتهم ترد على العسكر . فلما ركب (١١٥ ا) العسكر للحرب ، وخرج الكركيون ، لم يكن غير ساعة حتى انهزموا منهم إلى داخل المدينة ؛ فدخلها العسكر أفواجا واستوطنوها ، وجدّوا فى قتال أهل القلعة عدة أيام ، والناس تنزل منها شيئاً بعد شىء ، حتى لم يبق مع [الناصر] أحمد عشرة أنفس ، فأقام يرمى بهم على العسكر . وكان [الناصر أحمد] قوى الرمى [شجاعا] ، إلى أن جرح فى ثلاثة مواضع . وتمكنت النقابة من البرج ، وعلّقوه وأضرموا النار تحته حتى وقع . وكان الأمير سنجر الجاولى قد بالغ أشد مبالغة فى الحصار ، وبذل فيه مالا كثيرا ؛ فلما هجم العسكر على [الناصر] أحمد ، فى يوم الاثنين ثانى عشرى صفر ، وجدوه قد خرج من موضع وعليه زردية ، وقد تنكب[2] قوسه وشهر سيفه . فوقفوا وسلّموا عليه ، فردّ عليهم السلام وهو متجهم ، وفى وجهه جرح وكتفه يسيل دماً . فتقدم إليه الأمير أرقطاى والأمير قارى فى آخرين ، فأخذوه ومضوا به إلى دهليز الموضع الذى (١١٥ ب) كان به ، وأجلسوه وطيّبوا خاطره ، وهو ساكت لا يجيبهم . فقيدوه ووكلوا بحفظه جماعة ، ورتبوا له طعاما ، فأقام يومه وليلته ، ومن باكر الغد تقدم إليه الطعام فلا يتناول منه شيئاً إلى أن سألوه فى أن يأكل ، [فأبى[3] أن يأكل]

---

(١) فى ف " فأكرموا " ، والتعديل للتوضيح ، فضلا عما يقتضيه السياق .

(٢) فى ف "سكب" ، وما هنا من ب ، ٥٤٣ ا

(٣) ما بين الحاصرتين من ب ٥٤٣ ا ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٩٢ .

حتى يأتوه بشاب كان يهواه يقال له عثمان ، فأتوه به فأكل عند ذلك .

وخرج ابن الأمير بيبغا الشمسى حارس الطير بالبشارة ، وعلى يده كتب الأمراء ، فقدم قلعة الجبل يوم السبت ثامن عشريه ؛ فدقت البشائر سبعة أيام . ثم قدم أيضا ابن الأمير قارى ، ثم بعده أرلان ومعه الحجاه[1] .

ثم أخرج[2] [الأمير] منجك السلاح دار ليلا[3] [من القاهرة] على النجب ؛ لقتل [الناصر] أحمد من غير مشاورة الأمراء ؛ فوصل إلى الكرك . وأدخل [منجك] إليه مَن أخرج الشاب من عنده ، وخنقه فى ليلة رابع ربيع الأول ، وقطع رأسه . وسار [منجك] من ليلته ، ولم يعلم الأمراء ولا العسكر بشىء من ذلك ، حتى أصبحوا وقد قطع منجك مسافة (١١٦) بعيدة . فقدم [منجك] بعد ثلاث إلى القلعة ليلا ، وقدّم الرأس بين يدى السلطان ، وكان ضخما مهولا له شعر طويل ، فاقشعرّ السلطان عند رؤيته ، وبات مرجوفا .

و[فيه] طُلب الأمير قبلاى الحاجب ، ورُسم بتوجهه لحفظ الكرك إلى أن يأتيه نائب لها ، وكُتب بعود الأمراء والعساكر ؛ وكانت مدة حصار [الناصر] أحمد بالكرك سنتين وشهراً وثمانية أيام .

وكان جمال الكفاة قد تقدم فى الدولة تقدما زائدا ، فإنه ولى الخاص ثم نظر الجيش ، فباشرهما جميعا . وتمكن فى أيام السلطان الملك الصالح تمكنا عظيما ، سببه أن السلطان اشتد شغفه بجارية مولدة يقال لها اتفاق[4] ، كانت تجيد ضرب العود ، وأخذته عن عبد على العواد العجمى ؛ فرتبه [جمال الكفاة] عند السلطان حتى صار يجلس معها عند السلطان .

وكان السلطان يخشى من الأمير أرغون العلائى ، ولا يتجاسر أن يبسط يده بالعطا

(١) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ص ٨٥٨ ، حاشية ١ .

(٢) فى ف " فاخرج " ، والتعديل للتوضيح .

(٣) فى ف " ليلا وركب على النجب لقتل ... " ، والتعديل من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١٠ ، ص ٩٣ .

(٤) فى ف ، وفى ب ، ٥٤٣ ب ، " اتفاق " ، وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٨٠) حيث وردت ترجمة طويلة لهذه الجارية العوادة .

لاتفاق ؛ فأسرّ ذلك (١١٦ ب) لجمال الكفاة ، فصار يأتيه بكل نفيس من الجواهر وغيرها سرّاً ، فينعم به على انفاق . وكذلك كان السلطان قد أسرّ للوزير نجم الدين هواه فى انفاق ، فكان أيضا يحمل إليه فى الباطن الأشياء النفيسة ، ولا كما يحمله[1] جمال الكفاة . فعلت رتبة[2] جمال الكفاة ، بحيث أن الوزير نجم الدين امتنع عن مباشرة الوزارة مالم يكن جمال الكفاة يلاحظه . ثم رسم السلطان[3] لجمال الكفاة أن يكون مشير الدولة ، وكتب له فى توقيعه الجناب العالى ، بعد ما امتنع علاء الدين على بن فضل الله كاتب السرّ من ذلك ، وتوحّش ما بينهما بسببه . فرسم السلطان أن يكتب له ذلك ، فعظمت رتبته ، وارتفعت مكانته إلى أن تعدّى طوره ، وأراد أن ينخلع من زىّ الكتاب إلى هيئة الأمراء ، وأن يكون أمير مائة مقدم ألف ، ولم يبق إلا ذلك . فشقّ على الأمراء هذا الأمر .

وكان [جمال الكفاة] قد تنكر عليه الأمير أرغون العلائى ، بسبب إقطاع عيّنه (١١٧ ا) لبعض أصحابه ، فأجاب بأن السلطان قد أخرجه ، فغضب العلائى وبعث إليه دواداره ومعه حياصة من ذهب ، وأمره أن يقول له عنه : " أنت ما بقيت تعطى شيئاً إلا ببرطيل ، وهذه الحياصة برطيلك ، خذها واقض شغل هذا الرجل " . فلم يسمع [جمال الكفاة] له بالإقطاع ، وقام مع السلطان حتى عرّف العلائى مشافهة بأنه هو [الذى] أخرج الإقطاع فأسرّها العلائى فى نفسه ، وأخذ يغرى به النائب [الحاج] آل ملك والأمراء ، فمال معهم الوزير ، وصاروا جميعهم حزبا واحدا عليه ؛ ورتبوا له مهالك ليقتلوه بها ، منها أنه يباطن [الناصر] أحمد ويكاتبه ، ويتصرّف فى أموال الدولة باختياره ، وقد ضيّعها كلها ، فإنه كان ناظر الخاص وناظر الجيش ومشير الدولة ، وأنه يتحدث مع السلطان فى الأمراء ، ويقع فيهم ويثلب أعراضهم عنده . وأخذ الوزير يعلم السلطان (١١٧ ب) والعلائى بأن سائر ما يخبره السلطان به من محبته لانفاق يخبر به الوزير ، ونقل عنه من

---

(١) كذا فى ف ، وفى ب ، ٥٤٣ ب "ولا يحمله جمال الكفاه" ، والمعنى المقصود مفهوم فى الحالين .

(٢) فى ف ، وفى ب ، ٥٤٣ ب كذلك " رتبته " ، والتعديل للتوضيح .

(٣) فى ف ، وفى ب ، ٥٤٣ ب كذلك " فرسم له ان يكون ... " ، والتعديل للتوضيح . انظر ما سبق ، ص ٦٣٤ ، حاشية ٤ .

ذلك أشياء تبين للسلطان صحته . فانحطت[1] بذلك مكانته عند السلطان ، ورُسم بقتله بعد أخذ ماله ، فقبض عليه فى يوم الأربعاء ثانى عشر صفر ، وعلى أولاده وزوجته . وقُبض معه على الصفى الحلى موسى كاتب قوصون وناظر البيوت ، وعلى الموفق عبد الله بن إبراهيم ناظر الدولة .

ونزل الحجدى إلى بيت[2] [جمال الكفاة] ، وأوقع الحوطة عليه بما فيه ، ونزل تمر الموساوى فأوقع الحوطة على بيت الصفى ، وعفى الوزير بالموفق فلم يعاقب . ونوعت العقوبات لجمال الكفاة والصفى ، وضربت أولاد جمال الكفاة وهو يراهم ضربا مبرحا بالمقارع ، وعصرت نساؤه ونساء الصفى وأخذت أموالهم . فرفع خالد المقدم قصة للسلطان ذكر فيها أنه إن شدّ وسطه[3] ، وأقيم فى (١١٨ ا) التقدمة ، أظهر لهم مالا كثيراً [من مال جمال الكفاة] . فطُلب ورسم بشدّ وسطه ، ونزل إليهم ، فأظهر لجمال الكفاة بتهديده إياه صندوقا فيه ما قيمته نحو عشرين ألف دينار [خالد] ، وكان مودعا عند بعض جيرانه بالمنشية ؛ ولم يظهر له بعد ذلك شىء .

وفيه خلع على الضياء المحتسب ، واستقرّ فى نظر الدولة عوضا عن الموفق ، على كره منه لذلك .

وفيه قدم الأمراء من تجريدة الكرك ، فاشتدّت العقوبة على جمال الكفاة خشية من الشفاعة فيه ، وضرب مائة وعشرين شيبا[4] ، وسلم لخالد المقدم فخنقه فى ليلة الأحد سادس ربيع الأول ، ودفن[5] فى يوم الأحد بجوار تربة ابن عبود . فكانت مدة مصادرته أحدا وعشرين يوما ، ومدة مباشرته خمس سنين وشهراً وأيام . وعوقب الصفى موسى عقوبة عظيمة ، وعصر فى أصداغه ، وضرب (١١٨ ب) بالمقارع حتى أنتن بدنه كله ،

---

(١) فى ف " لحطت " ، وما هنا من ب ، ٥٤٣ ب .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٤٣ ب ، " بيته " ، والتعديل للتوضيح .

(٣) لم يستطع الناشر أن يجد شرحاً للمقصود بعبارة " شد وسطه " ، ولعله أن خالدا هذا طلب أن يكون أميرا .

(٤) الشيب سير السوط . (محيط المحيط) .

(٥) فى ف " وكان " ، وما هنا من ب ، ٥٤٤ ا .

فلم يمت . وأفرج عن الموفق بواسطة الوزير ، وخلع عليه فى اليوم المذكور ، واستقرّ فى نظر الخاص ، بعد ما عين العلائى علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم بن زنبور مستوفى الصحبة لنظر الخاص ؛ فلم يتهيأ له لسفره ببلاد الشام .

و [فيه] خلع على أمين الدين إبراهيم بن يوسف السامرى كاتب طشتمر ، واستقرّ فى نظر الجيش .

و [فيه] خلع على علم الدين بن سهلول ، واستقرّ فى نظر الدولة عوضا عن الضياء [المحتسب] ، لاستعفائه وعدم تناوله معلوم النظر ؛ وأعيد [الضياء المحتسب] إلى نظر المارستان .

وفى يوم الخميس سابع عشره كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا .

و [فيه] قدم البريد من حلب باتفاق فياض وابن دلغادر أمير الأبلستين بمحاصرة قلعة طرنده ، وأخذها من أرتنا وبها أمواله ، ثم سيرهما إلى حلب . وطلب [نائب حلب] تجريد (١١٩ ا) العسكر إليه ، فرسم بتوجه الأمير مكتمر[1] الحجازى ، والوزير نجم الدين محمود ، والأمير طرنطاى الحاجب ، وخمسين مقدما من مقدمى الحلقة ، بألف فارس من أجناد الحلقة ؛ وجهزت نفقاتهم ؛ ثم بطلت التجريدة .

وتوقفت أحوال الدولة من كثرة الإنعامات والإطلاقات للخدام والجوارى ، ومن يلوذ بهم ومن يعنون به ؛ فكثرت شكاية الوزير من ذلك . وكتبت أوراق بكلف الدولة ومتحصلها ، فكانت الكلف ثلاثين ألف ألف درهم فى السنة ، والمتحصل خمسة عشر ألف ألف درهم[2] . وقرئت [الأوراق] على السلطان والأمراء ، فرسم أن يستقرّ الحال على ما كان عليه إلى حين وفاة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ، ويَبطُل ما استجد بعده ، وأن تقطع توابل الأمراء والكتاب حتى الكماج السميذ . فعُمل بذلك شهر واحد ، وعادت الرواتب على ما كانت عليه ، (١١٩ ب) حتى بلغ مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم اثنين وعشرين ألف درهم ، بعد ما كانت فى الأيام الناصرية ثلاثة عشر ألف درهم .

(١) فى ف " حلكتمر " ، وما هنا من ب ، ٤٤ ٥ ب .

(٢) هنا تقدير لخزانة الدولة فى ذلك العصر ، وهو مما يساعد الاقتصاديين على دراسة المالية المصرية فى العصر المملوكى .

و بينا النائب جالس [يوما] إذ قدم له مرسوم عليه علامة السلطان ، براتب لحم وتوابل وكاجتين سميذ ، باسم ابن علم [الدين] الخياط . فقال [النائب[1] لصاحب المرسوم] : "ويلك ، أنا نائب السلطان قد قُطعت الكاجة التى لى ، فسى بجاهك تخلص لى كاجة" ؛ وتزايد الأمر فى ذلك ، فلم يمكن أحد رفعه .

وفيه خُلع على الأمير ملكتمر السرجوانى ، واستقرّ فى نيابة الكرك . وجُهّز معه عدة صناع لعمارة ما انهدم من قلعتها ، وإعادة البرج إلى ما كان عليه . ورُسم أن يخرج معه [مائة] من مماليك قوصون و بشتاك الذين كان [الناصر] أحد أسكنهم بالقلعة [بالقاهرة] ، ورتب[2] لهم الرواتب ، وأن يخرج منهم مائتان (١٢٠ ا) إلى دمشق وحمص وحماه وطرابلس وصفد وحلب . فأخرجوا جميعاً فى يوم واحد ، ونساؤهم وأولادهم فى بكاء وعويل ؛ وسخروا لهم خيول الطواحين ليركبوا عليها ، فكان يوماً شنيعاً .

وقدم الخبر من ماردين بأن فياض بن مهنا فارق ابن دلغادر ، وقصد بلاد الشرق ليقوى عزم المغل على أخذ بلاد الشام . فمنعه صاحب ماردين من ذلك ، وشفع إلى السلطان فيه أن يردّ إليه إقطاعه الذى كان بيده قبل الإمرية ؛ فقبلت شفاعته ، وكتب بردّ إقطاعه المذكور .

و [فيه] كتب بطلب [الأمير] سيف بن فضل على البريد .

و [فيه] قام الأمير ملكتمر الحجازى فى خلاص الصفى موسى كاتب قوصون حتى أفرج عنه ، وخلع عليه واستقرّ فى ديوانه ، بعد ما أشرف على الهلاك .

و [فيه] أفرج أيضاً عن أهل الأمير سيف الدين (١٢٠ ب) أيتمش الناصرى ، واستقرّ فى الوزارة عوضاً عن جمال الكفاة .

وفى خامس عشر ربيع الآخر خلع على الأمير نجم الدين محمود وزير بغداد ، بطلبه الإعفاء لتوقف الحال .

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب " فقال له " ، والتعديل بالإضافة بين الحاصرتين يقتضيه السياق .

(٢) فى ف " ورتب لهم الرواتب مائة مملوك ... بقلعة الكرك " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٩٣ .

و[فيه] قدم الخبر بوفاة حديثة بن مهنا ، وأن أخاه فياض بن مهنا سار عن ماردين وكبس سيف بن فضل أمير الملا[2] ، فقتل جماعة من أصحابه ، ونهب أمواله ، وأسر أخاه .

وفيه تنكر الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى على الأمير آل ملك النائب ، بسبب أنه كان إذا قدم إليه منشور بإقطاع أو مرسوم بمرتب ليكتب عليه بالاعتماد يتكره من ذلك ، و إذا سأله أحد إقطاعاً أو مرتباً قال له : " يا ولدى [ا]رح إلى باب الستارة أبصر طواشى ، أو توصل لبعض المغانى تقضى حاجتك " . ودله بعض العامة على موضع تباع فيه الخمر والحشيش ، فأحضر أولئك [الذين يبيعونهما] ، وضربهم فى دار النيابة (١٢٠ ا) بالقلعة بالمقارع ، وشهرهم ؛ وخلع على ذلك العامى ، وأقامه عنه فى إزالة المنكر ، فصار يهجم البيوت لأخذ الخمور منها .

فلما كان يوم الاثنين ثامن عشرى ربيع الآخر خلع على شجاع الدين غُرْلُو ، واستقر فى ولاية القاهرة ، عوضاً عن نجم الدين . فمنع [شجاع الدين ذلك] الرجل [العامى] من التعرض للناس ، وأدبه . فطلبه [الأمير الحاج آل ملك] النائب ، وأنكر عليه [منعه له] ؛ فأحضر ذلك الرجل من الغد رجلا معه جرة خمر ، فكشف [النائب] رأسه وصبها عليه ، وحلق لحيته على باب القلعة بحضرة الأمراء ؛ فعابوا عليه ذلك . وأخذ الأمير أرقطاى يلوم[2] [الأمير الحاج آل ملك النائب] ، و ينكر عليه ، فتفاوضا فى الكلام ، وافترقا على غير رضى .

واتفق أن الأمير ملكتمر الحجازى كان مولعاً بالخمر ، و يحمل إليه [الخمر] على الجمال إلى القلعة . فمرت [الجمال] بالنائب وهو بشباك النيابة ، فبعث نقيباً لينظر أين تدخل ، و يأتيه بالجمال . فلما دخلت [الجمال] بيت الحجازى (١٢١ ب) ، وتسلم الشربدار ما عليها ، وقد فطن الجمال بالنقيب ، تغيب فى داخل البيت ، وعرف [الأمير ملكتمر] الحجازى الخبر . فأحضر [الأمير ملكتمر] النقيب ، وضربه ضرباً مؤلما ، فقامت قيامة [الأمير الحاج آل ملك] النائب ، وتحدث مع [الأمير أرغون] العلائى فى الخدمة ، وأنكر على الحجازى تعاطيه الخمر . فأتاه الحجازى وفاوضه مفاوضة كثيرة ، وقام مغضباً ، و[الأمير أرغون] العلائى ساكت . فلم يعجب النائب من العلائى سكوته ، وانفضوا على غير رضى ؛ فطلب النائب الإذن

---

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٤٠ ا .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٤٠ ا " يلومه " .

في سفره إلى الحجاز ، فرسم له بذلك ثم منع منه ، وترضّاه السلطان حتى رضى وأبطل حركته للحج .

واتفق أن حسن بن الرديني الهجان قُتل ليلا فى بيته بسوق الخيل من منسر كبس عليه ، وقد خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس . فاتهم ولده بذلك عيسى بن حسن الهجان وبالغا الأعرج ، لعداوة بينهما وبين أبيه ، فقبض عليهما وأحضرا إلى النائب ، فعرّاهما وأراد أن يضربهما بالمقارع . فما زالا به (١٢٢ ا) حتى أمهلهما أياماً عيّنها ، ليكشفوا عن القاتل ، فسعيا بالأمراء حتى أفرج عنهما مُعارضة للنائب ، ومنع من طلبهما . وأنعم على ولد حسن بإقطاع أبيه ووظيفته ؛ فاشتدّ حنق النائب ، وأطلق لسانه بالكلام .

وفيه قدم سيف بن فضل ، فأكرمه السلطان ، وكتب إلى نائب الشام بالقبض على أحمد بن مهنا إذا قدم عليه . وكان فياض قد بعثه ليأخذ له الأمان من السلطان ، فيوم قدم دمشق أمسك هو وابن أخيه ، وحبسا بالقلعة ترضية[1] للأمير سيف . فجمع فياض عربه يريد أخذ دمشق ، فجرّد النائب له عشرة أمراء ، فرجع عن مقصده . وبلغ ذلك الأمير آقسنقر الناصرى نائب طرابلس ، فشقّ عليه سجن أحمد بن مهنا ، لأنه كتب فيه للسلطان ، وأنه ضمن دركه ودرك فياض . فأجيب [آقسنقر] بقبول شفاعته ، ورسم بحضورهما إلى مصر ؛ فاتفق من مسكه[2] ما اتفق .

وقدم الخبر (١٢٢ ب) بنفاق عربان الوجه القبلى ، وقطعهم الطرقات على الناس ، وامتداد الفتن بينهم نحو شهرين قُتل فيها خلق عظيم ، وأن عرب الفيوم أغار بعضهم على بعض ، وذبحوا الأطفال على صدور أمهاتهم ، فقتل بينهم قتلى كثيرة . وأخربوا ذات الصفا ، ومنعوا الخراج فى الجبال ، وقطعوا المياه حتى شرق [أكثر] بلاد الفيوم ؛ فلم يلتفت [أمراء] الدولة لذلك ، لشغلهم بالصيد ونحوه .

وفيه نقل غُرْلُو من ولاية القاهرة إلى شد الدواوين ، والدولة فى غاية التوقف . فاستجد [غرلوا] من الحوادث أن من طلب ولاية ، أو شدّ جهة ، يحمل مالاً بحسب

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٤٤٥ ب " رضى " .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٤٤٥ ب " مكاه " .

وظيفته إلى بيت المال . وعرّف [غرلو] السلطان أن هذا المال كان يحمل للناظر والمباشرين ، وأنه تنزّه عن ذلك ، وأظهر نهضة وأمانة .

[وفيه] قدم الخبر بكثرة فساد العشير ببلاد الشام ، وقطعهم الطرقات لقلة حرمة الأمير (١٢٣ ا) طقزدمر نائب الشام . فانقطعت طرقات طرابلس و بعلبك ، ونهبت[(١)] بلادها . وامتدت الفتنة بين العشير[(٢)] زيادة على شهر ، قتل فيها خلق كثير . ونحروا الأطفال على صدور أمهاتهم ، وأضرموا النار على موضع احترق فيه زيادة على عشرين امرأة .

و [فيه] توقفت أحوال القاهرة من جهة الفلوس وتحسنت أكثر المبيعات . وذلك أن المعاملة بالفلوس كانت بالعدد ، فكثر فيها الفلوس الخفاف . وانتُدِب جماعة لشراء النحاس الخلق بدرهمين الرطل ، وقصه فلوساً خفافاً ، فبلغ الرطل منها عشرين درهماً . و [صار] الرصاص يقطع على هيئة الفلوس ، ويخلط بها . وجُلب كثير من فلوس الشام وهى واسعة ، فكانت تقطع ست قطع كل منها فلس ، إلى أن أفحش ذلك ، وكثر التعنت فيها .

فطلب [السلطان] المحتسب والوالى وأنكر عليهما ، فقبضا على كثير من الباعة ، وضربوا عدة منهم بالمقارع وشهروهم ؛ فتحسنت (١٢٣ ب) الأسعار كلها . فألزم المحتسب سماسرة الغلال ألا يزيدوا فى سعر الغلة شيئاً ، فلم يتجاسر أحد منهم [أن] يزيد شيئاً فى السعر . ثم نودى ألا يؤخذ من الفلوس إلا ما عليه سكة السلطان ، وما عدا ذلك يؤخذ بحساب كل رطل درهمين ، ولا يقبل فيه نحاس ولا رصاص . فشريت[(٣)] الفلوس ، وأخذ منها ما عليه السكة السلطانية ، وتعامل الناس بها عدداً ، ووزنوا فى المعاملة الفلوس الخفاف بالرطل على حساب[(٤)] درهمين كل رطل ؛ ففقدت بعد قليل . ثم ألزم الناس بحمل ما عندهم [من الفلوس[(٥)]] إلى دار الضرب ، فضربت فلوساً جدداً . ولم يكن فى الدولة حاصل يُحمل لدار الضرب ، كما هى العادة ، لتوقف أمرها .

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٤٦ ا ، " ونهبوا " .
(٢) فى ف ، وكذلك ب ٥٤٦ ا " بينهم " ، والتعديل للتوضيح .
(٣) فى ف " سربت " ، وما هنا من ب ، ٥٤٦ ا .
(٤) فى ف " حسب " ، وما هنا من ب ، ٥٤٦ ا .
(٥) ما بين الحاصرتين من ب ، ٥٤٦ ا .

و[فيه] قدم الأمير جركتمر الحاجب من كشف الغلال ، وقد حصل من متوفر غلال العربان ببلاد الشام أربمائة ألف وخمسين ألف درهم .

وفيه توجه السلطان إلى (١٢٤ أ) سرياقوس على العادة .

و[فيه] قبض على المقدم خالد ، ووقعت الحوطة على موجوده ، وأخذ أسوء سيرته .

و[فيه] قدم رسول ابن دلغادر ، وأخوه وابن عمه ، بكتابه ؛ وأنعم عليه بزيادة من أراضى الحلبية .

وفى النصف شعبان قدمت الحرة ، أخت صاحب الغرب[1] فى جماعة كثيرة ، وعلى يدها كتاب السلطان أبى الحسن يتضمن السلام ، وأن يدعو لها الخطباء فى يوم الجمعة فى خطبهم[2] ، ومشايخ الصلاح وأهل الخير ، بالنصر على عدوهم ، و [أن] يكتب لأهل الحرمين بذلك . وذلك أن فى السنة الخالية كانت بينه و بين الفرنج وقعة عظيمة ، قتل فيها ولده ، ونصره الله بمنه على العدو ، وقتل كثيراً منهم ، وملك منهم الجزيرة الخضراء . فسر الفرنج مائتى شينى ، وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين بالجزيرة ، وأوقعوا بهم على حين غفلة ، فاستشهد عالم كبير ، ونجا أبو الحسن فى طائفة (١٢٤ ب) من ألزامه بعد شدائد . وملك الفرنج الجزيرة ، وأسروا وسبوا وغنموا شيئاً يجل وصفه ؛ ثم مضوا إلى جهة غرناطة ، ونصبوا عليها مائة منجنيق ، حتى صالحهم أهلها على قطيعة يقومون بها ، وتهادنوا مدة عشر سنين .

وقدمت رسل البنادقة من الفرنج بهدية ، وسألوا الرفق بهم والمنع من ظلمهم ، وألا يؤخذ منهم إلا ما جرت به عادتهم ، وأن يمكنوا من بيع بضائعهم على من يختارونه[3] . فرسم الناظر الخاص ألا يتعرض لبضائعهم ، ولا يأخذ منها شيئاً إلا بقيمته ، ولا يلزمهم

---

(١) صاحب الغرب المقصود هنا هو أبو الحسن على المرينى . انظر (Lane-Poole: Muh. Dyns. p. 57).

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٤٦ ب " خطبها " .

(٣) يشير المقريزى هنا إلى المفاوضات التى قام بها السفير البندقى نيقولا تزينو (Niccolo Zeno) ، ثم بعده زميله أنجلو صربى (Angelo Serbi) لعقد معاهدة جديدة بين مصر والبندقية ، لتنظيم التجارة بينهما ، زمن السلطان الصالح إسماعيل . انظر Heyd: Hist. du Commerce du Levant au Moyen Age. II. PP 45-46) ، حيث يشير المؤلف إلى محتويات المتن الوارد هنا ، ويقارنها بنص المعاهدة التى اطلع عليها هو فى مرجع من المراجع المذكورة به .

بشراء ما لا يختارون شراءه ، وأن يأخذ منهم على [كل] مائة دينار ديناران — وكانوا يؤدون عن المائة أربعة دنانير ونصف دينار — ، ليكثر الفرنج من بلادهم جلب البضائع .

وفى مستهل شهر رمضان توقفت أحوال الدولة فى كل شىء ، وعجز الوزير عن لحم المعاملين[1] وجوامك المماليك وسكرهم الجارى به العادة فى شهر (١٢٠ ا) رمضان ؛ وكان [السكر الجارى] فى الأيام الناصرية محمد بن قلاون ألف قنطار ، فبلغ فى هذا الشهر ثلاثة آلاف قنطار ونيف ، ولم يوجد فى بيت المال شىء ، لكثرة الزيادات فى الرواتب . وعزّ وجود السكر لتلاف القصب فيما مضى ، فرسم بقطع راتب الأمراء والمماليك وأرباب الوظائف كلهم ، ولم يصرف سكر إلا لنساء السلطان فقط .

وكتبت أوراق بكلف الدولة ، فمنع جميع ما استجدّ بعد [السلطان] الناصر محمد ، وكتب بذلك مرسوم سلطانى . فتوفر فى كل يوم أربعة آلاف رطل لحم ، وستمائة كماج سميذ ، وثلاثمائة أردب شعير ؛ وفى كل شهر مبلغ ألف[2] درهم ، وفى السنة عدة كساوى . وأضيف سوق الخيل والجمال والحمير إلى الدولة ، وعُوّض مقطعوها بأرض سيلا من أعمال الفيوم ، وبناحية سنديون من القليوبية ، وبناحية فيشة من الغربية ، خلا ما هو فيها لقضاة القضاة ، عوضاً عما كان لهم على الجوالى .

(١٢٠ ب) وفى هذا الشهر خلع على تقى الدين سليمان بن على بن عبد الرحيم بن سالم ابن مراحل ، واستقرّ فى نظر دمشق . و [كان] قد طُلب إلى مصر ، عوضاً عن المسكين إبراهيم بن قروينة باستعفائه .

و [فيه] كتب بنقل ناصر الدين محمد بن المحسنى من طرابلس إلى دمشق ، واستقراره فى وظيفة الشدّ رفيقاً لابن مراحل . فضبطا الجهات ضبطاً كبيراً ، وقطعا من موقعى دمشق نحو العشرين قد استجدوا ، منهم ابن الزملكانى ، وابن غانم ، وابن الشهاب محمود وأولاده ، وجمال الدين بن نباتة المصرى . وقطعا كثيراً من البريدية ، وحملا[3] كسوة المماليك على العادة ، وهى ألفا ثوب بعلبكى سوى البطائن وغيرها .

---

(١) المقصود بلفظ المعاملين ، حسبما ورد فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) أرباب المعاملات التجارية الذين يمدون المطبخ السلطانى بمختلف الحوائج والمواد الغذائية .

(٢) فى ب ، ١٤٧ ا " الى " .

(٣) فى ف " خلا " ، وما هنا من ب ، ١٤٧ ا .

وفيه مات بدوه[1] العطرى ، ففُرّق إقطاعه على ثمانين من المماليك السلطانية ، ووفرت جوامكهم ورواتبهم ، وأخرج عدة منهم إلى الكرك

و [فيه] رُسم بعرض أجناد الحلقة على النائب ، ليوفر منهم إقطاع الشيخ العاجز والجندى (١٢٦ أ) المستجد . فطُلب الأجناد من الأقاليم ، ونودى من تأخر عن العرض قطع خبزه ؛ فقام الأمراء فى ذلك حتى بطل .

وفى يوم الخميس تاسع عشريه أفرج عن الأمير بيغرا ، وعن الأمير قراجا [والأمير أولاجا] من سجن الإسكندرية ؛ وتوجهوا إلى دمشق . ثم رُسم لبيغرا بالإقامة بالقاهرة ، وأنعم عليه بتقدمة ألف .

و [فيه] رُسم أن تكون نفقة المماليك والأوجاقية والأيتام بين يدى الطواشى المقدم ، فوفّر منهم عدة .

و [فيه] أنعم على الأمير طرنطاى البشمقدار بإقطاع الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، بعد موته .

و [فيه] أنعم بإقطاع طرنطاى على الأمير بيبغا ططر نائب غزة ، ورسم بحضوره .

و [فيه] خلع على الأمير علم الدين أيدمر الزراق ، واستقر فى نيابة غزة ؛ وأنعم بإقطاعه على ابن بكتمر الساقى .

و [فيه] أنعم بإقطاع الأمير ألطنقش ، بعد موته ، على ارغون الصغير صهر [أرغون] العلائى .

و [فيه] توجه ركب (١٢٦ ب) الحاج على العادة ، صحبة الأمير طيبغا المجدى .

وفى مستهل ذى القعدة قدمت خوند بنت الأمير طقزدمر نائب الشام ، زوجة السلطان [الصالح إسماعيل] ، فدخل عليها .

وفى يوم الاثنين حادى عشريه عُزل الضياء أبو المحاسن يوسف بن أبى بكر بن محمد بن خطيب بيت الآبار الشامى ، من نظر المارستان المنصورى ؛ واستقر عوضه علاء الدين ابن الأطروش .

وفى [يوم] السابع من ذى الحجة انفرد العلم بن سهلول بوظيفة نظر الدولة ، بعد

(١) كذا فى ف ، وكذلك ب ، ١٠٤٨ .

ما التزم بحمل ألف دينار لبيت المال .

و [فيه] عزل موسى بن التاج إسحاق ، لتوقف حال الدولة ، وكثرة تقاقه[1] وكراهة الناس له ، لظلمه وتغييره قواعد كثيرة .

و [فيــه] قدم كتاب التاج محمد بن محمد بن عبد المنعم البارنبارى موقع طرابلس بحدوث سيل عظيم ، لم يعهد مثله فيما تقدم .

وفيها كثر سقوط الثلج بدمشق حتى خرج عن العادة ، وأنفقوا (١٢٧ ا) على شيله من الأسطحة ما ينيف على ثمانين ألف درهم ، فإنه أقام يسقط أسبوعين .

و [فيها] زاد عاصى حماة حتى خرّب عدة بيوت .

و [فيها] تواتر سقوط البَرَد بأرض مصر ، مع ريح سوداء ، وشمش عظيم ، وبرق ورعد مهول . ثم أعقب ذلك سمائم شديدة الحرّ ، بحيث تطاير منها شررٌ أحرق رؤوس الأشجار ، وزريعة الباذنجان وبعض الكتان ، حتى اشتدّ خوف الناس ، وضجوا إلى الله تعالى . وجاء مطر غزير ، ثم تردّد فيه يبس لم يعهد مثله ، فكانت أراضى النواحى تصبح بيضاء من كثرة الجليد ؛ وهلك من شدّة البرد جماعة من بلاد الصعيد وغيرها . وأمطرت [السماء] خمسة أيام متوالية حتى ارتفع الماء فى مزارع القصب قدر ذراع ، وعمّ ذلك أرضَ مصر قِبليها وبحريها . ففسدت بالريح والمطر مواضع كثيرة ، وقلّت أسماك بحيرة نستراوة وبحيرة دمياط (١٢٧ ب) ، والخلجان وبركة الفيل وغيرها ، لموتها من البرد .

فتلفت فى هذه السنة بعامة أرض مصر وجميع بلاد الشام بالأمطار والثلوج والبرد ، وهبوب السمائم وشدة البرد ، من الزروع والأشجار ، والبهائم والأنعام والدور ، مالا يدخل تحت حصر ، مع ما ابتلى به أهل الشام من تجريد عساكرها وتسخير[2] أهل الضياع ، وتسلّط العربان والعشير ، وقلة حرمة السلطنة مصراً وشاماً ، وقطع الأرزاق وظلم الرعية .

وبلغت زيادة النيل فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً .

و [فيــه] قدم سيف الدين بلطوا[3] مبشراً بسلامة الحجاج ، فى خامس عشرى ذى الحجة .

---

(١) كذا فى ف ، وكذلك ب ، ٧ ٥٤ ب .
(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ٥٤٨ ا " سنحر " .
(٣) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٠٤٨ .

ومات فيها من الأعيان إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي في شعبان، بيزشانة من الأندلس؛ قدم القاهرة، وأخذ عن جماعة، وولي ببلده قضاء عدة (١٢٨ ا) مواضع.

و [توفي] قاضي القضاة الحنفية بدمشق جلال الدين أحمد بن الحسام أبي الفضائل الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان الرازي، عن بضع وسبعين سنة بدمشق.

و [مات] الأمير بدر الدين بكتاش نقيب الجيش، في يوم الخميس سابع عشري جمادى الآخرة، وكان مشكوراً.

و [مات] الأمير علم الدين سنجر الجاولي الفقيه الشافعي، في يوم الخميس ثامن رمضان، ودفن بمدرسته فوق جبل الكبش؛ أصله من مماليك جاول[1] أحد أمراء [السلطان] الظاهر بيبرس، ثم انتقل بعده إلى بيت السلطان [المنصور قلاون[2]]. وأخرج في أيام الأشرف خليل إلى الكرك: فاستقر في بحريتها[3]. وقدم في أيام [السلطان] العادل كتبغا إلى مصر بحال زري، فسلمه [كتبغا] إلى مملوكه بتخاص، ليكون نائبه بالحوائج خاناه؛ وتنقل حتى قدمه الأمير سلار ونوه به. ثم ولي نيابة غزة، وصار من أكبر أمراء مصر. وله مدرسة على جبل الكبش (١٢٨ ب) بجوار جامع ابن طولون، وجامع بقرية الخليل عليه السلام، وجامع بغزة، ومارستان وخان [ببيسان، وخان] بقاقون؛ وله مصنفات وفضائل كثيرة.

و [مات] الأمير طقصبا الظاهري، وقد أناف على مائة وعشرين سنة.

و [مات] الأمير ألطنقش أستادار السلطان [الناصر[4] محمد]، وهو من مماليك الأفرم. فلما توجه الأفرم إلى بلاد التتار[5] قدم هو إلى القاهرة، فقبض عليه وسجن، ثم

(١) في ف " جوالى "، وفي ب، ١٠٤٨ ا، " جاولى"، وما هنا من ابن حجر (الدور الكامنة : ج ٢، ص ١٧٠)، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين.

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في ب ١٠٤٨ ا، وكذلك ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ١١٠).

(٣) انظر مقالي عنوانها " بعض ملاحظات جديدة في تاريخ سلاطين المماليك (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الرابع، الجزء الأول، ص ٧٢ — ٧٤، مايو ١٩٣٦).

(٤) ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدور الكامنة، ج ١، ص ٤١٠).

(٥) في ف " الشام "، وما هنا من ب، ١٠٤٨ ا.

أفرج عنه ، وأنعم عليه بإمرية طبلخاناه . ثم عمل أستاداراً صغيراً ، مع أستادارية آنوك بن السلطان [الناصر محمد] .

و [مات] الأمير أرغون عبد الله .

ومات الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد الدوادار الناصرى ، بطرابلس ؛ ولى نيابة الإسكندرية ، وكشف الجيزة ، ثم دوادارية السلطان [الناصر محمد] ؛ وكان كاتبا شاعرا ضابطا .

و [مات] الأمير سنجر الجقدار أحد المماليك المنصورية ، وقد أسن .

و [مات] محمد بن شرف الدين الرديني المجان ، قتلا .

و [مات] الأمير طرنطاى [المحمدى[1]] بدمشق ، وهو أحد المماليك (١٢٩ ا) المنصورية قلاون ، وممن جملة من وافق على قتل الأشرف [خليل[2]] . وسجن سبعاً وعشرين سنة ، ثم أخرج إلى طرابلس أمير عشرة ، ثم نقل [إلى] دمشق .

و [مات] الأمير بكتمر العلائى أحد المنصورية أيضاً ، بعد ما ولى أستاداراً ونائب حمص ، ونائب غزة ، ثم نائب حمص ، وبها مات .

و [مات] الأمير كندغدى الزراق المنصورى بحلب ؛ وهو رأس الميسرة ، ومقدم العساكر المجردة إلى سيس .

و [مات] الأمير بلبان الشمسى أحد المنصورية ، بحلب .

و [مات] فتح الدين صدقه الشرابيشى ، عن مال ومعروف كثير ، فى يوم الأحد ثانى شوال .

و [مات] جمال الكفاة إبراهيم مشير الدولة وناظر الخاص والجيش ، تحت العقوبة ، فى ليلة الأحد سادس ربيع الأول . كان أولا يباشر[3] فى بعض البساتين على بيع ثمرته ، وتنقل فى خدمة ابن هلال الدولة . ثم خدم بيدمر البدرى — وهو خاصكى خبزه فى حلقة ٢٠

(١ ، ٢) ما بين الحاصرتين من ب ، ٥٤٨ ب ، وابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢١٨) .

(٣) فى ف « مباشر » ، وما هنا من ب ، ٥٤٨ ب .

معروف — يكتب على بابه إلى أن تأمّر، فباشر[1] عنده (١٢٩ب). ثم قرّره [السلطان] الملك الناصر [محمد] فى الاستيفاء، ثم أقامه فى ديوان الأمير بشتاك بعد موت المهذب إلى أن قتل النشو، فولاه نظر الخاص بعده. ثم أضاف إليه [السلطان الناصر محمد] نظر الجيش، عوضًا عن المكين إبراهيم بن قروينة، فنهض بهما. ولاحظته السعود حتى انقضت أيامه، فزال سعده، وعوقب حتى هلك. وكان يتحدث بالتركى والنوبى والتكرورى، وله مكارم كثيرة.

و [مات] خالد بن الزّرّاد المقدم، فى يوم الجمعة ثامن عشرين جمادى الآخرة، تحت العقوبة؛ وكان ظالمًا.

و [توفى] شمس الدين محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن نجدة بن حمدان، المعروف بابن النقيب الشافعى، قاضى القضاة بحلب، وهو معزول بدمشق، عن نيف وثمانين سنة.

و [توفى] الشيخ أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف بن على بن حيّان الأندلسى، إمام وقته فى النحو والقراءات والأدب، فى ثامن عشرى صفر.

* * *

سنة ست (١٣٠ا) وأربعين وسبعمائة. فى المحرم قدم كتاب أرتنا يتضمن اتضاع أمر أولاد دمرداش، ويغضّ من نائب حلب على ما فعله مع ابن دلغادر.

وفى عشريه قدم محمل الحاج، فتحرك عزم السلطان للحج، وكتب إلى البلاد الشامية بابتياع ستة آلاف جمل وألفى رأس غنم، وجميع ما يحتاج إليه من العبى والأقتاب[2] ونحو ذلك. وتوجه الأمير طقتمر الصلاحى بسبب ذلك، وكتب إلى الكرك والبلقاء بحضور العربان بجمالهم، وأن يحمل إلى عقبة أيلة ألفا غرارة شعير، وما يناسب ذلك من الأصناف. فقدمت طائفة من العربان، وقبضوا مالاً ليجهزوا جمالهم، إلى أن أهلّ ربيع الآخر تغيّر

(١) فى ف، وكذلك فى ب، ٥٤٨ ب " فباشر به ".

(٢) مفرد هذا اللفظ " قتب "، وهو ما يوضع على سنام البعير فى السفر، ويسمى كذلك الإكاف. (محيط المحيط).

مزاج السلطان ، ولزم الفراش ؛ فلم يخرج للخدمة أياماً . وكثرت القالة ، وتمنعت العامة فى الفلوس ، وتحسن السعر .

وأرجف بالسلطان ، فغلقت الأسواق ، حتى ركب الوالى والمحتسب وضربوا جماعة (١٣٠ ب) وشهروهم . فاجتمع الأمراء ، ودخلوا على السلطان ، وتلطفوا به حتى أبطل الحركة للحج ؛ وكتب بعود طقتمر من الشام ، واستعادة المال من العربان . وما زال السلطان يتعلل إلى أن تحرك أخوه شعبان ، واتفق مع عدة من المماليك ؛ وقد انقطع خبر السلطان عن الأمراء . فكتب بالإفراج عن المسجونين بالأعمال ، وفرقت صدقات كثيرة ، ورتب جماعة لقراءة صحيح البخارى ؛ فقوى أمر شعبان ، وعزم أن يقبض على [الأمير الحاج آل ملك] النائب ، فتحرز منه .

وأخذ الأمراء والأكابر فى توزيع أموالهم وحرمهم فى عدة مواضع ، ودخلوا على السلطان ، وسألوه أن يعهد إلى أحد [من إخوته] . فطلب [السلطان الأمير الحاج آل ملك] النائب وبقية الأمراء ، فلم يحضر إليه أحد منهم .

وقد اتفق [الأمير أرغون] العلائى مع جماعة على إقامة شعبان ، وفرق فيهم مالا كثيرا ، فإنه كان ربيبه ، [أى ابن زوجته ، وشقيق السلطان الملك الصالح إسماعيل] . وقام مع الأمير[1] أرغون [من الأمراء] غرلو ، وتمر الموساوى ؛ (١٣١ ا) وامتنع [الأمير الحاج آل ملك] النائب من إقامة شعبان[2] . وصار الأمراء حزبين ، فقام النائب فى الإنكار على الكلام فى هذا ، وقد اجتمع مع الأمراء بباب القلعة ، وقبض على غرلو وسجنه ، وتحالف هو و [الأمير أرغون] العلائى و بقية الأمراء على عمل مصالح المسلمين .

فتوفى السلطان فى ليلة الخميس رابع ربيع الآخر ، فكتم موته . وقام شعبان إلى أمه ، ومنع من إشاعة موت أخيه ، وخرج إلى أصحابه وقرر معهم أمره . فخرج طشتمر ورسلان[3] بصل إلى منكلى بغا ، ليسعوا عند الأمير أرقطاى والأمير أصلم .

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٤٩ ا " معه " .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٤٩ ا " اقامته " .

(٣) فى ف " سلان " ، وما هنا من ب ، ٥٤٩ ا .

وكان [الأمير الحاج آل ملك] النائب والأمراء قد علموا من بعد العصر أن السلطان في النزع ، فاتفقوا على النزول من القلعة إلى بيوتهم بالمدينة . فدخل الجماعة على أرقطاى ليستميلوه لشعبان ، فوعدهم بذلك . ثم دخلوا على أصلم فأجابهم ، وعادوا إلى شعبان[1] وقد ظنوا أن أمرهم قد تم .

فلما أصبح (١٣١ ب) يوم الخميس خرج الأمير أرغون العلائى ، والأمير ملكتمر الحجازى ، والأمير تمر الموساوى ، والأمير طشتمر طلليه ، والأمير منكلى بغا الفخرى ، والأمير أسندمر وجلسوا بباب القلة ، فأتاهم الأميران أرقطاى وأصلم ، والوزير نجم الدين محمود ، والأمير قازى أستادار ؛ وطلبوا [الأمير الحاج آل ملك] النائب ، فلم يحضر إليهم ؛ فمضوا كلهم إلى عنده ، واستدعوا الأمير جنكلى بن البابا ، واشتوروا فيمن يولونه السلطنة فأشار جنكلى بأن يرسل إلى المماليك السلطانية ، ويسألهم من يختارونه ، "فإن من اختاروه رضيناه" . فعاد جوابهم[2] مع الحاجب أنهم رضوا بشعبان سلطانا ، فقاموا جميعا ومعهم [الأمير الحاج آل ملك] النائب إلى داخل باب القلة .

وكان شعبان قد تخيل من دخولهم عليه ، وجمع المماليك ، وقال : "من دخل قتلته بسيفى هذا ، وأنا أجلس على الكرسى حتى أبصر من يقيمنى عنه" . فسيّر (١٣٢ أ) [الأمير أرغون] العلائى إليه ، وبشره وطيب خاطره . ودخل الأمراء عليه ، وسلطنوه ؛ وانقضت أيام الصالح .

وكان [السلطان الصالح] فى ابتداء دولته[3] على دين وعفاف[4] ، إلا أنه كان فى أيامه ما ذكر من قطع الأرزاق ، وكثرة حركة عساكر مصر والشام فى التجاريد . وشغف [السلطان الصالح] مع ذلك بالجوارى السود ، وأفرط فى حب اتفاق ، وأسرف فى العطاء لها ؛ وقرّب أرباب الملاهى ، وأعرض عن تدبير الملك بإقباله على النساء والمطربين ،

---

(١) فى ف ، وكذلك فى به " سمين " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٩٥ .

(٢) فى ف " جوابه ، وما هنا من ب ، ٥٤٩ ب .

(٣) فى ف " ولايته " ، وما هنا من به ، ٥٤٩ ب

(٤) فى ف " واعتقاد " ، وما هنا من ب ، ٥٤٩ ب .

حتى إنه إذا ركب إلى سرحة سرياقوس أو سرحة الأهرام ركبت[1] أمه فى مائتى امرأة الأكاديش ، بثياب الأطلس الملون ، وعلى رءوسهن الطراطير الجلد البلغارى المرصع بالجواهر واللآلئ ، وبين أيديهن الخدام الطواشية ، من القلعة إلى السرحة . ثم يركب حظاياه الخيول العربية ، ويتسابقن ؛ ويركبن تارة بالكامليات الحرير ، ويلعبن بالكرة ، وكانت (١٣٢ ب) لهن فى المواسم والأعياد وأوقات النزه والفرح أعمال لايمكن حكايتها ؛ وأكثرن من النزول إلى بيوت الكتاب ونحوهم .

واستولى الخدام الطواشية فى أيامه على أحوال الدولة ، وعظم قدرهم بتحكم كبيرهم عنبر[2] السحرتى اللالا فى السلطان ؛ وركبوا الخيول الرائعة ، ولبسوا الثياب الفاخرة ، وأخذوا من الأراضى عدة رزق . واقتنى السحرتى البزاة والسناقر ونحوها من الطيور والجوارح ، وصار يركب إلى المطعم ، ويتصيد بثياب الحرير المزركشة ؛ واتخذ له كفا مرصعا بالجوهر ، وعمل له خاصكية وخداما ومماليك تركب فى خدمته ، حتى ثقل أمره ، فإنه أكثر من شراء الأملاك ، والتجارة فى البضائع ، وأفرد له ميدانا يلعب فيه بالكرة ، وتصدى لقضاء الأشغال . فصارت الإقطاعات والرزق لا تقضى إلا بالخدام والنساء ، ولا يزال [الأمير الحاج آل ملك] النائب يشنع بذلك ، (١٣٣ ا) وإذا أتاه أحد يطلب منه خبزا أو رزقة يقول له : " النائب ما له حكم ، رح إلى باب الستارة ، واسأل عن الطواشى فلان الدين والطواشى فلان الدين يقضوا لك حاجتك " .

وكان متحصل الدولة مع هذا كله فى أيام السلطان الصالح إسماعيل[3] قليلا ، ومصروف العمارة لا يزال جملة مستكثرة فى كل يوم . فأنفق [السلطان] على الدهيشة بالقلعة خمس مائة ألف درهم ، سوى ما حمل إليه من بلاد الشام وغيرها ، ثم عمل فيها من أوانى الذهب والفضة ومن الفرش ما يجل وصفه ؛ ومنذ فرغت [عمارتها] لم ينتفع بها[4] أحد ، لشغفه بالغناء والجوارى ،

---

(١) فى ف " ركب " ، وما هنا من ب ٥٤٩ ب .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٥٠ ا " جوهر " ، وما هنا من من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٩٧ .

(٣) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٥٠ ا " ايامه " .

(٤) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٥٠ ا " به " .

سيما اتفاق. ولما ولدت منه [اتفاق] ولدا ذكرا عمل لها مهما تناهى فيه ، حتى بلغ الغاية التي لا توصف عظمة .

وكانت حياته منغصة وعيشته نكدة ، لم يتم سروره بالدهيشة سوى ساعة واحدة . ثم قدم عليه منجك برأس أخيه أحمد من الكرك بعد قتله بها ، فلما قدم بين يديه (١٣٢ ب) ورآه بعد غسله ، اهتز وتغير لونه وذعر ، حتى إنه بات ليلته يراه في نومه ، ويفزع فزعا شديدا .

وتعلل [السلطان الصالح إسماعيل من رؤية رأس أحمد] ، وما برح يعتريه الأرق ورؤية الأحلام المفزعة ، وتمادى مرضه وكثر إرجافه ، وكثرت أفزاعه حتى اعتراه القولنج ، ومات كما تقدم ذكره يوم الخميس ، ودفن عند أبيه وجده بالقبة المنصورية ، في ليلة الجمعة .

وكان [السلطان الصالح إسماعيل] رقيق القلب ، زائد الرأفة والشفقة ، كريما جوادا ، مائلا إلى الخير . وبلغ من العمر نحو العشرين سنة ، منها مدة سلطنته ثلاث سنين وشهران وأحد عشر يوما .

السلطان الملك الكامل سيف الدين
شعبان بن الناصر محمد بن قلاون الألفي الصالحي

لما اشتد مرض أخيه شقيقه [السلطان] الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، ودخل عليه [الأمير أرغون] العلائي في عدة من الأمراء ، ليعهد بالسلطنة من بعده (١٣٤ ا) إلى أحد ، كان [الأمير أرغون] العلائي غرضه في أن يعهد لشعبان ، من أجل أن أمه كانت زوجته . فلم يجب الأمير آل ملك النائب وجماعة من الأمراء إلى الدخول على السلطان [الصالح إسماعيل] كراهة منهم في شعبان ، لما كان قد اشتهر عنه من الظلم . فقال الصالح [إسماعيل] بعد ما بكى وأبكى الأمراء : " سلموا على النائب والأمراء ، وعرفوهم أني إن مت يولوا أخي شعبان " . فلما مات الصالح ، واقتضى رأى الأمراء أن يعرفوا رأى المماليك السلطانية ، وكان جوابهم إقامة شعبان ، [حضر الأمراء إلى باب القلة[1] ، واستدعوا

(١) ما بين الحاصرتين من ب ، ٥٠٠ ب ، بعد تصحيحه على رواية ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١١٧ .

شعبان]، وأركبوه بشعار السلطنة ، ومشوا فى ركابه ، والجاويشية تصيح على العادة ، حتى [إذا] قرب من الإيوان امب الفرس تحته وجَفَل من تصايح الناس ، فنزل عنه ومشى خطوات بسرعة إلى أن طلع الإيوان ؛ فتفاءل الناس بنزوله عن فرسه أنه لايقيم فى السلطنة إلا يسيرا .

ولما طلع [السلطان شعبان] الإيوان والأمراء بين يديه ، جلس على كرسى السلطنة ؛ وباس [الأمراء] له الأرض ، وأحضروا (١٣٤ ب) المصحف ليحلفوا ، فحلف لهم أولا أنه لا يؤذيهم ، ثم حلفوا بعده ؛ وذلك فى يوم الخميس رابع ربيع الآخر ، سنة ست وأربعين وسبع مائة . ولقب بالملك الكامل ، ودقت البشائر ، ونودى بسلطنته فى القاهرة ومصر ، وخطب له فى الغد على منابر ديار مصر ، وكتب بذلك إلى الأقطار مصرا وشاما .

وفى يوم الاثنين ثامنه جلس [السلطان شعبان] بدار العدل من القلعة ، وجدد له العهد من الخليفة ، بحضرة القضاة والأمراء ، وخلع على الخليفة والأمراء والقضاة .

و [فيه] كتب بطلب الأمير آقسنقر الناصرى من طرابلس ، فسأل الأمير قارى الأستادار أن يستقر عوضه فى نيابة طرابلس ، وتشفع بالأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى . فأجيب إلى ذلك ، وخلع عليه فى يوم الخميس حادى عشره ، وخرج من فوره على البريد .

و [فيه] خلع على الأمير أرقطاى ، واستقر فى نيابة حلب عوضا عن يلبغا (١٣٥ أ) اليحياوى ، وخرج على البريد .

و [فيه] طلب الأمير الحاج آل ملك النائب الإعفاء [من نيابة السلطنة] ، وقبل الأرض ، وسأل نيابة الشام ، عوضا عن الأمير طقزدمر ، وأن ينقل طقزدمر إلى مصر . فأجيب ذلك ، وكتب بإحضار طقزدمر .

وفى يوم السبت ثالث عشره خلع على الأمير [الحاج] آل ملك النائب ، واستقر فى نيابة الشام عوضا عن طقزدمر . وأخرج من يومه على البريد ، فلم يدخل غزة حتى لحقه البريد بتقليده نيابة صفد ، وأن يكون ولده وابن أخيه القارس بحلب وسبب ذلك أن

[الأمير أرغون] العلائى لما قام فى سلطنة شعبان هذا ، قال له الأمير الحاج آل ملك : "بشرط ألا يلعب بالحمام" ؛ فلما بلغ[١] السلطان شعبان ذلك نقم عليه .

و[فيه] رسم بطلب شجاع الدين غرلو من دمياط ، فقدم فى يومه ، وخلع عليه شاد الدواوين . فنزل [غرلو] إلى دار الولاية ، وقبض بيده على أطواق الأمير جمال الدين يوسف والى القاهرة ، وأقامه (١٣٥ ب) من مجلس حكمه ، وأخرجه من داره ، وأركبه حمارا إلى القلعة . وسبب ذلك أنه لما قُبض على غرلو[٢] تقدّم يوسف هذا وأمسك سيفه ، وقطعه من وسطه ، فكافأه [غرلو] على ذلك . وقبض [غرلو] معه على ابن أخيه والى الجيزة ، فما زالا يحملان المال حتى بلغ حملها خمسين ألف درهم ، سوى عدد سلاح وغير ذلك ؛ فأفرج عنهما بعد أيام ، بعد شفاعة جماعة من الأمراء .

و[فيه] كتب بنقل الأمير يلبغا اليحياوى من نيابة حلب إلى نيابة دمشق ، فدخلها يوم السبت ثانى عشر جمادى الأولى ، وباشر نيابتها .

و[فيه] رسم [السلطان الكامل شعبان] بعرض أحوال الدولة للنظر فى تدبيرها ، فترك ما استجدّ من المصروف فى العمائر بالقلعة والقاهرة ، ورسم أن تسلم الأغنام التى استجدها أخوه الملك الصالح [لجماعة] العاملين [فى] اللحم[٣] وبتثمينها عليهم ، فكانت عدتها تسعة عشر ألف رأس ونيف ؛ وضبط [السلطان] أحوال المملكة .

و[فيه] رسم (١٣٦ ا) بسفر الأمير طرنطاى البشمقدار نائبا بحمص ، وأنعم بتقدمته على بيبغا ططر .

و[فيه] أنعم بإقطاع الأمير أرقطاى المستقرّ فى نيابة حلب على أرغون شاه ، وخلع عليه ، واستقرّ أستادار عوضا عن قارى المستقرّ فى نيابة طرابلس .

و [فيه] أخرج أحمد شاد الشراب خاناه هو وإخوته إلى صفد ، من أجل أنهم

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٠٠١ " فلما بلغه ذلك " .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٦٧٧ .

(٣) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٠٠١ " لعاملين اللحم " .

كانوا ممن قام مع [الأمير الحاج] آل ملك النائب وقارى الأستادار فى منع شعبان من السلطنة .

وفيه خلع على علم الدين عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن زنبور ، واستقر فى نظر الخاص عوضا عن الموفق عبد الله بن إبراهيم . وخلع على كاتبه فخر الدين بن السعيد ، واستقر عوضه فى استيفاء الصحبة ؛ وعنى الأمير أرغون العلائى بالموفق حتى تُرِك بغير مصادرة .

وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحى من الشام بالمال الذى فرق على العرب ، بسبب حمل الغلال إلى مكة ، وهو [مبلغ] مائتى ألف (١٣٦ ب) درهم .

وفيه رسم بعزل تقى الدين سليمان بن على بن عبد الرحيم بن سالم بن مراجل[1] من نظر درهم[2] ، واستقر عوضه بهاء الدين بن أبو بكر بن شكر .

و [فيه] قدم الأمير آقسنقر الناصرى من طرابلس ، وخلع عليه ؛ وسُئل بنيابة السلطنة بديار مصر ، فامتنع أشدّ الامتناع ، وحلف أيمانا مغلظة ألا يليها .

و [فيه] خطب السلطان [الكامل شعبان] ابنة [الأمير] بكتمر الساقى ، فامتنعت أمها من إجابته ، واحتجت عليه بأن أختها تحته ، ولا يجمع بين أختين ، وأنه بتقدير أن يفارقها ، فإنه شغف باتفاق حظية أخيه [الصالح إسماعيل] شغفا زائدا . [ثم قالت أمها] : "ومع ذلك فقد ضعف حال المخطوبة من شدة الحزن ، فإن أول من أعرس عليها آنوك بن السلطان[3] الناصر محمد ، فمات عنها وهى بكر لم يمسها ؛ فتزوجها بعده أخوه السلطان المنصور أبو بكر ، وقُتل ؛ ثم تزوجها بعد المنصور أبو بكر أخوه السلطان الملك الصالح إسماعيل ، ومات عنها أيضا ؛ فحصل لها حزن شديد من كونه تغير عليها عدة أزواج فى مدة يسيرة" . فلم يلتفت السلطان الكامل شعبان إلى هذا الكلام ، وطلق أختها ، وأخرج جميع ما كان لها فى ليلته ، ثم عقد عليها ودخل[4] بها .

(١) تقدم هذا الاسم بالحاء ، نقلا عن ف ، وكذلك ب ، ٥٠١ ب ، وهو خطأ . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٢٧ ، وابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

(٢) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٠١ ب .

(٣ ، ٤) ما بين الرقمين مختصر أشد الاختصار فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٠١ ب ، وتوضيحه بالإضافة بين حاصرتين هنا وهنالك من ابن تغرى بردى عمل ممكن رأى الناشر توفيره بإحلال عبارة ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١١٩) محل عبارة المقريزى .

و[فيه] كتب (١٥٤٧) بالإفراج عن أحمد بن مهنا ، وعن [ابن[١]] أخيه سليمان ، من قلعة دمشق .

و[فيه] أنعم [السلطان] على ابن طشتمر [حمص أخضر] بتقدمة ألف ، وعلى ابن أصلم بإمرية طبلخاناه .

وفى مستهل جمادى الأولى خلع [السلطان الكامل شعبان] على الأمراء المقدمين والطبلخاناه ، وأنعم على ستين مملوك بستين قباء بطرز زركش وستين حياصة ذهب ؛ وفرق الخيول على الأمراء برسم الميدان .

وفيه قدم أحمد بن مهنا وابن أخيه ، فخلع عليهما ، وأعيد أحمد إلى إمرية العرب . فقدم حاجب سيف [بن فضل[٢]] يخبر[٣] بأنه وصل إلى غزة بقوده ؛ فكتب بقدومه سريعا ، فقدم ومعه مائة فرس مثمنة سوى الهجن وغيرها . فخلع عليه ، ولم ينعم له بالإمرية ، ولا أنصف فى أثمان خيوله .

و[فيه] رسم [السلطان الكامل شعبان] أن يتوفر إقطاع النيابة للخاص .

و[فيه] خلع [السلطان] على الأمير بيغرا ، واستقر حاجبا كبيرا ليحكم بين الناس[٤] . ورسم [له السلطان] أن يجلس بين يديه موقعين لكتابة الكتب للولاة ، وهما رمى الدين بن الموصلى وابن عبد الظاهر .

(١٣٧ ا) وفيه قبض على جمال الدين يوسف والى القاهرة ، وعلى ابن أخيه ونائبه حمود ، بسعاية غرلو شاد الدواوين . وكشف [غرلو] رؤوسهم ، وضرب حمودا بالمقارع

---

(١) ما بين الحاصرتين من ب ، ٥٠١ ب .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٦٥١ .

(٣) فى ف " يحى " ، وما هنا من ب ، ٥٠١ ب .

(٤) المعروف نقلا عن المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٩) أن وظيفة الحجوبية الكبرى - أى حاجب الحجاب - اقتصرت فيما سلف من تاريخ الدولة المملوكية على " النظر فى مخاصمات الأجناد واختلافهم فى أمور الإقطاعات ، ونحو ذلك " . غير أنه لم يكن بعجيب أن تؤدى أحوال ذلك العصر إلى امتداد هذه الوظيفة أو غيرها من الوظائف إلى غير ما اختصت به ، لأسباب تنافسية شخصية ، مثلما حدث حين عين السلطان شعبان صديقه الأمير بيغرا حاجبا كبيرا ، وجعل له الحكم بين الناس ، كما جعل له سلطة مكاتبة الولاة فى مختلف الأعمال والأقاليم ، وهذا فيما يبدو فضلا عن قديم اختصاص الحجوبية الكبرى ، حتى صارت هذه الوظيفة تلى نيابة السلطنة . انظر نفس المؤلف والمرجع والجزء ، ص ٢٠٩ ، ٢٢٠ — ٢٢٢ .

ضربا مبرحا ؛ فوعد بأن يحضر له مالا قد دفنه بالجيزة ، فسيره صحبة أعوانه ليأتيه بالمال .. فلما ركب [عود] النيل وتوسطه ، ألقى بنفسه فيه ، فغرق . فرسم بالإفراج عن جمال الدين وابن أخيه ، بعناية الأمراء به .

وفى يوم السبت نزل السلطان إلى الميدان[1] على العادة فى كل سنة ، فكان يوما مشهودا .

وفيه خلع [السلطان] على الشريف عجلان بن رميثة بن أبى نمى الحسنى ، واستقر أمير مكة .

و [فيه] عاد السلطان من آخر النهار على العادة إلى القلعة .

واستدعى [السلطان] فى يوم الاثنين غرلو شاد الدواوين ، بحضرة الأمراء والوزير ، ورسم [له] أن يرتب بلاد الخاص ؛ ويخرج من إقطاع النيابة وغيره بلاد المماليك السلطانية أرباب الجوامك الكبار ، لتتوفر (١٣٨ ا) جوامكهم . فأفردت خمس نواح أقطعت لمائة مملوك ، وطلبوا حتى فرقت عليهم المثالات ، فردوها من الغد على السلطان ، وقد وقفوا جميعا . فاشتد غضبه ، وطلب الطواشى المقدم وأهانه ، ورسم له بضربهم وطردهم ؛ فما زال به الأمراء حتى رسم أن الطواشى يضرب منهم جماعة ، وأن يفرق النواحى على ثمانين منهم ، وأنعم على العشرين بإقطاعات أخر . فأقاموا مدة على الامتناع حتى ضرب منهم جماعة كثيرة ، وأنزلوا من القلعة إلى القاهرة ، وقطع جميع راتبهم من لحم وغيره .

ورفع [غرلو] على الحاج على الطباخ المعروف بإخوان[2] سلار أنه يأكل كثيرا مما فى المطبخ السلطانى ، وأن له فى كل يوم على العاملين خمسمائة درهم ، ولولده أحمد ثلاثمائة درهم ، سوى الأطعمة وغيرها . فرسم [السلطان] للأمير أرغون شاه أستادار بمصادرته ، فأوقع الحوطة على موجوده ، وأهانه . وكان المذكور (١٣٨ ب) قد خدم [السلطان] الناصر محمد فى الكرك ، فلما عاد إلى السلطنة أقامه إخوان سلار ، وسلم له المطبخ ؛ فنال سعادة جليلة ، لا سيما فى المهمات والأفراح التى كان السلطان [الناصر محمد] يعملها لأولاده ومماليكه وحواشيه ، طول تلك المدة . فكان أقل ما يحصل له فى كل مهم ما ينيف على عشرة آلاف درهم ، مع كثرة تلك المهمات . ولما عمل مهم ابن بكتمر الساقى على بنت تنكز نائب الشام ، طلب

---

(١) فى ف " المداين " ، وما هنا من ب ، ٢٥٥ ا .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٦٠٢ ، حاشية ١ .

السلطان [الناصر محمد] الحاج على هذا فى آخر المهمّ ، وقال له : " يا حاج على ! رح الساعة احمل لى خروف رميس[1] فى لون كذا " ، فولى عنه وهو متنكر قد عبس وجهه . فصاح به السلطان ليرجع ، وقال له : " مالك معبس الوجه ؟ " فقال : " كيف ما أعبس وقد أحرمتنى الساعة عشرين ألف درهم ؟ " قال : " كيف أحرمتك ؟ " . قال : " عندى رؤوس وأكارع وكروش وأعضاد ، وكلّ ما سرقته من هذا المهمّ ، أريد أن أقعد أبيعه . وقلت لى : رح (١٣٩ ا) اطبخ ، فيتلفوا[2] الجميع " . فتبسم له السلطان ، وقال : " لا ! رح اطبخ ، وضمانهم[3] علىّ " . فلما ذهب [الحاج على] طلب [السلطان] والى مصر و [والى] القاهرة ، وأمرهما بطلب الزفورية إلى القلعة ، وتفرقة تلك الأسقاط فيهم ، فبلغ ثمنها ثلاثة وعشرين ألف درهم . فهذا أعزك الله متحصل [مهمّ[4]] واحد من آلاف ، سوى ما له فى كل يوم من جهة المطبخ ، وهو خمسمائة درهم ، فى مدة بضع وثلاثين سنة ؛ وكم أراد النشو أن يتمكن منه ، والسلطان [الناصر محمد] يمنعه

ولما قبض عليه وجد له خمسة وعشرون ملكا ؛ فأخذت أم السلطان داره التى على البحر ، وكانت من الدور العظيمة ، وأخذت اتفاق داره التى بالمحمودية من القاهرة . وإليه ينسب جامع الطباخ ، على بركة السقاف بخط باب اللوق ؛ فتعطل الجامع أياما مدة القبض عليه ، فإنه كان يقوم به من غير أن يفرد له وقفا . وأخذت أملاكه كلها ؛ وضرب ابنه أحمد ، وألزم (١٣٩ ب) ببيع موجوده ، وحمل هو وأبوه مالهم إلى بيت المال ، ثم شفع فيه [الأمير ملكتمر] الحجازى ، فأفرج عنه ولزم بيته بطالا .

وفى هذا الشهر صودر جماعة من أهل قوص اتهموا بأنهم وجدوا خبيّة مال ، وأخذت أملاكهم وغيرها . وصودر الجماعة الذين كتبوا فى محضر وفاة السلطان المنصور

(١) عرّف (Dozy : Supp. Dict. Ar.) لفظ رميس بأنه اسم للواحد من صغار الغنم ، غير أن هذا اللفظ هنا صفة وليس اسما ، ويستعمله أهل العراق حتى العصر الحاضر صفة للدلالة على خروف مشوى بأكمله ، ويكون الشوى بطريقة وضع الخروف فى وعاء نحاسى محكم ، ثم دفن الوعاء فى النار ، وربما جاءت صفة رميس من عملية الرمس ، أى الدفن فى النار .

(٢ ، ٣) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٠٢ ب

(٤) ما بين الحاصرتين من ب ، ٥٠٢ ب

أبى بكر أنه مات بقضاء الله وقدره ، وأخذ جميع موجودهم ؛ فأقروا أن المحضر زور ، وأنهم أكرهوا حتى كتبوا مالم يعاينوه .

وفيه وشى بابنة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير أن فى دارها بالقاهرة خَبِيّة مال ، فحفر فيها نحو قامة ، فلم يوجد شىء .

وفى يوم السبت خامس عشريه قدم الأمير طقزدمر من دمشق فى محفة وهو مريض ، بعد ما خرج الأمير أرغون العلائى إلى لقائه ، فوجده غير واعٍ ؛ ودخل عليه الأمراء وهو قد أشفى على الموت . [ولما دخل طقزدمر القاهرة على تلك الحال] أخذ[1] أولاده فى تجهيز تقدمة (١٤٠ ا) جليلة للسلطان ، تشتمل على خيول وتحف وجواهر ؛ فقبلها [السلطان] ، ووعدهم بخير .

وفيه أنعم [السلطان الكامل شعبان] على [الأمير] أرغون الصالحى بتقدمة ألف ، ورسم أن يقال [له] أرغون الكاملى ، ووهب له فى أسبوع واحد ثلاثمائة ألف درهم وعشرة آلاف أردب من الأهراء . ورسم له بدار أحمد شاد الشرابخاناه ، وأن يعمر له من مال السلطان بجواره قصر على بركة الفيل ، ويطلّ على الشارع[2] ؛ وأقام [السلطان] الأمير آقْجُبَا شاد العمائر على عمارته .

وفى هذا الشهر شرع الأمير غرلو شاد الدواوين يستخدم الولاة والكتاب على مال يحمل لبيت المال ، فلم يل أحد بعد ذلك إلا بمال . واستجدّ [غرلو] أيضا مالا فى المقايضات والنزولات عن الإقطاعات ، يحمل لبيت المال وجعل على عبرة الدينار ديناراً ، فإذا كان الإقطاع عبرة مائة دينار حمل عنه لبيت المال مائة دينار ؛ ولم (١٤٠ ب) يلتفت السلطان لقول الأمراء ، وأجابهم بأن هذا كان يأخذه ديوان[3] الجيش .

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٢٥٥ ب " فاحد " ، والتعديل والإضافة من الحاضرين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٢٠ .

(٢) فى ف " المشارع " ، وما هنا من ، ٢٥٥ ا .

(٣) انظر ما سبق ، ص ٦٤٢ ، حيث تقدمت الإشارة إلى ظاهرة انتشار المقايضات والنزول عن الإقطاعات بين الأجناد ، وقيام الأمير الحاج آل ملك نائب السلطنة بإبطال ذلك ، أملا فى إزالة سبب من أسباب فساد تكوين الجيش المملوكى فى ذلك العصر . على أن الجديد هنا أن الأمير غرلو شاد الدواوين أخذ فى تنظيم هذه الظاهرة الخطيرة ، من أجل الحصول على المال لبيت المال ، بل إنه جعل تعيين الولاة والكتاب فى الوظائف مشروطا بتقديم مال معلوم للدولة ، وإنه حصل فى الحالين وقتئذ — أو بعدئذ =

وفى يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة ركب السلطان إلى السرحة بسرياقوس ، ومعه حريمه . فنصبت لهن الخيم فى البساتين ، وأخليت المناظر التى للأمراء حتى نزل أكثرهن بها .

وفى يوم الجمعة قدم أولاد الأمير طقزدمر إلى سرياقوس بخبر وفاة أبيهم ، فلم يمكن [السلطان] الأمراء من العود إلى القاهرة للصلاة عليه ؛ فدفن بخانكاته بالقرافة . وأخذت خيله وجماله وهجنه إلى الإصطبل السلطانى ، وقيدت إلى سرياقوس على العادة . ورسم [السلطان] أن تعمل أوراق بمتوفر إقطاع[1] طقزدمر وما عليه من حقوق القنود ، وسائر ما سومح به مما عليه للديوان فى حياته من جميع الأصناف ؛ فلم تزل أولاده تقدم التقادم الجليلة حتى وعدوا بتقدمة [سلطانية] .

وفيه خلع على الأمير (١٤٠ ب) رسلان بصل ، واستقر حاجباً ثانيا مع بيغرا ؛ ورسم له أن يحكم[2] بين الناس .

و [فيه] خلع على الأمير ملكتمر السرجوانى ، واستقرّ فى نيابة الكرك ؛ وأنعم بإقطاعه على الأمير طشتمر طاليه ، وأنعم بإقطاع طشتمر على الأمير قبلاى .

وفيه طلب [السلطان] العربان الذين اتهموا بقتل ابن الردينى ، وأخذ منهم مائة ألف درهم مصادرة .

وفيه مات الأشرف كجك ، عن اثنتى عشرة سنة . واتهم السلطان أنه بعث من سرياقوس من قتله فى مضجعه ، على يد أربعة خدام طواشية .

وفيه قدم طُلب الأمير آقسنقر من طرابلس ، فسار [السلطان] من سرياقوس حتى لقيه على بلبيس ، ومنع الخدام أن تُعرّف زوجته أم كجك بوفاته . واختار [الأمير آقسنقر] من طلبه عدة خيول وجمال بخاتى وهجن ، وقدمها للسلطان مع جواهر سنية وتحف بديعة ؛ فخلع عليه [السلطان] ، وأنعم على ولد ابن أخيه بطبلخاناه (١٤١ ب) أبيه ، وعمره أربع سنين[3] .

= بقليل — على موافقة السلطان الكامل شعبان لإنشاء ما يسمى ديوان البدل ، لضبط الأعمال المالية المترتبة على هذه الإجراءات الجديدة . (المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٩) .

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ٥٠٣ ا ، " اقطاعه " .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٦٨٤ .

(٣) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٠٣ ب " ابيه سافر وعمره اربع سنوات " ، على أن موضع الأهمية هنا أن طفلا يتولى إمرة طبلخاناه ، من أجل حصول أهله على إقطاعها الكبير .

وفيه عاد السلطان من سرياقوس إلى القلعة ، بعد ما تهتكت المماليك السلطانية بشرب الخمر والإعلان بالفواحش ، وركبوا فى الليل وقطعوا الطريق على المسافرين ، واغتصبوا حريم الناس ، وصارت سرياقوس حانة .

وفيه عزل تاج الدين ابن الصاحب أمين الدين بن الغنام ، من نظر البيوت . وذلك أنه علم باجتهاد السلطان فى تحصيل المال فضبط البيوت ، ووفر فيها عشرين ألف درهم ، وأعلم السلطان بها من غير علم أرغون شاه الأستادار . فتنكر عليه أرغون شاه فضربه ، فسعى عليه أفلاطون كاتب سنجر الجمقدار عند غرلو بألفى دينار ، فولاه عوضه ، وولى أيضاً ابن وجه الطوبة نظر الأوقاف الصالحية إسماعيل ، بعد ما حمل لبيت المال خمسمائة دينار .

و [فيه] طواب (١٤٢ ا) الموفق [عبدالله[1] بن ابراهيم] بحمل مائة ألف درهم . وسبب ذلك أنه عثر على أنه باع من أراضى الخاص إلى طغيتمر[2] الدوادار بمائة ألف درهم ، فباعها طغيتمر لابن زعازع بالبهنساوية ؛ وألزم كل من طغيتمر وابن زعازع أيضاً بحمل مائة ألف درهم .

وفيه عقد لابنة بكتمر مطلقة السلطان [شعبان] على أرغون شاه أستادار ، وعقد لزوجة أرغون شاه ابنة آقبغا — وقد بانت منه من مدة — على بيبغا روس .

وفيه رسم بإبطال المقايضات والنزولات عن الإقطاعات ، بقيام الأمراء فى ذلك مع السلطان ، لكثرة ما فيه من المفاسد . وكتب إلى البلاد الشامية أنّ مَن مات من الأجناد أو أرباب المراتب يطالع بوفاته ، ليخرج السلطان إقطاعه أو مرتبه ، فامتثل ذلك .

وفيه ألزم من بيده رزقة من أرض مصر ، أو أرض[3] استأجرها ، أن يقوم عن كل فدان (١٤٢ ب) بمائة وخمسين درهما . فأخذ من ذلك مال كثير ، قام غرلو باستخراجه . فازدادت مكانته عند السلطان ، وعظم قدره بين الناس . وانتمى إليه جماعة ، وصاروا يغرونه بأرباب الأموال ، ويفتحون له أبواب المظالم . واستدعى [غرلو] طغيتمر[4] متولى البهنسى ، وألزمه[5] بحمل أربع مائة ألف درهم ، وأخرق به .

---

(١) انظر ما سبق ، ص ٦٨٣ .

(٢) فى ف " طغى تمر " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٣٨ .

(٣) فى ف " وارسا " ، وما هنا من ب ، ٥٠٣ ب .

(٤) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٠٣ ب "طغاى" ، والمثبت بالمتن هنا مما سبق بهذه الصفحة من باب الترجيح ، لوجود قرينة البهنسا .

(٥) فى ف "والرم" ، وما هنا من ب ، ٥٠٣ ب

وقدم جمال الدين سليمان بن ريان من حلب ، و بذل فى نظر الجيش بها ألف دينار حملت إلى بيت المال ، ووعد بمائتى إكديش . فخلع عليه ، وتوجه معه بريد لإحضار الخيل .

وفيه رسم بقطع جميع ما هو مرتب على الحوائج خاناه من التوابل للأمراء والكتاب وغيرهم . وطُلب عدة من مباشرى الوجه القبلى و [الوجه] البحرى ، وسلموا إلى غرلو ، فصادرهم .

و [فيه] قدم البريد من حلب بوقوع الحرب بين الشيخ حسن صاحب بغداد و بين سلطان شاه (١٤٣ ا) وأولاد دمرداش ، انتصر فيها الشيخ حسن . والتجأ سلطان شاه إلى ماردين ، فحصره الشيخ حسن بها أياما ، وأفسد ضياعها ، ثم سار عنها بغير طائل .

وفيه همّ السلطان أن ينعم على غرلو بإمرة مائة ، وتولية الوزارة ونيابة دار العدل ؛ فلم يوافقه [الأمير أرغون] العلائى على ذلك ، وأبطل أمره .

وفيه عمل السلطان داير بيت حرير مزركش ، عمل فيه مبلغ أربعين ألف دينار . وعمل أيضاً لحريمه عشرين بغلوطاق صدر ، فى كل بغلوطاق ألف دينار زركش .

وفى عشرى رجب خلع على فخر الدين بن السعيد ، واستقرّ فى نظر الخاص ، عوضا عن علم الدين بن زنبور . وخلع على ابن زنبور ، واستقرّ كما كان فى استيفاء الصحبة ؛ فكانت مدة مباشرة ابن زنبور نظر الخاص نيفا وثمانين يوما .

وفيه عزم السلطان على إنشاء مدرسة موضع خان الزكاة[1] ، ونزل (١٤٣ ب) [الأمير أرغون] العلائى والوزير لنظره . وكان الناصر محمد قد وقفه ، فلم يوافق القضاة على حله .

وفى مستهل شعبان استقرّ تاج الدين محمد بن المزين خضر بن عبد الرحمن فى كتابة السرّ بدمشق ، عوضا عن بدر الدين محمد بن فضل الله .

وفيه كان عرس السلطان على بنت طقزدمر ، وعمل لها مهماً مدة سبعة أيام بلياليها ، اجتمع فيه نساء الأمراء جميعاً . وكانت فيه عدة جوق مغانى ، حصل لمن من الذهب

---

(١) فى ف " التركوة " ، وما هنا من ب ، ٥٠٤ ا . انظر المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٣٧٥) لمعرفة موضع خان الزكاة ، وكذلك المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٣٢) لمعرفة الزكاة المقصودة هنا .

والفضة وتفاصيل الحرير شىء يجلّ وصفه ؛ [و] بلغ نصيب ضامنة المغانى بمفردها ثمانين ألف درهم ، سوى بقية المغانى .

وفيه استقرّ تقى الدين سليمان بن سراجل ناظر دمشق ، عوضا عن بهاء الدين أبى بكر ابن سكرة ، بعد موته . [وكان ذلك] بعناية [الأمير أرغون] العلائى ، فإنه كان بعد عزله من نظر الدولة ولاه نظر الخاص بدمشق ، ثم انتقض أمره .

وفى مستهل شهر رمضان خلع على قشتمر والى (١٤٤ ا) الجيزة ، واستقرّ شاد الدواوين رفيقا للأمير غرلو .

و[فيه] خلع على نجم الدين داود بن أبى بكر بن محمد بن الزيبق ، بولاية الجيزة .

و[فيه] استقر الشيخ شمس الدين محمد بن اللبان فى تدريس المدرسة الناصرية ، بجوار قبة الشافعى بالقرافة ، عوضا عن ضياء الدين محمد بن إبراهيم المناوى ، بعد وفاته . [وكان ذلك[1]] بعناية الأمير جنكلى بن البابا ، والأمير آقسنقر ، بعد ما استقرّ فيه تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى بسفارة قاضى القضاة عز الدين [عبد العزيز] بن جماعة . فنزل ابن اللبان ودرّس ، ومعه الأمير أرغون الكاملى وعدة أمراء ، وجماعة القضاة والفقهاء . وكان ناصر الدين فار السقوف محتسب مصر مقيما بقاعة التدريس ، فأخرجه [ابن اللبان] منها ، وطالبه بأجرتها مدة سكنه . فرتب [ناصر الدين] على ابن اللبان فتيا[2] نسبه فيها إلى قوادح ، وأراد الدعوى عليه ، فلم يتمكن من ذلك .

وفيه قدم الشريف ثقبة[3] من مكة ، (١٤٤ب) يريد أن يستقرّ شريكا لأخيه عجلان فى إمرة مكة . وأحضر [ثقبة] قودا فيه عدة خيول ، فوعد بخير .

و[فيه] قدمت رسل خليل بن دلغادر بتقدمته وكتابه ، وقد عاد إلى الطاعة بحسن سياسة الأمير أرقطاى نائب حلب ؛ فخلع على رسله ، وجهز له تشريف .

---

(١) ما بين الحاصرتين من ب ، ٤٥٥ ب ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣٠٧ .

(٢) فى ف " مسامسه " ، بغير نقط ، وما هنا من ب ، ٤٥٥ ب .

(٣) كذا فى ف ، وهو فى ب ٤٥٥ ا " بقية " .

وفيه أخذت أم السلطان من أولاد الأمير طقزدمر خمسمائة فدان بناحية بوتيج ودولابها[1].

وفيه قدمت الحرة من بلاد الغرب بهدية سنية تريد الحج ، فرسم بتجهيزها .

وفيه أخذ السلطان من وزير بغداد دُولابين[2] ، وجعلهما باسم اتفاق ، وعوضه عنهما ما ابتاعهما به ، وهو [مبلغ] ثمانية وعشرين ألف درهم . وتبرع [وزير بغداد] للسلطان بما أنفقه عليهما ، وهو مائة ألف درهم .

و [فيه] قدم الخبر من حلب بوقعة كانت بين ابن دلغادر و بين أمير يقال له طرفوش ، أقامه (١٤٠ ا) الأمير يلبغا اليحياوى ضداً لابن دلغادر ، وأغراه به ووعده بإمرته على التركمان[3] واقتتل طرفوش وابن دلغادر ، فانتصر ابن دلغادر بعد عدة وقائع قتل فيها من الفريقين خلائق . فلما قدم الأمير أرقطاى إلى حلب تلطف بابن دلغادر حتى أعاده إلى الطاعة ، وما زال يجهد حتى أصلح بينه و بين طرفوش .

ثم التفت [الأمير أرقطاى] إلى جهة الأمير فياض بن مهنا ، وقد كثر عبثه وفساده وأخذه قفول التجار . و بذل [الأمير أرقطاى] جهده حتى قدم عليه [فياض بن مهنا بظاهر] حلب ، فتلقاه وأنزله ، و بالغ فى إكرامه ، وأخذ عليه العهود والمواثيق بالإقامة على الطاعة ، ثم جهزه إلى بلاده . وكتب [الأمير أرقطاى] بذلك إلى السلطان ، فسرّ به سرورا زائدا ، فإنه كان فى قلق من أخبار فياض ، وعلى عزم أن يجرد العسكر إليه ويُورِى (١٤٠ ب) بقصد سيس . وأخذ فياض فى تجهيز القود إلى السلطان ، وسيّره ، فقدم وفيه سبعون فرسا قامت عليه بألف ألف درهم ، وخمسون هجينا وعشر مهريات ، وغِنى وغير ذلك . ثم قدم [فياض] عقيب قوده ، فأكرمه السلطان وأحسن إليه ، وأنزله .

وفى هذا الشهر أمسكت امرأة حرامية من حمام الأيدمرى ، فى يوم السبت سابع عشريه . فضرب بها الأمير نجم الدين أيوب أستادار الأكر[4] وَوَالى القاهرة بالمقارع على ساقيها ، ثم قطع يدها فى باب زويلة .

---

(١) الدولاب هنا فيما يبدو آلة ذات عجلة لرفع الماء لرى الأرض ، ويستعمل لفظ الدولاب كذلك بمعنى آلة لطبخ السكر ، أو آلة لتنظيف القطن . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) يلى هذا اللفظ فى ف ، وكذلك فى ب ٥٠٤ ب العبارة التالية " مالى ان يسير لمحاربته طلب يلبغا من حلب فسار عنها" ، وبدونها تستقيم العبارة .

(٤) لم يستطع الناشر أن يجد تعريفا لهذه الوظيفة بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى .

وفى مستهل شوال رُسم للأمير أرغون الكاملى بزيارة القدس، وأنعم عليه بمائة ألف درهم. وكُتب إلى نواب الشام بالركوب إلى خدمته، وحمل التقادم له، وتجهيز الإقامات فى المنازل إلى حين عودته. ورسم أن يُنادى [بمدينة] بلبيس وأعمالها أنه من قال عنه أرغون الصغير شُنق، وألا يقال إلا (١٤٦ أ) أرغون الكاملى. فشهر النداء بذلك فى الأعمال الشرقية، فامتثل الناس ذلك؛ وتوجه الأمير علاء الدين على بن طغريل فى خدمته.

وفيه ركب حريم السلطان إلى ناحية الجيزة للنزهة، وصحبتهم الأمير آقسنقر. فأقام بهم حتى خرج محمل الحاج صحبة مغلطاى أمير شكار، ثم عادوا.

وحج فى هذه السنة عدة من نساء الأمراء، و بالغن فى زينة محفاتهن[١] ومحايرهن[٢] وألبسوا جمالهن[٣] الحرير والقلائد الذهب المرصعة والمقاود[٤] الحرير المزركشة، وفى أيديهن[٥] خلاخل الذهب، وعليهن[٦] العبى الحرير والأجلة الزركش، حتى خرجن فى ذلك عن الحد. وتفاخرن فيما أبدعن، وتناظرن، وصارت كل واحدة تريد أن تفوق على صاحبتها؛ وتشبه بهن غيرهن من النساء. ولم يعهد أنه عمل مثل هذا ولا قريب منه فيما تقدم، فإنهن خلعن على المجانة والسقائين الأقبية الطرد وحش. فأنكر فعلهن (١٤٦ ب) الناس، وذكره قاضى القضاة عز الدين [عبد العزيز] بن جماعة فى خطبة العيد بالقلعة، وصرح بالإنكار، وصدع[٧] بالوعظ.

وفيه قدم تقى الدين سليمان بن مراجل من دمشق، وابن قرناص من حلب. فبذل ابن قرناص فى نظر حلب نحو ألفى دينار حتى رسم له به، عوضا عن ابن الموصلى. فبعث ابن الموصلى ابنه بهدية سنية فيها جوارى حسان، وزوج بسط حرير؛ فقام غُرْلُو معه، وأوصله بالسلطان، فقبل هديته، و بسط البسط بالدهيشة، وأقر[٨] ابن الموصلى على حاله؛ فكانت مدة ابن قرناص عشرين يوما بألفى دينار.

(١ ، ٢ ، ٣) فى ف " محفاتهم ومحايرهم والبسوا جمالهم"، وما هنا من ب، ص. ا.

(٤) فى ف " والقواد "، وما هنا من ب، ص. ا.

(٥ ، ٦) فى ف " ايديها ... وعليها "، وما هنا من ب، ص. ا.

(٧) صدع بالوعظ أى جاهر به. محيط المحيط.

(٨) فى ف " واقرى "، وما هنا من ب، ص. ا.

وقام الأمير أرغون العلائى فى حق ابن مراجل حتى خلع عليه ، واستقر فى نظر الدولة ، وأجلسه السلطان بين يديه ، وغرلو قائم على قدميه . فتقاوضا فى الكلام ، بحيث قال [الأمير أرغون العلائى] لغرلو : " أنت شاد (١٤٧ ا) بعصاتك ، إذا عينتم لك مالا للسلطان تستخرجه " . وانصرفا من المجلس ، وكل منهما يترفع على الآخر .

فاشتد ابن مراجل على الكتاب ، وألزمهم بعمل الحساب ، ورسم عليهم ؛ وكتب بطلب مباشرى الشام . فلما كان بعد ثلاثة أيام تكاشف هو وغرلو ، وترافعا إلى السلطان ؛ فأخرق [السلطان] بغرلو ، وألزمه أن يمتثل ما يرسم له به ابن مراجل ، ولا يتعداه .

وفيه قدم من دمشق علاء الدين الفرع[1] ، وتوصل إلى السلطان ، وقدم له تقدمة جليلة ، وسأله فى قضاء دمشق ، عوضا عن تقى الدين السبكى ؛ فرسم له به . فقام الأمير جنكلى ابن البابا مع السلطان فى استقرار السبكى على عادته حتى أجابه ، وعوق توقيع الفرع ، وعوض عن تقدمته بنظر الأوقاف بدمشق .

وفيه قدم الخبر بأن قاصد نائب حلب توجه إلى سيس بطلب (١٤٧ ب) الحمل ، وقد كان تكفور[2] كتب فى الأيام الصالحية بأن بلاده خربت ، فسومح بنصف الخراج . فلما وصل إليه قاصد نائب حلب جهز الحمل ، وحضر كبير دولته ليحلفوه أنه ما بقى أسير من المسلمين فى مملكته ، كما جرت العادة فى كل سنة بتحليفه على ذلك . وكان فى أيديهم عدة من المسلمين أسرى ، فبيت مع أصحابه قتلهم فى الليلة التى تكون حلفه[3] فى صبيحتها ؛ فقتل كل أحد أسيره فى أول الليل . فما هو إلا أن مضى ثلثا الليل خرجت فى الثلث الأخير من تلك الليلة ريح سوداء ، معها رعد وبرق أرعب القلوب . وكان من جملة الأسرى عجوز من أهل حلب فى أسر المنجنيقى ، ذبحها عند المنجنيق ، وهى تقول : " اللهم خذ الحق منهم " . فقام [المنجنيقى] يشرب الخمر مع أهله بعد ذبحها ، حتى غلبهم السكر ، وغابوا عن حسهم . فسقطت الشمعة وأحرقت ما حولها ، حتى هبت الريح تطاير شرر ما احترق من البيت حتى اشتعل بما فيه ، وتعلقت النيران بما حوله حتى بلغت موضع تكفور ،

(١) كذا فى ف ، وهو فى ب ، ه ه ه به " الفرع " .
(٢) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٠١ ، حاشية ٢ .
(٣) فى ف " حلفهم " ، وما هنا من ب ، ه ه ه ب .

فقر بنفسه ؛ واستمرت النار مدة اثنى عشر يوما ، فاحترق أكثر القلعة ؛ وتلف المنجنيق كله بالنار ، وكان هو حصن سيس ، ولم يعمل مثله . واحترق المنجنيق وأولاده الستة وزوجته ، واثنى عشر رجلا من أقاربه . وخربت سيس ، وهدم سورها ومساكنها ، وهلك كثير من أهلها ، وعجز تكفور عن بنائها .

وفيه نافقت العربان بالوجه القبلى والفيوم ، وكثرت خروبهم وقطعهم الطرقات ؛ فلم يمكن خروج العسكر إليهم ، فإنه كان أوان المغل ، خوفا عليه .

وفى مستهل ذى القعدة قدم علاء الدين الحرانى من دمشق باستدعاء ، وخلع عليه بنظر الشام .

و [فيه] قدم الخبر بأنه ثارت ريح زرقاء شديدة فى بلاد برقة ، أعقبها مطر عظيم جدا يوما كاملا . ثم نزل برد قدر بيض الحمام مجوف ، (١٤٨ ب) وبعضه مثقوب من وسطه . وتمادى [الريح] حتى وصل إلى الإسكندرية والبحيرة والغربية والمنوفية والشرقية ، وأفسد من الدور والزروع شيئا كثيراً سيما الفول ، فإنه تلف عن آخره ؛ ونزلت صاعقة فأحرقت نخلة فى دار .

وقدم الخبر أن الأمير أرغون الكاملى لعب بالكرة فى ميدان غزة ، وتوجه بعد أيام إلى القدس . فقدم عليه نائب الشام بتقدمته ، ثم تواردت تقادم النواب من حلب إلى غزة . ثم خرج [الأمير أرغون الكاملى] من القدس ، فكتب بسرعة قدومه ؛ فلما وصل قطيا خرج السلطان إلى لقائه بسرياقوس ، ولعب معه فى الميدان بالكرة ، وقد سر بقدومه ؛ ثم سار به [السلطان] إلى القلعة .

وفيه خلع على الأمير قبلاى ، واستقر فى نيابة الكرك ، عوضا عن ملكتمر السرجوانى لشدة مرضه ؛ وكتب بإحضاره .

وفيه كثر لعب الناس بالحمام ، وكثر جرى السعاة ، وتظاهر (١٤٩ ا) أرباب الملعوب يفنون لعبهم . وتزايد شلاق[1] الزعر ، وسلط عبيد الخدام الطواشية وغلمانهم

(١) الشلق الضرب بالسوط (محيط المحيط) ، ومن هذا المعنى يكون شلاق الزعر جماعة الأراذل الذين يتعرضون للمارة بالضرب ، وفى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٢٢ ، حاشية ٢) أن الشلاق هم الزعر الذين يضايقون الناس فى الطرقات ، ويدخلون الجوف فى قلوبهم . انظر كذلك (Dozy : Supp. Dict. Ar.) . ويريد الناشر أن يعود هنا إلى ما تقدم بالمتن (ص ٦٤٢ ، ٦٠٥) من =

وعبيد الكتاب على الناس ، وصاروا كل يوم يقفون للضراب ، فيسفك بينهم دماء كثيرة ، وتنهب الحوانيت بالصليبية[1] خارج القاهرة . وإذا ركب إليهم والى القاهرة لا يعبأون به ، فإن قبض على أحد منهم أخذ من يده سريعاً ؛ فاشتد قلق الناس من ذلك ، ولم يجسر أحد ينكر شيئاً من هذا .

وفيه أعرس بعض الطواشية ببعض سرارى السلطان بعد عقده عليها ، فعمل له السلطان مهما حضره جميع جوارى بيت السلطان ؛ وجليت العروس على الطواشى ، ونثر السلطان عليها وقت الجلا الذهب بيده ؛ فكان أمراً شنيعاً .

وفي مستهل ذى الحجة قدم البريد من دمشق بوفاة الأمير ألماس[2] الحاجب ، وعلاء الدين ابن سعيد[3] . فكتب (٤٩١ ب) باستقرار الأمير بدر الدين أمير مسعود بن خطير حاجبا عوضا عن ألماس ، وأنعم على مملوك ابن سعيد[4] بطبلخاناه ، بعد بذل نحو ستة آلاف دينار .

و [فيه] اشتهر أخذ البراطيل للسلطان ، فقصده كل أحد لطلب الإقطاعات والرزق والرواتب .

و [فيه] قدم ابن سالم قاضى القدس ، وقد عزله السبكى وأثبت عليه محضرا أنه باع أيتاما من يتامى المسلمين الأحرار للنصارى . وما زال [ابن سالم] يسعى بالخدام حتى كتب له توقيع بقضاء القدس ، على ألف وخمسمائة دينار حملها للسلطان ، ومثلها لمن سعى له .

وفيه كثرت الإشاعة باتفاق [الحاج] الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير يلبغا نائب الشام على المخامرة ؛ فجهز [الأمير الحاج] آل ملك محضرا ثابتا على قاضى صفد بالبراءة مما رمى به ، فأنكر السلطان عليه هذا ، وجهز منجك السلاح دار لكشف عما ذكر . (٥٠١ ب) فاتفق قدوم بعض مماليك [الأمير الحاج] آل ملك فاراً منه ، خوفا

= أنواع اللعب فى ذلك العصر ، ومنها لعبة المالجين التى لم يستطع الناشر تفسيرها هناك ، وهى فيما يبدو لعبة رفع الأثقال ، بدليل ما ورد فى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٥) أن أميرا من أمراء المماليك كان " مشهورا بالملاج ، يملج بمائة وعشرة أرطال " .

(١) فى ف " الصليبية " ، وما هنا من ب ، ٥٠٥ ب .

(٢) فى ف " الس " ، والصيغة المثبتة هنا من ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤١٠ .

(٣ ، ٤) فى ف " معبد " ، وما هنا من ب ، ٥٠٥ ب

أن يضربه على شرابه الخمر ، وذكر عنه للسلطان أنه يريد التوجه إلى بلاد العدو ، فزاد هذا السلطان كراهة فيه ، وأخرج منجك على البريد إليه . فلما قدم عليه حلف أنه برىء مما قيل عنه ، وأنعم على منجك بألفى دينار سوى الخيل والقماش .

وفيه نودى بالقاهرة ومصر أن لا يعارض أحد من أرباب الحمام وأرباب الملاعيب والسعاة ، فتزايد الفساد وشنع الحال .

وفيه وكتب الأمير طقتمر الصلاحى البريد ، ليوقع الحوطة على جميع أرباب المعاملات وأصحاب الرزق والرواتب بالبلاد الشامية من الفرات إلى غزة ، وألا يصرف لأحد منهم شيئاً ، وأن يستخرج منهم ومن الأوقاف وأرباب الجوامك ألف ألف درهم ، برسم سفر السلطان للحجاز ، ويشترى بذلك الجمال ونحوها مما يحتاج إليه [السلطان] فى سفره . (٥٠٠ ب) فمنعت[1] الرواتب من الفقراء وغيرهم ، بحيث لم يصرف لأحد منهم الدرهم الفرد ؛ فكثر ابتهالهم وتضرعهم إلى الله تعالى فى الدعاء على من قطع أرزاقهم .

وفيه كتب بعد موت الأمير جنكلى بن البابا بقدوم [الأمير الحاج] آل ملك [إلى القاهرة] من صفد ، ليستقر على إقطاع جنكلى ؛ وتوجه إليه منجك [لإحضاره] .

وفى يوم السبت تاسع عشريه أمسك الأمير أينبك أخو قارى ، ثم أفرج عنه من يومه .

و[فيه] استقر نجم الدين إبراهيم بن العماد على بن أحمد بن عبد الواحد الطرسوسى فى قضاء الحنفية بدمشق ، عوضاً من أبيه .

و[فيه] كتب باستقرار الأمير سيف الدين أراق الفتاح[2] نائب غزة فى نيابة صفد ، عوضا عن الأمير [الحاج] آل ملك .

ومات فيها من الأعيان فخر الدين أحمد بن الحسن بن الجاربردى ، شارح البيضاوى .

و[مات] الأمير ألماس الناصرى الحاجب ، بدمشق .

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٢٠٠٧ ا . " فمنعت ارباب الرواتب " .

(٢) فى ف " الفتاح " ، وما هنا من ب ، وكذلك (Wiet : Les Biographies du Manhal Safi. p. 50)

و [مات] بهاء الدين أبو بكر بن موسى بن سكرة ، (١٠٦١) ناظر الدواوين بدمشق ، فى عاشر شعبان بها ، عن ستين سنة .

و [توفى] الملك الأشرف كجك بن محمد بن قلاون .

و [مات] الأمير طقزدمر الحموى ، وأصله من مماليك المؤيد إسماعيل صاحب حماة ، بعثه للناصر محمد وهو شاب ، فحظى عنده ورقاه حتى صار أمير مجلس ، وزوجه بابنته . ثم ولى نيابة السلطنة فى أيام المنصور أبى بكر ، وولى نيابة حلب ودمشق ، ثم قدم إلى القاهرة ، ومات بها مستهل جمادى الآخرة ؛ وله تنسب خانكاة طقزدمر بالقرافة .

و [توفى] بدر الدين محمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله [العمرى الدمشقى] ، كاتب السر ، بدمشق فى سادس عشرى رجب .

و [توفى] تاج الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى بكر الأردبيلى الشافعى ، مدرس المدرسة الحسامية طرنطاى بالقرافة . وكان إماما فى الفقه والعربية والأصول ، والجدل والحساب والمنطق ؛ وقد اشتد سمعه ، وانتفع بالقراءة عليه جماعة .

و [توفى] القاضى ضياء الدين (١٠٦ ب) محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن المناوى الشافعى ، أحد نواب الحكم [عند قاضى القضاة الشافعية ، بالقاهرة] فى يوم السبت سادس رمضان ، وقد تجاوز تسعين سنة .

و [مات] الأمير بيبرس الأحمدى أحد المماليك المنصورية البرجية ، فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى المحرم ، وهو فى عشر الثمانين . وكان جركسى الجنس ، تنقل حتى صار من أمراء الألوف [فى وظيفة] أمير جندار ، ثم ولى نيابة صفد وطرابلس ؛ وكان كريما شجاعا قوى النفس دينا ، لم يركب قط فرسا إلا فحلا ، ولم يركب حجرة قط .

و [مات] الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا العجلى ، أتابك العساكر ، فى يوم الاثنين سابع عشرى ذى الحجة . قدم القاهرة سنة ثلاث وسبعمائة ، وتنقل حتى صار رأس[1] الميمنة . وله حقدة كبيرة ، ولم ير أعف منه فى الأمراء ، مع الصدق فى الديانة والحلم ،

---

(١) فى ف « أمير الميمنة » ، وما هنا من ب ، ١٠٧ ب ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٤٤ .

والوقار وكثرة الصدقات . فكان يخرج كل سنة ثمانية آلاف أردب من القمح ، ومبلغ ثمانين ألف (١٠٢ أ) درهم ، فى وجوه البر سوى زكاة ماله .

و [توفى] تقى الدين محمد بن همام بن راجى الشافعى ، إمام جامع الصالح خارج باب زويلة ؛ و [هو] مصنف كتاب سلاح المؤمن وغيره .

و [فيه] ضربت عنق ششلم وعنق رفيقه ، فى يوم الاثنين عاشر رجب .

ومات الشريف رميثة بن أبى نمى بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة أمير مكة ، يوم الجمعة ثامن ذى القعدة بمكة .

* * *

سنة سبع وأربعين وسبعمائة : يوم الاثنين أول المحرم قدم منجك [مدينة] صفد ، بكتاب السلطان يستدعى الأمير [الحاج] آل ملك ، فسار معه إلى غزة ، فقبض عليه بها وقيد . وقيل كان القبض عليه يوم الخميس سادس عشرى ذى الحجة ، بغزة .

وفى أوله أيضاً قدم الأمير ملكتمر السرجوانى من الكرك وهو مريض ، فمات عند مسجد تبر ظاهر القاهرة ؛ ودخل إليها ميتا ، فدفن بتربته .

وفيه أيضاً قدم الأمير شهاب الدين أحمد بن [الأمير الحاج] آل ملك (١٠٢ ب) من صفد ؛ فأمسك من ساعته ، وسجن .

وفيه أيضاً خلع على الأمير أسندمر العمرى ، واستقر فى نيابة طرابلس .

وفى يوم السبت سادسه قدم الأمير [الحاج] آل ملك نائب صفد ، والأمير قارى نائب طرابلس ، مقيدين إلى قليوب . وركبا النيل إلى الإسكندرية ، واعتقلا بها . وكان الأمير طقتمر الصلاحى قد قبض على قارى بطرابلس ، وقيده وبعثه على البريد ، وأوقع الحوطة على موجوده .

وفيه قبض على آينبك أخى قارى ، وعلى نصرات وفلبك وحواشيهم ، وأحيط بموجودهم .

و [فيه] ركب مغلطاى الأستادار [إلى صفد] لإيقاع الحوطة على موجود [الأمير الحاج] آل ملك ، وركب الطواشى مقبل التقوى لإحضار موجود قارى من طرابلس .

وألزم مباشروها بحمل جميع أموالها ، فوجد لآل ملك قريب ثلاثين ألف أردب غلة ، وألزم ولده بمائة ألف درهم ، وأخذ لزوجته خبية غُمِزَ عليها فيها أشياء (١٢٠ ا) جليلة ، وأخذ لزوجة قارى صندوق فيه مال جزيل .

وفيه استقرّ الأمير رسلان بَصَل فى نيابة حماه عوضا عن طقتمر الصلاحى ، ونقل طقتمر من نيابة حماة إلى نيابة حلب ، عوضا عن(١) الأمير أرقطاى . وكتب بقدوم أرقطاى ، وتوجه فى ذلك الأمير قطلوبغا الكركى ، ومعه التقاليد . فأنعم عليه أرقطاى بمائة ألف درهم ، وأنعم عليه طقتمر بألف وخمسمائة دينار ، وعشرة آلاف درهم ، ومائة قطعة قماش ، وعشرة أرؤس من الخيل ، وخلعة السلطان ، وخمسمائة أردب [غلة] من مصر ، قيمتها مائة ألف درهم .

وفى عشريه قدم الأمير أرقطاى من حلب ، فخلع عليه ، واستقر عوضا عن الأمير جنكلى بن البابا [رأس(٢) الميمنة] .

[وفيه خلع السلطان على الأمير أرغون العلائى زوج أمه ، واستقرّ فى نظر المارستان المنصورى ، عوضا عن الأمير(٣) جنكلى بن البابا] . فنزل إليه [أرغون] ، وأعاد جماعة ممن قطعهم ابن الأطروش بعد موت الأمير جنكلى . وأنشأ [أرغون] بجوار باب المارستان سبيل ماء ومكتب [سبيل(٤)] لقراءة أيتام المسلمين القرآن الكريم ، ووقف عليه (١٠٣ ب) وقفا [بناحية(٥)] من الضواحى .

وفيه أنعم على طغريل بتقدمة ألف ، وعزل تقى الدين سليمان بن مراجل من [نظر] الدولة ، وقد كرهه الناس .

و[فيه] خلع على الأمير نجم الدين محمود بن شروين(٦) وزير بغداد ، وأعيد إلى الوزارة ، وكانت شاغرة .

(١) فى ف "عوضا عن الأحمدى واستقر الأمير ارقطاى .. " ، وما هنا من ب ، ١٠٠٨ ا ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٢٦ .

(٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) ما بين الحاصرتين من ب ، ١٠٠٨ ا ، بعد تصحيحه على ما يقابله فى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٢٦

(٦) فى ف " شروان " ، وما هنا مما سبق

و[فيه] خلع على علم الدين عبد الله بن زنبور ، واستقرّ فى نظر الدولة ، عوضا عن ابن مراجل . وعزل جميع من ولاه ابن مراجل من الشاميين وغيرهم ، وأهينوا ، وألزموا بحمل ما أخذوا من المظالم ، ونزعت أخفافهم . وألزم ابن مراجل بحمل جميع ما استأداه من المعلوم ، وبثمن الخلعة والبغلة والدواة ، وقوّمت عليه بأزيد قيمة ؛ وأرادوا أهنته بكل طريق .

و[فيه استقر[1] ابن سهلول فى الاستيفاء] ، كما كان أولا . واستقرّ النشو بن ريشة[2] مستوفيا .

و[فيه] قدم الأمير مغلطاى بما وجد للأمير [الحاج] آل ملك ، وهو مبلغ خمسة وسبعون ألف درهم ، وأربعة آلاف دينار . ووجد له أيضاً ثمن غلة مبتاعة بمكة (١١٠٤) نحو مائة ألف وثلاثين ألف أردب ، ونحو عشرين ألف جلد حبشى . ووجد له عشرون فرسا ، سوى ما أرصده للتقدمة ، وعدتها سبعون فرسا ، سوى الهجن والبخاتى ، ونحو عشرين بقجة قماش . ووجد له أربعة عشر قطار بخاتى ، أنعم بها على أربعة عشر خادما ؛ فشقّ ذلك على الأمراء .

و[فيه] قدم مقبل من طرابلس بجميع قماش نساء الأمير قارى ، وما وجده له ، وفيه زنة سبعين مثقال من الجوهر ، فرّقه السلطان على اتفاق وغيرها ، وفيه مبلغ أربعين [ألف[3]] درهم ، وثلاثة آلاف دينار ، وزركش بنحو مائتى ألف درهم .

وفى مستهلّ صفر قدم ابن زعازع من البهنسا ، وسعى ببعض الكتّاب حتى سلم إليه على مائة ألف درهم ، فعاقبه حتى مات . فاتهم [ابن زعازع] بأنه أخذ له مالا كبيراً ، وخرج الأمير مغلطاى إلى البهنسا وقبض عليه ، وأخذ منه ألفى ألف ومائة وستين ألف درهم ، ومائتى جارية ، وستين عبدا ، (١٠٤ ب) وستين فرسا ، وألفا وثمانمائة فدان على سبيل الرزق ، سوى النقود والأعمال والمعاصر ؛ ثم سمّره [مغلطاى] وشهره فى النواحى .

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٥٠٨ ب . انظر ما سبق ، ص ٦٦٥ ، حيث تقدمت الإشارة إلى تولية ابن سهلول فى وظيفة ناظر الدولة .

(٢) فى ف " الريشة " ، وما هنا من ب ، ٥٠٨ ب ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ١٥١ ، ٣٠٧ .

(٣) ما بين الحاصرتين من ب ، ٥٠٨ ب

و[في]ه [قدم طُلب الأمير [الحاج] آل ملك ؛ ففرقت مماليكه على الأمراء ، ونزل بعضهم في البحرية[١].

و[فيه] أخرج مماليك قارى من الحلقة .

وفيه انتهت عمارة قصر الأمير أرغون الكاملي و إصطبله بالجسر الأعظم ، وأنفق فيه مال عظيم ، وأخذ فيه من بركة الفيل نحو العشرين ذراعا . فلما عزم أرغون [الكاملي] على النزول إليه مرض ، فقلق السلطان لمرضه ، فبعث له فرسا وثلاثين ألف درهم[٢] تصدّق بها عنه ، وأخرج [الأمير أرغون] العلائي أيضاً عشرة آلاف درهم تصدّق بها عنه ، وأفرج من أهل السجون ، وركب السلطان لعيادته بالميدان .

وفيه اهتم السلطان بالسفر إلى الحجاز ، ورسم بحمل مائة ألف وخمسين ألف أردب شعير ، وندب لها الأمير عز الدين أزدمر الكاشف . (١٠٠ ١) فألزم [الأمير عز الدين أزدمر] الفلاحين بالوجه البحري عن آخرهم بحمل الشعير على حساب كل أردب بسبعة دراهم ، وكتب لآل مهنا بالشام أن يشتروا[٣] الهجن المحبورة ، فقدم حيار بن مهنا ومعه قود جليل ، فقبل منه ، وقومت خيوله بمائتي ألف درهم ثم قدم أحمد بن مهنا أيضاً ، بقود غير طائل .

وفي يوم الجمعة رابع عشريه ولد للسلطان ولد ذكر من ابنة الأمير بكتمر الساقي .

وفي يوم السبت خامس عشريه أفرج عن الأمير شهاب الدين أحمد بن [الأمير الحاج] آل ملك ، و[عن] أخيه[٤] قارى ، وألزما بيوتهما .

وفي مستهل ربيع الأول قدم البريد بانتشار الجراد بأعمال دمشق والبلقاء ، ورعيه[٥] زروعهم وقد أدرك الشعير ، وأنه عمّ البلاد [حتى] وصل إلى الرمل وقرب من الصالحية ؛ فهلك [الشعير] عن آخره .

---

(١) انظر مقالتي التي عنوانها بعض ملاحظات جديدة في تاريخ سلاطين المماليك ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، ص ٧٢ — ٧٤ ، مايو ١٩٣٦ .

(٢) في ف ، وكذلك ب ، ٥٠٩ ب " ويبعث له فرس بثلاثين الف درهم ... " ، وما هنا من ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٢٧ .

(٣) في ف " يشترون " ، وما هنا من ب ، ٥٠٩ ا .

(٤) في ف ، وكذلك ب ، ٥٠٩ ا ، " واخوه " .

(٥) في ف " ورعت " ، وما هنا من ب ٥٠٩ ا .

وفيه تحسّن سعر الغلة ، حتى أبيع الأردب القمح بثلاثين درهما .

وفيه توجه السلطان إلى سرياقوس ، وأحضر (١٠٠ ب) عنـده الأوباش ، فلعبوا بالّلبخة[1] ، وهى عصِىّ كبار حدث اللعب بها فى هذه الدولة ، وقتل فى اللعب بها جماعة . فلعبوا بها بين يديه ، وقتل رجل رفيقه . فخلع على بعضهم ، وأنعم على كبيرهم بخبز فى الحلقة . واستمرّ السـلطان يلعب بالـكرة فى كل يوم ، وأعرض عن تدبير الأمور . فتمرّدت المماليك ، وأخذوا حرم الناس ، وقطعوا الطريق ، وفسـدت عدة من الجوارى . وكثرت الفتن بسبب ذلك حتى بلغ السـلطان ، فلم يعبأ بهذا ، وقال : " خلوا كل أحد يعمل مايريد " .

فلما فحش الأمر قام [الأمير أرغون] الملائى فيه مع السـلطان ، حتى عاد إلى القلعة . وقد تظاهر الناس بكل قبيح ، ونصبوا أخصاصا فى جزيرة[2] بولاق والجزيرة الوسطانية [التى] سموها حليمة ، بلغ مصروف كل خصّ فيها من ألفين إلى ثلاثة آلاف درهم . وعمل [كل خصّ] بالرخام والدهان البديع ، وزرع حوله المقاثى والرياحين ، وأقام بها معظم الناس من الباعة (١٠٦ أ) والتجار وغيرهم ، وكشفوا ستر الحياء ، وبالغوا فى التهتك بما تهوى أنفسهم فى حليمة ، وفى الطميه[3] . وتنافسـوا فى أرضها حتى كانت كل قصبة قياس تؤجر بعشرين درهما ، فيبلغ الفدان الواحد منها بثمانية آلاف درهم ، ويعمل فيها [ضامن] يستأجر منها الأخصاص . فأقاموا على ذلك ستة أشهر حتى زاد الماء ، وغرقت

---

(١) يوجد فى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٢٨ ، حاشية ١) وصف لهذه اللعبة ، وهو منقول من الشعرانى (الطبقات الـكبرى ، ج ٢ ، ص ١٠٦ — ١٠٧) فى ترجمة عثمان الحطاب الذى اشتهر بالمهارة فى هذه اللعبة ، ونصه : "وكان شجاعا يلعب اللبخة ، فيخرج له عشرة من الشطار ، ويهجمون عليه بالضرب ، فيمسك عصاه من وسطها ، ويرد الجميع ، فلا تصيبه واحدة " . ويتضح من هذا الوصف أن اللبخة هى لعبة التحطيب أو النبوت فى مصر حتى العصر الحاضر ، وأن عصى هذه اللعبة كانت فى العصر المملوكى من شجر اللبخ . انظر كذلك أحمد تيمور : لعب العرب ، ص ٥٦ .

(٢) حدّد المرحوم محمد رمزى فى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص١٢٩ ، حاشية ١) موضع هذه الجزيرة بأنه تجاه بولاق ، وشرح تاريخ ظهورها أواسط القرن الرابع عشر الميلادى من المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٨٠ — ١٨٦) .

(٣) هذا اسم جزيرة أخرى حدد المرحوم محمد رمزى موضعها ، وهى لا تزال معروفة باسم جزيرة دير الطين ، لأن معظم أراضيها واقع تجاه أراضى ناحية دير الطين وناحية أثر النبى (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٢٩ ، حاشية ٢) .

الجزيرة ؛ فاجتمع فيها من البغايا والأحداث وأنواع المسكرات ما لا يمكن حكايته ، وأنفق الناس بها أموالا تخرج عن الحد فى الكثرة . وكانت الأمراء والأعيان تسير إليها ليلا ، إلى أن قام [الأمير أرغون] العلائى فى أمرها قياما عظيما ، وأحرق الأخصاص على حين غفلة ، وضرب جماعة وشهرهم ؛ فتلف بها مال عظيم جدا .

وفى هذه الأيام قلّ ماء النيل حتى صار ما بين المقياس ومصر يخاض ، وصار من بولاق إلى منشأة المهرانى ومن جزيرة الفيل إلى بولاق ومنها إلى المنية طريقا واحداً . وبَعُد على (١٠٦ ب) السقائين طريق الماء ، فإنهم صاروا يأخذون الماء من قريب ناحية منبابة . وبلغت الراوية [الماء] إلى درهمين ، بعد نصف وربع درهم ؛ فشكا الناس ذلك إلى [الأمير أرغون] العلائى . فبلغ السلطان غلاء الماء بالمدينة ، وانكشاف ما تحت بيوت البحر من الماء ، فركب ومعه الأمراء وكثير من أرباب الهندسة حتى كشف ذلك ، فوجد الوقت فيه قد فات بزيادة النيل واقتضى الرأى أن ينقل التراب والشقف من مطابخ السكر بمدينة مصر ، ويرمى من برّ الجيزة إلى المقياس ، حتى يصير جسرا يعمل عليه ، ويدفع الماء إلى الجهة التى انحسر عنها . فنقلت الأتربة فى المراكب ، وألقيت هناك إلى أن بقى جسرا ظاهرا ، وتراجع الماء قليلا إلى برّ مصر ؛ فلما قويت الزيادة علا الماء على هذا الجسر .

وفيه لعب السلطان مع الأمراء بالكرة فى الميدان من القلعة ، فاصطدم الأمير بيبغا بلاحى مع آخر سقطا معاً [عن فرسيهما] (١٠٧ أ) إلى الأرض . ووقع فرس بيبغا ، صدره ، فانقطع نخاعه ، ومات لوقته ؛ فأنعم بإقطاعه على قطلوبغا الكركى .

وفيه قدم الشريف عجلان بن رميثة من مكة وصحبته القود ؛ فمنع من الإنعام عليه عادته عند قدومه بقوده ، وهى أربعة آلاف درهم وكتب إلى أخيه ثقبة ألا يعارض ، أن يحضر إلى القاهرة .

و [فيه] كتب إلى نائب حماة بإيقاع الحوطة على الأملاك والأراضى التى تقدم بيعها

من الملك المؤيد إسماعيل ومن ولده ، فإنها أبيعت بدون القيمة ؛ فقام أربابها بقيمة[١] المثل ، وحصل منهم ثلاثمائة ألف درهم .

وفيه قدم علاء الدين بن الحرانى ناظر دمشق ، وشكا من قطع طقتمر الصلاحى مرتبات الناس ببلاد الشام فلم تسمع شكواه ، ورسم له ألا يعرف لأحد مرتبا ولا حوالة يحال بها على مال الشام ، بل يوفر الجميع لمهم[٢] السفر للحجاز . ثم عاد [علاء الدين ابن الحرانى] إلى (١٠٧ ب) دمشق ، وتوجه صحبته تقى الدين سليمان بن مراجل ، بشفاعته له فى السفر .

وفيه قدمت رسل ابن دلغادر بكتاب يتضمن أنه أخذ قلعة كانت بيد الأرمن ، واحتوى على ما فيها وقتل أهلها ؛ فأنعم عليه بها .

وفيه أخرج الأمير أيتمش[٣] عبد الغنى أحد الطبلخاناه على البريد ، منفيا إلى الشام .

وفيه ولد للسلطان ولد ذكر من ابنة الأمير تنكز ، فدقت البشائر . ونزل الأمير قطلوبغا الفخرى إلى الأمراء يبشرهم ، فلبس من أربعة وعشرين أميراً مقدما أربعة وعشرين تشريفا أطلس بحوائصها[٤] ، سوى الذهب والفضة والخيل والتفاصيل . وأعفى [قطلوبغا] مقدمين من الأخذ منهما ، وهما علاء الدين على بن طغريل وبهادر العقيلى ، من أجل أنهما أخذا الإمرة عن قريب . وأنعم عليه السلطان مع ذلك من الأهراء[٥] بخمسة عشر ألف أردب غلة ، فاشتد (١٠٨ ا) حسد المماليك له على ما ناله من السعادة . فلم يطل عمر هذا المولود ، ومات .

وفيه اشتدت المطالبة على أهل النواحى بالجمال والشعير والأعدال والأخراج والدهن ،

(١) فى ف " قيمة " ، وما هنا من ب ، ٥٦٠ ا .

(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٦٠ ا " لهم " ، والتصحيح المثبت هنا يوضح العبارة .

(٣) فى ف ، وكذلك ب " يتمش " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٥٥ .

(٤) فى ف " بحوايصى " ، وما هنا من ب ، ٥٦٠ ا .

(٥) فى ف ، وفى ب ٥٦٠ ا " الامرا " ، والتصحيح يرجحه سياق العبارة .

بسبب سفر السلطان للحجاز . وكثرت مغارم[1] أهل النواحي للولاة والرقاصين[2] ، وشكا أرباب الإقطاعات ضرر بلادهم للسلطان ، فلم يلتفت لهم . وقام في ذلك الأمير أرغون شاه أستادار مع [الأمير أرغون] العلائي ، في التحدث مع السلطان في إبطال حركة السفر ، حتى تفاوضا بسببه وتنافرا . فحدث [الأمير أرغون] العلائي السلطان في تركه السفر ، فلم يصغ لقوله ، وكتب باستعجال العرب بالجمال ، واستحثاث طقتمر الصلاحي فيما هو بصدده من ذلك .

وفيه أوقع السلطان الحوطة على أموال الطواشي عرفات ، وأخرج إلى الشام . وقصد [السلطان] أخذ أموال الطواشي كافور الهندي ، فشفعت فيه خوند (١٠٨ ب) طغاي ، فأخرج إلى القدس . وكان[3] عرفات وكافور من خواص السلطان الملك الناصر محمد ، ونالا سعادة عظيمة ؛ وبنى كافور تربة عظيمة بالقرافة .

و [فيه] نفى أيضاً ياقوت الكبير ، وكافور المحرم ، وسرور الدماميني .

وفي ثامن عشره نفى أيضاً من الطواشية دينار الصواف ، ومختص[4] الخطائي .

وأهل ربيع الآخر ، ففيه قدم الخبر بموت تاج الدين محمد بن الزين خضر بن محمد ابن عبد الرحمن كاتب السر بدمشق ، فرسم أن يستقر عوضه في كتابة السر بدمشق ناصر الدين محمد بن يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي ، وأن يستقر جمال الدين إبراهيم ابن الشهاب محمود كاتب السر بحلب ، على عادته .

وفيه اشتد فساد العربان بالصعيد والفيوم والإطفيحية ، فأخرج الأمير غُرْلُو إلى إطفيح . فأمّن [غرلو شيخ العرب] مفتي ، وأخذ في التحيل على نمى حتى قبض عليه ، وسلمه لمفتي ، فعذبه عذاباً شديداً . فثارت أصحابه ، وكبسوا (١٠٩ ا) الحي[5] وتلك النواحي ، وكسروا

(١) في ف ، وكذلك في ب ٦٠٠ ه ب " مغارمهم " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٢) الرقاصون جمع رقاص ، وهو في (Dozy : Supp. Dict. Ar.) البريدي الذي يحمل الرسائل ، والمرشد الذي يصحب المسافرين .

(٣) في ف وكذلك ب ، " كانا " .

(٤) في ف " مختص الخطاى " ، وفي ب ، ٦٠٠ ه ب " مختص الخطابي " ، وما هنا من ابن تغرى بردى النجوم : الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٣٢ .

(٥) الحي قرية من قرى مركز الصف ، بمديرية الجيزة الحالية . انظر مصلحة المساحة المصرية : الدليل الجغرافي لأسماء المدن والنواحي ، ص ٢٥٢ .

عرب منفى ، وقتلوا منهم ثلاثمائة رجل وستين امرأة ، وذبحوا الأطفال ، ونهبوا الأجران ، وهدموا البيوت ، ولحقوا بعربان الصعيد والفيوم . فكانت عدة من قتل منهم فى هذه السنة نحو الألفى إنسان ، لم يفكر [أحد] فى أمرهم ، ولا فيما أفسدوه .

وفيه مات ولد السلطان من ابنة الأمير تنكز ؛ فولد له فى يومه ولد ذكر من حظيته اتفاق سماه شاهنشاه ، وسر به سرورا زائدا ، وقصد أن يعمل له مهما وتدق البشائر . فمنعه [الأمير أرغون] العلائى من ذلك ، فعمل فرحا مدة سبعة أيام . وكان [السلطان] قد عمل لاتفاق على ولادتها بشخاناه وداير بيت ، وغشاء مهد الولد وقماطه ، عمل فيهم مبلغ ستة وثمانين ألف دينار . وحصل لأرباب الملاهى أيام الفرح من خلع الخوانين عليهم البغلطيق بداير زركش ، وباولى[1] وطرازات زركش وغير ذلك ، ما يعظم قدره . ومع ذلك (١٥٩ ب) مات الولد يوم سابعه .

وفيه مات يوسف بن [السلطان] الناصر [محمد] ، واتهم السلطان بقتله

وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحى من الشام ، ومعه مبلغ ألف ألف درهم ، لتتمة جملة ما حمل من الشام ألف ألف وستمائة ألف درهم ، مما توفر من المرتبات التى اقتطعت وجبىء من الأعمال بالعسف ، وذلك سوى الأصناف المستعملة برسم السفر .

وفيه ورد كتاب الأمير يلبغا [اليحياوى] نائب الشام يتضمن خراب بلاد الشام ، مما اتفق بها من أخذ الأموال وانقطاع الجالب إليها ، وأن الرأى تأخير السفر إلى الحجاز فى هذه السنة . فقام الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى فى تصويب رأى نائب الشام ، وذكرا ماحدث ببلاد مصر[2] من نفاق العربان ، وضرر الزرع ، وكثرة مغارم البلاد . وما زالا حتى رجع السلطان عن السفر ، وكتب لنائب الشام بقبول رأيه فى ذلك ، وكتب (١٦٠ ا) إلى الأعمال باسترجاع ما قبضه العرب من كرى الجمال ورمى البشماط الذى عمل على الباعة .

(١) فى ف " باوان " ، وما هنا من ب ، ١٦٠ ب . انظر ما سبق بالقسم الأول من هذا الجزء الثانى من كتاب السلوك ، ص ٢١٠ .

(٢) فى ف " لمصر " ، وما هنا من ب ، ١٦١ ا .

فلم يوافق هــذا غرض نساء السلطان ووالدته ؛ وأخذت [والدته] فى تقوية عزمه على السفر حتى قوى ، وكتب لنائب الشام وحلب وغيرهما أنه لابدّ من السفر للحجاز ، وأمرهم بحمل ما يحتاج إليه . واشترى[1] [السلطان] الجمال ، وطلب الكاشف ، ورسم له بطلب عربان مصر وتفرقة المال عليهم ، لكرى أحمال الشعير والدقيق والبشماط .

فتجدّد الطلب على الناس ، وحملت الغلال إلى الطحانين لعمل البشماط والدقيق ، واستعبد ما رمى من ذلك . فتحسن سعر الغلة ، واختلت النواحى من العسف فى الطلب ، ورفعت أجرة الجمل إلى العقبة عشرة دراهم ، و إلى ينبع ثلاثين درهما ، و إلى مكة خمسين درهما واشتغل الناس بهذا المهم ، وتوقفت أحوال أرباب المعايش ، وقلّ الواصل من كل شىء .

وأخذ الأمراء فى أهبة السفر ، وقلقوا (١٦٠ ب) لذلك ، وسألوا [الأمير أرغون] العلائى و [الأمير ملكتمر] الحجازى فى الكلام مع السلطان فى إبطال سفره ، وتعريفه رقة حالهم من حين محاربتهم إلى الكرك فى نوبة [الناصر] أحمد ، ومن خراب بلادهم لطلب الكشاف والولاة فلاحيها بالشعير وغيره فكلما السلطان بذلك ، فاشتد[2] غضبه ، وأطلق لسانه ؛ فما زالا به حتى سكن غضبه ؛ فرُسم من الغد لجميع الأمراء بالتأهب للسفر ، ومن عجز عن السفر يقيم بالقاهرة . فاشتد الأمر على الناس بديار مصر و بلاد الشام ، وكثر دعاؤهم لما هم فيه من السخر والمغارم . وتنكرت قلوب الأمراء ، وكثرت الإشاعة بتنكر السلطان على [الأمير يلبغا اليحياوى] نائب الشام ، وأنه يريد مسكه حتى بلغهُ ذلك ، فاحترز على نفسه .

و بلغ[3] الأمير يلبغا اليحياوى قتل يوسف أخى السلطان ، وقوة عزم السلطان على سفر الحجاز موافقة لأغراض نسائه ؛ فجمع أمراء دمشق ، وحلّفهم على القيام معه ، و برز إلى ظاهر دمشق فى نصف جمادى الأولى ، (١٦١ ا) وأقام هناك . وحضر إليه الأمير طرنطاى البشمقدار نائب حمص ، والأمير أراق الفتاح نائب صفد ، والأمير أسندمر نائب حماة ، والأمير بيدمر [البدرى[4]] نائب طرابلس . فاجتمعوا جميعا ظاهر

(١) فى ف " وشرا " .

(٢) فى ف " اشتد " ، وما هنا من ب ، ٥٦١ ا .

(٣) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٦١ ب " وبلده " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٤) مابين الحاصرتين من ب ، ٥٦١ب ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج١٠ ، ص١٢٤

دمشق مع عسكرها ، وكتبوا بخلع الملك الكامل ، وظاهروا بالخروج عن طاعته . وكتب الأمير يلبغا [اليحياوى] نائب الشام إلى السلطان : " إنى[1] أحد الأوصياء عليك ، و إن مما قاله الشهيد[2] رحمه الله لى وللأمراء فى وصيته ، إذا أقمتم أحدا من أولادى ولم ترتضوا سيرته جرّوه برجله ، وأخرجوه ، وأقيموا غيره . وأنت أفسدتَ المملكة ، وأفقرت الأمراء والأجناد ، وقتلت أخاك ، وقبضت على أكابر أمراء السلطان الشهيد . واشتغلت عن الملك ، والتهيت بالنساء وشرب الخمر ، وصرت تبيع أخباز الأجناد بالفضة " . وذكر [الأمير يلبغا اليحياوى] له أمورا فاحشة عملها ، فقدم كتابه (١٦٤ ب) فى يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى . فلما قرأه [السلطان الكامل] تغير تغيراً زائداً ، وأوقف عليه [الأمير أرغون] العلائى بمفرده ، فقال له : " والله لقد كنت أحسب هذا ، وقلت لك فلم تسمع قولى " ، وأشار عليه بكتمان هذا . وكتب [السلطان الكامل] الجواب يتضمن التلطف فى القول ، وأخرج الأمير منجك على البريد إلى[3] الأمير يلبغا اليحياوى فى ثانى عشريه ، ليرجعه عما عزم عليه ، ويكشف أحوال الأمراء ؛ وكتب [السلطان] إلى أعمال مصر بإبطال السفر .

فكثرت القالة بين الناس بخروج نائب الشام عن الطاعة حتى بلغ الأمراء والمماليك ، فأشار [الأمير أرغون] العلائى على السلطان بإعلام الأمراء بالخبر . فطلبوا إلى القلعة ، وأخذ رأيهم ؛ فوقع الاتفاق على خروج العسكر إلى الشام مع الأمير أرقطاى ، ومعه من الأمراء منكلى بغا الفخرى أمير جندار ، وآقسنقر الناصرى ، وطيبغا المجدى ، وأرغون الكاملى ، وأمير على بن طغريل النوغاى ، وابن (١٦٢ ا) طقزدمر ، وابن طشتمر ، وأربعين أمير طبلخاناه ، وعشرين أمير عشرة ، وأربعين مقدم حلقة . وحملت النفقة إليهم : لكل مقدم ألف[4] دينار ، ماعدا ثلاثة مقدمين لكل مقدم ثلاثة آلاف دينار ؛ وكتب بإحضار الأجناد من البلاد .

(١) فى ف " بانى " .

(٢) المقصود بهذا التعبير السلطان الناصر محمد بن قلاون ، وهو تعبير شائع للدلالة على المتوفين من كبار السلاطين وغيرهم .

(٣) فى ف ، وكذلك ب ٦١٠٥ ب " اليه " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٤) فى ف ، وكذلك ب ٦١٠٥ ب " الف الف " ، وما بالمتن يرجحه سائر العبارة .

فقدم كتاب منجك من الفور بموافقة النواب لنائب الشام ، وأن التجريدة إليه لا تفيد ، فإنه يقول إن أمراء مصر معه . وقدم كتاب نائب الشام أيضاً — وفيه خط[1] أمير مسعود بن خطير ، وأمير على بن قراسنقر ، وقلاون ، وحسام الدين البشمقدار — يتضمن " إنك لا تصلح للملك ، وإنك إنما أخذته بالغلبة من غير رضى الأمراء " ، وعدد ما فعله . ثم قال : " ونحن ما بقينا نصلح لك ، وأنت فما تصلح لنا . والمصلحة أن تعزل نفسك " .

فاستدعى [السلطان الكامل] الأمراء ، [وحلفهم على طاعته ، ثم أمرهم بالسفر إلى الشام ، فخرجوا من الغد] ، وخرج [طُلب] منكلى بغا [الفخرى] ، وبعده أرغون الكاملى . وعند ما وصل طُلب أرغون [الكاملى] تحت القلعة خرجت (١٦٢ ب) ريح شديدة ألقت شاليشه[2] إلى الأرض ، فصاحت العامة : " راحت عليكم يا كاملية " ، وتطيروا بأنهم غير منصورين . وأخذ المجردون فى الخروج شيئاً بعد شيء ، فقدم حلاوة الأوجاقى يوم الخميس سادس عشريه ، [وأخبر] بأن منجك ساعة وصوله دمشق قبض عليه يلبغا اليحياوى نائب الشام ، وسجنه بالقلعة . فبعث السلطان الطواشى مسرور الزينى[3] لإحضار أخويه أمير حاجى[4] وأمير حسين ؛ فاعتذرا بوعكهما ، وبعثت أمهاتهما إلى [الأمير أرغون] العلائى و [الأمير ملكتمر] الحجازى يسألانهما فى التلطف مع السلطان فى أمرهما .

فبلغت [الأمير أرغون] العلائى بعض جوارى زوجته ، [أم السلطان الكامل] ، أنها سمعت السلطان وقد سكر وكشف رأسه ، وقال : " إلهى أعطيتنى الملك ، ومكنتنى من آل ملاك وقارى . وبقى من أعدائى العلائى والحجازى ، فمكنى منهما حتى أبلغ غرضى فيهما " ؛ فأقلقه ذلك . ثم دخل [الأمير أرغون العلائى] على السلطان فى خلوة ، فإذا هو متغير

(١) فى ف " حضر " ، وما هنا من ب ، ٥٦٢ أ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٣٥ .

(٢) الشاليش هو الجاليش . انظر الجزء الأول من كتاب السلوك ، ص ١٢٤ ، ٤٤٣ ، ٦٩٢ .

(٣) فى ف " والزمنى " ، وما هنا من ب ، ١٢ ٥ أ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٣٧ .

(٤) فى ف ، وكذلك ب ، ١٦٢ أ " حاج " .

الوجه مفكرٌ . فبدره [السلطان] بأن قال (١٦٣ أ) له : " من جاءك من جهة إخوتى أنت والحجازى " ؟ فعرّفه أن النساء دخلن عليهما ، [وطلبن] أن يكون السلطان طيّب الخاطر على أخويه[1] ويؤمنهما ، فإنهما خائفان . فردّ عليه [السلطان] جوابا جافيا ، ووضع يده فى السيف ليضربه به ، فقام عنه لينجوَ بنفسه .

وعرّف [الأمير أرغون العلائى الأمير ملكتمر] الحجازى بما جرى له ، وشكا من فساد السلطنة . فتوحش خاطر كل منهما ، وانقطع العلائى عن الخدمة وتملّل . وأخذت المماليك أيضاً فى التنكر على السلطان ، وكاتَبَ بعضهم [الأمير يبلغا اليحياوى] نائب الشام ، واتفقوا بأجمعهم حتى اشتهر أمرهم وتحدثت به العامة ؛ ووافقهم الأمير قراسنقر .

فألح السلطان فى طلب أخويه ، وبعث قطلوبغا الكركى فى جماعة حتى هجموا عليهما ليلا ؛ فقامت النساء ومنعوهما منهم . فهمّ [السلطان] أن يقوم بنفسه حتى يأخذهما ، فجىء بهما إليه وقت الظهر من يوم السبت تاسع عشريه ، فأدخل بهما إلى موضع ، ووكل بهما ؛ وقام العزاء فى الدور عليهما . وهمت المماليك (١٦٣ ب) بالثورة والركوب للحرب .

وفى يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة خرج الأمير أرقطاى بطُلبه ، حتى وصل طُلبه إلى باب زويلة ، ووقف مع الأمراء فى الموكب تحت القلعة ، وإذا بالناس قد اضطربوا . ونزل [الأمير ملكتمر] الحجازى سائقا يريد إصطبله ، وتبعه الأمير أرغون شاه أيضاً إلى جهة إصطبله . وسبب ذلك أن السلطان جلس بالإيوان على العادة ، وقد بيّت مع ثقاته القبض على [الأمير ملكتمر] الحجازى و [الأمير] أرغون شاه إذا دخلا ، وكانا جالسين ينتظران الإذن على العادة . فخرج طقيتمر الدوادار ليأذن لهما ، فأشار لهما بعينه أن يذهبا . وكان قد بلغهما التنكر عليهما ، فقاما من فورهما ونزلا إلى خيولهما ، فلبسا وسارا إلى قبة النصر . وبعث [الأمير ملكتمر] الحجازى يستدعى آقسنقر من سرياقوس ، فما تضحّى النهار حتى اجتمعت أطلاب الأمراء بقبة النصر .

(١) فى ف " عليهما " ، والتعديل للتوضيح . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٣٧ ، وكذلك انظر ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٨٤ ، حيث يصف المؤلف مدى خوف الأخين من أخيهما السلطان الكامل شعبان .

وطلب السلطان [الأمير أرغون] العلائى واستشاره [فيما يفعل] ، فأشار عليه أن يركب (١٦٤ ا) بنفسه إليهم ، فركب ومعه [الأمير أرغون] العلائى وقطلوبغا الكركى وتمر الموساوى ، وعدة من المماليك . وأمر [السلطان] فدقت الكوسات حربيا ، ودارت النقباء على أجناد الحلقة والمماليك ليركبوا ، فركب بعضهم .

هذا وقد قدم آقسنقر إلى قبة النصر ، وصار السلطان فى جمع كبير من العامة ، وهو يسألهم الدعاء ، فنظروا إليه وأسمعوه ما لا يليق . وسار [السلطان] فى ألف فارس حتى قابل الأمراء ، فانسلّ عنه أصحابه ، وبقى فى أربعمائة فارس . فبرز له آقسنقر ووقف معه ، وأشار عليه أن ينخلع من السلطنة ، فأجابه إلى ذلك وبكى . فتركه آقسنقر وعاد إلى الأمراء ، وعرّفهم ذلك . فلم يرض أرغون شاه ، وبدر ومعه قرابغا وصمغار وبزلار وغُرْلو فى أصحابهم حتى وصلوا إلى السلطان ؛ وسيروا إلى [الأمير أرغون] العلائى أن يأتيهم ، ليأخذوه إلى عند الأمراء . فلم يوافق [الأمير أرغون العلائى] على ذلك ، فهجموا عليه ، وفرّقوا من (١٦٤ ب) معه ، وضربوه بدبوس حتى سقط إلى الأرض ؛ فضربه يلبغا أروس بسيف قطع خده ، وأُخذ أسيراً ، فسُجن فى خزانة شمايل . وفرّ السلطان [الكامل شعبان] إلى القلعة ، واختفى عند أمه زوجة [الأمير أرغون العلائى] .

وسار الأمراء إلى القلعة ، وأخرجوا أمير حاجى وأمير حسين من سجنهما ؛ وقبلوا يد أمير حاجى ، وخاطبوه بالسلطنة . وطلبوا الكامل شعبان وسجنوه ، حيث كان أخويه مسجونين ؛ ووكل به قرابغا القاسمى وصمغار .

ومن غرائب الاتفاق أنه كان قد عمل طعام لأمير حاجى و [أمير] حسين حتى كان يكون غداءهما ، وعمل سماط السلطان على العادة . فوقعت الضجة ، وقد مدّ السماط ، فركب السلطان [شعبان] من غير أكل . فلما انهزم [شعبان] وقبض عليه ، وأقيم أخوه أمير[1] حاجى بدله ، مُدّ السماط بعينه له ، فأكل منه [حاجى] ؛ وأدخل بطعامه وطعام أمير حسين إلى شعبان الكامل ، فأكله فى السجن .

(١) فى ف وكذلك فى ب ، ٥٦٣ ا ، " واقيم اخوه بدله وامير حسين " .

ثم قُتل [شعبان] فى يوم الأربعاء ثالثه وقت الظهر ، ودُفن عند (١٦٥ ا) أخيه يوسف ، ليلة الخميس . فكانت مدته سنة وثمانية وخمسين يوماً ، كثر التظاهر فيهما بالمنكرات ، لشغفه باللهو ، وعكوفه على معاقرة الخمر ، وسماع الأغانى واللعب ، وبيعه الإقطاعات والولايات حتى إن الإقطاع كان يخرج عن صاحبه وهو حىّ بمال لآخر ، فإذا وقف من أخرج إقطاعه قيل له : " نعوّض عليك "

و [أخذ الأمراء على شعبان] تمكينه الخدام والنساء من التصرّف فى المملكة ، والتهتك فى النزه والصيد ، واللعب بالكرة بالهيئات الجليلة ، وركوب الخيول المسوّمة ، وعدم الاحتشام من فعل المنكرات ، حتى إن حريمه إذا نزلن إلى نزهة تبلغ عندهن الجرة الخمر إلى ثلاثين درهما . وشره[1] [حريم شعبان] فيما فى أيدى الناس من الدواليب[2] والأحجار[3] ، والبساتين والدور ، ونحوها . فأخذت أمه معصرة وزير بغداد ، وأخذت اتفاق أربعة أحجار وأخذت أمه أيضا من وزير بغداد منظرة (١٦٥ ب) على بركة الفيل .

وحدث فى أيامه أخذ خراج الرزق ، وزيادة القانون ، ونقص الأجاير ؛ وأعيد ضمان أرباب الملاعيب . ولم يوجد له من المال سوى مبلغ ثمانين ألف دينار ، وخمس مائة ألف درهم . وكان مع ذلك مهابا[4] سيوسا[5] ، متفقداً لأحوال المملكة ، لا يشغله لهوه عن الجلوس للخدمة ؛ وكان حازما ذا رأى واحتياط ومحبة لجمع المال ، وفيه قيل :

بيت قلاوون سعاداته فى عاجل كانت بلا آجل
حلّ على أملاكه للردى دين قد استوفاه بالكامل

السلطان الملك المظفر

زين الدين حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحى الألفى

سجنه أخوه شعبان الكامل كما تقدّم ، ومعه أخوه حسين . فلما انهزم [شعبان]

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٦٣ ا " وشرهن " .
(٢) انظر ما سبق ، ص ٦٩١ ، حاشية ١ .
(٣) الأحجار هنا فيما يبدو طواحين الغلال .
(٤) فى ف " نهابا " ، وما هنا من ب ٥٦٣ ا ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٤١ .
(٥) قال السلطان الكامل شعبان عن نفسه ، نقلا عن أبى الفداء (المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٥٠) " أنا ثعبان لا شعبان " .

من الأمراء سِرّ وهو سائق في أربعة مماليك إلى باب السرّ من القلعة ، فوجده مغلقاً والمماليك بأعلاه ، فتلطف (١٦٦ ا) بهم حتى فتح له أحدهم ؛ ودخل ليقتل أخويه ، فلم يفتح الخدام له الباب ، فمضى إلى أمه .

وصعد الأمراء إلى القلعة ، وقد قبضوا على [الأمير أرغون] العلائي ، وعلى الطواشى جوهر السحرتى اللالا ، وأسندمر الكاملى ، وقطلوبغا الكركى ، وجماعة . ودخل بزلار وصمغار راكبين إلى باب الستارة ، وطلبا أمير حاجي ، فأدخلهما الخدام إلى الدهيشة حتى أخرجوه وأخاه من سجنهما . وبشّرا حاجي بالظفر . ثم دخل[(١)] الأمير أرغون شاه إلى حاجي ، وقبّل له الأرض ، وقال له : " بسم الله ، اخرج أنت سلطاننا " ، وسار به وبحسين إلى الرحبة ، وأجلسه على باب الستارة . .

ثم تطلّب [الأمير أرغون شاه] شعبان الكامل حتى وجده قائماً بين الأزيار ، وقد اتسخت ثيابه ؛ فأخرجه إلى الرحبة ، وأدخله إلى الدهيشة حتى سجنه بها ، حيث كان حاجي .

وطلب الأمير أرغون شاه] الخليفة والقضاة ، وأركب حاجي من باب الستارة إلى الإيوان . وحمل المماليك أمير حسين على أكتافهم (١٦٦ ب) حتى جلس حاجي على سرير الملك ، في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة . ولقب [حاجي] بالملك المظفر ، وله من العمر [خمس عشرة[(٢)] سنة] . وقبل الأمراء الأرض بين يديه ، وحلف لهم أولا أنه لا يؤذى أحداً منهم ، ولا يخرب بيت أحد ؛ وحلفوا له على طاعته . وركب الأمير بيغرا البريد ليبشر [الأمير يلبغا اليحياوى] نائب الشام ، ويحلفه وأمراء الشام .

و [فيه] كتب إلى ولاة الأعمال بإعفاء النواحى من المغارم ، ورماية الشعير والبرسيم .

---

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٦٣ ه ب " ثم دخل اليه الامير ارغوه شاه وقبل له الارض " ، والتعديل للتوضيح .

(٢) مابين الحاصرتين بياض فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٣ ه ب . غير أن ابن إياس بدائع الزهور ، ج ١ ، ١٨٧) ذكر أن مولد حاجى سنة ٧٣٢ ﻫ ، وعلى هذا يكون عمره خمس عشرة سنة حين أقيم سلطانا . أما أصل تسميته، فهو أنه ولد وأبوه السلطان الناصر محمد فى طريق العودة من الحج ، فسماه حاجى . انظر كذلك ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٣ .

و[فيه] حمل الأمير أرغون العلائى إلى الإسكندرية .

وفى يوم الأربعاء ثالثه قبض على الشيخ على الدوادار ، وعلى عشرة من الخدام الكاملية ، وسلموا إلى شادّ الدواوين . وسُلّم له أيضاً الطواشى جوهر السحرتى وقطلوبغا الكركى ومقبل الرومى ، وألزموا بحمل الأموال التى أخذوها من الناس على قضاء الأشغال ؛ فعذبوا بأنواع العذاب ، ووقعت الحوطة على موجودهم .

و[فيه] قبض على الأمير (١٦٧ ا) تمر الموساوى ، وأخرج إلى الشام .

و[فيه] أمر بأم الكامل وزوجاته ، فأنزلن من القلعة إلى القاهرة . وعرضت جوارى دار السلطان ، فبلغت عدتهن خمسمائة جارية ، فُرّقن على الأمراء .

و[فيه] أحيط بموجود اتفاق ، وأنزلت من القلعة . وكانت سوداء حالكة السواد ، اشترتها ضامنة المغانى بدون الأربعمائة درهم من ضامنة المغانى بمدينة بلبيس ، وعلمتها الضرب بالعود على عَبْد عَلِي العواد ، فمهرت فيه . وكانت [اتفاق] حسنة الصوت[1] جيدة الغناء به ؛ فقدمتها [ضامنة المغانى] لبيت السلطان ، فاشتهرت فيه ، حتى شغف بها الصالح إسماعيل وتزوج بها . ثم لما تسلطن شعبان الكامل باتت عنده من ليلته ، لما كان فى نفسه منها أيام أخيه ، ونالت من الحظوة والسعادة ما لا عرف فى زمانها لامرأة غيرها ، حتى إنه عمل لها داير بيت طوله اثنان وأربعون ذراعا ، وعرضه ستة أذرع ، فيه خمسة وتسعون ألف دينار مصرية ، (١٦٧ ب) سوى البشخاناة والمخادّ والمساند . وكان لها أربعون بذلة ثياب مرصّعة بالجوهر ، وست عشرة بدلة بداير زركش ، وثمانون مقنعة فيها ما قيمته عشرون ألف درهم ، وأقلها بخمسة آلاف درهم ، إلى غير ذلك مما يجلّ وصفه .

و[فيه] وُفِّر من مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم أربعة آلاف درهم .

و[فيه] رسم بإعادة الأملاك التى أخذها حريم الكامل لأربابها ؛ فاستعاد الوزير نجم الدين معصرته ، وأخذ من اتفاق وغيرها ما أخذته من الناس .

و[فيه] نودى فى القاهرة ومصر برفع الظلامات ، ومنع أرباب الملاعيب[2] جبيهم .

(١) فى ف " الصوره " وما هنا من ب ١٥٦٤ .

(٢) فى ف " اللاعب " ، وما هنا من من ب ، ٥٦٤ ا . انظر ما سبق ، ص٦٤٢ ، ٦٥٥ ، ٦٩٥ ، ٧١٣ .

وفى عاشره وجد صندوق مفتاحه تحت يد الشيخ على الدوادار ، فيه بَرَانى[1] فضة مختومة ، وأحقاق فتحت بحضرة الأطباء ، فإذا هى سموم قاتلة . فعرض العذاب على الشيخ على حتى اعترف أن الزين المغربى الذى إقامه الكامل رئيس الجرائحية ركب (١٦٨ ا) ذلك ، فاحترق بالنار قدام الإيوان وكان هذا المغربى تعرّف بأولاد السلطان وهم بقوص ، وقدم معهم ؛ فلما تسلطن شعبان الكامل تقرّب إليه بعمل السموم وصناعة الكيمياء .

وكان قد قدم فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون تاجر فرنجى بهدية إلى ملكتمر [الحجازى] ، فأعجبته مصر وأسلم ، وعرف بآقسنقر الرومى . وأنعم عليه [السلطان] الناصر [محمد بن قلاون] بإمرة عشرة ، وما زال [بمصر] إلى أيام شعبان الكامل . فتقرب إليه [آقسنقر الرومى] بعمل الفلك والشعبذة ، واختص به ، وقام مع المغربى فى عمل السموم ؛ وخرج على البريد مراراً لإحضار الحشائش القاتلة من بلاد الشام ، حتى ركبت بين يدى الكامل .

وفيه نقل علم الدين عبد الله بن زنبور من نظر الدولة إلى نظر الخاص ، عوضا عن فخر الدين بن السعيد .

و[فيه] قبض على ابن السعيد ، وألزم بحمل مال .

و[فيه] خلع على موفق الدين عبد الله بن إبراهيم ، (١٦٨ ب) واستقرّ فى نظر الدولة . وخلع على سعد الدين بن جرباش ، واستقرّ فى الاستيفاء ، عوضا عن ابن ريشة .

و[فيه] قبض على أقطوان متولى الأهراء ، والصناعة ، وشدّ الأوقاف الصلاحية ، ونظر الحرمين . وسلم لشادّ الدواوين ، فإنه كان تجاه أستاذه الطواشى شجاع الدين اللالا ، [و] اجتمع له خمس عشرة وظيفة ، وبعد صيته واشتدت حرمته .

وفيه قدم بيغرا من الشام ، وقد لقى[2] الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام ، وقد برز خارج دمشق يريد السير إلى مصر بالعساكر فسرّ [الأمير يلبغا اليحياوى] سروراً زائداً بإزالة الكامل وإقامة أخيه المظفر حاجى ، وعاد إلى دمشق ، وحلّف الأمراء على العادة . وأقام [يلبغا اليحياوى] الخطبة ، وضرب[3] السكة باسم السلطان [حاجى] ، وسيّر دنانير ودراهم منها ، وكتب يهنئ السلطان [حاجى] بجلوسه على تخت الملك .

(١) مفرد هذا اللفظ برنية ، وهى إناء من خزف ، كالجرة أو القارورة . (محيط المحيط) .

(٢) فى ب " وقد قدم " ، وما هنا من ب ، ٦٤ ب .

(٣) فى ف " وضربت " ، وما من ب ، ٦٤ ب

وشكا [الأمير يلبغا اليحياوى] من نائب حلب ، ونائب غزة ، (١٦٩ ا) ونائب قلعة دمشق مغلطاى المرتينى[1] ، ومن نائب قلعة صفد قرمجى ، من أجل أنهم لم يوافقوه على خروجه عن طاعة شعبان الكامل . فرُسم بعزل طقتمر الأحمدى نائب حلب ، وقدومه إلى مصر ، واستقرار الأمير بيدمر البدرى نائب طرابلس عوضه فى نيابة حلب ، واستقرار[2] الأمير أسندمر العمرى نائب حماة فى نيابة طرابلس ، والقبض على مغلطاى المرتينى نائب قلعة دمشق ، وعلى قرمجى نائب قلعة صفد ، وعزل نائب غزة ، وأن يحضر الأمير أيتمش عبد الغنى وقطليجا الحموى إلى مصر ، واستقرار أمير مسعود بن خطير فى نيابة غزة ، واستقرار طقتمر الصلاحى فى نيابة حمص .

وكان الأمير يلبغا [اليحياى] نائب الشام لما عاد إلى دمشق ، عمر قبة عند مسجد القدم حيث كان قد برز ، وسماها قبة النصر ؛ وهى التى تعرف بقبة يلبغا .

وفى رابع عشره خلع على عنبر السحرتى ؛ (١٦٩ ب) واستقرّ مقدم المماليك ، عوضاً عن محسن الشهابى .

و [فيه] خلع على مختص الرسولى ، واستقرّ زمام[3] الدور ؛ فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه .

و [فيه] قبض على ممدود بن الكورانى أمير طَبَر ، و [على] أخيه [علاء الدين على[4] بن الكورانى] . واستقرّ جمال الدين يوسف والى الجيزة عوضه أمير طبر ، وعزل علاء الدين على بن الكورانى من كشف الوجه القبلى .

و [فيه] أنعم بإقطاع [الأمير] أرغون العلائى على [الأمير] أرغون شاه .

و [فيه] أنعم على كلّ من الأمير أصلم والأمير أرقطاى بزيادة على إقطاعه .

و [فيه] استقرّ علاء الدين على بن الأطروش فى حسبة دمشق ، وتدريس الخاتونية .

و [وفيه] أنعم على ابن الأمير تنكز بإمرة طبلخاناه ، وعلى أخيه بإمرة عشرة .

و [فيه] أنعم على ابن الأمير ألطنبغا نائب حلب ، بإمرة عشرة فى دمشق .

---

(١) كذا فى ف ، وابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣٠٥) وهو فى ب ، ٥٦٤ب ، "المرسى" .
(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٦٤ " واستقر " .
(٣) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٧٧ .
(٤) انظر ما يلى بهذه الفقرة .

وفى يوم الاثنين خامس عشره أمّر السلطان ثمانية عشر أميراً ، فكان يوماً مشهوداً ، كثر فيه جميع الناس عند نزولهم إلى القبة (١٧٠ ا) المنصورية[١] على العادة .

وفى سابع عشره أخرج آقجُبَاى إلى حماة .

وفى يوم الخميس ثالث شهر رجب خلع على الأمير أرقطاى ، واستقرّ نائب السلطان ، باتفاق الأمراء عليه ، بعدما تمنع من ذلك تمنعاً كثيراً ، حتى[٢] قام الحجازى بنفسه وأخذ السيف ، وأخذ أرغون شاه الخلعة ، ودارت الأمراء حوله وألبسوه على كره منه . فخرج [الأمير أرقطاى] فى موكب عظيم حتى جلس فى شباك دار النيابة ، وحكم بين الناس ؛ فرسم له بزيادة ناحيتى المطرية والخصوص لأجل سماط النيابة .

وفيه توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة .

و [فيه] خرج الأمير بيدمر البدرى إلى نيابة حلب .

وفى يوم الاثنين ثامن عشريه خلع على الأمير قطليجا ، واستقرّ فى ولاية القاهرة .

وفيه نقل من تسليم شاد الدواوين إلى تسليم والى القاهرة ستة خدام ، وهم نصر المندى ، وأنس ، وفاتن الصالحى ، وسرور الزينى ، وعنبر (١٧٠ ب) سيفا[٣] ، وجوهر

---

(١) أورد المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٨٠) وصفا لما جرت به العادة من الاحتفال عند تأمير السلطان مملوكا من المماليك ، وأشار إلى اليمين الذى يقسمه المملوك وتتخذ للدلالة على إمرته ، وهو فيما يبدو يمين الإخلاص والتبعية للسلطان ، وهذا هو نص ما أورد المقريزى : " وكانت العادة إذا أمّر السلطان احدا من أمراء مصر والشام ، فإنه ينزل من قلعة الجبل وعليه التشريف والشربوش ، وتوقد له القاهرة ، فيمرّ إلى المدرسة الصالحية بين القصرين . وعُمل ذلك من عهد سلطنة المعز أيبك ، ومن بعده ؛ فنقل ذلك إلى القبة المنصورية [قلاون] ، وصار الأمير يحلف عند القبر المذكور ، ويحضر تحليفه حاجب الحجاب ، وتمدّ أسمطة جليلة بهذه القبة . ثم ينصرف الأمير ، ويجلس له فى طول شارع القاهرة إلى القلعة أهل الأغانى ، لتزفه فى نزوله وصعوده ؛ وكان هذا من جملة متنزهات القاهرة ، وقد بطل ذلك منذ انقرضت دولة بنى قلاون " .

انظر كذلك القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٢١٦ — ٢٢١) ، والعمرى (التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٤٩ — ١٥١) ، حيث ورد نص يمين عامة لتحليف الأمراء المماليك فى مختلف المناسبات .

(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٦٠٥ ا " فقام " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٥٢ .

(٣) فى ف " سيفا " ، وما هنا من ب ، ١٠٦٥ ا ، ولعله عنبر عبد الوزير منجك . انظر ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢١٩ .

السحرتى اللالا ، ومعهم المزين المغربى ، ونصرانى راهب . ورسم بتسميرهم جميعاً ، فأخرجوا من الغد ليسمّروا بسوق الخيل تحت القلعة ، وأقعدوا على الجمال وربطوا . فشفع فيهم الأمراء ، فأنزلوا ومضوا بهم ماشين إلى خزانة شمايل ؛ ثم أفرج عنهم فى بقية يومهم ، ونفوا من مصر .

وكان القمح قد تحسن فى الدولة الكاملية من أول السنة ، هو وجميع الغلال ، وبلغ خمسة وخمسين درهما الأردب ، وبلغ الشعير اثنين وعشرين درهما الأردب ، والفول عشرين درهما . فانحطّ سعر القمح فى الأيام المظفرية إلى خمسة وثلاثين [درهما] ، ونقص من بقية الغلال ثلث[1] سعرها ، فتيامن الناس به .

و [وفيه] أخذت الباعة تتعنّت فى الفلوس ، وتردّ الصالحية والكاملية حتى توقفت الأحوال ؛ وعاد سعر الغلال إلى ما كان عليه . فنودى بردّ المقصوص من الفلوس ، (١٧١ ا) وردّ الرصاص والنحاس الأصفر منها ، وألا يؤخذ إلا ما عليه سكة . وترفقوا بالناس ، ولم يضرب أحد منهم بسبب ذلك ، فمشت الأحوال .

وفيه قدم الأمير أيتمش عبد الغنى ، والأمير قطليجا الحموى . فرسم لأرغون الكاملى بلزوم بيته ، وأخرجت تقدمته ، وعُوّض عنها بطبلخاناه يأكلها وهو فى بيته .

وفى مستهل شعبان ابتدأ مرض الأمير بهاء الدين أصلم ، فأقام أياما ومات ؛ فأنعم بإمرته على طغيتمر النجمى[2] الدوادار . وأخذ إقطاعه — وهو عبرة مائة ألف وأربعين ألف دينار — ، فسلخ منه مبلغ أربعين ألف دينار ، وأضيفت لديوان الخاص .

وفيه قدم الأمير سيف بن فضل ، فخلع عليه ، ووعد بإمرة العرب ، وقبلت خيوله التى قدمها ؛ وصار السلطان به أنس .

و [فيه] خلع على الأمير تمر بغا العقيلى ، واستقرّ فى نيابة الكرك عوضا عن الأمير قبلاى باستعفائه .

(١٧١ ب) وفيه قدم نغيه مملوك الحسنى ، من برقة فارًّا . وكان قد ورد فى الأيام

---

(١) فى ف " ثلاث " ، وما هنا من ب ، ٦٥ ب .

(٢) فى ف " العجمى " ، وماهنا من ب ، ٦٥ ب ، وابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢ ، ص٢٢٣ .

الكاملية أن قايد[1] شيخ برقة مات ، بعدما خالف عليه أقاربه . فسعى نتيه فى إقطاعه ، وأن يكون أمير برقة ، ويأخذ العداد على العادة ، ويقوم بخمسين فرسا . فأنعم عليه بذلك ، وتوجه إلى برقة ، وأخذ عداد الأغنام بالعسف ، حتى جمع منها شيئا كثيرا ، واقتنى الجمال والخيل . فلما بلغ أهل برقة قتل الملك الكامل [شعبان] ثاروا به ، وقتلوا من أجناده ثلاثين رجلا ، وفرّ بنفسه إلى القاهرة .

وفيه رسم بإزالة ما أحدثه غرلو والى القاهرة على باب زويلة . وذلك أنه نصب خشبتين ، وعلق فيهما بكرتين ، وأرخى فيهما سلبا ، ليرفع فيهما المجرمين حتى يهلكا ؛ فأزيلتا . ورُسِم أن يكون توسيط من يوسط أو شنقه على كيمان البرقية ، خارج سور القاهرة .

و[فيه] أخرج الأمير بيغرا لكشف الجسور بالوجه القبلى ، والأمير أرلان لكشف الجسور بالوجه البحرى .

وفى يوم الاثنين خامس عشريه خرج الأمير أرغون شاه أستادار على البريد ، لنيابة صفد . وسبب ذلك تكبره وتعاظمه فى نفسه ، وتمسكه على السلطان فيما يرسم به ، ومعارضته لأغراضه ، وفحشه فى مخاطبة السلطان والأمراء ، حتى كرهته النفوس . وعزم السلطان على مسكه ، فتلطف به النائب [الأمير أرقطاى] حتى تركه ، وخلع عليه بنيابة صفد ، وأخرجه من وقته خشية من فتنة يثيرها ، فإنه كان قد اتفق مع عدة من المماليك على المخامرة . وأنعم بإقطاعه على الأمير ملكتمر الحجازى ، وأعطى ناحية بوتيج زيادة عليه .

و[فيه] استقرّ الصاحب تقى الدين أحمد بن الجمال سليمان [بن] محمد بن هلال فى نظر الشام ، عوضا عن ابن الحرانى ؛ وكان بمصر من الأيام الكاملية [شعبان] .

وفيه قدم أحمد (١٧٢ ب) بن مهنا فى طلب إمرة العرب ، فلم يقبل السلطان عليه .

وفى يوم الأحد أول شوال تزوج السلطان بابنة الأمير تنكز زوجة أخيه .

وفى آخره طُلبت اتفاق إلى القلعة ، فطلعت بجواريها مع الخدام ، وتزوج بها السلطان خفية ، وعقد له عليها شهاب الدين أحمد بن يحيى الجوجرى[2] شاهد الخزانة . وبنى

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٥٠ ب .

(٢) فى ف " الجوهرى " ، وما هنا من ب ، ٥٦٦ أ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ص ، ١٥٣ .

[السلطان] عليها من ليلته ، بعد ما جليت عليه ، وفرش تحت رجليها ستون شقة أطلس ، ونثر عليها الذهب . ثم ضربت بعودها وغنت ، فأنعم عليها السلطان بأربعة فصوص وست لؤلؤات ، ثمنها أربعمائة ألف درهم .

وفى ثامنه أنعم [السلطان] على طنيرق أحد مماليك أخيه يوسف بتقدمة ألف ، نقله من الجندية إلى التقدمة لجماله وحسنه ؛ فكثر كلام المماليك بسبب ذلك .

و [فيه] رسم بإعادة ما خرج عن اتفاق وخدامها وجواريها من الرواتب ، وطلب عبد على العواد معلم اتفاق (١٧٢ ا) إلى القلعة ، فغنى السلطان ، فأنعم عليه بإقطاع فى الحلقة زيادة على ما بيده ، وأعطاه مائتى دينار وكاملية حرير بفرو سمور .

وانهمك [السلطان] فى اللهو ، وشغف باتفاق حتى أشغلته عن غيرها ، وملكت قلبه بفرط حبه لها . فشقّ ذلك على الأمراء والمماليك ، وأكثروا من الكلام حتى بلغ السلطان ، وعزم على مسك جماعة منهم ، فما زال به [الأمير أرقطاى] النائب حتى رجع عن ذلك .

ورسم [السلطان] فى يوم الجمعة سادسه بعد الصلاة أن يخلع على قطليجا الحموى ، واستقراره فى نيابة حماه ، عوضا عن طيبغا[1] المجدى ؛ و [خلع أيضا] على أيتمش عبد الغنى ، فاستقرّ فى نيابة غزة ؛ وخرجا من وقتهما على البريد .

و [فيه] كتب بإحضار [طيبغا] المجدى ؛ فقدم فى يوم الاثنين سابع عشريه ، وخلع عليه واستقرّ أستادارا ، عوضا عن أرغون شاه المنتقل لنيابة صفد .

وفيه جلس السلطان و [الأمير أرقطاى] النائب لعرض المماليك ، وانتقى من كل عشرة اثنين ، وزاد إقطاعاتهم وأكرمهم ، وقدّم (١٧٣ ب) منهم جماعة . وتجهز [السلطان] عرض أجناد الحلقة ، فتلطف به [الأمير أرقطاى] النائب حتى كفّ عن عرضهم .

و [فيه] قدم الخبر بغلاء الأسعار بدمشق ، حتى أبيع الخبز كل رطلين بدرهم ، والقمح كل غرارة بمائة وسبعين ، من تأخر المطر بعامة بلاد الشام .

(١) فى ف " يلبغا " ، وما هنا من ب ، ٥٦٦ ب .

وتوقفت [أحوال] الدولة ، من كثرة رواتب الخدام والقهرمانات والعبيد والغلمان ، وزيادتها عما كانت عليــه فى الأيام الـكاملية . فأشار غرلو بأن توزع على المباشرين جامكية شهرين يقبضها المعاملون ، فوزّعت عليهم ، واحتال بها المعاملون ؛ فمشت الأحوال قليلا . وكان غرلو قد تمكن من السلطان ، وصار يدخل مع الخاصكية ، فإذا أشار بشىء قبل قوله .

و [فيه] قدم رسول ابن دلغادر بهديته ، فخلع عليه ؛ وجهزت له خلعة مع بريدى ، فأخـذها نائب الشام ، ومنع من حملها إليه ، فإنه كان يكرهه ، ويريد إقامة غيره والقبض عليه .

وفى ذى القعدة توجه (١٧٤ ا) أحمد بن مهنا عائداً إلى بلاده ، من غير طائل .

وفيه دخل السلطان على زوجته بنت تنكز ، وعمل المهم سبعة أيام جمعت سائر أرباب الملهى ؛ فخصّ كل جوقة خمسة آلاف درهم . ونثر [السلطان] على العروس عند جلائها الذهب ، وصبّحها من الغد بألفى دينار ، بعدما زاد لها فى جهازها بمبلغ ستين ألف دينار .

وفيه خلع على سيف بن فضل بإمرة العرب ، وأنعم عليه بزيادة ثلاثمائة ألف درهم فى السنة من إقطاع أحمد بن مهنا ؛ وأعيد إلى بلاده ، فسار إليها .

وفى مستهل ذى الحجة توجه الأمير ملكتمر الحجازى للصيد ، وصحبته خمسة عشر أميرا .

وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحى من حلب ، فلم تطل إقامته حتى مات .

وفيه قتل قرمجى بن أقطوان نائب قلعة صفد ، بدمشق فى شعبان ؛ وأخذ ماله .

و [فيه] قدم حمل سيس ، بحق النصف .

وخرجت هذه السنة وقد مرّ بالناس فيها شدائد (١٧٤ ب) من غلاء الأسعار لغلال مصر والشام ، ونفاق العربان ، وتوقف النيل ، واختلاف الدولة .

ومات فيها من الأعيان الأمير بهاء الدين أصلم ، أحد المماليك المنصورية قلاون ، فى يوم السبت عاشر شعبان ؛ وإليه ينسب جامع أصلم خارج القاهرة

و [مات] الأمير بيدمر الأشرفى ، أحد أمراء دمشق .

و [مات] الأمير الحاج آل ملك الجوكندار ، مقتولا بالإسكندرية فى الأيام الكاملية ؛ وأحضر ميتا إلى القاهرة ، فى يوم الجمعة تاسع عشرى جمادى الآخرة . وأصله من كسب الأبلستين فى الأيام الظاهرية بيبرس ، سنة ست وسبعين وستمائة ، فاشتراه قلاون وهو أمير ، ومعه سلار . وأهدى [قلاون] سلاراً لولده على ، وآل ملك للسعيد بركة ابن الظاهر زوج ابنته . فأعطاه الملك السعيد لكوندك ، ثم صار بعده لعلى بن قلاون ، وترقى حتى صار نائب السلطنة [زمن السلطان[1] عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد] . وله تنسب مدرسة آل ملك (١٤٧ ا) بالقاهرة ، وجامع آل ملك بالحسينية ؛ وكان خيرا دينا .

و [توفى] تاج الدين محمد بن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان بن أحمد بن على المصرى كاتب السر بدمشق ، فى ليلة الجمعة تاسع ربيع الآخر ، وقد أناف على الستين .

و [مات] الأمير قارى أخو بكتمر الساقى مقتولا ، وقد ولى أستادارا ، وعمل نائب طرابلس ؛ وذكر أنه كان فى بلاده راعى غنم .

و [مات] الأمير ملكتمر السرجوانى نائب الكرك ، فى يوم الاثنين مستهل المحرم خارج القاهرة ، وقد قدم مريضا .

و [توفى] الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن نمير بن السراج المقرئ الكاتب ، فى يوم الخميس نصف شعبان .

و [مات] الشيخ ركن الدين عمر بن الشيخ إبراهيم الجعبرى ، يوم الخميس سلخ ذى الحجة .

و [مات] الشيخ عبد الله بن على بن سليمان بن فلاح عفيف الدين بن عبد الرحمن اليافعى اليمنى الشافعى ، فى ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة ، بمكة .

و [مات] (١٧٠ ب) ملك تونس أبو بكر بن محمد بن عبد الواحد بن أبى حفص ، فى ليلة الأربعاء ثانى رجب ، بعد ما ملك ثلاثين سنة تنقص شهرا وسبعة أيام ؛ وأقيم بعده ابنه أبو حفص عمر .

(١) انظر ما سبق ، ص ٦٤٠ ، وما بعدها .

و [مات] الأمير طقتمر الصلاحى أحد خواص [شعبان] الكامل ؛ [وكان من أعيان أمراء مصر] ، ثم أخرج لنيابة حمص ، فمات بها .

* * *

سنة ثمان وأربعين وسبعمائة : يوم الثلاثاء أول المحرم ركب السلطان فى أمرائه الخاصكية ، ولعب بالكرة فى الميدان تحت القلعة . فغلب الأمير ملكتمر الحجازى ، فلزم[1] يعمل وليمة فى سرياقوس للسلطان ، ذبح فيها خمسمائة رأس غنم ، وعشرة أفراس ، وعمل أحواضا مملوءة بالسكر المذاب ، وجمع سائر أرباب الملهى ؛ وحضر إليه السلطان والأمراء .

و [فيه] قدم كتاب أسندمر العمرى نائب طرابلس يسأل الإعفاء ، فأجيب إلى ذلك . وخلع على الأمير منكلى بغا الفخرى أمير جندار ، واستقر فى نيابة طرابلس ، (١٧٦ ا) وسار فى يوم الاثنين حادى عشريه .

وفى هذا الشهر وقف جماعة للسلطان ، وشكوا من بعد الماء وانحساره عن برّ مصر والقاهرة حتى غلت رَوَايَا الماء . فرسم بنزول المهندسين لكشف ذلك ، فكتب تقدير ما يصرف على الجسر مبلغ مائة ألف وعشرين ألف درهم ، جبيت من أرباب الأملاك المطلة على النيل ، حسابا عن كل ذراع خمسة عشر درهما ، فبلغ قياسها سبعة آلاف ذراع وستمائة ذراع . وقام باستخراج ذلك وقياسه محتسب القاهرة ضياء الدين يوسف بن خطيب بيت الآبار .

وفيه وقفت أحوال الدولة من كثرة رواتب الخدام والعجائز والجوارى ، وأخذهم الرزق بأرض بهتيت من الضواحى ، وبأرض الجيزة وغيرها ، بحيث أخذ مقبل الرومى عشرة آلاف فدان من شاسع البحيرة ، قام السلطان والأجناد بكلفة جسورها .

وفيه فرق [السلطان] نصف (١٧٦ ب) إقطاع منكلى بغا الفخرى ، وتأخر نصفه .

وفيه قدم الأمير بيغرا من كشف الجسور ؛ فخلع عليه ، واستقرّ أمير جندار عوضا عن منكلى بغا الفخرى .

(١) فى ف ، وفى ب ٥٦٢ ا ، " وقام " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٥٥ .

و [فيه] قدم الأمير أسندمر العمرى من طرابلس ، فأنعم عليه بتقدمة إقطاع منكلى بغا [الفخرى] .

وفى خامس عشريه قدم الحاج ، وأخبروا برخاء أسعار مكة ، وحسن سيرة الشريف عجلان .

و [فيه] قدم تجار اليمن والهند ، وكان الفلفل قد عزّ وجوده بالقاهرة حتى بلغ الرطل ستة وأربعين درهما ؛ ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف ، فأبيع عند قدوم الحاج بخمسة دراهم الرطل .

ووقع اختلاف فى أمر الوقوف بعرفة ، فإن الوقفة كانت عند أهل مكة يوم الجمعة ، على ما ثبت بمكة على قاضيها ، بحضور قاضى القضاة عزالدين [عبد العزيز] بن جماعة ، وغيره من حجاج مصر والشام والعراق . وكان يوم عرفة بمصر (١٧٧ ا) والإسكندرية يوم الخميس ، فقام الشيخ [علاء الدين] على بن عثمان التركمانى الحنفى فى الإنكار على ابن جماعة ، وأفتى أن حج الناس فاسد ، ويلزم من وقف بالناس يوم الجمعة بعرفة جميع ما أنفقه الحجاج من الأموال ، وأنه يجب على الحجاج كلهم أن يقيموا محرمين لا يطأوا نساءهم ، ولا يمسوا طيبا حتى يقفوا بعرفة مرة أخرى . وشنع بذلك عند الأمراء ، وأظهر الحزن على الناس ، والأسف على ما أنفقوه من أموالهم . فشقّ ذلك على الأمير طغيتمر الدوادار ، من أجل أن زوجته حجّت فيمن حجّ ، وأخذ خط ابن التركمانى بما تقدّم ذكره . فغضب الشافعية ، وأنكروا مقالته وردّوها . وقصد ابن جماعة أن يعقد مجلسا فى ذلك ، ويطالب ابن التركمانى ويدّعى عليه بما أفتى به ، مما لا يوجد فى كتب الحنفية ؛ فرجعه الناس عن ذلك مخافة الشناعة .

(١٧٧ ب) وفيه رسم لمقبل الرومى أن يخرج اتفاقا وسلمى والسكركية حظايا السلطان من القلعة ، بما عليهن من الثياب ، من غير أن يحملن شيئا من الجوهر والزركش ، وأن يقلع عصابة اتفاق عن رأسها ويدعها عنده وكانت هذه العصابة قد اشتهرت عند الأمراء وشنعت قالتها ، فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك : الصالح إسماعيل ، والكامل شعبان ، والمظفر حاجى ؛ وتنافسوا فيها ، واعتنوا بجواهرها ، حتى بلغت قيمتها زيادة على مائة ألف دينار مصرية .

وسبب ذلك أن الأمراء الخاصكية قرابغا وصمغار وغيرهما بلغهم إنكار الأمراء الكبار

والمماليك على السلطان شدة شغفه بالنسوة الثلاث المذكورات ، وانهماكه على اللهو بهن ، وانقطاعه إليهن بالدهيشة عن الأمراء ، وإتلافه الأموال العظيمة فى العطاء لهن ولأمثالهن ؛ فعرفا السلطان إنكار الأمراء عليه إعراضه عن تدبير (١٧٨ ا) الملك ، وخوفاه عاقبة ذلك ؛ فتلطف بهم ، وصوب ما أشاروا به عليه من الإقلاع عن اللهو بالنساء . وأخرجهن وفى نفسه حزازات لفراقهن[1] ، تمنعه من الهدوء والصبر عنهن ؛ فأحب أن يتعوض عنهن بما يلهيه ويسليه ، واختار صنف الحمام ، وأنشأ حضيرا[2] بأعلى الدهيشة ، وركبه على صوار وأخشاب عالية ، وملأه بأنواع الحمام ؛ فبلغ مصروف الحضير خاصة سبعين ألف درهم .

وقدم البريد من حلب بأن صاحب سيس جهز مائتى أرمنى إلى ناحية أياس ، فلما قربوا من كوار ليهجموا [على] قلعتها قاتلهم أربعون من المسلمين ؛ فنصرهم الله على الأرمن ، وقتلوا منهم خمسين ، وأسروا ثلاثين ، وهزموا باقيهم . فقتل بكوار عدة ممن أسر ، وحمل بقيتهم إلى حلب ؛ فكتب بالإحسان إلى أهل كوار ، والإنعام عليهم .

واتفق بمدينة حلب أن الأمير بيدمر البدرى لما قدمها ترفع (١٧٨ ب) على الأمراء ، وعزل الولاة والمباشرين ، بعد ما أخذ تقادمهم ، واستبدل بهم غيرهم بمال قاموا له به ؛ واشتدت وطأة حاشيته على الناس بظلمهم وسوء معاملتهم . ثم بلغه أن رجلا من الأعيان مات عن ابنة وترك مالا جزيلا ، وأوصى أن تتزوج ابنته بابن عمها . فرغب بعض الناس فى زواجها ، وبذل لأوليائها مالا كثيرا حتى زوجوها [منه] بغير رضاها . [فلم ترض به] ، وكرهته كراهة زائدة ، حتى قالت لأهلها : "إن لم تطلقونى منه وإلا كفرت" ؛ فأحضروها إلى بعض القضاة ، وجددوا إسلامها . فطلب الأمير بيدمر ابن عمها ، وضربه بالمقارع ضربا مبرحا ، وضرب المرأة أيضاً ضربا شنيعا ، وقطع أنفها وأذنيها ، وشهرها بحلب ؛ فتألم الناس لها ألما كبيراً . ووصل خبرها إلى أمراء مصر ، فقام صمغار وقرابغا وأصحابهما قياما كبيراً فى الإنكار على بيدمر .

---

(١) فى ف " وفى نفسه حرارا ـه لفراقهن لمنعه من الهدو ... " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٥٧ .

(٢) الحضير — والحضيرة — صيغة عامية فيما يبدو للفظ حظير ، أو حظيرة (محيط المحيط) ، وهو هنا مكان بأعلى الدار من الدور لتربية الدواجن ، ولا يزال هذا اللفظ مستعملا بالتذكير وبالتأنيث فى اللغة العامية فى مصر .

وصادف مع ذلك (١٧٩ ا) ورود كتاب الأمير أرغون شاه نائب صفد ، يتضمن أن ابن طشتمر كاتبَ أرتنا نائب الروم بأن يتوجه إليه ، وأن يقيم عنده . فظفر [الأمير أرغون شاه] بقاصده، وأخذ منه الكتاب ، وقبض على ابن طشتمر وسجنه بالقلعة ؛ فأجيب بالشكر والثناء . وكتب إليه أصحابه بأن يبعث تقدمة للسلطان حتى يتهيأ نقلته إلى غير صفد ، فبعث سبعة أفراس وعقد جوهر بمائة ألف درهم ، وغير ذلك من الأصناف ؛ فأعجبت السلطان ، وشكره . فأخذ صمغار وقرابغا وأصحابهما فى ذكر بيدمر نائب حلب وكراهة الناس له ، وما فعله بالمرأة وابن عمها ، وتحسين ولاية أرغون شاه عوضه ؛ فإنه سار فى أهل صفد سيرة جميلة ، ولم يقبل لأحد تقدمة ، وجلس للحكم بين الناس ، وأنصف فى حكمه حتى أحبه أهل صفد . فرُسم بقدوم أرغون شاه ليستقر فى نيابة حلب ، وحضور الأمير بيدمر من حلب . (١٧٩ ب) فقدم أرغون شاه صحبة طنيرق[1] ، فأكرمه السلطان ، وخلع عليه يوم الاثنين تاسع عشرى صفر بنيابة حلب ، عوضاً عن بيدمر البدرى ؛ ورُسم ألا يكون لنائب الشام عليه حكم ، وأن تكون مكاتباته للسلطان ؛ وكتب لنائب الشام بذلك .

وتوجه [الأمير أرغون شاه] إلى حلب فى يوم الخميس ثالث ربيع الأول ، فقدم دمشق على البريد فى سادس عشره ، ونزل قصر معين الدين حتى قدم طُلبه من صفد فى أبهة زائدة ، وخيوله بسروج ذهب مرصعة وكنابيش ذهب ، وقلائد مرصعة .

وكان بيدمر قد رأى فى منامه المرأة التى فعل بها ما فعل ، وهى تقول له : "اخرج عنا" ، وكررت ذلك ثلاث مرات ، وقالت له : "قد شكوتك إلى الله تعالى ، فعزلك" . فانتبه مرعوبا ، وبعث إليها لتحالله[2] ، وبذل لها مالا فلم تقبله ، وامتنعت من محاللته . فقدم (١٨٠ ا) خبر عزله بعد ثلاثة أيام من رؤياه ، وقدم إلى القاهرة صحبة طنيرق ؛ وقدم أوصل [طنيرق] الأمير أرغون شاه إلى حلب ، وسرّ به أهل حلب سرورا كبيرا .

---

(١) فى ف "طيطرق" ، وما هنا من ب ، ٦٠ ا ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٥٧ .

(٢) فى ف " التحالله " ، وما هنا من ب ، ٦٩ ا . والمعنى المقصود هو أن الأمير بيدمر أرسل إلى المرأة لتصفية ما وقع ، على قاعدة المسامحة والمحاللة ، أى أن يصبح كل من الطرفين متحللاً مما ارتكب . انظر قاموس المحيط .

وفيه ارتفعت الأسعار بالشام ، فبلغت الغرارة بدمشق مائتين وخمسين درهما ؛ وذلك أن الجراد انتشر من بعلبك إلى البلقاء ، ورعى الزروع .

وفيه كثر عبث العربان بأرض مصر ، وكثر سفكهم للدماء ونهب الغلال من الأجران ، مع هيفت الغلة .

و[فيه] اشتد احتراق النيل ، وقلّ ماؤه حتى تأخر حمل الغلال فى المراكب . فارتفع السعر من ثلاثين درهما الأردب من القمح إلى خمسة وخمسين ، وبلغ الشعير خمسة وعشرين درهما الأردب ، والفول عشرين درهما .

وفيه استقر أمير علي بن طغريل حاجبا بدمشق ، عوضا عن أياس ؛ واستقر [أياس] فى نيابة صفد .

وفيه ورد الخبر باختلال[1] مراكز البريد بطريق الشام ، فأخذ (١٨٠ ب) من كل أمير مقدم ألف أربعة أفراس ، ومن كل أمير طبلخاناه فرسان[2] ، ومن كل أمير عشرة فرس [واحد] . وكشف عن البلاد المرصدة برسم البريد ، فوجدت ثلاث بلاد منها وقف إسماعيل بعضها ، وأخرج باقيها إقطاعات . فأخرج السلطان عن عيسى بن حسن الهجان بلدا تعمل فى كل سنة عشرين ألف درهم ، وثلاثة آلاف أردب غلة ؛ وجعلها مرصدة لمراكز البريد .

و[فيه] قدم الخبر بأن أرتنا نائب الروم بعث يستدعى أحمد بن مهنا ، وأرسل إليه هدية ، فأبى أن يجيب .

واتفق أن أخا سيف بن فضل صدف قاصد فياض بن مهنا ، وقد سار إليه من دمشق [بمبلغ] ثمانين[3] ألف درهم ثمن خيول قدّمها للسلطان ، فأخذه منه وقصد قتله . فركب فياض لملة بلغه ذلك ، وأغار على جمال سيف وآل فضل وساقها ، وهى نحو خمسة عشر ألف بعير . فبعث سيف يطلب من نائبي دمشق وحلب (١٨١ ا) عسكرا يقاتل آل مهنا ، فلم ينجداه .

(١) فى ف " باختلاف " ، وما هنا من ب ، ٥٦٩ ب .

(٢) فى ف ، وكذلك به ، ٥٦٩ ب " فرسين " .

(٣) فى ف " بثمانين " ، والتعديل وما بين الحاصرتين من ، ٥٦٩ ب ، وهو يقتضيه سائر الجملة .

و [فيه] كتب الأمير أرغون شاه نائب حلب فى حق سيف ، فإنه لا طاقة له بآل مهنا . فرسم بقدوم سيف وآل مرا ، وقدوم أحمد بن مهنا ؛ ووعد [أحمد] بالإمرة ، وخرج الأمير قطلوبغا الذهبى لذلك .

وفيه قدم ابن الأطروش من دمشق ، وقد عزل من الحسبة ؛ وكتب نائب الشام بذمّ فيه .

وفى عصر يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر قتل الأمير آقسنقر الناصرى ، والأمير ملكتمر الحجازى ؛ وأمسك الأمير بزلار ، والأمير صمغار ، والأمير أيتمش عبد الغنى . وسبب ذلك أن السلطان لما أخرج اتفاق وغيرها من عنده ، وتشاغل عنهن بالحمام ، صار يحضر إلى الدهيشة الأوباش ، وتلعب بالعصا لعب[1] صباح ؛ ويحضر الشيخ على بن الكسيح مع حظاياه ، فيسخر له ، وينقل إليه أخبار الناس . فشقّ ذلك على الأمراء ، وحدثوا ألجيبغا وطنيرق ، وكانا عمدة السلطان وخاصكيته (١٨١ ب) فيما يفعله السلطان ، وأن الحال قد فسد . فعرّفا السلطان ذلك ، فاشتدّ حنقه وأطلق لسانه ، وقام إلى السطح وذبح بيده الحمام بحضرتهما ، وقال : " والله لأذبحنكم كما ذبحت هذه الطيور " ، وأغلق باب الدهيشة ؛ وأقام غضبانا يومه وليلته . وكان الأمير غرلو قد تمكن منه ، فأعلمه بما وقع ، فوقع فى الأمراء وهوّنهم عليه ، وجسّره على الفتك بهم ، والقبض على [الأمير آقسنقر الناصرى] النائب . فأخذ [السلطان] فى تدبير ما يفعله ، وقرّر ذلك مع غرلو . ثم بعث [السلطان] بعد أيام طنيرق إلى [الأمير آقسنقر الناصرى] النائب ، فى يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الآخر ، يعرّفه أن قرابغا القاسمى وصمغار و بزلار وأيتمش عبد الغنى قد اتفقوا على عمل الفتنة ، " وعزمى أن أقبض عليهم " ، فوعد بردّ الجواب غداً على السلطان فى الخدمة ، وأشار عليه من الغد بالتثبت فى أمرهم حتى يصح له ما قيل عنهم . فعرّفه السلطان (١٨٢ ا) من الغد يوم الجمعة بأنه صحّ له بإخبار بيبغاروس ، وبيّن له أنهم تحالفوا على قتله ؛ فأشار عليه أن يجمع بينهم و بين بيبغاروس ، حتى يحاققهم بحضرة الأمراء يوم الأحد .

وكان الأمر على خلاف هذا ، فإنه اتفق مع غُرْلو ، وعنبر السحرتى مقدم المماليك ، على

(١) لم يستطع الناشر أن يجد تعريفا لهذه اللعبة فى مرجع من المراجع المتداولة بهذه الحواشى ، ما عدا قول ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤) فى ترجمة السلطان حاجى إنه " صار يحضر الأوباش بين يديه يلعبون بالصراع ، وغيره " .

مسك [الأمير] آقسنقر الناصرى النائب ، والأمير [ملكتمر] الحجازى يوم الأحد ، وأظهر للنائب أنه يريد القبض على قرابغا وصمغار و بزلار وأيتمش .

فلما كان يوم الأحد تاسع عشره حضر الأمراء والنائب إلى الخدمة بعد العصر ، ومُدّ السماط ، و إذا بالقصر قد ملىء بسيوف مسلة من خلف آقسنقر والحجازى ، وأحيط بهما و بقرابغا ، وأخذوا إلى قاعة [هناك] فضُرب الحجازى بالسيوف ، و بُضّع هو وآقسنقر . وَنَزَّ صمغار وأيتمش عبد الغنى ، فركب صمغار فرسه من باب القلعة ومرّ ، واختفى أيتمش عند زوجته ؛ فخرجت الخيل وراء صمغار ، حتى (١٨٢ ب) أدركوه خارج القاهرة ؛ وأخذ أيتمش من داره ، فارتجت القاهرة ، وغلقت الأسواق وأبواب القلعة . وكثر الإرجاف إلى أن خرج النائب [أرقطاى[1]] والوزير [نجم الدين[2] محمود بن شروين] قريب المغرب ، فاشتهر ما جرى .

و [فيه] رُسم بالقبض على صرزه على ، وعلى محمد بن بكتمر الحاجب وأخيه ، وأولاد أيدغمش ، وأولاد قمارى . وأخرجوا إلى الإسكندرية ، هم و بزلار وأيتمش وصمغار ، لأنهم من ألزام الحجازى ومعاشريه ؛ فسجنوا بها .

و [فيه] أخرج آقسنقر والحجازى فى ليلة الاثنين عشريه على جَنويات[3] ، فدفنا[4] بالقرافة وأصبح الأمير شجاع الدين غرلو وقد جلس فى دست عظيم ، ثم ركب وأوقع الحوطة على بيوت الأمراء المقتولين والمسوكين وأموالهم ، وطلع بجميع خيولهم إلى الإصطبل السلطانى ، ونزل ومعه ناظر الخاص حتى أخرج حواصلهم . وضرب [غرلو] عبد العزيز الجوهرى صاحب آقسنقر ، وعبد المؤمن (١١٨٣) أستاداره بالمقارع ، وأخذ منهما مالا جزيلا . فخلع عليه السلطان قباء من ملابس آقسنقر[5] بطراز زركش عريض ، وأركبه[6]

(١ ، ٢) ما بين الحاصرتين من ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٢٢١ .

(٣) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٥٧ ، حاشية ٢ .

(٤) فى ف " فدفنوا " ، وما هنا من ب ، ١٥٧٠ .

(٥) فى ف ، وكذلك ب ، ١٥٧٠ ، "ملابسه" ، والتعديل بحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٦) فى ف " واركب " ، وما هنا من ب ، ١٥٧٠ ا .

حصان الحجازى بسرج ذهب ، وخلا به يأخذ رأيه فيما يفعله[1]، فأشار عليه بأن يكتب إلى نواب الشام بما جرى ، ويعدد لهم ذنوباً كثيرة على الأمراء الذين قبض عليهم . فكتب [السلطان] إلى الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام ، على يد الأمير آقسنقر المظفرى أمير جندار . وقدم [آقسنقر المظفرى] على[2] الأمير يلبغا اليحياوى فى ثامن عشريه ، فكتب [يلبغا] بتصويب رأى السلطان فيما فعله[3] ، [وهو[4] فى الباطن غير ذلك . وعظم على الأمير يلبغا قتل ملكتمر الحجازى وآقسنقر الناصرى] ، وتوحش خاطره ، وجمع الأمراء بعد يومين بدار السعادة ، وأعلمهم بما ورد عليه . وكتب [يلبغا] إلى النواب بذلك ، فبعث الأمير ملك آص[5] إلى حمص وحماة وحلب ، وبعث الأمير طيبغا القاسمى إلى طرابلس ؛ فجاءه ليلة الجمعة مستهل جمادى الأولى من زاده وحشة ، فلم يصبح له بدار السعادة أثر غير نسائه . وانتقل يلبغا (١٨٣ ب) يوم الجمعة إلى القصر ، فنزل به ، [وشرع فى الاستعداد للخروج عن طاعة السلطان] ، ونزل أزامه حوله بالميدان .

وأخذ السلطان [المظفر حاجى] يستميل المماليك بتفرقة المال فيهم ، وأمّر جماعة ؛ وأنعم على غرلو بإقطاع أيتمش [عبد الغنى] وتقدمته ، وأصبح هو المشار إليه فى الدولة ، وعظمت نفسه إلى الغاية .

وفيه أخرج ابن طقزدمر على إمرة طبلخاناه بحلب ، لكثرة لعبه ؛ وأنعم بتقدمته على الأمير طاز .

وفيه تولى غرلو مبيع قماش الأمراء وسائر موجودهم .

و[فيه] قدم الخبر بكثرة حشود العربان بالصعيد وبلاد الفيوم ، وشدّة فسادهم ، وتعذر السفر من قطعهم الطرقات على المسافرين . فلم يعبأ السلطان بذلك ، لاشتغاله بلهوه ،

---

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٧٠ أ " وخلا به فى اخذ رايه فيما يفعله ، وكتب الى نواب الشام وعددت لهم ذنوب كثيرة ...." ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٦٠ .

(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٧٠ أ : " وقدم عليه " ، وما بين الحاصرتين ، فضلا عن حذف الضمير وإثبات العائد ، للتوضيح .

(٣ ، ٤) فى ف " فيما فعله ولمت كذا اشقتمر استاداره ، وتوحش خاطره ..." ، وفى ب ٥٧٠ ب " فيما فعله اشتمر استاداره ، وتوحش خاطره ... " ، وما هنا من التعديل والإضافة بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٦٠ .

(٥) فى ف " خاص " ، وما هنا من ب ، ٥٧٠ ب .

وتلقته إلى أخبار نواب الشام ، لتخوفه من خروجهم عن طاعته لقبض على الأمراء وقاموا فقدمت أجوبتهم بما يظهر منه تصويب رأى السلطان فيما فعله ، فلم يطمئن لذلك ؛ ورسم[1] بخروج العسكر (١٨٤ ا) إليه .

و[فيه] رسم السلطان بخروج العسكر إلى (١٨٤ ا) البلاد الشامية ، ورسم فى عاشر جمادى الأولى[2] بسفر سبعة أمراء مقدمين ، وهم الأمير طيبغا المجدى ، وملك الجدار ، والوزير نجم الدين محمود بن شروين ، وطنغرا ، وأيتمش الناصرى الحاجب ، وكوكاى ، والزراق ، ومعهم مضافوهم من الأجناد . وكتب بطلب الأجناد من النواحى ، وكان وقت إدراك المغل ؛ فصعب ذلك على الأمراء ، وارتجت القاهرة بأهلها لطلب السلاح وآلات السفر .

وكتب [السلطان] إلى أمراء دمشق ملطفات على أيدى النجابة بالتيقظ لحركات الأمير يلبغا اليحياوى ، فأشار [الأمير أرقطاى ؟] النائب بطلب يلبغا ليكون بمصر ، فإن أجاب وإلا أعلم بأنه قد عزل من نيابة الشام بأرغون شاه نائب حلب . فكتب بطلبه على [يد الأمير[3] سيف الدين] أراى أمير آخور ؛ وعند سفر أراى[4] قدمت كتب نائب حماه ونائب طرابلس ونائب صفد بأن يلبغا دعاهم للقيام معه على السلطان لقتله الأمراء ، وبعثوا [للسلطان] بكتبه إليهم . فكتب [السلطان] (١٨٤ ب) لأرغون شاه نائب حلب أن يتقدم لعرب آل مهنا بمسك الطرقات على يلبغا ، وأعلمه أنه ولاه نيابة الشام ؛ فقام أرغون شاه فى ذلك أتم قيام ، وأظهر ليلبغا أنه معه .

ولما وصل الأمير سيف[5] الدين أراى إلى الأمير يلبغا اليحياوى ، فى يوم الأربعاء سادس جمادى الأولى ، إذا فى كتاب السلطان طلب يلبغا ليكون رأس أمراء المشورة ، وأن نيابة الشام أنعم بها على أرغون شاه نائب حلب . [وظن الأمير[6] يلبغا اليحياوى أن استدعاءه حقيقة ، وقرأ كتاب السلطان] ، فأجاب بالسمع والطاعة ، وأنه إذا وصل الأمير

(١ ، ٢) فى ف ، وكذلك فى ب ٧٠ ه ب " ورسم بخروج العسكر اليه ورسم فى عاشر جمادى ... " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٦١ .

(٣) انظر ما يلى بهذه الصفحة .

(٤) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٧١ ب ، " وعند سفره " وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٥ ، ٦) فى ف ، وكذلك ، فى ب ، ٥٧١ ا " ولما وصل اليه اراه فى يوم الاربعا " ، والتعديل والإضافة بين الحاصرتين للتوضيح ، وذلك بعد مراجعة ابن تغرى بردى : نفس المرجع ، ج ١٠ ، ص ١٦٢ .

أرغون [شاه] إلى دمشق توجه منها إلى مصر ، وكتب الجواب بذلك ، وأعاد[1] الأمير سيف الدين أراى سريعا . فأتت قصاد أمراء[2] دمشق إلى الأمير سيف الدين أراى فى عوده ، لتعرف فيما جاء به عليهم ، فأعلمهم بعزل يلبغا بأرغون شاه ، فتحللت عزائم الأمراء عن يلبغا .

وتجهز [يبلغا] وبرز إلى الجسورة ظاهر دمشق ، فى خامس عشره . وكانت ملطفات[3] السلطان وردت إلى الأمراء (١١٨٠) فى عشية يوم الخميس بإمساكه ، فركبوا وقصدوه ، ففرّ منهم بمماليكه وأهله ، وهم فى أثره إلى خاف ضُمَيْر[4] .

وأما الأمير سيف الدين أراى فإنه قدم إلى السلطان ، فقدم الخبر فى غد قدومه بأن يلبغا جمع ثقاته من أمراء الشام وأغراهم بالسلطان ، وأنه إن مضى إليه قتله كما قتل الأمراء ، و[أنه] جمع أمره على التوجه إلى أولاد دمرداش ببلاد الشرق .

وركب [الأمير يلبغا] فى يوم الجمعة خامس عشره ، ومعه الأمير قلاون ، والأمير سيفه[5] ، والأمير محمد بن بك بن جمق ، فى مماليكهم ؛ وخرجوا بآلة الحرب ، فاضطرب الناس بدمشق . وركب العسكر فى طُلبه ، وقد سار نحو القريتين ودخل البرية حتى وصل حماه ، بعد أربعة أيام وخمس ليالى . فركب الأمير قطليجا نائب حماه بعسكره ، وتلقاه ودخل به إلى المدينة ، وقبض عليه وعلى من معه ؛ وكتب بذلك (١٨٠ ب) إلى السلطان ، فسرّ به سروراً كبيراً ، ورسم بإبطال التجريدة ؛ وكتب بحمله إلى مصر .

ثم خرج الأمير منجك السلاح دار لقتله[6] ، فلقى آقجبا الحموى وصحبته يلبغا اليحياوى وأبوه ، وقد نزل بقاقون . فصعد [منجك مع] يلبغا إلى قلعتها ، وقتله فى يوم الجمعة عشريه ، وجهز رأسه إلى السلطان . وتوجه [منجك] إلى حماه ، وجهز الأمير قراكز[7] والأمير

---

(١) فى ف " واعاده سريعا " ، والتعديل بحذف الضمير وإثبات العائد يقتضيه سياق العبارة .

(٢) فى ف " فاتته قصاد الامر بدمشق فى عودة ... " ، والتعديل للتوضيح .

(٣) فى ف " مطلقات " . ، وما هنا من ب ، ٥٧١ أ .

(٤) وصف ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٨١) بلدة ضمير بأنها " موضع قرب دمشق ، قيل هو قرية وحصن فى آخر حدود دمشق ، مما يلى السماوة " .

(٥) فى ف " سبعة " ، وفى ب ، ٥٧١ ا " سيف " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٦٢) .

(٦) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٧١ ب " بقتله " .

(٧) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٧١ ب ، " كراكز " وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢١٣) .

أسندمر أخوى يلبغا اليحياوى ، والأمير طقطاى دواداره ، والأمير جوبان مملوكه ، إلى السلطان مقيدين ؛ وكان أبوه الأمير طابطا حُمل مقيدا من قاقون إلى السلطان .

و[فيه] قدم الخبر بأن أحمد بن مهنا وفياضا وفوازا وقارى كانوا بحلب لما قبض على يلبغا بحماه ، فركبوا بجمعهم يريدون آل مرا ، وقد نزلوا قريباً من سيف [بن فضل[1]] . فركب سيف بآل مرا وآل على إلى لقائهم ، فلم يطقهم وفرّ ، فنهبوا أبياته ، وأخذوا (١٨٦ ا) منها خمسمائة حمل دقيق ، وساقوا خمسة عشر ألف بعير . ومرّ سيف على وجهه إلى القاهرة ، فطلع إلى السلطان وبكى بين يديه بكاء كثيراً ؛ فتنكر السلطان على أولاد مهنا . فقدم كتاب الأمير أرغون بالثناء عليهم ، لخدمتهم السلطان فى أمر يلبغا أتم الخدمة ؛ وقدم أحمد ابن مهنا عقيب ذلك ، فلم ير من السلطان إقبالا .

وفى يوم الأحد خامس عشريه أخرج بالوزير نجم الدين محمود ، والأمير بيدمر البدرى نائب حلب [كان] ، والأمير طغيتمر الفخرى الدوادار ، إلى الشام . وسببه أن غرلو لما كان شاد الدواوين حقد على الوزير نجم الدين وعلى طغيتمر الدوادار ، فحسّن للسلطان أخذ أموالها . فذكر السلطان للنائب [أرقطاى] عنهما وعن بيدمر أنهم كانوا يكاتبون يلبغا [اليحياوى] ،فأشارعليه بإبعادهم عنه ، وأن يكون الوزير نائب غزة ، و بيدمر نائب حمص ، وطغيتمر (١٨٦ ب) بطرابلس ؛ فأخرجهم [أرقطاى]على البريد . فلم يعجب غرلو ذلك ، وأكثر من الوقيعة فى [الأمير أرقطاى] النائب حتى غيّر السلطان عليه ، وما زال به حتى بعث أرغون الإسماعيلى نائب غزة بقتلهم . فدخل [أرغون الإسماعيلى] معهم إليها وقت العصر ، فقتلوا ليلا ؛ وتمكن غرلو من أموالهم .

وتزايد أمر غرلو[2] ، واشتدت وطأته ؛ وكثر إنعام السلطان عليه حتى لم يكن يوم إلا وينعم عليه بشىء . وأخذ [غرلو] فى العمل على علم الدين بن زنبور ناظر الخاص ، وعلى علاء الدين [على] بن فضل الله كاتب السرّ ، وحسّن للسلطان القبض عليهما وأخذ أموالها ؛ فتلطف [الأمير أرقطاى] النائب فى أمرهما حتى كفّ عنهما . فلم يبق أحد من أهل الدولة حتى خاف غرلو ، ورجع يصانعه بالمال .

(١) انظر ما يلى ، ص ٧٣٥ .

(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٧١ ب ، " وتزايد امره " .

وفيه توجه مقبل الرومى لقتل المسجونين بالإسكندرية بإشارة غرلو ، فقتل أرغون العلائى ، وقرابغا القاسمى ، وتمر الموساوى ، وصمغار ، وأيتمش عبد الغنى .

و[فيه] أفرج عن أولاد قارى (١١٨٧) وأولاد أيدغمش ؛ وأخرجوا إلى الشام .

وفيه قدم الأمير منكلى بغا الفخرى من طرابلس ، وأنعم عليه بتقدمة ألف .

واستمر السلطان على الانهماك فى لهوه ، وصار يلعب فى الميدان تحت القلعة بالكرة فى يومى الأحد والثلاثاء ، ويركب إلى الميدان على النيل فى يوم السبت . فلما كان آخر ركوبه الميدان رسم بركوب الأمراء المقدمين بمضافيهم ، ووقوفهم صفين من الصليبة إلى فوق الإصطبل ، ليرى العسكر . فضاق الموضع عنهم ، فوقف كل مقدم بخمسة من مضافيه . وجمعت أرباب الملهى ، ورتبوا فى عدة أماكن بالميدان ؛ ونزلت أم السلطان فى جمعها ، وأقبل الناس من كل جهة . فبلغ كراء كل طبقة فى ذلك اليوم مائة درهم ، وكل بيت كبير لنساء الأمراء مائتى درهم ، وكل حانوت خمسين درهما ، وكل موضع إنسان بدرهمين ؛ فكان يوما (١٨٧ ب) لم يعهد فى ركوب الميدان .

وفيه أخرج سيف بن فضل من القاهرة مرسَّما عليه ، لكلام نقله عن [الأمير أرقطاى] النائب .

وفى يوم الخميس سابع جمادى الآخرة وصل رأس يلبغا اليحياوى .

وفى يوم الجمعة خامس عشره قُبض على غرلو ، وقُتل . وسبب ذلك شدة كراهة الأمراء أرباب الدولة لسوء أثره فيهم ، فإنه كان يخلو بالسلطان ويشير عليه بما يمضيه ، فلا يخالفه فى شىء . وعمله [السلطان] أمير سلاح ، فخرج عن الحدّ فى التعاظم ، وجسّر السلطان على قتل الأمراء ، وقام فى حق [الأمير أرقطاى] النائب يريد القبض عليه وقتله ، وأخذ المماليك الناصرية والصالحية والكاملية بكمالهم ، و[استمالهم] لتجديد[1] دولة مظفرية . وقرر مع السلطان أن يفوض إليه أمور المملكة ، ليقوم عنه بتدبيرها ، ويتوفر السلطان على لذاته . وأغراه أيضا بالجيبغا وطنيرق ، وهما أخصّ الناس بالسلطان ، حتى تغيّر عليهما . وبلغ (١٨٨ ا) ذلك الجيبغا ، وتناقله المماليك ، فتعصبوا عليه ، وراسلوا الأمراء الكبار حتى حدثوا

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٧١ ب ، " وتجديد " .

السلطان فى أمره ، وخوّفوه عاقبته . فلم يعبأ [السلطان] بقولهم ، فتنكروا بأجمعهم على السلطان ، وصاروا إلبًا عليه بسبب غرلو ، إلى أن بلغه ذلك عنهم من بعض ثقاته . فاستشار [الأمير أرقطاى] النائب فى أمر غرلو ، وعرّفه ما يخاف من غائلته ، فلم يُشِر عليه بشىء ، وقال له : "لعل الرجل قد كثرت حساده على تقريب السلطان له ، والمصلحة التثبت فى أمره". وكان [الأمير أرقطاى] النائب عاقلا سيوسا ، يخشى من معارضة غرض السلطان فيه . فاجتهد ألجيبغا وعدة من الخاصكية فى التدبير على غرلو ، وتخويف السلطان منه ومن عواقبه ، حتى أثر قولهم فى نفسه . وأقاموا أحمد شاد الشرا بخاناه — وكان مزاحًا — للوقيعة فيه ، فأخذ فى خلوته مع السلطان يذكر كراهة الأمراء لغرلو وموافقة المماليك (١٨٨ ب) لهم ، وأنه يريد أن يدبر الدولة ويكون نائب السلطان ، ليتوثب بذلك على المملكة ويصير سلطانا ، ويخرج قوله هذا فى صورة السخرية والضحك . وبالغ فى ذلك على عدة فنون من المزح إلى أن قال : " وإن خلاّه السلطان رحنا كلنا الحبوسات من بعده " . فانفعل السلطان لكلامه ، وقال : " أنا الساعة أخرجه وأعمله أمير آخور " . ثم مضى أحمد إلى [الأمير أرقطاى] النائب ، وعرّفه ما كان منه ، وما قاله السلطان ، وجَسّره على الوقيعة فى غرلو . فاستشار السلطان [الأمير أرقطاى] النائب فى غرلو ثانيا ، فأثنى عليه وشكره ، فعرّفه كثرة وقوع الخاصكية فيه ، وأنه قصد أن يعمله أمير آخور ، فقال [أرقطاى] : " غرلو شجاع جسور ، لا يليق أن يكون أمير آخور " . فكأنه أيقظ السلطان من رقدته ، وأخذ معه فيما يوليه ، فأشار بولايته غزة ، فقبل [السلطان] ذلك وقام عنه . فأصبح السلطان (١٨٩ ا) بكرة يوم الجمعة ، وقد بعث طنيرق إلى [الأمير أرقطاى] النائب بأن يخرج غرلو إلى غزة . فلم يكن غير قليل حتى طلع غرلو على عادته إلى القلعة ، وجلس على باب القلة ، فبعث [الأمير أرقطاى] النائب بطلبه ، فقال : " مالى عند النائب شغل ، وما لأحد معى حديث غير أستاذى [السلطان] " . وأرسل النائب يعرّف السلطان جواب غرلو له بطلبه[1] ، [فغضب السلطان] ، وقال لملطاى أمير شكار والأمراء أن يعرّفوه عن السلطان بتوجهه إلى غزة ، وإن امتنع يمسكوه . فلما صار [غرلو] داخل القصر لم يحدثوه

---

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٧٢ ب ، " فطلبه " .

بشيء ، وقبضوا عليه وقيدوه ، وسلموه لأجْيْبغا ، فأدخله إلى بيته بالأشرفية .

فلما خرج السلطان لصلاة الجمعة على العادة ، قتلوا غرلو ، وهو فى الصلاة وأخذ [السلطان] بعد عوده من الصلاة يسأل عنه ، فنقلوا عنه أنه قال : " ما أروح مكانا " ، فأراد سَلّ سَيفه وضرب الأمراء به ، وأنهم تكاثروا عليه ،فما سلّم نفسه حتى قتل . فعزّ قتله على (١٨٩ ب) السلطان ، وحقد عليهم قتله ، ولم يظهره لهم . وتقدم [السلطان] بإيقاع الحوطة على حواصله ، فكان يوما عظيما بالقلعة والمدينة ، وخرج معظم الناس إلى تحت القلعة ، [فشوهد يومئذ من اجتماعهم[1] أمر مهول . وأخرج غرلو حتى دفن بباب القرافة ، فأصبح وقد خرجت يده من الأرض ، فأتاه الناس أفواجا ليروه ، ونبشوا عليه ، وجرّوه بحبل فى رجله إلى تحت القلعة] . وأتوا بنار ليحرقوه ، وصار لهم ضجيج عظيم . فبعث السلطان عدة من الأوجاقية قبضوا على كثير منهم ، فضربهم الوالى بالمقارع ، وأخذ منهم غرلو ، ودفن ؛ ولم يظهر له كبير مال .

و [فيه] قدم الخبر بدخول الأمير أرغون شاه إلى دمشق ، فى يوم الثلاثاء سابع عشره ، صحبة مُتَسَفّرِهِ الأمير آقسنقر أمير جندار فعرض يوم دخوله أهل السجون ، ووسّط وسمّر منهم عدة من أرباب الجرائم ، وألزم جميع من له إقطاع بحلب أوحماه أو طرابلس أو صفد أو غيرها من البلاد الشامية أن يتوجه إلى محل خدمته ، ولا يقيم بغيره . وأنعم [الأمير أرغون شاه] على متسفره بخمس عشرة فرسا ، منها خمس عربيات مسرجات ملجمات ، وأحد عشر (١٩٠ ا) إكديش ، وجارية بخمسة آلاف درهم وأربعين ألف درهم ، ومائة قطعة قماش ، وتشريف النيابة بكماله وسيفه المحلى ، وكتب له بألف أردب غلة من مصر ؛ وكان [الأمير أرغون شاه] أعطاه بحلب ألف وخمسمائة دينار . فأقام آقسنقر بدمشق نحو ثلاثة أشهر ، لم يسأله فى ولاية ولا عزل إلا أجابه ، فرجع بمال عظيم .

وفيه أفرج عن ابن طشتمر من صفد ، وأنعم عليه بإمرة فى دمشق .

و [فيه] نقل أمير مسعود بن خطير من نيابة غزة إلى نيابة طرابلس ، عوضا عن الأمير منكلى بغا الفخرى .

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٥٧٣ ا ، وفى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٦٧ .

و [فيه] استقرّ الأمير فخر الدين أياس حاجب دمشق فى نيابة حلب ، عوضا عن الأمير أرغون شاه .

و [فيه] خرج السلطان إلى سرياقوس على العادة ، فأقام أياما وعاد .

وفى يوم الاثنين سادس عشر رجب أخرج لاجين أمير آخور إلى دمشق ، على إقطاع قلاون .

و [فيه] أخرج منجك السلاح دار واستقرّ حاجبا بدمشق ، (١٩٠ ب) عوضا عن أمير على بن طغريل .

و [فيه] أنعم على اثنى عشر من المماليك بإمرات[1] ، ما بين طبلخاناه وعشرات بمصر والشام .

وفيه أعيد بن الأطروش إلى الحسبة ، عوضا عن الضياء ، ورتب للضياء ما يقوم به .

وفيه عمل الاستيمار[2] بما على الدولة من الكلف ، وما يتحصل . فوجدت الكلف ثلاثة أمثال ما كانت فى الأيام الناصرية محمد بن قلاون ، وصرتب الحوائج خاناه فى كل يوم [مقدار] اثنين وعشرين ألف رطل لحم ، ونفقات المماليك [مبلغ] مائتين وعشرين ألف درهم ، بعد ما كانت تسعين ألف [درهم] . فرسم [السلطان] بقطع ما استجدّ من الرواتب بعد موت [السلطان] الناصر [محمد] ، فما زال به [الأمير أرقطاى] النائب يخوفه سوء عاقبة قطع الأرزاق ، ويعرّفه أن أحدا من الملوك ما قُوِىَ عليه الاستيمار وقطع شيئا إلا وأصابه ما يكره فى دولته ، حتى رسم باستمرار الرواتب على حالها .

وفيه وزع على مباشرى الجهات (١٩١ ا) مبلغ ستمائة ألف درهم ، خصّ مقدمى الدولة منها مائة ألف درهم .

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٧٣ ب " بامريات " ، وعكف الناشر فيما سبق على تعديل هذا اللفظ إلى الصيغة المثبتة بالمتن ، من غير تعليق .

(٢) تقدم التعريف بهذا اللفظ فى المقريزى (كتاب السلوك : ج ١ ، ص ٨٥٠ ، حاشية ١) على أنه مجلس من المجالس الحكومية المملوكية ، وهو خطأ ، والصحيح نقلا عن المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص٢٢٦) أنه السجل الحكومى " الذى يشتمل على أرزاق ذوى الإقلام وغيرهم ، مياومة ومشاهرة ومسانهة ، من الرواتب . وكانت أرزاق ذوى الأقلام مشاهرة من مبلغ عين وغلة ، وكان لأعيانهم الرواتب الجارية فى اليوم من اللحم بتوابله أو غير توابله ، والخبز والعليق لدوابهم . وكان لأكابرهم السكر والشمع =

و[فيه] رسم أن يكون فى كل معاملة شاهد وكاتب ؛ واستقرّ قطلوا شاد الجهات بالقاهرة ، وابن المزوالى شاداً بجهات مصر .

وفيه قدم على بن طغريل من دمشق .

و[فيه] أنعم على الأمير بيبغا روس عند قدومه من سرحة العباسة بألفى دينار ، ومائة قطعة قماش ، وأربعة أرؤس خيل بسروج ذهب .

وفى مستهل شعبان خرج الأمير طيبغا المجدى ، والأمير أسندمر العمرى ، والأمير أرغون الكاملى ، والأمير بيبغا روس ، والأمير بيبغا ططر ، إلى الصيد ؛ ثم خرج [الأمير أرقطاى] النائب بعدهم إلى الوجه القبلى بطيور السلطان . ورسم [السلطان] لهم ألا يحضروا إلى العشر الأخير من رمضان .

فخلا الجو للسلطان ، وأعاد حضير[1] الحمام ، وأحضر إليه [عدة من] عبيده ، وأعاد أرباب الملاعيب من الصراع ، والثقاف[2] ، والشباك ، (١٩١ ب) وجرى السعاة[3] ، والنطاح بالكباش ، ومناقرة الديوك والقمارى[4] ، وغير ذلك من أنواع الفساد ؛ ونودى بإطلاق اللعب بذلك فى القاهرة ومصر . فصار للسلطان اجتماعات بالأوباش وأراذل الطوائف ، من الفراشين ، والبابية[5] ، ومطيرى الحمام ؛ فكان يقف معهم ويراهن على الطير الفلانى والطيرة الفلانية .

= والزيت والكسوة فى كل سنة ، والأضحية ، وفى شهر رمضان السكر والحلوى ... " . واختص ديوان النظر بالإشراف على ذلك كله وتوزيعه بين أرباب الإقلام بالدولة المملوكية ، على أنه يبدو من المتن هنا أن الاستيمار اشتمل كذلك على حساب الإيراد والمنصرف من الأموال والجهات المعينة له ، كما اشتمل على رواتب غير ذوى الأقلام .

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ٥٧٤ ا " المظير " . انظر ما سبق ، ص ٧٢٦ ، حاشية ٢ .

(٢) الثقاف الخصام والجلاد ، وكذلك الطعان بالرمح (محيط المحيط) . انظر ما سبق ، ص ٦٤٢ ، ٦٥٥ ، ٦٩٠ ، ٧١٥ ، حيث تقدمت الإشارة إلى أنواع اللعوب .

(٣) لعل المقصود بذلك المسابقة فى الجرى بين المشهورين بالسرعة من سعاة السلطان والأمراء .

(٤) لعل المقصود بذلك نوع من الحمام يستخدمه الغواة فى المناقرة والمراهنة . على أن موضع الأهمية هنا أن المقريزى جمع هنا أنواع اللعوب فى عصر سلاطين المماليك ، ومهد بذلك لتصوير ملاهى المجتمع فى ذلك العصر .

(٥) البابية اسم عام لجميع العمال القائمين بغسل الملابس وصقلها ، فى الطشتخاناه السلطانية . القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ .

و بينما هو ذات يوم معهم عند حضير الحمام وقد سيبها ، إذ أذن العصر بالقلعة والقرافة ، فجفلت الحمام على مقاصيرها وتطايرت . فجرّد [السلطان] ، وبعث إلى المؤذنين يأمرهم أنهم إذا رأوا الحمام لا يرفعون أصواتهم .

وكان [السلطان] أيضا يلعب مع العوامّ ، ويلبس تبّان جلد[1] ، ويشمرّى من ثيابه كلها ويصارعهم ، ثم يلعب معهم بالعصى ، ويلعب بالرمح وبالكرة . فيظل نهاره مع الغلمان والعبيد فى الدهيشة ، ويحضر فى الليل عبد على العواد ، ويأخذ (١٩٢ ا) عنه الضرب بالعود ، ويتجاهر بما لا يحمد .

وشغف [السلطان] بكيدا[2] حتى كان لا يكاد يفارقها ، واشترى لها أملاك النشو وأخيه رزق الله وصهره المخلص بخط الزربية ، فاشتراها لها بمائة ألف درهم . وكانت هذه الزربية فى غاية الحسن ، قد أنفق عليها [النشو] أموالا عظيمة ، وصارت بعد النشو إلى امرأة الأمير بكتمر الساقى ، اشتراها لها الأمير بشتاك بنحو الألف[3] درهم ، إلى أن طلبتها كيدا ، فأرسل السلطان إليها يستوهبها منها ، فتركتها[4] له ؛ فرسم لها بمائة ألف درهم ، وكاتبها على الأملاك باسم[5] كيدا فلم يهن بها ، ووقعت نار فى دار رزق الله جعلتها دكاً .

وفيه ارتفع سعر القمح من أربعين درهما للأردب إلى خمسين ، وغلا اللحم وعامة الأصناف المأكولة حتى بلغت مثلى ثمنها . وتوقفت الأحوال ، وقلّت الغلال ، وكثر السؤال من كثرة قدوم أهل النواحى إلى القاهرة حتى ضاقت بهم . (١٩٢ ب) فكانوا كذلك مدة سنة ، مع كثرة المناسر فى البلاد والقاهرة ، وقوة المفسدين وقطاع الطريق بأرض مصر و بلاد القدس ونابلس ، وفتنة العشير بعضهم مع بعض .

وفى نصفه توجه ألجيبغا وأحمد شاد الشرا بخاناه إلى الصيد ، فأخذ السلطان فى التدبير

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٥٧٤ ا " معهم يلبس ثياب جلد " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٦٩ ؛ والتبان السروال القصير يلبسه المصارعون . (محيط المحيط) .

(٢) حلّت هذه الجارية محل اتفاق العوادة . انظر ما يلى .

(٣) فى ف " الاف الف " ، وما هنا من ب ، ١٥٧٤ ا .

(٤) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٥٧٤ ا " نتركتهم " .

(٥) فى ف ، " وكاتبها على اسم الاملاك لكيدا " ، وما هنا من ب ، ١٥٧٤ ا .

على أخيه حسين ليقتله ، وأرصد له عدة خدام ليهجموا عليه عند إمكان[١] الفرصة و يغتالوه ؛ فتمارض واحترس على نفسه ، فلم يجدوا منه غفلة .

وفى سابع عشره[٢] استقرّ فى الخلافة أبو بكر بن أبى الربيع سليمان ، ونُعت بالمستعصم بالله أبى الفتح ، بعد موت أبيه .

وفى أخريات شعبان قدم الأمراء و [الأمير أرقطاى] النائب [قبل أوانهم] من الصيد شيئاً بعد شىء ، وقد بلغهم ما كان من أفعال السلطان فى غيبتهم .

وفى يوم السبت رابع رمضان زلزلت القاهرة مرتين فى ساعة واحدة .

[وفيه] قدم ابن الحرانى من دمشق بمال يلبغا اليحياوى ، فتسلمه الخدام (١١٩٢) . وأنعم [السلطان] من ليلته على كيدا حظيته بعشرين ألف دينار منه سوى الجواهر واللآلئ ، ونثر الذهب على الخدام والجوارى ، فاختطفوه[٣] ، وهو يضحك منهم . وفرّق [السلطان] على لعاب الحمام والفراشين والعبيد الذهب واللؤلؤ ، وصار يحذفه[٤] لهم ، وهم يترامون عليه ويأخذونه ، بحيث لم يدع منه شيئاً سوى القماش والتفاصيل والآنية والعدد ، فإنها صارت إلى الخزانة . فكانت جملة ما فرّقه [السلطان] ثلاثين ألف دينار وثلاثمائة ألف درهم ، وجواهر وحلياً ، وزركشاً ولؤلؤاً ومصاغاً ، قيمته زيادة على ثمانين ألف دينار .

فعظم ذلك على الأمراء ، وأخذ ألجيبغا وطنيرق يعرّفان السلطان ما ينكره عليهم الأمراء من اللعب بالحمام وتقريب الأوباش ، وخوّفاه فساد الأمر . فغضب [السلطان] ، وأمر آقجبا شاد العمائر بخراب حضير[٥] الحمام ، وأحضر الحمام وذبحها واحداً واحداً بيده ، وقال

(١) فى ف " اماكن " ، وما هنا من ب ، ٥٧٤ ب .

(٢) فى ف " سابع " فقط ، وما هنا من ب ، ٥٧٤ ب .

(٣) فى ف " فاحتفظوه " ، وما هنا من ب ، ٥٧٤ ب .

(٤) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٧٥ ب ، " يحدفه " ، وهى صيغة عامية للمثبت بالمتن . انظر محيط المحيط .

(٥) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٧٤ ب " حظير " ، انظر ما سبق ، ص ٧٣٩ ، حاشية ١ .

(١٩٣ ب) لألجيبغا وطنيرق : " والله لأذبحنكم كما ذبحت هذا[1] الحمام " ، وتركهم وقام . فبات ليلته وأصبح ففرّق جماعة من خشداشية[2] ألجيبغا وطنيرق فى البلاد الشامية . واستمرّ على إعراضه عن الجميع ؛ وقال لخطاياه وعنده معهن الشيخ على الكسيح : " والله ما بقى هنا لى عيش وهذان الكذا وكذا بالحياة ، يعنى ألجيبغا وطنيرق ، فقد أفسدا علىّ ما كان فيه سرور ، واتفقا علىّ ، ولا بدّ من ذبحهما " . فنقل ذلك [الشيخ على] الكسيح لألجيبغا ، فإنه الذى كان أوصله بالسلطان ، وقال له مع ذلك : " خذ لنفسك ، فوالله لا يرجع عنك ولا عن طنيرق " . فطلب [ألجيبغا صاحبه] طنيرق حتى عرّفه ذلك ، فأخذا فى التدبير على [السلطان] ، وأخذ [السلطان] فى التدبير عليهما .

و [فيه] أخرج [السلطان] الأمير بيبغا روس للصيد بالعباسة ، فإنه كان صديقا لألجيبغا ؛ وتنمّر [السلطان] على طنيرق واشتدّ عليه ، وبالغ فى تهديده . فبعث طنيرق[3] وألجيبغا (١٩٤ ا) إلى طشتمر طلايه ، وما زالا به حتى وافقهما . ودار [طنيرق[4]] على الأمراء ، وما منهم إلا من نفرت نفسه من السلطان ، وتوقع منه أن يفتك به . وأغرام [طنيرق] بالسلطان ، فصاروا معه يداً واحدة ، وكلموا [الأمير أرقطاى] النائب فى موافقتهم ، وأعلموه أنه يريد القبض عليه ، وأكثروا من تشجيعه إلى أن أجابهم ؛ وتواعدوا جميعا فى يوم الخميس تاسع رمضان على الركوب فى يوم الأحد ثانى عشره .

فبعث السلطان فى يوم السبت يطلب الأمير بيبغا روس من العباسة ، وقرّر مع الطواشى عنبر مقدم المماليك [أن] يعرّف المماليك السلاح دارية أن يقفوا متأهبين ؛ فإذا دخل بيبغا روس وقبّل الأرض ضربوه بسيوفهم ، وقطّعوه قطعا . فعلم بذلك ألجيبغا ، فبعث إلى بيبغا[5] يعلمه بما دبّره السلطان من قتله ، ويعرّفه بما وقع اتفاق الأمراء عليه ، وأنه يوافيهم

---

(١) سبق للسلطان حاجى أن هدّد هذين الأميرين بهذا النوع من التهديد ، بسبب لعب الحمام . انظر ص ٧٢٩ .

(٢) فى ف " خشداشى " ، وما هنا من ب ، ٥٧٤ ب .

(٣) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٧٤ ب " فبعث هو " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٧٠ .

(٥) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٧٤ ب " فبعث اليه " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

بكرة يوم الأحد على قبة النصر . واستعدّوا لملتهم ، ونزل ألجيبغا أولهم من القلعة ، (١٩٤ب) وتلاه بقية الأمراء ، فكان آخرهم ركوبا [الأمير أرقطاى] النائب . وتوافوا بأجمعهم عند مطعم الطير ، وإذا بيبغا قد وصل إليهم ، فأحضروا مماليكهم وأطلابهم ، وبعثوا فى طلب بقية الأمراء ، فما ارتفع النهار حتى وقفوا بأجمعهم لابسين آلة الحرب ، عند قبة النصر .

فأمر السلطان بدق الكوسات ، وبعث الأوجاقية فى طلب الأمراء ، وجمع عليه طنبرق وشيخو وأرغون الكاملى وطاز ، ونحوهم من الخاصكية ؛ فحضر إليه أجناد الحلقة ومقدموها ، وعدة من الأمراء . وأرسل [السلطان] يعتب [الأمير أرقطاى] النائب على ركوبه ، فردّ جوابه بأن "مملوكك الذى ربيته[1] ركب عليك ، وأعلمنا فساد نيّتك ، وقد قتلت مماليك أبيك ، وأخذت أموالهم ، وهتكت حريمهم بغير موجب ، وعزمت على الفتك بمن بقى . وأنت أول من حلف ألا تخون الأمراء ، ولا تخرب بيت أحد" . فردّ [السلطان] (١٩٥ ا) الرسول إليه يستخبره عما يريدونه منه حتى يفعله لهم ، فأعادوا جوابه أنهم لا بدّ أن يسلطنوا غيره ، فقال "ما أموت إلا على ظهر فرسى" . فقبضوا[2] على رسوله ، وهمّوا بالزحف عليه ، فمنعهم [الأمير أرقطاى] النائب .

فبادر السلطان بالركوب إليهم ، وأقام أرغون الكاملى وشيخو فى الميسرة ، وأقام عدة أمراء فى الميمنة ، وسار [بمماليكه حتى[3] وصل إلى قريب قبة النصر] . فكان أول من تركه الأمير طاز ، ثم [الأمير] أرغون الكاملى و [الأمير] ملكتمر السعيدى ، ثم [الأمير] شيخو . وأتوا [الأمير أرقطاى] النائب والأمراء ، وتلاهم بقيتهم ، حتى جاء الأمير طنيرق ، والأمير لاجين أمير جندار صهر السلطان آخرهم .

---

(١) المقصود بهذه الإشارة هو الأمير ألجيبغا . انظر ما يلى هنا ، ص ٧٤٦ ، وكذلك ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٨٢ .

(٢) فى ف " فقطوا " ، وما هنا من ب ، ٥٧٥ ا .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٧٢ .

وبقى السلطان فى نحو عشرين فارسا ، فبرز له الأمير بيبغا روس والأمير ألجيبغا ، فولى فرسه وانهزم عنهم ، فأدركوه وأحاطوا به . فتقدم إليه بيبغا روس ، فضرب به السلطان بطبر ، فأخذ الضربة بترسه ، وحمل عليه بالرمح . وتكاثروا عليه حتى قلعوه من سرجه ، (١٩٠ ب) فكان بيبغا روس هو الذى أرداه ؛ وضربه طنيرق جرح وجهه وأصابعه . وساروا به على فرس إلى تربة آقسنقر الرومى تحت الجبل ، وذبحوه من ساعته قبل العصر . [ولما أنزلوه(١) وأرادوا ذبحه توسل إلى الأمراء] ، وهو يقول : " بالله لا تستعجلوا على قتلى ، وخلونى ساعة " ، فقالوا : " فكيف استعجلت على قتل الناس ، لو صبرت عليهم صبرنا عليك " .

وصعد الأمراء إلى القلعة فى يومهم ، ونادوا فى القاهرة بالأمان والاطمئنان ، وباتوا بها ليلة الاثنين ، وقد اتفقوا على مكاتبة [الأمير أرغون شاه] نائب الشام بما وقع ، و [أن] يأخذوا رأيه فيمن يقيمونه سلطانا . فأصبحوا وقد اجتمع المماليك على إقامة حسين بن [الناصر] محمد بن قلاون فى السلطنة ، ووقعت بينه وبينهم مراسلات . فقبض(٢) الأمراء على عدة من المماليك ، ووكلوا الأمير طاز بباب(٣) حسين ، حتى لا يجتمع به أحد ، وغلقوا باب القلعة ، وهم بآلة الحرب يومهم وليلة الثلاثاء . وقصد المماليك إقامة الفتنة (١٩٦ ا) ، [فخاف(٤) الأمراء تأخير السلطنة حتى يستشيروا نائب الشام أن يقع من المماليك ما لا يدرك فارطه ، فوقع اتفاقهم عند ذلك على حسن بن الناصر محمد بن قلاون ، فتم أمره](٥) .

فكانت مدة المظفر حاجى سنة وثلاثة أشهر واثنى عشر يوما ، وعمره نحو عشرين سنة . وكان شجاعا جريئا على الدنيا ، منهمكا فى الفساد ، كثير الإتلاف للمال .

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٧٣ .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٧٠ ب " فقبضوا " ، والتعديل هنا وبسائر العبارة من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٧٣ .

(٣) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٧٠ ب ، " ببابه " .

(٤ ، ٥) ما بين الرقين وارد فى ف ، وكذلك فى ب ٥٧٦ ا ، فى غير موضعه من المتن (انظر حاشية ٢ ، بالصفحة التالية) ، وهو كما هنا فى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٧٣ .

السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى الحسن بن محمد بن قلاون الألفى

أمه أمة تُدعا كدا[1] ، ماتت وهو صغير ، فربّته خوند أردو ، ودعوه قارى حتى كان من أمر أخيه [حاجى] ما كان . وطلب المماليك إقامة حسين فى السلطنة ، وبات ليلة الثلاثاء أكثرهم بالمدينة ليخرجوا إلى قبة النصر[2] . [فقام الأمراء[3] بسلطنة حسن هذا] ، وأركبوه [بشعار السلطنة] ، فى يوم الثلاثاء رابع عشرى رمضان ، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ؛ وأجلسوه على تخت الملك بالإيوان ، ولقبوه بالملك الناصر سيف الدين قارى . فقال السلطان للأمير أرقطاى نائب السلطنة : "يا بة ! ما اسمى قارى ، إنما اسمى حسن" ، (١٩٦ ب) فقال [أرقطاى] : "ياخوند ! والله إن هذا اسم حسن على خيرة الله" ؛ فاستقرّت سلطنته ، وحلف له الأمراء على العادة ، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة .

وفى يوم الأربعاء خامس عشره اجتمع الأمراء ، وأخرج لهم دينار الشبلى المال ، فنقل إلى الخزانة .

و [فيه] طُلب خدام المظفر وعبيده ، ومن كان يعاشره من الفرّاشين ومطيرى الحمام ، وسُلّموا لشاد الدواوين على حمل ما أخذوه من المال . فأقرّ الخدام أن الذى خصّ كيدا فى مدة شهرين نحو خمسة وثلاثين ألف دينار ، ومائتين وعشرين ألف درهم ؛ وخصّ عبد على العوّاد نحو ستين ألف درهم ؛ وخصّ الإسكندر [بن كتيلة[4]] الجنكى نحو الأربعين ألف درهم ؛ وخصّ العبيد والفراشين ومطيرى الحمام نحو مائة ألف درهم . وأظهر بعض الخدام حاصلا تحت يده ، فيه لؤلؤ وجوهر قيمته زيادة على مائة ألف دينار ، وفيه تحف وتفاصيل وزركش (١٩٧ ا) و بدلات ثياب بنحو مائة ألف دينار .

---

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٧٥ ب .

(٢) يلى هذا فى ف ، وكذلك ب ٥٧٦ ا العبارة الواردة بين الرقين ٤ — ٥ بالصفحة السابقة .

(٣) ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٨٧) .

(٤) انظر ما يلى بالصفحة التالية .

وفى يوم الخميس سادس عشره قبض على الأمير أيدمر الزرّاق ، والأمير قطز أمير آخور ، والأمير ملك ؛ وأُخرج قطز لنيابة صفد .

وفيه قطعت أخباز عشرين خادما ، وخبز عبد علىّ العواد ، وإسكندر بن كتيلة الجنكى .

و[فيه] طلبت دبيقة[1] مغنية عرب بالجيزة ، وكانت تخايل[2] بالقلعة ؛ وطلبت ضامنة المغانى [أيضا] ؛ وألزمتا بمال فى نظير ما حصل لهما من بيت المال .

وفى يوم الأحد تاسع عشره عرضت جميع الجوارى اللاتى بالقلعة ، ورُسم بتزوج من أعتق منهن ، وفُرّق باقيهن .

و[فيه] قبض على الطواشى عنبر السحرتى ، وعلى الأمير آقسنقر أمير جندار زوج أم المظفر .

و[فيه] عرضت المماليك أرباب الوظائف ، وأخرج منهم جماعة .

و[فيه] أحيط بأموال كيدا ، وأموال بقية الحظايا ، وأنزلن من القلعة .

و[فيه] كُتبت أوراق بمرتبات الخدام والعبيد والجوارى ، وقُطعت كلها .

(١٩٧ ب) وكان أمراء المشورة والتدبير تسعة ، [وهم] بيبغا روس القاسمى ، وألجيبغا المظفرى ، ومنكلى بغا الفخرى ، وطشتمر طلليه ، وأرقطاى النائب[3] ، وطاز ، وأحمد شاد الشرابخاناه ، وأرغون الإسماعيلى . فاستقرّ شيخو العمرى رأس نوبة كبير ، — وشارك الأمراء فى تدبير أمور المملكة[4] .

---

(١) فى ف "دنيقه" ، وما هنا من ب ، ٥٧٦ ب .

(٢) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٧٦ ب .

(٣) يلى هذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٧٦ ب اسم " شيخو العمرى" ، وإيراده هنا خطأ يدل عليه أن هذا الأمير صار عضوا فى مجلس المشورة بعد تعيينه فى وظيفة رأس نوبة كبير ، كما هو واضح من العبارة التالية فى هذه الفقرة ، وفى ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٨٨) . على أن موضع الأهمية هنا أن مجلس المشورة تعرض عدد أعضائه للإضافة — والحذف فيما يبدو كذلك — بحسب الأحوال والمطالب الشخصية بين الأمراء ، وليس على الباحث سوى أن يتبين وظائف أمراء المشورة ليعرف مدى سلطة هذا المشور السلطانى فى سياسة الدولة داخليا وخارجيا .

(٤) فى ف ، وكذلك فى ب ٥٧٦ ب " ويشارك فى تدبير امور المملكة الامرا " ، ومعنى هذه العبارة على أية حال أن المشور أصبح مكونا من عشرة أمراء ، أحدهم أكبر أمراء ورأس نوبة ، لشخصه أو وظيفته

و [فيه] استقرّ مغلطاى أمير آخور ، عوضا عن قطز .

و [فيه] أفرج عن بزلار .

و [فيه] أنعم على فارس الدين قريب آل ملك بإمرة طبلخاناه .

و [فيه] جهزت التشاريف لنواب الشام ، وكتب إليهم بما وقع .

و [فيه] وقع الاتفاق على تخفيف الكلف السلطانية ، وتقليل المصروف بسائر الجهات ؛ وكتبت أوراق بما على الدولة من الكلف .

و [فيه] أخذ الأمراء فى تتبع طائفة الجراكسية من المماليك ، وقد كان المظفر قرّبهم إليه بسفارة غرلو ، فإنه كان جركسى الجنس . وجلبهم [المظفر] من كل مكان حتى عرفوا بين الأمراء ، وقوى أمرهم ، وصار منهم أمراء وأصحاب أخباز (١٩٨ ا) ، وتميزوا بكبر عمائمهم ، وعملوا كلفتاه خارجة عن الحد . فطُلبوا الجميع ، وأخرجوهم منفيين خروجا فاحشا .

وفى يوم الاثنين ثانى شوال ركب الأمراء وأهل الدولة إلى الخدمة ، وكتبت أوراق من ديوان الجيش بأسماء الذين اشتروا الإقطاعات فى الحلقة من أرباب الصنائع ، ورسم بقطع أخبازهم . فشفع الأمراء فى كثير منهم ، ولم يقطع غير عشرين جنديا .

و [فيه] قدم جواب [الأمير أرغون شاه] نائب الشام بموافقته ورضاه بما وقع ، وَغَضٌ من فخر الدين أياس نائب حلب . وكان الأمير أرقطاى [نائب السلطنة] قد أراد من الأمراء أن يعفوه من النيابة ، ويولوه بلدا من البلاد ، فلم يوافقوا على ذلك . فلما ورد كتاب [الأمير أرغون شاه] نائب الشام يذكر فيه أن أياس يصغر عن نيابة حلب ، فإنه لا يصلح لها إلا رجل شيخ كبير القدر له ذكر وشهرة ، طلب الأمير أرقطاى نيابة حلب ، فأجال[1] [الأمراء] الرأى فى ذلك إلى أن اتفقوا عليه . فلما كان يوم الخميس خامسه (١٩٨ ب) واجتمعوا بالخدمة ، خُلع على الأمير بيبغا روس القاسمى واستقرّ فى نيابة السلطنة ، عوضا عن أرقطاى ، وخُلع على الأمير أرقطاى واستقرّ فى نيابة حلب ، عوضا عن فخر الدين أياس ؛ وخرجا بتشريفهما . فجلس بيبغا روس فى دست النيابة ، وجلس أرقطاى

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٧٦ ب " فاجالوا " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح

دونه ، بعد ما كان قبل ذلك بساعة أرقطاى فى دست النيابة وبيبغا جالس دونه .

وفى يوم السبت سابعه قدم الأمير منجك اليوسفى السلحدار أخو النائب بيبغا روس من الشام ، فرُسم له بتقدمة ألف ، وخُلع عليه ، واستقرّ وزيرا وأستادارا . وخرج فى موكب عظيم ، والأمراء فى خدمته ؛ [فصار حكم مصر للأخوين[1] بيبغا روس ومنجك السلاح دار] .

وفى يوم الثلاثاء عاشره سار الأمير أرقطاى متوجها إلى حلب ، وصحبته الأمير كشلى الإدريسى متسفرا .

وكان قد رسم بنقل الأمراء المقتولين بالإسكندرية ، فنقلوا إلى القاهرة . ودفن الأمير قارى بخانكاة أخيه الأمير (١٩٩ ا) بكتمر الساقى ، قبلى القرافة . ودفن الأمير أرغون العلائى بخانكاته من القرافة . ودفن [الأمير] قوصون بخانكاته داخل باب القرافة ودفن [الأمير] بشتاك بتربة الجاولى ، فوق جبل الكبش . ودفن [الأمير] ملكتمر الحجازى فى يوم الاثنين سابع عشرى رمضان ، بموضع من قصر الزمرّد عند رحبة باب العيد من القاهرة ، أنشأته له زوجته ، ثم عملته مدرسة تعرف اليوم بالحجازية . ودُفن الملك الأشرف كجك بجامع آقسنقر من التبانة قريبا من القلعة ، بجوار قبر زوج أمه آقسنقر . وأخرج يوسف وشعبان ورمضان أولاد الناصر محمد ، ودفنوا بمواضع أخرى . وسلم الأمير تمر الموساوى لأهله ، فدفنوه بتربتهم . ونقل جماعة كثيرة سواهم ، ولم يعهد مثل ذلك فى الدولة التركية .

وفيه خلع على الشيخ علاء الدين على بن الفخر عثمان بن إبراهيم (١٩٩ ب) الماردينى ، المعروف بابن التركانى الحنفى ، واستقرّ فى قضاء القضاة الحنفية بمصر ، عوضا عن زين الدين عمر بن عبد الرحمن البسطامى .

و [فيه] رُسم بكتابة أوراق بكلف الدولة ، ووُفِّر منها مبلغ ستين ألف درهم فى كل شهر من جامكية المماليك . وقُطعت جوامك الخدم والجوارى والبيوتات ، ووُفِّر كثير من

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٨٩ ، وهى إضافة تساعد على توضيح الكثير مما يلى هنا

رواتب الدولة لزوجات السلطان وكيدا واتفاق ، وقُطعت رواتب المغاني . وقُطع من الإصطبل السلطانى جماعة ، ما بين أمير آخورية وسر آخورية وسياس وغلمان ، ووُفِّر من رواتب عليق الخيول نحو خمسين أردبا فى اليوم . وقطعت الكلابزية[1] ، وكانوا خمسين جوقة كلاب ، فاستقرّوا جوقتين . وقطعت رواتب كثير من الأسرى والمتالين والمستخدمين فى العمائر ، وأبطلوا العمائر من بيت السلطان . واستقرّ (٢٠٠ ا) مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم ثمانية عشر ألف درهم ، بعد ما كان أحدا وعشرين ألف درهم ، فتوفر منه ثلاثة آلاف[2] درهم .

و[فيه] رُسم ألا يستقرّ فى كل جهة إلا شاد وعامل وشاهد واحد .

واشتدّ الوزير منجك على أرباب الدواوين ، وتكلم فيهم حتى خافوه بأسرهم ، وقاموا له بتقادم تليق به ؛ فلم يمض شهر حتى أنس بهم ، واعتمد عليهم فى أموره كلها .

واستدعى [الوزير منجك] أيضا ولاة الأقاليم[3] ، وألزم آقبغا والى المحلة بمائة ألف درهم ؛ وولى أسندمر القلنجيقى الغربية ، ثم عزله وولى قطليجا مملوك بكتمر ؛ وولى أسندمر القاهرة ، وأضاف له الجهات يتحدث فيها .

وفيه أنعم على الأمير أرغون الكاملى بتقدمة ألف ، وأنعم بإقطاعه على يلبغا ابن أخت قوصون .

و[فيه] قدم سيف فخر الدين أياس نائب حلب على يد عمر شاه . وقد قبض [عمر شاه[4] على أياس] ، وأحضره [إلى القاهرة] ، فحمل إلى الإسكندرية .

(٢٠٠ ب) و[فيه] قدم الخبر بكثرة فساد العربان بالصعيد والفيوم ، فخرج ابن

---

(١) انظر ما سبق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ ، حاشية ١ .

(٢) أخبر المقريزى فى هذه العبارات عن أهم نواحى الصرف فى الحاشية السلطانية المملوكية .

(٣) عبارة ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٨٩) أكثر وضوحا ، ونصها : "وتحدث منجك فى جميع أقاليم مصر ومهد أمورها" ، وهى تدل على ما قام به الوزير المملوكى فى ذلك العصر .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢١٣ .

طقزدمر ومعه خمسة أمراء طبلخاناه إلى الوجه القبلى ، وخرج بكلمش أمير شكار فى عدة أمراء إلى الفيوم .

و [فيه] استقرّ طغيه فى ولاية قوص ، عوضا عن إسماعيل الواقدى[1] ، وقد فرّ بأمواله من قوص . [ثم] نقل طغيه إلى كشف الوجه القبلى ، عوضا عن علاء الدين على بن السكورانى ؛ واستقرّ ابن المزوّق[2] فى ولاية قوص . واستقرّ مجد الدين موسى المذبانى فى ولاية الأشمونين ، عوضا عن ابن الأزكشى . واستقرّ قطلومش فى ولاية الجيزة .

فتسامع الناس بولاية الوزير [منجك] الأعمال بالمال ، وأنه قد انفتح باب الأخذ والعطاء ، فهرعوا إليه من حلب ودمشق وسائر النواحى ؛ ورتب [الوزير] ببابه جماعة لاستقضاء الناس وقضاء أشغالهم .

وفى أول ذى القعدة قدم الخبر بأن الأمراء المجرّدين (٢٠١ ا) أوقعوا بالعرب ، وقتلوا منهم جماعة ، ونهبوا ما وجدوه ، فانهزم باقيهم إلى جهة الواحات .

وفيه توقفت أحوال الدولة وتحسّن السعر ، فاتفق الأمراء ورتبوا لنفقة السلطان فى كل يوم مائة درهم تكون بيده . فكان خادمه يحضر فى كل يوم إلى علم الدين [بن[3] زنبور] ناظر الخزانة ، ، وهو جالس بخزانة الخاص من القلعة ، يطالبه بمائة درهم ، فيكتب لمباشرى الخزانة بصرف جامكية السلطان وصلا[4] يأخذه صيرفى الخزانة عنده ، ويزن للخادم المائة

(١) جرى استعمال هذا اللفظ فى مصطلح عصر سلاطين المماليك للدلالة على الأفراد الذين هاجر معظمهم من بلاد المغول إلى مصر ، وافدين مستأمنين أحرارا ، لا أجلاباً مملوكين . واندمج كثير من أولئك الوافدية فى فرق المماليك السلطانية ، وفى خدمة الأمراء المماليك ، بمصر والشام ؛ ووصل بعضهم إلى أعلى مناصب الدولة المملوكية . غير أنهم ظلوا فى نظر المعاصرين أقل من المماليك الذين جاء إلى مصر عن طريق أسواق الرقيق ، لأن أولئك الوافدية لم ينشأوا نشأة مملوكية ، ولم توجد بينهم روابط الخشداشية والأستاذية التى اعترت بها طوائف المماليك فى جميع مراحل التاريخ المملوكى . انظر العرينى : الفروسية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك ، بحث غير مطبوع ، ص ٢٥ — ٣٠ ، وما بها من المراجع .

(٢) فى ف " المزوق " ، وفى ب ، ٥٧٨ ب " المزروق " ، وما هنا من المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٢١ . انظر كذلك (Wiet : Biogs. du Manhal Safi, P. 290) .

(٣) انظر ما يلى بهذه الصفحة .

(٤) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٧٥٨ ب ، " وصولا " .

[درهم] ، فيدخـل بها إلى السلطان ليتوسّع بها فيما يمنّ له . وكان هذا راتبه كل يوم ، ولم يسمع بمثل ذلك أن يكون ملك يجلس على تخت الملك ، ويصرّف الأمور بالعزل والولاية ، وتحمل إليه أموال مصر والشام ، ولا يتصرّف منها فى شىء .

وذلك أن الأمراء تحالفوا — بعد خروج الأمير أرقطاى النائب إلى حلب — أن يكونوا (٢٠١ ب) يداً واحدة وكلمتهم واحدة ، ولا يدخل بينهم غريب ، وأن يكون الأمير شيخو إليه أمر خزانة الخاص ، ويراجعه علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص ويتصرّف بأمره ، وأن يكون الأمير بيبغا روس يتحدث فى المملكة ، فيخرج الإقطاعات للأجناد والإمرات للأمراء بمصر والشام ، وإليه يرجع أمر نواب الشام أيضا ، وأنهم يجتمعون للمشورة بين يدى السلطان فيما يتجدّد ، وألا يدَعوا السلطان يتصرّف فى المال ، ولا ينعم على أحد ، ولا يمكّن من شىء يطلبه ؛ فمشت الأمور على هذا .

وفيه وقف نحو المائتين ممن كان بخدمة الأمراء للنائب [بيبغا روس] يشكون البطالة ، ففرّقوا على كل أمير مائة ثلاثة نفر ، وعلى كل أمير طبلخاناه اثنين ، وعلى كل أمير عشرة واحداً ، ومن لم يكن من الأمراء عنده إقطاع محلول يرتّب للواحد منهم مائة درهم وأردبين (٢٠٢ ا) غلة فى الشهر . فمن الأمراء من قَبِل ، ومنهم من أبى أن يقبل منهم أحدا .

وفيه تراسل المماليك الجراكسة والأمير حسين بن الناصر محمد على أن يقيموه سلطانا ، فقُبض على أربعين من الجراكسة ، وأخرجوا على الهجن مفرّقين إلى البلاد الشامية . ثم قُبض على ستة ، وضربوا قدام الإيوان بالقلعة ضربا مبرحاً ، وقُيّدوا وحُبسوا بخزانة شمايل .

ثم عملت الخدمة بالإيوان ، وتمّ[1] الاتفاق على أن الأمراء إذا انقضّوا من خدمة الإيوان دخل أمراء المشورة المقدمين إلى القصر ، دون من عداهم من بقية الأمراء ، ونفذوا الأمور

---

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٧٨ ب ، " واتفقوا " ، والتعديل يقتضيه السياق .

على اختيارهم ، من غير أن يشاركهم أحد من الأمراء فى ذلك . وكانوا إذا حضروا الخدمة بالإيوان خرج [الأمير] منكلى بغا الفخرى ، والأمير بيغرا ، والأمير بيبغا ططر ، والأمير طيبغا المجدى ، والأمير أرلان ، وسائر الأمراء ، فيمضون لحالهم (٢٠٢ ب) إلا أمراء المشورة والتدبير ، وهم [الأمير] بيبغا روس النائب و [الأمير] شيخو العُمَرى ، والوزير منجك ، و [الأمير] ألجيبغا المظفرى ، و [الأمير طاز[1] ، والأمير] طنيرق ، فإنهم يدخلون إلى القصر وينفذون أحوال الدولة بين يدى السلطان ، بمقتضى علمهم وحسب اختيارهم ؛ فتمضى الأمور على ذلك ، ولا يشاركهم أحد فى شىء من أحوال الدولة .

وفيه قدم الأمير كشلى[2] الإدريسى من حلب ، فى تاسع عشره ، بكتاب الأمير أرقطاى نائب حلب أنه قدمها فى ثانيه ؛ فكانت جملة ما أنعم به عليه من ذهب وخيل وقماش نحو مائة ألف درهم .

وفيه كُتب لنائب الشام [أرغون شاه] أن يعمل برأيه فى نيابة دمشق ، ويتحكم فى جميع الأحوال من غير مشاورة .

وفى مستهلّ ذى الحجة قدم الأمراء المجرّدون من الوجه القبلى ، وقد أثروا آثارا قبيحة من سفك الدماء ونهب الأموال بغير حقّ ، فإن أرباب (٢٠٣ ا) الجرائم فرّوا فى البرية ، فأوقعوا بأصحاب الزروع .

وفيه كتب لطغيه كاشف الوجه القبلى برمى الشعير على بلاد الأمراء والأجناد ، وجباية عشرة آلاف أردب منها بسعر عشرة دراهم الإردب ؛ فطالب [طغيه] مقطعى البلاد ، وفرّق فيهم المال ، ولم يعف أحدا .

واتفق فى هذه السنة حدوث حرّ شديد لم يعهد مثل بأرض مصر مدة أيام ، ثم أعقب الحرّ ريح من جهة برقة مرّت ببلاد البحيرة والغربية تحمل ترابا أصفر بلون الزعفران لبس

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٩٠ ، ويتضح من هذه العبارة أن أمراء المشورة صاروا ستة أمراء ، وأن تكوين المشور السلطانى تقيد بالأحوال والشخصيات ، لا بتقليد مملوكى معين .

(٢) فى ف ، وكذلك نبه ، ٥٧٨ ب " كجلى " ، وما هنا مما سبق ص ٧٤٨ .

الزرع لبسا حتى أيس الناس منه . فبعث الله مطرا مدة يوم وليلة غسلت ذلك التراب كله ، فأصبح من غد يوم المطر وقد جاء تراب أصفر أشدّ من الأول والزرع مبتلّ ، فلصق بالزروع واستمرّ عليها . وقد خاص اليأس من الزروع قلوب الناس ، وتهيّئوا الهلاك ، فتدارك الله الناس (٢٠٣ ب) بلطفه ، و بعث نداً كثيراً فى الأسحار ، فانحلّ التراب عن آخره ، ولما أدركت الغلال لحقها بعض الهيف .

وفيه قدم كثير من أهل دمشق للسعى من باب الوزير [منجك] فى المباشرات ، منهم ابن السلعوس ، وصلاح الدين بن المؤيد ، وابن الأجلّ ، وابن عبد الحقّ . فولى ابن الأجلّ نظر الشام وتوجه [إلى دمشق] ، فضربه الأمير أرغون شاه نائب الشام ضربا مؤلما ، وأخذ خلعته ، وكتب بسببه إلى مصر يغضّ منه ؛ فرسم أنّ مَن طلب وظيفة بغير كتاب نائب الشام شنق وأخذ [ماله] .

وفيه استقرّ جمال الدين محمد بن زين الدين عبد الرحيم المسلاتى فى قضاء المالكية بدمشق ، عوضا عن شرف الدين محمد بن أبى بكر بن ظافر بعد وفاته .

وفى هذه السنة استجدّ بمدينة حلب قاضٍ مالكى وقاضٍ حنبلى ، فولى قضاء المالكية بها شهاب الدين أحمد بن ياسين الرُباحى[1] ، (١٢٠٤) وولى قضاء الحنابلة بها شرف الدين أبو البركات موسى بن فياض ؛ ولم يكن بها قبل ذلك مالكى ولا حنبلى ، فاكتمل بها أربعة قضاة .

وفيها كان الغلاء بأرض مصر والشام ، حتى بيعت غرارة القمح فى دمشق بثلاثمائة درهم ؛ ثم انحط السعر .

وفيها توقّف النيل فى أوائل أيام الزيادة ، فارتفع سعر الغلال . ثم توالت الزيادة حتى كان الوفاء فى رابع جمادى الأولى ، و[هو] تاسع مسرى ؛ وانتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعا واثنين وعشرين أصبعا . ثم تناقص [النيل] نحو سبع أصابع إلى عيد الصليب ، فردّ نقصه

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ٥٧٩ ب " الرياحى " ، وما هنا من ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٢٧ — ٣٢٨ .

وزاد حتى بلغ سبعة عشر وخمس أصابع . هذا وسعر الغلة يتزايد إلى أن بلغ الأردب ستين درهما ، ثم تناقص حتى بيع بعشرين درهما .

ومات فيها من الأعيان تقى الدين أحمد بن الجمال سليمان بن محمد بن (٢٠٤ ب) هلال الدمشقى ، بها فى ليلة الجمعة سادس رجب . وقد ولى بدمشق وكالة بيت المال والحسبة وتوقيع الدست ، ثم نظر النظار ؛ وقدم القاهرة غير مرة

و[مات] الأمير آقسنقر الناصرى مقتولا ، فى يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر . وكان [السلطان] الناصر محمد قد اختص به ، وزوجه ابنته ، وجعله أمير شكار ، ثم نائب غزة . وأعيد بعده فى أيام الصالح إسماعيل إلى مصر ، وعمل أمير آخور . ثم استقر فى نيابة طرابلس مدة ، وأحضر إلى مصر فى أيام شعبان الكامل ، وعظم قدره ودبّر الدولة فى أيام المظفر حاجى حتى قتله . وكان كريما شجاعا ، وإليه ينسب جامع آقسنقر بخط التبانة قريبا من القلعة .

و[مات] الأمير بيدمر البدرى مقتولا بغزة ، فى أوائل جمادى الآخرة . وهو أحد المماليك الناصرية ، وولى نيابة حلب ، وإليه تنسب المدرسة الأيدمرية بالقاهرة (٢٠٥ ا) قريبا من المشهد الحسينى .

و[توفى] قاضى الحنفية بدمشق عماد الدين على بن محيى الدين أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم ابن عبد الصمد الطرسوسى ، عن تسع وسبعين سنة ، بعد ما ترك القضاء لولده وانقطع بداره .

و[مات] أمير على بن الأمير قراسنقر .

و[توفى] قاضى المالكية وشيخ الشيوخ بدمشق شرف الدين محمد بن أبى بكر ابن ظافر بن عبد الوهاب الهمدانى ، فى ثالث المحرم عن ثلاث وسبعين سنة .

و[توفى] الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى ، صاحب التصانيف الكثيرة فى الحديث والتاريخ وغير ذلك ، فى ثالث ذى القعدة ؛ ومولده فى ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة .

و [مات] الأمير الوزير نجم الدين محمود بن على بن شروين ، المعروف بوزير بغداد ، مقتولا بغزة فى أوائل جمادى الآخرة . قدم من بغداد إلى القاهرة ، وولى الوزارة ثلاث مرات ، فشكرت[1] سيرته ، (٢٠٥ ب) وعُرف بالمكارم . وله خانكاه بالقرافة ، بجوار تربة كافور الهندى .

و [مات] قوام الدين مسعود بن محمد بن سهل ، الكرمانى الحنفى بدمشق ، وقد جاوز الثمانين سنة ؛ وكان بارعا فى الفقه والنحو والأصول ، وله شعر .

و [مات] الأمير نجم الدين داود بن أبى بكر بن محمد بن الزيبق ، بدمشق فى سادس رجب ؛ وتنقل فى ولايات مصر والشام .

و [مات] أمير بنى عقبة بدر الدين شطى بن عبية ، ليلة [عيد] الأضحى ؛ وأنعم على ولديه أحمد ونصير بإمرته .

و [مات] الأمير طرنطاى البشمقدار ، فى شعبان .

و [مات] الأمير ملكتمر الحجازى مقتولا ، فى تاسع عشر ربيع الآخر . وكان من مماليك شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن عمر الشهر[2] زورى ، فبذل له فيه [السلطان] الناصر محمد زيادة على مائة ألف درهم ، حتى ابتاعه له منه المجد السلامى بمكة ، لما حج ابن الشهر زورى . وقدم به [المجد السلامى إلى السلطان الناصر محمد] ، فلم ير بمصر أحسن منه ولا أظرف ، فعُرف بالحجازى ، وحظى عند السلطان حتى زوجه بابنته . وكان مدمن الخمر ، مرتبه منه فى كل يوم زنة خمسين رطلا . ولم تسمع منه كلمة فحش قط ، ولا توسط بسوء أبدا ، مع سخاء النفس وعدم الشر .

ومات (٢٠٧ أ) الأمير طغيتمر النجمى الدوادار ، صاحب الخانكاه النجمية خارج باب المحروق .

و [مات] الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام قتلا ، بقاقون . وهو من المماليك

(١) فى ف " فتنكرت " ، وما هنا من ب ، ٥٧٩ ب .

(٢) فى ف " السهروردى " ، وما هنا من ب ، ٥٧٩ ب ، وابن تغرى بردى النجوم الزهرة ، ج ١٠ ، ص ١٨٤ . ويلى هذا اللفظ فى ف ٢٠٥ ب — ٢٠٦ ب وكذلك فى ب ، ٥٧٩ ب — =

الناصرية الذين شغف بهم [السلطان الناصر محمد] ، وعمر له الدار العظيمة التى موضعها الآن مدرسة السلطان حسن . وولى نيابة حلب ، ثم نيابة دمشق ، وعمر بها الجامع المعروف بجامع يلبغا بسوق الخيل ، ولم يكمله ، فكمل بعد موته . وكان كريما ، يبلغ إنعامه فى كل سنة على مماليكه مائة وعشرين فرسا وثمانين حياصة ذهب .

و [مات] إسماعيل وأولاده قتلا بالإسكندرية .

و [مات] الأمير أرغون العلائى أحد المماليك الناصرية . رقاه[1] [السلطان] الملك الناصر محمد فى خدمته ، وزوّجه أم ابنيه[2] شعبان و [إسماعيل] ، وعمله لالا أولاده . فدبّر الدولة فى أيام ربيبه الصالح إسماعيل ، وشكرت سيرته . ثم قام بدولة شعبان الكامل حتى قتل ، و إليه (٢٠٧ ب) تنسب خانكاه العلائى بالقرافة . وكان كريما ، ينعم فى السنة بمائتين وثلاثين فرسا ، ومبلغ أربعين ألف دينار ، على الأمراء وغيرهم .

وقُتل الأمير أيتمش عبد الغنى ، وتمر ، وقراجا ، وصمغار

وقُتل بقلعة الجبل الأمير شجاع الدين غرلو ، فى خامس عشر جمادى الآخرة . وكان

= ١٠٨ ا ، ترجمة طويلة لشمس الدين هذا نصها بعد تصحيحها : "ولد ببغداد فى المحرم سنة أربع وخمسين وستمائة ، وحفظ القرآن ، وتفقه للشافعى ، وشد شيئاً من العربية واللغة والمعقول ، وحفظ مقامات الحريرى ، وفاق الناس فى الخط بعد ياقوت المستعصمى ، وقيل إنه كتب قلم النسخ أحسن من ياقوت . وكتب على الشيخ زكى الدين ، وفاق عليه فى الكتابة ، واشتهر خطه بعدة بلاد . وسمع الحديث على رشيد الدين أبى عبد الله المغربى ، وعماد الدين أبى البركات بن الطبال ، وغيره . وكان حسن الأخلاق كثير الحياء ، ذا مروءة وفتوة ، وشرف نفس وتواضع ومحبة ، لطيفاً ظريفاً ، أوقاته معمورة بالأشغال والاشتغال ، صاحب رأى وحزم وتدبير وفصاحة . وبلغ فى علم الموسيقى وعمله الغاية القصوى ، واعترف له الفضلاء بالتقدم فيه ، وأخذ ذلك عن صفى الدين عبد المؤمن ، واتفقوا على أن لم يأت بعده مثله . واشتهرت تصانيفه فى هذا الفن شرقاً وغرباً . وكتب بخطه ثمانية وسبعين مصحفا ، منه خمس ربعات كل ربعة وقر بعير ؛ وكتب من كتب العلم كثيراً . وحظى عند السلاطين ، وكتب عليه السلطان أبو سعيد وخلائق ، وقصد من الأقطار لأجل الخط والموسيقى . وله شعر جيد ، ولم يتزوج قط ، ومات ببغداد فى أواخر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ودفن عند جده ولم يخلف بعده مثله فى الخط وعلم الموسيقى " ويلاحظ أن صاحب هذه الترجمة الطويلة لم يرد ذكره فى وفيات ٧٤١ هـ فى موضعه فيما سبق هنا .

(١) فى ف " رباه " ، وما هنا من ب ، ١٠٨ ا

(٢) فى ف " ابنه " ، وما هنا من ب ١٠٨ ا ، ومنه كذلك ما بين الحاصرتين انظر كذلك ما سبق ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ١٨٥

من أرمن قلعة الروم ، ويدعى أنه جركسى الجنس . وقدم مصر ، وخدم فى جملة أو جاقية الأمير بهادر المغربى ، وصار بعده أوجاقيا عند الأمير بكتمر الساقى ، ثم عمله أمير آخور حتى مات [بكتمر] . ثم خدم الأمير بشتاك ، ثم تنكّر عليه [بشتاك] ، وضربه لتحامقه ، وأخرجه . فولى ولاية أشموت ، ثم استقرّ فى ولاية القاهرة ، وانتقل إلى وظيفة شاد الدواوين ، وأحدث مظالم كثيرة . وجمع الجراكسة على المظفر حاجى ، لأنهم من جنسه ، وعظم فى الدولة المظفرية حتى قتل كما تقدم .

وقَتَل [السلطان المظفر حاجى] فى مدة أربعين (٢٠٨ ا) يوما أحدا وثلاثين أميرا ، منهم أحد عشر أمراء ألوف .

وقُتل متملك تونس أبو حفص عمر بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ، فى جمادى الآخرة ؛ فكانت مدته نحوا من أحد عشر شهرا . وكان قد بويع أخوه العباس أحمد ، فى تاسع رمضان سنة سبع وأربعين ، ثم قُتل بعد سبعة أيام .

و [مات] الشيخ حسن بن النوين أرتنا ملك الروم ، فى شوال .

* * *

سنة تسع وأربعين وسبعمائة : أهلت بيوم الثلاثاء ، وهو الخامس من برمودة ، والشمس فى الدرجة التاسعة عشر من برج الحمل ، أول برج فصل الربيع .

[فى يوم الثلاثاء] أول المحرم قدم الخبر بقتل إسماعيل الوافدى والى قوص ، بعد فراره منها . وقد جمع عليه عدة من الوافدية يريد تملك بلاد السودان ، فحاربوه وقتلوه ومن معه بأسرهم ، وأخذوا منهم مالا كبيرا .

وفيه خلع على الأمير علاء الدين (٢٠٨ ب) على بن السكورانى ، واستقرّ فى ولاية القاهرة ، عوضا عن أسندمر القلنجقى بعد موته . وأخرج [ابن السكورانى] من السجن أربعين [مسجونا] ، وفعل بهم من القتل والقطع ما توجبه جرائمهم شرعا .

وفيه قبض على الشيخ على السكسيح نديم المظفر حاجى ، وضرب بالمقارع

والكسارات[١] ضربا عظيما ، وقلعت أضراسه وأسنانه شيئاً بعد شيء في عدة أيام ، ونُوِّع له العذاب أنواعا حتى هلك . وكان شنع المنظر ، له حدبة في ظهره وحدبة في صدره ، كسيحا لا يستطيع القيام ، وإنما يُحمل على ظهر غلامه . وكان يلوذ بألجيبغا[٢] المظفرى وهو مملوك ، فعرّف به ألجيبغا الملك المظفر [حاجي] ، فصار يضحكه وصار المظفر يخرج حرمه عليه ، ويعاقره الشراب ، فتهبه الحظايا شيئاً كثيرا . ثم زوجه [المظفر حاجي] بإحدى حظاياه ، وصار يسأله عن الناس ، فينقل له أخبارهم على ما يريد ، وداخله في قضاء الأشغال خدمة الأمراء وغيرهم خشية لسانه ، وصانعوه بالمال (١٢٠٩ ا) حتى كثرت أمواله ، بحيث أنه إذا دخل خزانة الخاص لا بد أن يعطيه ناظر الخزانة منها شيئاً له قدر ، ويدخل عليه [ناظر الخاص] حتى يقبله منه . وإذا دخل إلى النائب أرقطاى استعاذ من شره ، ثم قام له وترحب به ، وسقاه مشروبا ، وقضى شغله الذي جاء بسببه ، وأعطاه ألف درهم من يده ، واعتذر إليه ، فيقول للنائب : "هذا أنا أدخل على ابن السلطان ، فأعرفه إحسانك" . فلما زالت دولة المظفر [حاجي] غنى به ألجيبغا ، إلى أن شكاه عبد العزيز العجمى — أحد أصحاب الأمير قرا سنقر — على مال أخذه منه لما قبض عليه غرلو بعد قتل قرا سنقر حتى خلصه منه . فتذكره[٣] أهل الدولة ، وسلموه إلى الوالى فعاقبه ، واشتد عليه الوزير منجك حتى أهلكه .

وفيه رجمت العامة ابن الأطروش المحتسب . وسببه أن السعر لما تحسّن بلغ الخبز ستة أرطال وسبعة أرطال بدرهم ؛ (٢٠٩ ب) فعمل بعض الخبازين خبزا ، ونادى عليه ثمانية أرطال بدرهم ، فطلبه المحتسب وضربه ، فثارت العامة به ، ورجموا بابه حتى ركب الوالى وضرب منهم جماعه .

وفيه توحّش ما بين الأمير شيخو والأمير بيبغا روس نائب السلطان . وسببه أن نفقة

---

(١) الكسارات من أدوات التعذيب ، كما هو واضح من اللفظ ، غير أن المراجع المتداولة في هذه الحواشي لا تعرف هذه الكسارات بأكثر من هذا الوصف العام . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) في ف " وكان يلوذ بالجيبغا المظفرى وكان يضحك منه وتخرج حرمه عليه ... " ، وما هنا من ب ، ٥٨ ب ، وأبن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٩١) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين بسائر العبارة .

(٣) في ف " فذله " ، وما هنا من ب ، ١٥٨ .

السلطان المائة درهم دخلت إليه على العادة ، فطلب منه أحد المماليك ثلاثمائة درهم ، فبعث إلى الأمير شيخو يطالب منه ذلك ، فقال لقاصده : " أيش تعمل بالدراهم ؟ وأيش له حاجة بها ؟ وما ثم هذا الوقت شيء " . فعزّ عليه ذلك لما بلغه ، وأرسل يطلب هذا المبلغ من النائب [بيبغا روس] ، فبعث إليه ثلاثة آلاف درهم . فقامت قيامة شيخو ، وأقام أياما لا يحدّث النائب [بيبغا روس] ، حتى دخل بينهما الوزير [منجك] ، وسأل عن سبب الغضب على النائب . فقال له شيخو : " أنا ما كان عندى دراهم أسيرها للسلطان ! (٢١٠ ا) لكن حفظت ما اتفقنا عليه ، فعمل النائب وجهه أبيض عند السلطان ، وسوّد وجهي " ؛ فما زال به [الوزير منجك] حتى رضى .

وفيه قدم الخبر بوقوع الحرب بين سيف بن فضل وعمر بن موسى بن مهنا ، أسر فيها سيف ، وقتل أخوه وجماعة من أصحابه ...

وفيه توقف أمر الدولة على الوزير [منجك] ، فقطع ستين من السوّاقين[1] ، ووفر لحومهم ومعلوماتهم وكسوتهم وعليقهم ؛ وقطع كثيراً من الركابين والنجابة ؛ وقطع كثيراً من المباشرين ، حتى وفر فى كل يوم أحد عشر ألف درهم . وفتح [ابن منجك] باب المقايضات بالأخباز والنزولات عنها ، وأخذ من ذلك مالا كثيراً ، وحكم على أخيه الأمير بيبغا روس النائب بتمشية هذا ، فاشترى الإقطاعات كثير من العامة .

و[فيه] قدم الخبر من طرابلس بأن قبرص وقع بها فناء عظيم ، هلك فيه خلق[2] كثير .

و[فيه] مات ثلاثة ملوك[3] فى شهر واحد ، وأن جماعة (٢١٠ ب) منهم ركبوا البحر إلى بعض الجزائر[4] ، فهلكوا عن آخرهم .

---

(١) السواقون جمع السواق ، وهو الشخص المكلف بإدارة ساقية الماء فى جامع من الجوامع ، أو غيره . انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٠٤٧ .

(٢) هذا أول أخبار الطاعون الذى امتد من أقصى الشرق إلى أوربا عبر الطرق التجارية المارة بغرب آسيا والشام وآسيا الصغرى ومصر ، وأطلقت المراجع الأوربية على هذا الطاعون اسم (Black Death) أى الوباء الأسود ، وحقت عليه هذه التسمية ، أو ما هو أشنع منها ، لشدة ما أحدثه من المرض والفناء ، فى مصر وغيرها من بلاد الشرق الأوسط . انظر مايلى .

(٣ ، ٤) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٨٢ ب ، ولم يستطع الناشر أن يجد لهذه الفقرة مادة توضيحية من المراجع المتداولة بهذه الحواشى .

وفى رابع عشريه قدم الحاج .

وفى خامس عشريه قبض على الطواشى عنبر السحرتى مقدم المماليك فى الدولة المظفرية ؛ وكان قد أخرج إلى القدس ، وحج منه بغير إذن ، وقدم القاهرة . فأنكر عليه حجّه بغير إذن ، وأخذت أمواله ؛ ثم أخرج إلى القدس .

وفى يوم الاثنين ثالث ربيع الأول عزل الأمير منجك من الوزارة . وسبب ذلك أن علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص قدم من الإسكندرية بالحمل على العادة ، فوقع الاتفاق على تفرقته فى الأمراء ، فحمل إلى [الأمير بيبغا روس] النائب منه ثلاثة آلاف دينار ، وإلى الأمير شيخو ثلاثة آلاف دينار ، ولجماعة من الأمراء كل واحد ألف دينار ، ولجماعة [أخرى] منهم كل أمير ألف دينار (٢١١ ا) . فامتنع شيخو من الأخذ ، وقال : " أنا ما يحلّ لى أن آخذ من هذا شيئاً " . وقدم أيضاً حمل قطيا وهو [مبلغ] سبعين ألف درهم ، وكانت قطيا قد أرصدت لنفقة المماليك . فأخذ الوزير منجك من الحمل أربعين ألف ، وزعم أنها كانت قرضاً له فى نفقة المماليك . فوقف المماليك إلى الأمير شيخو ، وشكوا الوزير بسببها . فحدّث [الأمير شيخو] الوزير فى الخدمة ليردّها ، فلم يفعل ، وأخذ فى الحطّ على ابن زنبور ناظر الخاص ، وأنه يأكل المال جميعه ، وطلب إضافة نظر الخاص له مع الوزارة والأستدارية . وألحّ [منجك] فى ذلك عدّة أيام ، فمنعه شيخو من ذلك ، وشدّ من [أزر] ابن زنبور ، وقام بالمحاققة عنه ، حتى غضب [منجك] بحضرة الأمراء فى الخدمة . فمنع [الأمير بيبغا روس] النائب [الوزير] منجك من التحدّث فى الخاص ، وانفضّ الجمع ، وقد تنكّر كل منهما على الآخر . فكثرت القالة بالركوب (٢١١ ب) على النائب ومنجك حتى بلغهما ذلك ، فطلب النائب الإعفاء من النيابة ، وإخراج أخيه منجك من الوزارة ، وأبدأ وأعاد حتى طال الكلام . ووقع الاتفاق على عزل منجك من الوزارة ، واستقراره أستاداراً وشاداً على عمل الجسور فى النيل .

و [فيه] طلب الأمير أسندمر العمرى المعروف برسلان بصل من كشف الجسور ، ليتولى الوزارة . فخلع عليه فى يوم الاثنين رابع عشريه خلعة الوزارة ، وخرج إلى قاعة الصاحب ، وجلس والموفق ناظر الدولة والمستوفون ، وطلب جميع المشدّين وأرباب الوظائف .

وفيه أخرج الأمير أحمد شاد الشرابخاناه إلى نيابة صفد . وسبب ذلك أنه كان قد كبر فى نفسه ، وقام مع المماليك على المظفر حتى قتل . ثم أخذ فى تحريك الفتنة ، واتفق مع ألجيبغا وطنيرق على (٢١٢ ا) الركوب . فبلغ [الأمير بيبغاروس] النائب الخبر ، فطلب الإعفاء [من النيابة[1]] وذكر ما بلغه ، ورمى أحمد [شاد الشرابخاناه] بأنه صاحب فتن ، ولا بدّ من إخراجه من بينهم ؛ فطلب أحمد وخلع عليه ، وأخرج من يومه .

وفى يوم الثلاثاء خامس عشريه اجتمع القضاة الأربعة والفقهاء وكثير من الأمراء بالجامع الحاكمى ، وقرأوا القرآن ودعوا الله . ثم اجتمعوا ثانياً فى عصر النهار ، فبعث الله مطراً كثيراً .

وفى يوم الأربعاء سادس عشريه أنعم على الأمير منجك بتقدمة أحمد شاد الشرابخاناه .

وفى يوم الخميس سابع عشريه امتنع النائب من الركوب فى الموكب ، وأجاب بأنه ترك النيابة . فطلب إلى الخدمة ، وسئل عن سبب تغيره ، فذكر أن الأمراء المظفرية تريد إثارة الفتنة ، وتبيت خيولهم فى كل ليلة مشدودة ، وقد اتفقوا على مسكه ، وأشار لألجيبغا (٢١٢ ب) وطنيرق . فأنكرا ما ذكر عنهما ، فحاققهما الأمير أرغون الكاملى أن ألجيبغا واعده بالأمس على الركوب فى الغد إلى الموكب ، ومَسْكِ [بيبغا روس] النائب و [الوزير] منجك . فعوتب [ألجيبغا] على هذا ، فاعتذر بعذر لم يقبل منه ، وظهر صدق ما رُمى به ؛ فخلع عليه بنيابة طرابلس ، وعلى طنيرق بإمرة فى دمشق ، وأخرجا من يومهما . فقام فى حق طنيرق صهره[2] الأمير طشتمر طلليه حتى أعفى من السفر ؛ وتوجه ألجيبغا لطرابلس ، فى ثانى ربيع الآخر بعد ما أمهل أياماً ؛ فأقام الأمراء على حذر وقلق مدة أيام .

وكان ماء النيل قد نشف فيما بين برّ مدينة مصر ومنشأة المهرانى إلى زربية قوصون وفم الخور ، وفيما بين الروضة والجزيرة الوسطى ؛ وصار فى أيام احتراق النيل رمالا . وكان قد ركب فى الأيام الماضية جماعة من الأمراء والمهندسين (٢١٣ ا) ورؤساء المراكب للكشف عن ذلك ، وقاسوا ما بين الجيزة والمقياس ليعملوه جسراً . فقال الريس يوسف :

---

(١) انظر ما سبق بالصفحة السابقة .

(٢) فى ف " وصهره " ، وما هنا من ب ، ٥٨٢ ب .

" ما يستدّ هذا البحر أبداً ، ومتى ما سدّيتوه مَالَ على الجيزة وأخربها " ورأى الأمير طقزدمر النائب أن عمل هـذا الجسر يدفع قوة الماء إلى برّ مصر و بولاق ، ويخرب ما هناك من الأملاك . فقام الأمير ملكتمر الحجازى فى شكر رجل عنده قد تكفل بسدّ ذلك ، وقام الأمير طغيتمر النجمى بشكر رجل آخر . فرُسم بإحضار الرجلين ، ونزل النائب والوزير لعمل ذلك ، وهما معهما . فاستدعى صاحب الحجازى بالأخشاب والصوارى الكبار والحلفاء ، وطلب مراكب لتملأ بالحجارة حتى يغرقها من جهة المقياس ويعمله سدًّا ، ثم يرجع إلى السدّ الثانى فيسدّه بالتراب ؛ وطلب الأبقار والجراريف . فخالفه (٢١٣ ب) الآخر صاحب طغيتمر ، وقال بل يسدّ من بستان الذهبى إلى رأس الجزيرة ، والتزم أنه لا يصرف عليه سوى أربعة آلاف[1] درهم . فسخر منه جميع من حضر ، وسأله النائب كيف يكون هذا ، فذكر أنه يسدّه بالحلفاء والخوص فعادوا إلى السلطان [المظفر حاجى[2]] ، فالتزم له أن يسدّ الجسر بما تقدّم ذكره ، على أن يعطيه إقطاعاً ، ويرتّب له لحماً وعليقاً ، وإن لم يسدّه شنقه السلطان .

فرسم للأمير أسندمر الكاشف وشاد العمائر بالوقوف معه فى العمل ، فاستدعى [الرجل] بأخشاب وحلفاء وخوازيق ، وطلب الرجال ، وابتدأ العمل من موضع قليل الماء تجاه بستان الذهبى ، ورمى فيه التراب والحلفاء ودكّه بالرمال[3] مدة أسبوع . وكلما سدّ موضعاً بالنهار قطعه الماء بالليل وعاد كما كان ؛ فظهر جهله ، وقصد السلطان تأديبه حتى شفع فيه النائب .

فقام صاحب (٢١٤ ا) الحجازى بالعمل ، وكتب تقدير ما يحتاج إليه من صوارى

(١) هذه مناقشة فى بعض وسائل ضبط مجرى النيل فيما سبق زمن السلطان المظفر حاجى (انظر ما يلى بالصفحة التالية) ، وهذه المناقشة من باب التمهيد هنا للأعمال الهندسية المشابهة زمن السلطان حسن .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين مما يلى للتوضيح .

(٣) فى ف ، وكذلك ب ، ٤٨٥ ا ، " بالرمال " .

وأخشاب وغيرها مائة وخمسين ألف درهم ، وذلك عن ثمن خمسمائة صارى ، وألف حسنية[١] ، وألف حجر عرض ذراعين فى مثلها ، وخمسة آلاف شنف[٢] ، وغير ذلك . فرسم بجباية ذلك من الأملاك التى على شاطىء النيل من رأس الخليج إلى آخر بولاق ، فاستخرج منها نحو سبعين ألف [درهم] ؛ وكان من انتقاض الدولة المظفرية ما كان .

فلما كان فى سنة تسع وأربعين هذه وقع الكلام فى ذلك ، فأراد الأمير شيخو أن يكون عمله على الأمراء والأجناد وفلاحى البلاد ، فلم يوافقه الأمير منجك ، واحتج بقرب زيادة النيل ، وأن الغلات قد تعطل حملها فى النيل من النواحى لقلة الماء فى مواضع الحمل ؛ والتزم بعمله من غير أن يسخر فيه أحداً . فركب الأمير بيبغا روس النائب والأمير شيخو (٢١٤ ب) والأمير منجك وعامة الأمراء إلى الجزيرة ، وقاسوا منها إلى المقياس ، ليعمل هناك جسر . فذكرت البحارة أن هذا الموضع لا يمكن سده لكثرة كلفه ، وأنهم إن سدوه أضر ببلاد الجيزة ، وقوى الماء على جهة مصر ، وأضر وأتلف ما على النيل من الدور . فسفه الأمير منجك رأيهم[٣] ، ورد قولهم ، والتزم للأمراء بسده . فعادوا وقدروا مصروفه على الأمراء والأجناد والكتاب وأصحاب الأملاك ، وسائر الناس ؛ وكتبت أوراق من ديوان الجيش بأسماء الأجناد والأمراء وعبر إقطاعاتهم . وفرض على كل مائة دينار درهم واحد ، وفرض على كل أمير من أمراء الألوف ما بين أربعة آلاف درهم إلى خمسة آلاف درهم ، وفرض على بقية الأمراء الطبلخاناه والعشرات بحسبهم . ورسم أن يؤخذ من كل كاتب أمير مقدم (٢١٥ ا) مبلغ مائتى درهم ، ومن كل كاتب أمير طبلخاناه مائة درهم . وفرض على كل حانوت من حوانيت التجار والباعة درهم ، وعلى كل دار بالقاهرة ومصر وظواهرهما

---

(١) ذكر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) أن الحسنية نوع من البلح ، ويبدو مما هنا أن استعمال هذا اللفظ يمتد إلى الدلالة على خشب النخل المشهور بذلك النوع من البلح ، إذ الواضح من سياق العبارة أن الحسنية نوع من الخشب الطويل .

(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٨٤ ب " شنيف " ، وما هنا من (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، حيث ورد أن الشنف نوع من الشباك يصنع أكياساً لحمل القش أو التبن .

(٣) فى ف " قولهم " ، وما هنا من ب ، ٥٨٤ ب .

درهمان ، وعلى كل بستان عشرة دراهم الفدان ، وبعضها أخذ منه عن كل فدان عشرون درهما ، وعلى كل حجر من حجارة الطواحين خمسة دراهم . وجُبِى[1] من كل صهريج ماء بتربة أو مدرسة ما بين عشرة دراهم إلى خمسة دراهم ، ومن كل تربة ما بين ثلاثة دراهم إلى درهمين[2] . وصُقِعت الأملاك التي استجدّت من الدور والبساتين وغيرها ، فيما بين بولاق إلى كوم الريش ومنية السيرج ، والأحكار التي عمرت على الخليج الناصرى ، وبركة الطوابين المعروفة ببركة الرطلى ، وقنطرة الحاجب وأرض الطبالة ، وجامع حكر أخى صاروجا . وقيست كلها (٢١٠ ب) وأخذ عن كل ذراع خمسة عشر درهما[3] ؛ وأخذ من أقنة الطوابين والفواخير . وطُلِب مباشرو أوقاف الشافعى وأوقاف المدارس الصالحية والظاهرية والمارستان وسائر الأوقاف ، وألزموا بمال . وكُتِبَ بطلب الرهبان[4] من الديارات بالأعمال ، وقُرِّر على كل منهم ما بين المائتى درهم إلى المائة درهم ، وأن يؤخذ عن كل نخلة ببلاد الصعيد درهم . وَجُبِى من المتعيشين فى القاهرة ومصر ما بين درهم كل واحد إلى عشرة دراهم ، ومن كل قاعة ثلاثة دراهم ، ومن كل طبقة درهمان ، ومن كل مخزن أو إصطبل درهم ، ومن كل فندق وخان بحسبه . وقُرِّر على ضامنة المغانى خمسة آلاف درهم .

وعُمِل موضع المستخرج[5] من الناس خان مسرور بالقاهرة ، وشاد المستخرج الأمير تلك . وعمل لكل جهة من هذه الجهات شادّ وكاتب ، وعدة أعوان (٢١٦ ا) من الرسل وصيرفى .

فارتجت [أحوال] المدينتين وأعمالها ، وبطلت الأسباب لسعى الناس فيما عليهم . وتسلطت العرفاء والضمان وأصحاب الرباع والرسل على كل أحد ، فلم يبق رجل ولا امرأة

---

(١) فى ف " وجبى " ، وما هنا من ب ، ٥٨٤ ب .

(٢) فى ف " خمسة ودراهم " ، وما هنا من ب ، ٥٨٤ ب .

(٣) فى ف " على " ، وما هنا من ب ، ٥٨٤ ب .

(٤) فى ف " الرهان " ، وما هنا من ب ، ٥٨٥ ا .

(٥) يبدو أن المقصود بلفظ المستخرج هنا ما سوف تستخرجه الحكومة من الأموال ، لأعمال ضبط النيل ، وأن شاد المستخرج كما يتضح من المتن وظيفة طارئة .

حتى جبوا منه . وكان الواحد منهم يغرم الرقاص[(١)] والصيرفى والشاد ، ويعطى أجرة الشهود الذين يشهدون عليه أنه قام بما عليه .

وشرع منجك فى جمع الأصناف المحتاج إليها ، وضرب له خاما على جانب النيل بالروضة . ونودى فى الناس من أراد العمل فله درهم ونصف ، وثلاثة أرغفة خبز[(٢)] ؛ فاجتمع له خلائق ، وعمل لهم موضعا يستظلون فيه من حر الشمس ؛ ورفق [منجك] بهم فى العمل . وأقام [منجك] عدة من الحجارين لقطع الحجارة من الجبل ، ونقلها إلى الساحل ، وحملها فى المراكب لبر الجيزة ، لعمل جسر من الجيزة إلى المقياس . ورتب [منجك] عمل جسر آخر من (٢١٦ ب) الروضة إلى الجزيرة الوسطى ، وأقام الأخشاب بجانبى كل جسر منهما ، وردم التراب والحجارة فى وسطه مع الحلفاء ، ورتب جمال السلطان لقطع الطين من بر الروضة ورميه بوسط الجسر ؛ وأقام على كل جهة شادين ومستحثين .

وأقام [منجك] الصارم شاد العمائر على العمل ، ورسم ألا يتأخر عنه صانع ، وألزم تجار مصر وغيرهم بنقل التراب إلى الجسر ؛ فكان الرجل منهم يغرم فى نقل التراب ما بين الخمسمائة إلى الألف درهم ؛ ورميت عشر مراكب مملوءة حجارة فى وسط جسر المقياس . ولم يزل العمل مدة أربعة أشهر ، أولها مستهل المحرم وآخرها سلخ ربيع الآخر .

وكان [منجك] قد حفر أيضا خليجا تحت الدور من موردة الحلفاء إلى بولاق ، فلما زاد النيل جرى الماء فيه ، ودخلته المراكب الصغار . ففرح الناس به ، وسروا (٢١٧ أ) سرورا زائدا ، ونسوا ما نزل بهم من الغرامة والمشقة .

غير[(٣)] أن الشناعة قامت على منجك ، لكثرة ما جبى من الأموال العظيمة ، حتى أراد [بيبغا روس] النائب منعه من ذلك ، فلم يقبل منه ؛ ولم يتم من العمل سوى ثلثيه . وقويت الزيادة ، فبطل العمل .

---

(١) انظر ما سبق ، ص ٧٠٦ ، حاشية ٢ .

(٢) هنا إشارة لأجرة العامل ، فى أوقات الحاجة الشديدة للعمال فى مصر ، زمن سلاطين المماليك .

(٣) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٨٠ ب " إلا " .

وكان القاع فى هذه السنة أربعة أذرع ؛ ونودى فى أول الزيادة بأصبعين ، ثم بعشر أصابع ، ثم بخمسة عشر أصبعا ، ثم بثمان ، ثم بعشرين . ولم تزل الزيادة تقوى حتى غرقت المقاثى ، والتقى البحر برأس[(1)] الخليج الذى استجد ، وجرى فيه الماء . ثم علا الماء على الجسر ، وكاد يقطعه .

فركب منجك ومعه والى الجيزة وخلائق من العامة والأمراء ، وزدمه بالتراب ، فاندفع الماء إلى جهة الميدان وزربية قوصون . فكان قياس جسر الجزيرة الوسطى مائتى[(2)] قصبة ، فى عرض ثمانى قصبات ، وارتفاع أربع قصبات ، وطول جسر المقياس (٢١٧ ب) مائتين وثلاثين قصبة ، وعدة مارمى فيه من المراكب الحجر اثنا عشر ألف مركب ، سوى التراب والطين ؛ وغرم عليه ما لا يمكن حصره . ويقال إنه جُبى من الناس بسببه زيادة على ثلاثمائة ألف دينار ، فإن الرجل كان يُفرض عليه درهمان ، فيغرم فيما تقدم ذكره عشرة دراهم .

وفى يوم الاثنين خامس عشر ربيع الآخر أعيد الأمير منجك إلى الوزارة ، باستعفاء أسندمر العمرى ، لتوقف أحوال الدولة .

وفيه أخرج من الأمراء المظفرية لاجين العلائى ، وطيبغا المظفرى ، ومنكلى بغا المظفرى ؛ وفرقوا ببلاد الشام .

و[فيه] قدم من جهة اولاد جوبان قاصد بمال لعمارة عين جوبان بمكة ، وإجراء الماء إليها وقد انقطع . فلم توافق الأمراء على ذلك ، وعينوا الأمير فارس الدين قريب آل ملك لعمارتها ، صحبة الرجبية . ورسم لقاضى القضاة (٢١٨ ا) عز الدين [بن جماعة] بالإنفاق عليها من مال الحرمين ، فأخذ فى الاهتمام للسفر .

وفيه خلع على أيتمش الناصرى الحاجب ، واستقر أمير جندار .

---

(١) فى ف " برا من " ، وما هنا من ب ، ٨٥ ب .

(٢) فى ف " ما بين " ، وما هنا من ب ، ٨٥ ب .

و [فيه] خلع على الأمير جركتمر ، واستقرّ نائب الكرك ، بعد وفاة تمربغا العقيلى .

و [فيه] قدمت هدية [الأمير] أرغون [شاه] نائب الشام وقوده ٩ بزيادة عما جرت به العادة ، وهى مائة وأربعون فرساً بعبى تدمرية ، فوقها أجلة[1] أطلس ، ومقاود سلاسلها فضة ، ولواوين[2] بحلق فضة ، وأربعة قطر هجن سلاسل مقاودها الحرير من فضة وذهب ، وأكوارها[3] مغشاة بذهب ، وأربعة كنافيش[4] ذهب عليها ألقاب السلطان ، وتعابى قماش مفتخر . ولم يدع الأمير [أرغون شاه نائب الشام] أحداً من الأمراء المقدمين ، ولا من أرباب الوظائف حتى الفرّاش ومقدم الإسطبل ، ومقدّم الطبلخاناه والطباخ ، حتى بعث إليهم هدية . فخلع على (٢١٨ ب) مملوكه عدّة خلع ، وكُتب إليه بزيادة على إقطاعه ، ورسم له بتفويض حكم الشام إليه ، يعزل ويولى بحسب اختياره .

وفيه خلع على صدر الدين الكازاتى بمشيخة الشيوخ بخانكاه سرياقوس ، عوضاً عن الركن الملطى . وكان هذا الرجل قد ورد إلى مصر ، وأقام بها لا يؤبه له حتى كانت نيابة بيبغا روس ووزارة منجك ، فتردّد إليهما ، وأظهر التزهد ومعرفة العلم ، وصنف كتاباً على مذهب الحنفية بالتركى ، وقدّمه لهما ، فراج به عندهما ؛ وكان قد تحرك للحنفية حظ[5] منذ أعوام . ثم سألهما [صدر الدين هذا] فى مشيخة الشيوخ ، فجمع [بيبغا روس النائب] الشيخ شمس الدين محمد الإصفهانى وعامة صوفية الخوانك ومشايخها بجامع القلعة ، وعرّفهما الأمير قبلاى الحاجب عن [الأمير بيبغا روس] النائب أن الركن الملطى له منذ غاب سبع سنين ، وقد ثبتت عنده وفاته ، وعين عوضه الكازاتى ؛ فأنكروا (٢١٩ ا) بأجمعهم ولايته ، ووضعوا منه . فشقّ ذلك على [الأمير بيبغا روس] النائب ، ورسم بحضورهم

(١) هذا اللفظ جمع جل ، وهو مايغطى به ظهر الفرس ، قبل وضع السرج والبرذعة . (محيط المحيط) .

(٢) شرح (Dozy : Supp. Dict. Ar.) هذا اللفظ بأنه جمع ليوان ، وأصله إيوان ، وهو مقدم الجام . انظر (Lane : Modern Egyptians, pp. 17, 110) .

(٣) هذا اللفظ جمع كور ، وهو رحل الجمل . (محيط المحيط) .

(٤) كنافيش لفظ عامى مفرده كنفوش ، وهو تحريف كنبوش ، ومعناه البرذعة تجعل تحت سرج الفرس . انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٥٢ ، حاشية ٢ .

(٥) فى ف " خط " ، وما هنا من ب ، ٨٦ ا .

بعد النصر فى الخدمة . فلما حضروا خلع [بيبغا روس] على الكازانى ، فلم يتكلم أحد منهم ، فنزل وهم معه .

وفيه أنعم على خليل بن قوصون بإمرة طبلخاناه ، وعلى ابن الجدى [بإمرة طبلخاناه أيضاً] .

وفى جمادى الأولى ركب السلطان إلى الميدان على العادة ، ثم خرج إلى ناحية سرياقوس فى أول جمادى [الأولى] ، وأقام بها أياماً . فكثر تبسط الشرّاقوة على الناس ، فوكل بهم الوزير منجك عرب بنى صبرة بإقطاعات ، وندبهم إلى كوبى فى الليل ودرك تلك الأراضى .

وفى مستهل رجب جهز لعمارة عين جوبان من مال الحرمين مبلغ مائتى ألف درهم .

و [فيه] قدم الخبر بوقعة كانت بين الشيخ حسن وأولاد دمرداش ، [انتصر فيها أولاد[1] دمرداش] ، وقتلوا كثيراً من عسكر الشيخ حسن .

وفيه قدم أحمد بن مهنا ، فخلع (٢١٩ ب) عليه ، واستقر فى إمرة العرب ، وتوجه إلى بلاده وهو مريض .

وفيه أنعم على الأمير أسندمر العمرى بإمرة كوكاى المنصورى ، بعد موته ؛ وأنعم بإمرة أسندمر على الأمير توروز .

و [فيه] أخرجت ناحية بوصير عن الوزير منجك ، وعوّض عنها ناحية برما ، وهى مثلا[2] بوصير .

وفيه أوقعت الحوطة على بقية موجود عنبر السحرتى ، بعد موته .

وفيه ولى الوزير [مازان][3] الغربية ، وولى ابن سلمان منوف عوضا عن مازان ، وولى صلاح الدين بن الستانى البهنساوية ؛ وكان جملة ما أخذ من المذكورين ستة آلاف دينار .

---

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٦٨٦ ا ، فقط .

(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٨٩ ب « مثل » .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٨٦ ب فقط .

وفيه سار ركب الحجاج الرجبية على العادة .

وفيه أنعم على ابن الوزير منجك بإمرة مائة .

وفيه وُفِّرَ إقطاع الأمير قشتمر شاد الدواوين ، وأقطع المماليك ، وأنعم عليه بإقطاع الأمير جركتمر .

وفيه وُفِّرت جوامك (٢٢٠ أ) جماعة ورواتبهم .

[وفيه] قصد عدة من أطراف الناس باب الوزير للسعى فى الوظائف بمال ، فلم يردّ أحداً ؛ وكثر طعن الأمراء فيه بسبب ذلك .

وفيهما توجه الأمير طاز لسرحة البحيرة ، وأنعم عليه بألف عليقة .

و[فيه] توجه [بيبغا روس] النائب إلى العباسة ، ثم توجه إلى الإسكندرية ؛ فأنعم عليه من مالها بستة آلاف دينار ، وأتته تقادم جليلة .

وفى هذه الأيام كثر سقوط الدور التى على النيل ، وذلك أن ماء النيل كثرت زيادته فى ابتداء أوانها حتى غرقت المقاثى كما تقدم ذكره ، إلى أن كان الوفاء فى يوم الجمعة أول جمادى الأولى ، و[هو] ثامن مسرى . ثم ولّت زيادته ، وتوقف أياما ؛ ثم نقص إلى يوم عيد الصليب خمس أصابع ، فقلق الناس قلقاً زائداً . فمنّ الله بزيادته حتى ردّ ما نقصه ، وثبت على سبعة عشر ذراعا وثمانى عشرة أصبعا . فشمل (٢٢٠ ب) الرى البلاد ، وانحطّ سعر الغلال .

فلما أخذ ماء النيل فى الهبوط تساقطت الدور المجاورة الماء شيئاً بعد شىء ، ثم سقط أحد عشر بيتاً بناحية بولاق دفعة واحدة من شدة القلقيلة[1] ، فإن الماء لما عُمل الجسر الذى تقدّم ذكره اندفع على ناحية بولاق ، وقوى هناك حتى سقطت الدور [المذكورة] ، وسقط ما خلفها ، وذهب فيها مال كبير للناس فى الغرق ونهب الأوباش . ثم خرب ربع السناق[2] ، وقطعة من ربع الخطيرى ، وعدة دور .

---

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ٥٨٦ ب ، ولعل المعنى المقصود بهذا اللفظ هو الحركة المؤدية للسقوط ؛ انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) كذا فى ف ، وهو فى ب ٥٨٦ ب " السنانى " .

و [وفيه] كثرت الأخبار[1] بوقوع الوباء فى عامة أرض مصر ، وتحسين جميع الأسعار ، وكثرة أمراض الناس بالقاهرة ومصر ؛ فخرج السلطان والأمراء إلى سرياقوس . فكثر الوباء حتى بلغ فى شعبان عدد من يموت فى كل يوم مائتى إنسان ، فوقع الاتفاق على صوم السلطان شهر رمضان بسرياقوس .

و [فيه] قدم (٢٢١ ا) محضر ثابت على قاضى حلب بجماعة من القادمين إليها أنهم شاهدوا بوادٍ فى ناحية تورېز أفاعى ذات خَلق عظيم من الطول والضخامة ، قد اجتمع منها عددٌ كثير جداً . وصارت فرقتين ، واقتتلت يوما كاملا حتى دخل الليل فافترقوا ، ثم عادوا من الغد بكرة النهار إلى القتال ، وأقاموا كذلك ثلاثة أيام . وفى اليوم الرابع قويت إحدى الفرقتين على الأخرى ، وقتلت منها مقتلة عظيمة ، وانهزم باقيها ، فلم تدع فى هزيمتها حجراً إلا قصمته ، ولا شجراً إلا اقتلعته من أصله ، ولا حيواناً إلا أتلفته ؛ فكان منظراً مهولا .

وفيه قدم فياض بن مهنا بقوده ، وفيه اثنان وسبعون فرسا ، أقلها بعشرة آلاف درهم ، وأوسطها بعشرين ألفا ، وأغلاها بثلاثين ألفا ، سوى الهجن وغيرها . وقدم صحبته أحمد ططر أمير بنى كلاب ، وندا أمير آل مرا ؛ فأ كرم ندا وأحمد (٢٢١ ب) ططر ، وأعيدا إلى بلادهما ؛ وقُبض على فياض ، وأخذت خيوله وما معه ، وحمل إلى الإسكندرية ، فسجن بها .

و [فيه] قدم الخبر بقتل الأمير طغيه كاشف الوجه القبلى ، فيما بين عرك وبنى هلال[2] ، وقتل كثير من أصحابه ، وأخذ ما معهم . وشنّ العرب بعد قتله الغارات على البلاد ، و [أمعنوا فى] نهب الغلال وقطع الطرقات ، و [ذلك بعد] دخولهم سيوط ونهبها . فعُيِّن عشرة أمراء للتجريدة ، ثم تأخر سفرهم خوفاً على الزرع .

وفى ثالث ذى الحجة أخرج الأمير طشبغا الدوادار إلى الشام . وسببه مفاوضة جرت

(١) هذه أول أخبار امتداد الوباء الأسود إلى مصر . انظر ما سبق .

(٢) لم يستطع الناشر أن يجد تعريفا لهذين الموضعين فى فهرس مواضع الأمكنة ، أو فى الدليل الجغرافى لأسماء المدن والنواحى ، أو غيرهما من المراجع المتداولة فى هذه الحواشى ؛ غير أنه يتضح من بقية العبارة أن هذين الموضعين قريبان من مدينة أسيوط .

له مع علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر ، أفضت به إلى أن أخذ بأطواق كاتب السر ، ودخلا على الأمير شيخو كذلك . فأنكر [شيخو] عليه ذلك ، و بقى بطالا ، وعمل قطليجا الأرغونى دواداراً عوضه .

و [فيه] أنعم على جاورجى مملوك قوصون بإمرة عشرة ، (٢٢٢ ا) وعلى عرب ابن ناصر الدين الشيخى بإمرة طبلخاناه .

و [فيه] قدم حمل سيس بحق النصف ، لخراب البلاد من كثرة[1] الفناء بها .

وفيه كتب بولاية حياد بن مهنا إمرة العرب .

و [فيه] قدم الخبر بخروج عشير الشام عن الطاعة ، وكثرة الحروب بينهم ، وقتل بعضهم بعضاً ، ونهب الغرد[2] ونابلس ، وكثرة فساد عرب الكرك وقطعهم الطرقات ، وكسرهم الأمير جركتمر نائب الكرك .

وفيه أخرج يلجك قريب قوصون لنيابة غزة ، عوضاً عن أحمد الساقى ؛ وقدم أحمد [الساقى] إلى مصر .

وفيه انحلت إقطاعات كثيرة لموت[3] الناس ، فوفّر الوزير جوامك الحاشية ورواتبها ؛ وقطعت مثالات لجميع أرباب الوظائف وأصحاب الأشغال ، والمرتبين فى الصدقات ، والكتّاب والموقّعين ، والمماليك السلطانية ، على قدر ما بأسمائهم .

وفيه توقفت الأحوال (٢٢٢ ب) بالقاهرة ومصر ، وغلقت أكثر الحوانيت بسبب زغل الفلوس بالرصاص والنحاس . فنودى ألا يأخذ من الفلوس إلا ما عليه سِكّة ، و يردّ الرصاص والنحاس الأصفر ، فمشت الأحوال .

وفيه رسم أن يجلس الأمير بيغرا أمير جندار رأس الميسرة ، واستقرّ الأمير أيتمش الناصرى عوضه أمير جندار ، واستقرّ الأمير قبلاى حاجب الحجّاب عوضا عن أيتمش .

---

(١) هذه ثانى إشارة هنا لأخبار الوباء الأسود ، ويتضح منها مدى انتشار هذا الوباء فى بلاد الشرق الأدنى .

(٢) لم يذكر ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٨٤) بلدا بهذا الاسم قرب نابلس .

(٣) هذه أول إشارة إلى بعض آثار الوباء الأسود فى طبقات المجتمع فى مصر زمن سلاطين المماليك .

و [فيه] استقرّ ابن الأطروش فى قضاء العسكر على مذهب أبى حنيفة ، ولم يعرف أحداً قبله ولى هذا بمصر ؛ واستقرّ تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى فى قضاء العسكر على مذهب الشافعى .

و [فيه] استقرّ خاص ترك بن طفيه الكاشف فى ولاية منفلوط ، واستقرّ مجد الدين موسى بن الهذبانى والى الأشمونين فى كشف الوجه القبلى ، بعد قتل طفيه ؛ ونقل محمد بن إياس الدويدارى من ولاية أشموم إلى (٢٢٣ ا) ولاية البهنساوية .

و [فيه] استقرّ نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف فى قضاء الشافعية بحلب ، عوضا عن نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن الصائغ ، بعد وفاته . واستقرّ زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن أبى السفاح كاتب السرّ بحلب ، عوضاً عن جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود .

وفيها وُجد للشيخ حسن متولى بغداد بدار الخلافة دفيناً فى خربة مبلغ نحو عشرة[1] قناطير دمشقية ذهباً . .

فكانت سنة كثيرة الفساد فى عامة أرض مصر والشام ، من كثرة النفاق ، وقطع الطريق ، وولاية الوزير منجك جميع أعمال المملكة بالمال ، وانفراده وأخيه الأمير بيبغا روس النائب بالتدبير ، دون كل أحد .

ومع ذلك فكان فيها الوباء الذى لم يعهد فى الإسلام مثله ، فإنه ابتدأ بأرض مصر آخر أيام التخضير (٢٢٣ ب) وذلك فى فصل الخريف فى أثناء سنة ثمان وأربعين . وما أهلّ محرم سنة تسع وأربعين حتى انتشر [الوباء] فى الإقليم بأسره ، واشتدّ بديار مصر فى شعبان ورمضان وشوال ، وارتفع فى نصف ذى القعدة .

وكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف إلى عشرين ألف نفس ، فى كل يوم . وعملت الناس التوابيت والدكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجرة ، وحمل أكثر الموتى على ألواح الخشب ، وعلى السلالم والأبواب ، وحفرت الحفائر

(١) فى ف " عشره الاف قنطار " ، وما هنا من ب ، ٥٨٧ ب ، وهو أقرب إلى المعقول ، وفيه كفاية .

وألقوا فيها . وكانت الحفرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون وأكثر . وكان الموت بالطاعون يبصق الإنسان دماً ، ثم يصيح ويموت ؛ وعمّ مع ذلك الغلاء الدنيا جميعها .

ولم يكن هذا الوباء كما عهد فى إقليم دون إقليم ، بل عمّ أقاليم الأرض شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً جميع (٢٢٤ ا) أجناس بنى آدم ، وغيرهم حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البرّ .

وأوّل ابتدائه من بلاد القان الكبير حيث الإقليم الأول ، وبعدها من توريز إلى آخرها ستة أشهر ، وهى بلاد الخطا والمغل ، وأهلها يعبدون النار والشمس والقمر ، وتزيد عدتهم على ثلاثمائة جنس فهلكوا بأجمعهم من غير علة ، فى مشاتيهم ومصايفهم[١] ، وفى مراعيهم ، وعلى ظهور خيولهم . وماتت خيولهم ، وصاروا كلهم جيفا مرمية[٢] فوق الأرض ؛ وذلك فى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، على ما وصلت به الأخبار من بلاد أزبك[٣] .

ثم حملت الريح نتنهم إلى البلاد ، فما مرّت على بلد ولا حركة ولا أرض ، إلا وساعة يشمّها إنسان أو حيوان مات لوقته وساعته . فهلك من زوق[٤] القان الكبير خلائق لا يحصى عددها إلا الله ، ومات القان وأولاده[٥] الستة ، ولم يبق بذلك الإقليم من يحكمه .

ثم (٢٢٤ ب) اتصل الوباء ببلاد الشرق جميعها ، وبلاد أزبك وبلاد إسطنبول وقيصرية الروم ؛ ودخل إلى أنطاكية حتى باد أهلها . وخرج جماعة من جبال أنطاكية فارين من الموت ، فماتوا بأجمعهم فى طريقهم ؛ وبدت فرس منهم بعد موتهم عائدة إلى جبالهم ، فأخذ بقية من تأخر بها فى تتبع آثارهم حتى تعرّف خبرهم ، فأخذوا ما تركوا من

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٠٨٨ ا ، " مصانهم " .

(٢) فى ف " موميه " ، وما هنا من ب ، ١٠٨٨ ا .

(٣) المقصود بهذه التسمية بلاد القبائل الذهبية من المغول ، وهى شمالى البحر الأسود وبحر قزوين وحوض الفولجا ، وكانت وفاة ملكها غياث الدين محمد أزبك سنة ٧٤١ هـ . انظر (Lane-Poole ; Muhs. Dyns. P. 230)

(٤) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٠٨٨ ا ، وعبارة ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٩٦) كالآتى : " فهلك من أجناد القان خلائق ... " .

(٥) لا تحتوى المراجع المتداولة فى هذه الحواشى على شىء يستطيع توضيح المتن هنا ، بذكر اسم القان الكبير المتوفى أثناء هذا الوباء ، أو ما يدل عليه . انظر مثلا (Zambaur : Genealogie. pp. 241-250).

المال وعادوا ؛ فأخذهم الموت أيضاً فى طريقهم ، ولم يرجع منهم إلى الجبل إلا القليل ، فماتوا مع أهاليهم جميعاً إلا قليلا نجوا إلى بلاد الروم ، فأصابهم الوباء .

وعمّ [الوباء] بلاد قرمان وقيصرية وجميع جبالها وأعمالها ، ففنى أهلها ودوابهم ومواشيهم . فرحلت الأكراد خوفا من الموت ، فلم يجدوا أرضاً إلا وفيها الموتى ، فعادوا إلى أرضهم ، وماتوا جميعاً .

وعظم الموتان ببلاد سيس ، ومات من أهل تكفور[1] فى يوم واحد بموضع واحد (١٢٢٥) مائة وثمانون نفسا ؛ وخلت سيس وبلادها .

ووقع فى بلاد الخطا مطر عظيم لم يعهد مثله فى غير أوانه ، فماتت دوابهم ومواشيهم عقيب ذلك المطر حتى فنيت ، ثم مات الناس والطيور والوحوش حتى خلت بلاد الخطا ؛ وهلك بستة عشر ملكا فى مدة ثلاثة أشهر . وباد أهل الصين ، ولم يبق منهم إلا القليل ؛ وكان [الفناء] ببلاد الهند أقل منه ببلاد الصين .

ووقع [الوباء] ببغداد أيضاً ، وكان الإنسان يصبح وقد وجد بوجهه طُلُوعا[2] ، فما هو إلا أن يمرّ بيده عليه مات فجأة . وكان أولاد دمرداش قد حصروا الشيخ حسن بها ، ففجأهم الموت فى عسكرهم من وقت المغرب [إلى باكر النهار من الغد] ، حتى مات عدد كثير ؛ فرحلوا وقد مات منهم ستة أمراء ونحو ألف ومائتا رجل ودواب كثيرة ؛ فكتب الشيخ حسن بذلك إلى [سلطان] مصر .

وفى (١٢٢٥ ب) أول جمادى الأولى ابتدأ الوباء بأرض حلب ، فعمّ جميع بلاد الشام ، وبلاد ماردين وجبالها ، وَبَادَ أهل الغور وسواحل عكا وصفد ، وبلاد القدس ونابلس والكرك ، وعربان البوادى وسكان الجبال والضياع . ولم يبق فى بلدة جينين[3] سوى عجوز واحدة خرجت منها فارّة . ولم يبق بمدينة لدّ أحد ، ولا بالرملة ؛ وصارت الخانات

---

(١) فى ف " تكفوا " وما هنا من ب ، ٨٨ ب .

(٢) الطلوع عند العامة خراج عظيم فى البدن (محيط المحيط) . أو فى الوجه ، كما هنا

(٣) فى ف " بلاد حس " ، وما هنا من ب ، ٨٨ ب ، وابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٩٧ .

وغيرها ملآنة بجيف الموتى . ولم يدخل الوباء معرّة النعمان من بلاد الشام ، ولا بلد شيزر ، ولا حارم .

وأول ما بدأ [الوباء] بدمشق كان يخرج خلف أذن الإنسان بَثْرَة[١] فيخرّ صريعا . ثم صار يخرج بالإنسان كُبّة[٢] تحت إبطه ، فلا يلبث ويموت سريعا . ثم خرجت بالناس خيارة ، فقتلت قتلا كثيرا[٣] . وأقاموا على ذلك مدّة ، ثم بصقوا الدم ، فاشتدّ الهول من كثرة الموت (٢٢٦ ا) حتى أنه أكثر من كان يعيش بعد نفث الدم نحو خمسين ساعة .

وبلغ عدد من يموت بحلب فى كل يوم خمسمائة إنسان ، ومات بغزة من ثانى المحرم إلى رابع صفر — على ما ورد فى كتاب نائبها — زيادة على اثنين وعشرين ألف إنسان ، حتى غلقت أسواقها .

وشمل الموت أهل الضياع بأرض غزة ، وكان أواخر زمان الحرث . فكان الرجل يوجد ميتا والمحراث فى يده ، ويوجد آخر قد مات وفى يده ما يبذره ؛ وماتت أبقارهم . وخرج رجل بعشرين نفرا لإصلاح أرضه ، فماتوا واحدا بعد واحد ، وهو يراهم يتساقطون قدّامه . فعاد إلى غزة ، وسار منها إلى القاهرة . ودخل ستة نفر لسرقة [دار] بغزة ، فأخذوا ما فى الدار ليخرجوا به ، فماتوا كلهم . وفرّ نائبها إلى ناحية بدعرش ، وترك غزة خالية .

ومات أهل (٢٢٦ ب) قطيا ، وصارت جثثهم تحت النخيل وعلى الحوانيت ، حتى لم يبق بها سوى الوالى وغلامين من أصحابه وجارية عجوز . وبعث [الوالى] يستعفى ، فولى الوزير عوضه مبارك أستادار طغجى .

وعمّ الوباء بلاد[٤] الفرنج ، وابتدأ فى الدواب ، ثم الأطفال والشباب . فلما شنع الموت

---

(١) فى ف " نثره " ، وما هنا من ب ، ٥٨٨ ب ؛ والبثرة خراج صغير . (محيط المحيط) .

(٢) الكبة غدة شبه الخراج ، وأهل مصر يطلقونها على الطاعون . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٩٨ ، حاشية ١ .

(٣) فى ف " قتلا وحا " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٩٨

(٤) شرح ظواهر هذا الوباء الأسود فى مختلف البلاد الأوربية . (Nohl : The Black Death.)

فيهم لجمع أهل قبرص من فى أيديهم من الأسرى [المسلمين] ، وقتلوهم جميعا من بعد العصر إلى المغرب ، خوفاً أن يُبيد الموتُ الفرنج ، فتملكُ المسلمون قبرص . فلما كان بعد عشاء الآخرة هبّت ريح شديدة ، وحدثت زلزلة عظيمة ، وامتدّ البحر من المينة[١] نحو مائة قصبة ، فغرق كثير من مراكبهم وتكسّرت . فظنّ أهل قبرص أن الساعة قامت ، فخرجوا حيارى لا يدرون ما يصنعون ، ثم عادوا إلى منازلهم ، فإذا أهاليهم قد ماتوا ؛ وهلك لهم[٢] ثلاثة ملوك . (٢٢٧ ا) واستمرّ الوباء فيهم مدة أسبوع ، فركب فيهم ملكهم الذى ملكوه عليهم رابعا بجماعته فى مركب يريدون جزيرة[٣] بقرب منهم ، فلم يمض عليهم فى البحر سوى يوم وليلة حتى مات أكثرهم فى المركب ؛ ووصل باقيهم إلى الجزيرة ، فماتوا بها عن آخرهم . ووافى هذه الجزيرة بعد موتهم مركب فيها تجار ، فماتوا كلهم وبحارتهم إلا ثلاثة عشر رجلا ، فمرّوا إلى قبرص وقد بقوا أربعة نفر ، فلم يجدوا بها أحدا ؛ فساروا إلى طرابلس الغرب ، وحدّثوا بذلك ، فلم تطل إقامتهم بها وماتوا .

وكانت المراكب إذا مرّت بجزائر الفرنج لا تجد ركّابها بها أحداً ، وإن صدفت أحداً فى بعضها يدعوهم أن يأخذوا من أصناف البضائع بالصبر[٤] بغير ثمن ؛ ولكثرة من كان يموت عندهم صاروا يلقون الأموات فى البحر . (٢٢٧ ب) وكان سبب الموت عندهم ريح تمرّ على البحر ، فساعة يشمّها الإنسان سقط ، ولا يزال يضرب برأسه الأرض حتى يموت .

وقدمت مركب إلى الإسكندرية كان فيها اثنان وثلاثون تاجراً وثلاثمائة رجل ، ما بين تجار وعبيد ؛ فماتوا كلهم ، ولم يبق منهم غير أربعة من التجار وعبد واحد ، ونحو أربعين من البحارة ؛ فماتوا جميعاً بالثغر .

---

(١) لعل المقصود بذلك ميناء فاما جوسطة ، فهى أكبر موانى قبرص فى ذلك العصر .

(٢) وصف (Makhairas : Chronicle. ed. Dawkins, Vol I.p. 62) امتداد الوباء الأسود إلى قبرص وصفا عابرا بليغا بقوله إن هذا الوباء أفنى نصف سكان الجزيرة ، وذكر أن ملكها هيو الرابع (Hugh IV) حكم من ١٣٢٤ إلى ١٣٥٨ م ، مما لا يدع مجالا لموافقة ماجاء بالمتن هنا ، فى جملته أو تفصيله .

(٣) الراجح أن المقصود بذلك جزيرة رودس .

(٤) الصبر حسبما ورد فى (Dozy. Supp. Dict. Ar.) البيع إلى أجل مسمى ، وهو هنا البيع بغير ثمن معين .

وعمّ الموت أهل جزيرة الأندلس ، إلا مدينة غرناطة ، فإنه لم يصب أهلها منه شىء ؛ و باد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم . فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها ، مرّت بهم ريح ، فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة . ودخلها باقيهم ، فرأوا من الأموات ما هالهم ، وأموالهم ليس لها من يحفظها ؛ فأخذوا ما قدروا (٢٢٨ ا) عليه ، وهم يتساقطون موتى . فنجا من بقى منهم بنفسه ، وعادوا إلى بلادهم ، وقد هلك أكثرهم ؛ والموت قد فشا بأرضهم ، بحيث مات منهم فى ليلة واحدة عدد عظيم ، وماتت مواشيهم ودوابهم كلها .

وعمّ الموتان أرض إفريقية بأسرها ، جبالها وصحاريها ومدنها ، وجافت من الموتى ، و بقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها . ثم أصاب الغنم داء ، فكانت الشاة إذا ذبحت وجد لحمها منتناً قد اسودّ . وتغيّر أيضاً ريح السمن واللبن ، وماتت المواشى بأسرها .

وشمل الوباء أيضاً أرض برقة إلى الإسكندرية ، فصار يموت بها[1] فى كل يوم مائة . ثم مات [بالإسكندرية] فى اليوم مائتان ، وشنع [ذلك] حتى أنه صلى فى يوم الجمعة بالجامع [الإسكندرى] دفعة واحدة على سبع مائة جنازة . وصاروا يحملون الموتى على الجنويات والألواح . [وغلقت دار الطراز لعدم[2] الصناع] ، وغلقت دار (٢٢٨ ب) الوكالة[3] لعدم الواصل إليها ، وغلقت الأسواق و[ديوان] الخمس[4] ؛ وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة دينار . وقدمها مركب فيه إفرنج ، فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير يحوم فى غاية الكثرة ، فقصدوه فإذا جميع من فيه من الناس موتى ، والطير تأكلهم ،

---

(١) الضمير عائد فيما يبدو على الإسكندرية ، وأضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة اعتمادا على هذا الترجيح .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٥٨٩ ب فقط .

(٣) المقصود بدار الوكالة ، حسبما ورد فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، فندق لنزول التجار وبضائعهم للبيع والشراء ، وبالقاهرة وغيرها من المدن المصرية التى اشتهرت بالتجارة فى العصور الوسطى بقايا كثيرة من هذا النوع من الفنادق .

(٤) اختص هذا الديوان فيما يبدو بجمع الخمس من أموال التجار . انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ٢ ، ص ٤٥١ ، حاشية ٢ ؛ كذلك المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .

وقد مات من الطير أيضاً شيء كثير ، فتركوهم وسرّوا ، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم .

وفشى الموت بمدينة دمنهور ، وتروجة ، والبحيرة كلها حتى عمّ أهلها ؛ وماتت دوابهم . فبطل من الوجه البحرى سائر الضمانات ، والموجبات السلطانية .

وشمل الموت أهل البراس ونَسْتَراوَه ، وتعطّل الصيد من البحيرة لموت الصيادين . وكان يخرج بها فى المركب عدة من الصيادين لصيد الحوت[1] ، فيموت أكثرهم فى المركب ، ويعود من بقى منهم ، (٢٢٩ ا) فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله . ووُجد فى حيتان البطارخ شيء منتن ، وفيه على رأس البطرخة كبة قدر البندقة قد اسودّت . ووُجد فى جميع زراعات البراس وبلحها وقثائها دود ، وتلف أكثر ثمر النخل عندهم .

وصارت الأموات على الأرض فى جميع الوجه البحرى ، لا يوجد من يدفنها . وعظم الوباء بالمحلة حتى أن الوالى كان لا يجد من يشكو إليه ؛ وكان القاضى إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحداً إلا بعد عناء لقلّتهم ؛ وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها .

وعمّ الوباء جميع تلك الأراضى . ومات الفلاحون بأسرهم ، فلم يوجد من يضمّ الزرع . وزهد أرباب الأموال فى أموالهم ، وبذلوها للفقراء . فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين مستوفى (٢٢٩ ب) الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة فى جماعة ، فدخلوا سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه[2] ونحوها من البلاد ، وأخذوا مالاً كثيراً لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم .

وعجز أهل بلبيس وسائر بلاد الشرقية عن ضمّ الزرع ، لكثرة موت الفلاحين . وكان ابتداء الوباء عندهم من أول فصل الصيف ، وذلك فى أثناء ربيع الآخر . فجافت الطرقات

(١) المقصود بالحوت هنا نوع من أنواع السمك ببحيرة البرلس وساحل البحر الأبيض المتوسط ، وهو مشهور بالبطارخ التى تستخرج منه . انظر ما يلى بهذه الفقرة .

(٢) هذه بلاد وقرى معروفة بمديرية الغربية الحالية ، ويتضح من المتن أنها كانت مراكز إقطاعية لرءوس سلاطين المماليك .

بالموتى ، ومات سكان بيوت الشعر ودوابهم وكلابهم ، وتعطلت سواق الحنا ، وماتت الدواب والمواشى وأكثر هجن السلطان والأمراء . وامتلأت مساجد بلبيس وفنادقها وحوانيتها بالموتى ، ولم يجدوا من يدفنهم ، وجافت سوقها فلم يقدر أحد على القعود فيه ؛ وخرج من بقى من باعتها إلى ما بين البساتين . ولم يبق بها مؤذن ، (١٢٣٠) وطرحت الموتى بجامعها ، وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى ، ورحل كثير من أهلها إلى القاهرة .

وتعطلت بساتين دمياط وسواقيها ، وجفّت أشجارها ، لكثرة موت أهلها ودوابهم ، وصارت حوانيتها مفتحة والمعايش بها [لا يقربها أحد] ، وغلقت دورها . وبقيت المراكب فى البحيرة ، وقد مات الصيادون فيها والشباك بأيديهم مملوءة سمكا ميتا ، فكان يوجد فى السمكة كبة . وهلكت الأبقار الخيسية[1] والجاموس فى المراحات والجزائر ، ووجد فيها أيضا الكبة .

وقدم الخبر من دمشق بأن الوباء كان بها أخف مما كان بطرابلس وحماه وحلب ، فلما دخل شهر رجب والشمس فى برج الميزان أوائل فصل الخريف هبّت ريح فى نصف الليل شديدة جدا ، واستمرّت حتى مضى من النهار قدر ساعتين ، واشتدّت الظلمة حتى كان الرجل لا يرى (٢٣٠ ب) مَن بجانبه ؛ ثم انجلت ، وقد علت وجوه الناس صفرة ظاهرة فى وادى دمشق كلّه . وأخذ فيهم الموت مدّة شهر رجب ، فبلغ فى اليوم ألفا ومائتى إنسان . وبطل إطلاق[2] الموتى من الديوان ، فصارت الأموات مطروحة فى البساتين وعلى الطرقات . فقدم على قاضى دمشق تقى الدين السبكى رجل من جبال الروم ، وأخبره أنه لما وقع الفناء ببلاد الروم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشكا إليه ما نزل بالناس من الفناء ، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : " اقرؤا سورة نوح ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستين مرّة ، واسألوا الله أن يرفع عنكم ما أنتم فيه " ؛ فعرّفهم [قاضى دمشق] ذلك . فاجتمع الناس فى المساجد ، وفعلوا

(١) فى ف " الجيشية " ، وما هنا من ب ، ٥٩٠ ب ، والخيسية حسبما ورد فى محيط المحيط نسبة إلى بلدة خيس التى اشتهرت فيما يبدو بنوع خاص من البقر ، وفى نفس المرجع أن الخيس هو اللبن ، ولعل المقصود بالخيسية الأبقار المخصصة لإنتاج اللبن .

(٢) هنا إشارة لبعض النظم الخاصة بالوفيات فى مصر والشام فى العصور الوسطى .

ما ذكر لهم ، وتضرعوا إلى الله ، وتابوا من ذنوبهم ، وذبحوا أبقارا وأغناما كثيرة (٢٣١ ا) للفقراء مدة سبعة أيام ، والفناء يتناقص كل يوم حتى زال . فنودى فى دمشق باجتماع الناس بالجامع الأموى ، فصاروا إليه جميعاً ، وقرأوا به صحيح البخارى فى ثلاثة أيام وثلاث ليال ؛ ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى ، وكشفوا رءوسهم وضجّوا بالدعاء ، وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام ، فتناقص الوباء حتى ذهب بالجملة .

وابتدأ [الوباء] فى القاهرة ومصر بالنساء والأطفال ، ثم فى الباعة ، حتى كثر عدد الأموات . فركب السلطان إلى سرياقوس ، وأقام بها من أول رجب إلى العشرين منه ، وقصد العود إلى القلعة ، وأشير عليه بالإقامة بسرياقوس وصوم رمضان بها . فبلغت عدة من يموت ثلاثمائة نفر كل يوم بالطاعون موتا وحيا فى يوم أو ليلة ، فما فرغ شهر رجب حتى بلغت العدة زيادة على الألف فى كل يوم . وصار إقطاع الحلقة (٢٣١ ب) ينتقل إلى ستة أنفس فى أقل من أسبوع ؛ فشرع الناس فى فعل الخير ، وتوهّم كلّ أحد أنه ميت .

وقدم كتاب نائب حلب بأن بعض أكابر الصلحاء بحلب رأى النبى صلى الله عليه سلم فى نومه ، وشكا إليه ما نزل بالناس من الوباء ، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يأمرهم بالتوبة والدعاء ، وهو : " اللهم سكّن هيبة[1] صدمة قهرمان الجبروت ، بألطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت ، حتى نتشبث بأذيال لطفك ، ونعتصم بك عن إنزال قهرك . ياذا القوة والعظمة الشاملة ، والقدرة الكاملة ، ياذا الجلال والإكرام " ، وأنه كتب بها عدة نسخ بعث بها إلى حماه وطرابلس ودمشق[2] .

وفى شعبان تزايد الوباء [بالقاهرة] ، وعظم فى رمضان ، وقد دخل فصل الشتاء ؛ فرسم بالاجتماع فى الجوامع للدعاء . وفى يوم الجمعة سادس رمضان نودى أن يجتمع الناس

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٩١ ب ، " هيبة " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٠٤ ، وما بها من الحواشى .

(٢) لا شك أن نائب حلب قام بواجبه أحسن قيام حين بعث بهذا الدعاء إلى كل من حماه وطرابلس ودمشق ، على أن أهل دمشق — وبلاد الروم كذلك — سبقوا إلى التوسل بقراءة سورة نوح وصحيح البخارى ، وهو ما توسل به أهل القاهرة ومصر حين اشتد الوباء بهما ، كما سيلى بهذه الصفحة ، وهكذا كانت أقصى وسائل الوقاية من الأوبئة والمجاعات فى تلك العصور .

(٢٣٢ ا) بالصناجق الخليفية والمصاحف عند قبة النصر ، فاجتمع الناس بعامة جوامع مصر والقاهرة ، وخرج المصريون[1] إلى مصلى خولان بالقرافة ، واستمرت قراءة البخارى بالجامع الأزهر وغيره عدة أيام ، والناس يدعون الله تعالى ويُقنتون فى صلواتهم . ثم خرجوا إلى قبة النصر ، وفيهم الأمير شيخو والوزير منجك والأمراء ، بملابسهم الفاخرة من الذهب ونحوه ، فى يوم الأحد ثامنه .

وفيه مات الرجل الصالح عبد الله المنوفى ، فصلّى عليه ذلك الجمع العظيم . وعاد الأمراء إلى سرياقوس ، وانفضّ الجمع .

واشتدّ الوباء بعد ذلك حتى عجز الناس عن حصر الأموات .

فلما انقضى شهر رمضان قدم السلطان من سرياقوس ؛ وحدث فى شوال بالناس نفث الدم ، فكان الإنسان يحسّ[2] فى بدنه بحرارة ، ويجد فى نفسه غثيان ، فيبصق دما ويموت عقيبه ، ويتبعه أهل الدار (٢٣٢ ب) واحد بعد واحد حتى يفنوا جميعا بعد ليلة أو ليلتين ؛ فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء . واستعدّ الناس جميعا ، وأكثروا من الصدقات ، وتحاللوا وأقبلوا على العبادة .

ولم يحتج أحد فى هذا الوباء إلى أشربة ولا أدوية ولا أطباء ، لسرعة الموت . فما تنصّف شوال إلا والطرقات والأسواق قد امتلأت بالأموات ، وانتدبت جماعة لمواراتهم ، وانقطع جماعة للصلاة عليهم فى جميع مصليات القاهرة ومصر . وخرج الأمر عن الحدّ ، ووقع العجز عن العدّ ، وهلك أكثر أجناد الحلقة ؛ وخلت أطباق القلعة من المماليك السلطانية ، لموتهم .

وما أهلّ ذو القعدة إلا والقاهرة خالية مقفرة ، لا يوجد فى شوارعها مارّ ، بحيث أنه يمرّ الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه ، لكثرة الموتى والاشتغال بهم . وعلت[3] الأتربة على الطرقات ، وتنكرت (٢٣٣ ا) وجوه الناس ، وامتلأت

(١) لم يستطع الناشر أن يعلل ذكر المقريزى للمصريين هنا ، دون غيرهم من كتاب المختصر المصرى فى ذلك العصر ، ما عدا أنه أراد بذلك الإشارة إلى إسراع فئة معينة من الناس إلى هذه المصلى قبل غيرهم ، للسبق فيما يبدو إلى الابتهال والدعاء ، لزوال الوباء .

(٢) فى ف " يسخن " ، وما هنا من ب ، ٥٩١ ب .

(٣) فى ف " عملت " ، وما هنا من ب ، ٥٩١ ا .

الأماكن بالصياح ، فلا تجد بيتاً إلا وفيه صيحة ، ولا تمرّ بشارع إلا وفيه عدة أموات ؛ وصارت النعوش لكثرتها تصطدم ، والأموات تختلط .

وصُلِّى فى يوم الجمعة بعد الصلاة على الأموات بالجامع الحاكمى من القاهرة ، فصُفَّت التوابيت اثنين اثنين من باب مقصورة الخطابة إلى الباب [الكبير] . ووقف الإمام على العتبة ، والناس خلفه خارج الجامع .

وخلت أزقة كثيرة وحارات عديدة ، وصارت حارة[1] برجوان اثنين وأربعين داراً خالية . وبقيت الأزقة والدروب بما فيها من الدور المتعددة خالية ، وصارت أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها ، وإذا ورث إنسان شيئاً انتقل فى يوم واحد عنه إلى رابع وخامس .

وحُصرت عدة من صُلِّى عليه بالمصليات خارج باب النصر وخارج باب زويلة ، وخارج باب المحروق (٢٢٣ ب) وتحت القلعة ، ومصلى قتال السبع تجاه باب جامع قوصون ، فى يومين ، فبلغت ثلاثة عشر ألفاً وثمانمائة ، سوى من مات فى الأسواق والأحكار ، وخارج باب البحر وعلى الدكاكين ، وفى الحسينية وجامع ابن طولون ، ومن تأخر دفنه فى البيوت .

ويقال بلغت عدة الأموات فى يوم واحد عشرين ألفاً ، وأحصيت الجنائز بالقاهرة فقط فى مدة شعبان ورمضان تسعمائة ألف ، سوى من مات بالأحكار والحسينية والصليبة ، وباقى الخطط خارج القاهرة ، وهم أضعاف ذلك . وعدمت النعوش ، وبلغت عدتها ألفاً وأربعمائة نعش . فحملت الأموات على الأقفاص ودراريب[2] الحوانيت وألواح الخشب ؛ وصار يحمل الاثنان والثلاثة فى نعش واحد على لوح واحد .

وطُلبت القرّاء على الأموات ، فأبطل كثير من الناس صناعاتهم[3] ، (٢٢٤ أ)

---

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٩١ ، ومنه يستدل على عدد بيوت هذه الحارة القاهرية الكبيرة التى سكنها المقريزى أيام شبابه ، وافتخر بها على سائر حارات القاهرة . انظر المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣ ، ٩٥ ، وكذلك ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٠٦ .

(٢) الدراريب جمع الدرابة ، وهى حسبما ورد فى (Dozy : Supp Dict. Ar) لفظ عربى معناه أحد مصراعى الباب ، ولعله هو أصل الدرفة فى لهجة أهل مصر فى العصر الحاضر

(٣) فى ف " صنايعهم " ، وما هنا من ب ، ٥٩١ ب

وابتدءوا للقراءة أمام الجنائز . وعمل جماعة من الناس مدراء[1] ، وجماعة تصدّوا لتغسيل الأموات ، وجماعة لحملهم ؛ فنالوا بذلك سعادة وافرة . وصار المقرئ يأخذ عشرة دراهم ، وإذا وصل [الميت] إلى المصلى تركه وانصرف [لآخر] . وصار الحمال يأخذ ستة دراهم بعد الدخلة عليه إذا وجد ، ويأخذ الحفار أجرة حفر القبر خمسين درهما ؛ فلم يتمتّع[2] أكثرهم بذلك ، وماتوا .

ودخلت غاسلة مرّة لتغسل امرأة ، فلما جرّدتها من ثيابها ، ومرّت بيدها على موضع الكبة صاحت وسقطت ميتة ؛ فوُجد فى بعض أصابعها كبة بقدر الفولة .

وامتلأت المقابر من باب النصر إلى قبة النصر طولا ، وإلى الجبل عرضا . وامتلأت مقابر الحسينية إلى الريدانية ، ومقابر خارج باب المحروق والقرافة . وصار الناس يبيتون بموتاهم (٢٣٤ ب) على الترب[3] ، لعجزهم عن[4] تواريهم . وكان أهل البيت يموتون جميعا وهم عشرات ، فلا يوجد لهم سوى نعش واحد ، ينقلون فيه شيئا بعد شىء . وأخذ كثير من الناس دورا وأثاثا وأموالا من غير استحقاق ، لموت مستحقيها ؛ فلم يتملّ أكثرهم بما أخذ ومات ، ومن عاش منهم استغنى به .

وأخذ كثير من العامة إقطاعات الحلقة ، وقام الأمير شيخو والأمير مغلطاى أمير آخور بتغسيل الناس وتكفينهم ودفنهم .

وبطلت الأفراح والأعراس من بين الناس ، فلم يُعرف أن أحداً عمل فرحا فى مدة الوباء ، ولا سُمع صوت غناء ؛ فحطّ الوزير من ضمان المغانى عن الضامنة ثلث ما عليها . وتعطّل الأذان من عدة مواضع ، وبقى فى المواضع المشهورة مؤذن واحد .

---

(١) المدراء جمع المادر ، وهو الذى يتولى إصلاح داخل القبر بالمدر ، أى الطين اليابس . (محيط المحيط) .

(٢) فى ف " يتمتع " ، وما هنا من ب ، ٥٩٢ ا .

(٣) فى ف " التراب " ، وما هنا من ب ، ٥٩٢ ا .

(٤) فى ف " لعجزهم عمن يواريهم " ، وما هنا من ب ، ٥٩٢ ا .

وبطلت أكثر طبلخاناه الأمراء ، وصار فى طبلخاناه المقدم ثلاثة نفر ، بعد ما كانوا خمسة[1] عشر .

وغلقت أكثر المساجد (٢٣٠ ا) والزوايا . واستقر[2] أنه ما ولد أحد فى هذا الوباء إلا ومات بعد يوم أو يومين ، ولحقته أمه

وشمل فى آخر السنة الفناء بلاد الصعيد بأسرها ، وتعطلت دواليبها . ولم يدخل الوباء ثغر أسوان ، فلم يمت به سوى أحد عشر إنسانا . وطُلب بناحية بهجورة شاهد فلم يوجد ، وخرج من مدينة إخميم شاهد مساحة مع قاضيها بقياسين ، لقياس بعض الأراضى ؛ فعندما وضعت القصبة للقياس سقط أحد القياسين ، فحمله رفيقه إلى البلد ، فسقط بجنبه ومات ؛ وأخذت الشاهد الحمى .

واجتمع ثلاثة بناحية إبيار ، وكتبوا أوراقا بأسمائهم ومن يموت منهم قبل صاحبه ؛ فطلعت الأوراق بموت واحد بعد آخر ، فمات الثلاثة على ما طلع فى الأوراق ؛ وكتب بذلك محضر ثابت قدم إلى القاهرة .

وكانت البزدارية (٢٣٠ ب) إذا رمت طيراً من الجوارح على طائر ليصيده ، وُجد الصيد وفيه كبة كالبندقة ؛ ولم تدع أوزة ولا شىء من الطير إلا وُجد فيه كبة . ووُجدت طيور كثيرة فى الزروع ميتة ، ما بين غربان وحدأة وغيرها من سائر أصناف الطيور ؛ فكانت إذا نتفت وُجد فيها أثر الكبة . وماتت القطاط حتى قلّ وجودها .

وتواترت الأخبار من الغور و بيسان وغير ذلك من النواحى أنهم كانوا يجدون الأسود والذئاب[3] والأرانب والإبل وحمر الوحش والخنازير وغيرها من الوحوش ميتة ، وفيها أثر الكبة .

وكانت العادة إذا خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس يقلق الناس بها من كثرة

---

(١) هنا تحديد لعدد فرقة الطبلخاناه فى الأوقات العادية للأمير المقدم ، أى أمير مائة مقدم ألف ، وهو أكبر مراتب الإمارة .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٩٢ د ب : " واستقرى " .

(٣) فى ف " الدباب " ، وما هنا من ب ، ٩٢ ه ب .

الحداءة والغربان ، وتحليقها على ما هناك من اللحوم الكثيرة ؛ فلم يشاهد منها شىء مدة شهر رمضان ، والسلطان هناك ، لفنائها .

وكانت (٢٣٦ ا) بحيرات السمك بدمياط ونستراوة وسخا[1] توجد أسماكها الكثيرة طافية على الماء ، وفيها الكبة . وكذلك كلما يصطاد منها ، بحيث امتنع الناس من أكله .

وكثر عناء الأجناد وغيرهم فى أمر الزرع ، فإن الوباء ابتدأ فى آخر أيام التخضير ، فكان الحراث يمر ببقره وهى تحرث فى أراضى الرملة وغزة والساحل ، وإذا به يخر ميتاً والمحراث فى يده ، ويبقى بقره بلا صاحب .

ثم كان الحال كذلك بأراضى مصر ، فما جاء أوان الحصاد حتى فنى الفلاحون ، ولم يبق منهم إلا القليل . فخرج الأجناد وغلمانهم لتحصد ، ونادوا من يحصد ويأخذ نصف ما يحصده . فلم يجدوا من يساعدهم على ضم الزروع ، ودرسوا غلالهم على خيولهم ، وذروها بأيديهم ؛ وعجزوا عن كثير من الزرع ، فتركوه[2] .

وكانت الإقطاعات (٢٣٦ ب) قد كثر تنقلها من كثرة موت الأجناد ، بحيث كان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى آخر حتى يأخذه السابع والثامن . فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الخياطين والأساكفة والمنادمين ، وركبوا الخيول ، ولبسوا الكلفتاه والقباء .

ولم يتناول أحد من إقطاعه مغلا كاملا ، وكثير منهم لم يحصل له شىء . فلما كان أيام النيل ، وجاء أوان التخضير تعذر وجود الرجال ، فلم يخضر إلا نصف الأراضى . ولم يوجد أحد يشترى القرط الأخضر ، ولا من يربط عليه خيوله . فانكسرت بلاد الملك[3]

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٩٢٥ ب " سنجار " .

(٢) المعروف فى تاريخ أوربا العصور الوسطى أن الفناء الذى وقع فى مختلف الأقاليم الأوربية ، بسبب هذا الوباء نفسه ، أدى إلى تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية كثيرة ؛ وفى أخبار هذا الوباء بأقاليم مصر والشام ، والشرق الأوسط كله ، مجال للباحثين فى التاريخ الاقتصادى لهذه الأقاليم .

(٣) لم يستطع الناشر أن يهتدى إلى تعريف لهذا المصطلح ، بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى ، على أنه يبدو واضحا أن المقصود بهذا النوع من الملكية جميع الأراضى والأملاك الحرة التى لم يمسها التنظيم الإقطاعى ، وفى السطور التالية شرح لكثير من أركان هذا التنظيم الإقطاعى فى مصر زمن سلاطين المماليك .

من ضواحى القاهرة ، مثل المطرية والخصوص وسرياقوس وبهتيت . وتُركت ألفيه وخمسمائه فدان براسيم بناحية ناى وطنان ، فلم يوجد من يشتريها لرعى دوابه ، ولا من يعملها دريسا .

وخلت بلاد الصعيد (٢٣٧ ا) مع اتساع أرضها ، بحيث كانت بكلفة مساحة أرض سيوط تشتمل على ستة آلاف نفر يجبى منهم الخراج ، فصارت فى سنة الوباء هذه تشتمل على مائة وستة عشر نفراً ؛ ومع ذلك فكان سعر القمح لا يتجاوز خمسة عشر درهما الأردب .

وتعطلت أكثر الصنائع ، وعمل كثير من أرباب الصنائع أشغال الموتى ، وتصدى كثير منهم للنداء على الأمتعة . وانحط سعر القماش ونحوه ، حتى أبيع بخمس ثمنه وأقل ، ولم يوجد من يشتريه .

وصارت كتب العلم ينادى عليها بالأحمال ، فيباع الحمل منها بأبخس ثمن .

وانحطت أسعار المبيعات كلها ، حتى كانت الفضة النقرة التى يقال لها بمصر الفضة الحجر[1] ، تباع العشرة منها بتسعة دراهم كاملية[2] . وبقى الدينار بخمسة عشر درهما ، بعد ما كان بعشرين .

وعدمت جميع الصنائع ، فلم يوجد سقاء ، (٢٣٧ ب) ولا بابا ، ولا غلام . وبلغت جامكية غلام الخيل ثمانين درهما فى كل شهر ، بعد ثلاثين درهما . فنودى بالقاهرة من كانت له صنعه فليرجع إلى صنعته ، وضرب جماعة منهم . وبلغ ثمن راوية[3] الماء إلى ثمانية دراهم ، لقلة الرجال والجمال ؛ وبلغت أجرة طحن الأردب القمح خمسة عشر درهما .

---

(١) هذا المصطلح ، وغيره من مصطلحات العصر المملوكى ، يلقى ضوءا كثيراً على بعض نواحى التاريخ الاقتصادى فى مصر العصور الوسطى

(٢) الغالب أن الدراهم الكاملية نسبة إلى السلطان الكامل الأيوبى . انظر المقريزى : إغاثة الأمة ص ٤٩

(٣) فى ف " الراوية " ، وما هنا من ب ، ٥٩٤ ا .

ويقال إن هذا الوباء أقام يدور على أهل الأرض مدة خمس عشرة سنة[١] ، وقد أكثر الناس من ذكره[٢] فى أشعارهم ، فقال الأديب زين الدين عمر بن الوردى من مقامة عملها :

إسكندرية ذا الوبا   سبع يمدّ إليك ضبعه
صبراً لقسمتك التى   تركت من السبعين سبعه

وقال :

أصاح الله دمشقاً   وَحَماها عن مسبّه
نفسُها خسّت إلى أن   تقتل النفس بحبهْ

وقال :

إنّ الوبا قد غلبا   وقد بدا فى حلبا
قالوا له على الورى   كافٌ ورَا قلت وبا

وقال :

الله أكبر من وباء قد سبا   ويصول فى العقلاء كالمجنون
سُنّت أسنته لكل مدينة   فعجبت للمكروه فى المسنون

وقال :

حلبٌ والله يكفى   شرّها أرض مشقه

---

(١) حرص ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٦١) على الإشارة إلى دقة معلوماته عن الوباء ، وهى معلومات لا تزيد — ولا تقلّ — عما هنا فى شىء . غير أنه زاد عليها بقوله : "ورأيت أنا من رأى هذا الوباء ، فكانوا يسمونه الفصل الكبير ، ويسمونه أيضا سنة الفناء ..." ، يريد بذلك أن يؤكد أنه استقى حقائقه من الأشهاد المعاصرين ، على حين لم يهتمّ المقريزى — ومولده قبل ابن تغرى بردى — لإثبات مثل هذه الإشارة ، مع العلم بأن ابن تغرى بردى لابدّ استمدّ حقائقه فى الوباء — وغيره — من المقريزى ، أو أنهما استمدّا من مرجع واحد .

(٢) ذكر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ١٣ ص ٦٢) أن عملية التوفيق بين السنين الشمسية والقمرية ، وهى عملية تحويل السنين كل ثلاث وثلاثين سنة هجرية من أجل شئون الخراج ، ولعت سنة ٧٤٩ هـ ، أى سنة هذا الوباء ، وتطلبت عملية التحويل اعتبار هذه السنة فى حساب الخراج سنة ٧٥٠ هـ ، ولذا ألغيت سنة ٧٤٩ هـ هذه من الحساب الخراجى ، حتى "كان يقال مات فى تلك السنة كل شىء ، حتى السنة نفسها" ، ولعل هذه العبارة المريرة أبلغ ما قيل فى وصف هذا الوباء .

أصبحت حبة سوء تقتل الناس ببزقه[1]

وقال :

قالوا فساد الهواء يردى فقلت يردى هوى الفساد
كم سيئات وكم خطايا نادى عليكم بها المنادى

وقال :

فهـذا يوصّى بأولاده وهـذا يودّع إخوانه
وهـذا يهيء أشغاله وهـذا يجهز أكفانه
وهـذا يصالح أعداءه وهـذا يلاطف جيرانه
(٢٣٨ ب) وهـذا يوسع إنفاقه[2] وهـذا يخالل من خانه
وهـذا يحبّس أملاكه وهـذا يحرر غلمانه
وهـذا يغيّر أخلاقه ، وهـذا يعيّر ميزانه
ألا إن هذا الوبا قد سبا[3] وقد كاد يرسل طوفانه[4]
ولا عاصم اليوم من أمره سوى رحمة الله عبدانه

وقال الصلاح خليل بن أيبك الصفدى :

قد قلت للطاعون وهو بغزة قد جال من قطيا إلى بيروت
أخليت أرض الشام من سكانها وحكمت ياطاعون[5] بالطاغوت

وقال :

لما افترست صحابى ياعام تسع وأربعينا

(١) - فى ف ، وكذلك فى ب " يبصقه " ، وما هنا من ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ ، ومنه صحح الناشر بغير تعليق سائر الأبيات الشعرية المنسوبة إلى هذا المؤلف .

(٢) فى ف " اتفاقه " ، وما هنا من ب ، ٥٩٤ ا .

(٣) فى ف " نشا " ، وما هنا من ب ، ٥٩٤ ا ، والمعنى المقصود أن الطاعون استولى على البلاد .

(٤) فى ف " طواته " ، وما هنا من ب ، ٥٩٤ ا .

(٥) فى ف " بالطاعون " ، وما هنا من ب ، ٥٩٤ ا .

ما كنتَ والله تسعاً بل كنتَ سبعاً يقينا.

وقال :

دارت من الطاعون كاس الفنا فالنفس من سكرته طائفه
قد خالف الشرع وأحكامه لأنه يثبت بالرائحــــه

وقال :

أسفى على أكناف جِلّق إذ غدا الطاعون فيها ذا زناد وَارِى
الموت أرخص ما يكونُ بُحبة والظـــلم زاد فصار بالقنطارِ

وقال :

أما دمشق فإنها قد أوحشت من بعـــد ماشهد البرية أنسها
تاهت بعجب زائد حتى لقــد ضَربت بطاعون عظيم نفسها

وقال :

تعجبت من طاعون جلّق إذ غدا وما فاتت الآذان وقعــة طعنه
فكم مؤمن تلقاه أذعن طائعاً على أنه قد مات من خلف أذنه

وقال :

رعى الرحمن دهرا قـــــد تولى يجاذى[1] بالسـلامة كل شرط
وكان الناس فى غفــلات أمر فجـا طاعونهم من تحت إبط

وقال :

(٢٣٩ ب) يا رحمتا لدمشق من طاعونها فالكل مغتبق به أو مصطبح
كم هالك نفث الدما من حلقه أوَ ما تراه بغير سكين ذُبح

(١) فى ف " تجاوى " ، وما هنا من ب ، ١٥٩٤

وقال :

مصيبة الطاعون قد أصبحت لم يخلُ منها فى الورى بقعه
يدخــــل فى المنزل لو أنه مدينة أخلاه فى جمعــــــه

وقال الأديب بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبى :

إن هذا الطاعون يفتك فى النا س فتــكَ امرىءٌ ظلوم حقود
ويطوف البلاد شرقا وغربا ويسوق العباد نحو اللحود
قد أباح الدما وحرّم جمع الشـ ـمل قهراً وحــلّ نظم العُقود
كم طوى النشر من أخ عن أخيه وَسَــبا عقل والدٍ بوليد

وقال :

أيتم الطفل أثكل الأمّ أبكى الـ ـعين أجرى الدموع فوق الخدود
بسهام يرمى الأنام خفيّا تٍ تشقّ القلوب قبل الجلود
كلما قلتُ زدتَ فى النقص أقصِرْ وتلبّثْ يقول هل من مزيد
(١٢٠٤) إن أعش بعده فإنى شكور مخلص الحمد للولىّ الحميــد
وإذا مت هنئونى[1] وقولوا كم قتيــل كما قُتِلْتُ شهيد

وقال الأديب جمال الدين محمد بن نباتة المصرى :

سِرْ بنا عن دمشق يا طالب العيــش فما فى المقام للمرء رغبه
رخصت أنفس الخلائق بالطاعــون فيها كل نفس بحبه

وقال الصلاح خليل بن أيبك الصفدى أيضاً :

قد نقّص الطاعون عيش الورى وأذهــــل الوالد والوالده
كم منزل كالشمــع سكانه أطفأهم فى نفخة واحــــده

---

(١) فى ف " هنونى " ، وما هنا من ب ، ٤٩٤ ا .

وقال :

لا تثق بالحيــاة طرفة عين ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ فى زمان طاعونه مستطير

فكأن القبور شُعْــلة شمع ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ والبرايا لهـــا فراش يطير

وقال الأديب إبراهيم المعمار :

يا طالب الموت أفِقْ وانتبــه ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ هــذا أوان الموت ما فاتا

(٢٤٠ ب) قد رخص الموت على أهله ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ ومات من لا عمره ماتا

وقال :

قَبُح الطاعون داء ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ فقدت فيــه الأحبه

بيعتْ الأنفس فيــه ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ كل نفس بحُبَيْبه

ومات فى هـذه السنة خلائق من الأعيان ، منهم برهان الدين إبراهيم بن لاجين ابن عبد الله الرشيدى الشافعى ، يوم الثلاثاء تاسع عشرى شوال ؛ ومولده سنة ثلاث وسبعين وستمائة . أخذ القراءات على التقى الصائغ ، وسمع الحديث من الأبرقوهى ؛ وأخذ الفقه عن العلم العراقى ، وبرع فيه ، وفى الأصول والنحو وغيره ؛ ودرّس وأقرأ ، وخطب بجامع أمير حسين ، واشتهر بالصلاح .

و [توفى] برهان الدين إبراهيم ابن عبد الله بن على الحكرى ، شيخ الإقراء ، فى يوم عيد النحر . أخذ القراءات (٢٤١ ا) عن التقى الصائغ ، ونور الدين على بن يوسف ابن حرير الشطنوفى .

و [توفى] الأديب إبراهيم بن على بن إبراهيم المعمار .

و [مات] شهاب الدين أحمد بن عز الدين أيبك بن عبد الله الحسامى المصرى الدمياطى ، نسبة إلى جَدّه لأمه الشافعى الجندى .

و [مات] الأديب المادح شهاب الدين أحمد بن مسعود بن أحمد بن ممدود السنهورى أبو العباس الضرير ؛ كانت له قدرة زائدة على النظم ، وشعره كثير .

و[مات] الأمير أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية ابن فضل بن ربيعة ، أمير آل فضل ، بسلمية ، عن نيف وخمسين سنة .

وتوفى كاتب السرّ بدمشق شهاب الدين أحمد بن محيى الدين بن يحيى بن فضل الله ابن على العمرى ، فى تاسع ذى الحجة بدمشق ؛ ومولده بها فى ثالث شوال سنة سبعمائة . عَرَف الفقه على مذهب الشافعى ، و[دَرَس] العربية ؛ (٢٤١ ب) وبرع فى الإنشاء والتاريخ ، وقال الشعر الجيد ، وصنّف عدة كتب فى التاريخ والأدب ، وباشر كتابة السرّ بديار مصر عن أبيه فى حياته ، ثم استقلّ فى كتابة السرّ بدمشق .

و[توفى] شهاب الدين أحمد بن محمد بن قيس بن ظهير الأنصارى المصرى الشافعى ، يوم عيد النحر بالقاهرة . دَرّس بالخشابية والمشهد الحسينى ، وبرع فى الفقه ؛ وعظمت شهرته .

و[ومات] أحمد بن الأمير آقبغا عبد الواحد .

و[مات] الأمير أحمد بن الأمير أصلم .

و[مات] شهاب الدين أحمد بن الوجيه المحدث .

و[توفى] شهاب الدين أحمد بن ميلق الشاذلى .

و[مات] الأمير أحمد بن الأمير جنكلى بن البابا ، قريبا من عقبة أيلة ، بعد عوده من الحج .

و[توفى] شهاب الدين أحمد بن الغزاوى ، ناظر الأوقاف وناظر المارستان ، بطريق الحجاز .

و[توفى] المسند زين الدين أبو بكر بن قاسم بن أبى بكر الرحبى الحنبلى ، بدمشق ؛ ومولده (٢٤٢ أ) سنة ست وستين وستمائة .

و[توفى] الشيخ المعتقد [أبو بكر[1] بن] النشاشيبى .

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٩٥ أ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٤٢ .

و[مات] الأمير آقبغا أخو الأمير طقزدمر الحموى

و[مات] الأمير أسندمر القلنجق ، والى القاهرة .

و[مات] الأمير إسماعيل الوافدى ، والى قوص ، مقتولا .

و[مات] الأمير إلمش الجدار ، الحاجب بدمشق ؛ وكان مشكورا .

و[مات] الأمير بلك المظفرى الجدار ، أحد أمراء الألوف ، فى يوم الخميس رابع عشرى شوال .

و[مات] الأمير برلغى الصغير ، قريب السلطان الملك المنصور قلاون . قدم إلى القاهرة صحبة القازانية سنة أربع وسبعمائة ، فأنعم عليه بإمرة ، وتزوج ابنة[1] الأمير بيبرس الجاشنكير قبل سلطنته ، وعُمل له مهمّ عظيم ، أشعل فيه ثلاثة آلاف شمعة . ثم قُبض عليه بعد زوال دولة المظفر بيبرس ، وامتحن ، وحُبس عشرين سنة . ثم أفرج عنه ، وأنعم عليه بتقدمة ألف ، (٢٤٢ ب) فمات بعد أيام .

و[مات] الأمير بلبان الحسينى أمير جندار ، [وهو] من المماليك المنصورية قلاون ؛ وقد أناف على الثمانين .

و[مات] الأمير بكتوت القرمانى أحد المماليك المنصورية قلاون ؛ و[كان أحد] الأمراء البرجية ، ثم ولى شدّ الدواوين بدمشق ، وحُبس ؛ ثم أنعم عليه بطبلخاناه فى ديار مصر ؛ وكانت به حدبة فاحشة ، وولعٌ بتتبع المطالب وعمل الكيميا .

و[مات] الأمير تخمان .

و[مات] الأمير تمربغا العقيلى نائب الكرك ، فى جمادى الآخرة ؛ وكان مشكور السيرة .

و[توفى] كمال الدين جعفر بن ثعلب بن جعفر بن على الإدفوى الفقيه الشافعى الأديب الفاضل ، له كتاب الطالع السعيد فى تاريخ الصعيد ، وغيره ؛ وشعره جيد

(١) فى ف " امراه " ، وما هنا من ب ، ٥٩٠ ا ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ١٠ ، ص ٢٣ .

و [مات] الأمير وداد بن الشيبانى ، متولى إياس ؛ وكان مشكور السيرة

و [مات] الأمير سنقر الرومى المستأمن[1] . قدم رسولا من (٢٤٣ ا) الفرنج فى الأيام الناصرية محمد بن قلاون ، فأسلم وأنعم عليه بإمرة عشرة . ثم اختصّ بالصالح إسماعيل وأخيه شعبان الكامل ، واتهم بأنه رَكّبَ لهما السموم ؛ فقُبض عليه بعد انقضاء أيام المظفر [حاجى] ؛ ونُفى . ثم أحضر ، وأنعم عليه بإمرة .

و [مات] الأمير ناصر الدين خليفة ، وزير البلاد الفانية على شاه ، فى سادس عشرى جمادى الأولى ، بدمشق ؛ وكان قد قدم من بلاد المشرق ، وأعطى إقطاعا .

و [توفى] نجم الدين سعيد بن عبد الله الدّهلى ، بكسر الدال المهملة ، الفقيه الحنبلى الحافظ ، خامس عشرى ذى القعدة ؛ وله كتاب تفتيت الأكباد فى واقعة بغداد . وُلد سنة سبع عشرة وسبعمائة ، وقدم من بغداد إلى القاهرة ، وسمع ودأب وصنّف ، فبرع فى الحديث ومعرفة التراجم .

و [توفى] جمال الدين أبو الربيع سليمان بن أبى الحسن (٢٤٣ ب) بن سليمان بن ريان الحلبى ، ناظر الجيش بها وبدمشق .

و [ومات] شيرين بن شيخ الخانكاه الركنية بيبرس ، فولى بعده نجم الدين الملطى ، فمات عن قريب .

و [مات] الأمير طشتمر طلليه ، أحد الأمراء المقدمين ، فى شوال ؛ وقيل له طلليه لأنه كان إذا تكلم قال فى آخر كلامه طلليه ؛ وهو من المماليك الناصرية .

و [مات] الأمير طغاى الكاشف مقتولا ، فقدم الخبر بقتله يوم الخميس ثالث عشرى ذى القعدة .

و [ماتت] خوند طغاى أم آنوك ، وتركت مالا كبيرا وألف جارية وثمانين طواشيا ؛ أعتقت الجميع ؛ ولها تنسب تربة خوند بالصحراء .

و [توفى] الصفى عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم بن أحمد بن نصر بن

---

(١) يرادف هذا اللفظ فى مصطلح الدولة المملوكية لفظ الوافدى . انظر ما سبق ، ص ٧٥٠ ، حاشية ١ .

أبى العز يز سرايا بن ناقا بن عبد الله السنبسى الحلى ، الأديب الشاعر ، آخر يوم من ذى الحجة ؛ ومولده خامس ربيع الآخر سنة سبع (٢٤٤ ا) وسبعين وستمائة ؛ قدم القاهرة مرتين.

و [توفى] تاج الدين عبد الرحيم بن قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم القزوينى الشافعى ، خطيب الجامع الأموى بدمشق ؛ و [توفى منه] أخوه صدر الدين عبد الكريم .

و [توفى] الرجل الصالح عبد الله بن المنوفى المالكى ، فى يوم الأحد ثامن رمضان ؛ وقبره خارج القاهرة يقصد للتبرك به .

و [توفى] المسند بهاء الدين على بن عمر بن أحمد بن عمر المقدسى الصالحى الدمشقى ، وقد أناف على الثمانين ؛ حدث عن ابن البخارى وغيره .

و [مات] أمير على بن طغريل الإيغانى ، أحد أمراء الألوف .

و [مات] أمير على بن [الأمير] أرغون النائب .

و [توفى] شيخ الشيوخ بدمشق علاء الدين على بن محمود بن حميد القونوى الحنفى ، فى رابع رمضان .

و [توفى] زين الدين عمر بن داود بن هارون بن يوسف بن على الحارثى[1] الصفدى ، (٢٤٤ ب) أحد موقعى الدست — وقد أناف على الستين — ، بالقاهرة . برع فى الفقه على مذهب الشافعى ، وفى العربية والإنشاء ، ونظم الشعر .

و [توفى] زين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس بن على المعرى الحلبى ، المعروف بابن الوردى ، الفقيه الشافعى ، [وهو] ناظم[2] الحاوى ؛ وقد جاوز الستين ؛ [وكانت وفاته] بحلب ، فى سابع عشرى ذى الحجة .

و [توفى] زين الدين عمر بن عامر بن الخضر بن عمر بن ربيع العامرى الغزى[3] الشافعى ،

---

(١) فى ف " الحادى " ، وما هنا من ب ، ٥٩٦ ا .

(٢) فى ف " ناظر " ، وما هنا من ب ، ٥٩٦ ا .

(٣) فى ف " العزى " ، وما هنا من ب ، ٥٩٦ ا .

بمدينة بلبيس ، عن إحدى وسبعين سنة ؛ باشر بالكرك وعجلون وقوص وبلبيس ، وبرع في الفقه .

و[توفى] زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم بن عبد الرزاق البلفيائي الشافعي ، قاضي حلب وصفد ، وبها مات عن نحو سبعين سنة .

[ومات] الأمير ركن الدين عمر بن طقصو[1] ؛ وكان فاضلا ، صنّف في الموسيقى وغيره .

و[مات] الطواشي عنبر السحرتي اللالا مقدم (٢٤٠ أ) المماليك ، منفيا بالقدس .

و[مات] الأمير قطز أمير آخور ونائب صفد ، وهو من جملة الأمراء بدمشق ، يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة .

و[مات] الأمير قرونه من الأويراتية[2] .

و[مات] الأمير قطليجا السيفي البكتمري ، متولي الإسكندرية ، ووالي القاهرة .

و [مات] الأمير كوكاى السلاح دار المنصورى ؛ وترك زيادة على أربعمائة ألف دينار .

و[توفى] قاضي الشافعية بحلب نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر بن الصائغ الأنصاري ، وقد أناف على السبعين .

و[مات] شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان ، الفقيه الشافعي عن ست وثمانين سنة ، بالقاهرة .

و[توفى] شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان الأسعردي ، الفقيه الشافعي ، عن تسع وستين سنة .

و[توفى] شمس الدين محمد المعروف بابن الكتاني الشافعي .

و[توفى] عماد الدين (٢٤٠ ب) محمد بن إسحق بن محمد البلبيسي الشافعي ، قاضي الإسكندرية في الأيام الناصرية ، وهو معزول ، في يوم الثلاثاء حادي عشر شعبان .

ومات شمس الدين محمد بن مسكين ناظر الأحباس .

---

(١) في ف " طقصوق " ، وما هنا من ب ، ١٠٩٦ أ .

(٢) في ف " الادبراتيه " ، وما هنا من ب ، ١٠٩٦ أ . انظر المقريزي : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٠٨ ، حاشية ٣ .

و[مات] شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عمر الأسيوطى ، ناظر بيت المال ، [وهو] بانى جامع الأسيوطى بخط جزيرة الفيل .

و[توفى] الشيخ شمس الدين محمد الأكفانى الحكيم ، صاحب التصانيف ، في يوم الأربعاء ثالث عشرى شوال .

و[توفى] شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير الطبيب ؛ وله شعر جيد .

و[مات] الشيخ شمس الدين محمود بن أبى القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن محمد ابن أبى بكر الأصفهانى ، الفقيه الشافعى ذو الفنون ، بالقاهرة ، فى ذى القعدة ؛ ومولده سنة أربع وسبعين وستمائة .

و[مات] الأمير شرف الدين محمود بن خطير ، أخو أمير مسعود .

و[مات] نكباى البريدى أحد (٢٤٦ ا) المماليك المنصورية قلاون ؛ ولى قطيا وإسكندرية ، ثم أنعم عليه بطبلخاناه ، واستقر مهمندارا ؛ وإليه تنسب دار نكباى خارج مدينة مصر على النيل ، وعنى بعمارتها ، فلم يمتع بها .

و[توفى] الشيخ المعتقد يوسف المرحلى .

و[مات] نور الدين الفرج .

و[توفى] نور الدين الفرج بن محمد بن أبى الفرج الأردبيلى الشافعى ، شارح منهاج البيضاوى ، فى ثالث عشر جمادى الآخرة ، بدمشق .

***

سنة خمسين وسبعمائة : أهل شهر الله المحرم ، وقد تناقص الوباء .

وفيه أخرج الأمير قبجق إلى دمشق ، على إمرة طبلخاناه .

وفيه اجتمع رأى كثير من طائفة الفقهاء الحنفية على أن يكون قاضيهم جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة علاء الدين بن عثمان التركمانى ، بعد موت والده فى تاسعه . وطلبوا ذلك من الأمير شيخو وغيره ، فأجيبوا إليه . وطلب جمال الدين ، وخلع عليه ، (٢٤٦ ب) واستقر قاضى [القضاة] الحنفية ، ونزل إلى المدرسة الصالحية ؛ وعمره دون الثلاثين سنة .

وفيه قدم الحاج ، وفيهم قاضى القضاة زين الدين عمر البسطامى . فترك له قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن التركمانى تدريس الحنفية بجامع أحمد بن طولون ، فشكره الناس على هذا .

و[فيه] وقدم أيضاً قاضى القضاة عز الدين [عبد العزيز] جماعة ، فزوج[1] قاضى القضاة عز الدين بن جماعة جمال الدين [عبد الله بن التركمانى] بابنته .

و[فيه] وقدم أيضاً الأمير فارس الدين ، وقد نازعه عرب بنى شعبة فى عمارة عين جوبان ، فجمع لهم وقاتلهم ، وقتل منهم جماعة ، وجرح كثيراً وهزمهم ؛ وقتل له مملوكان ؛ وأصلح [الأمير فارس الدين] العين حتى جرى ماؤها بقلة . وكان الغلاء بمكة شديداً بلغت الويبة من الشعير إلى سبعين درهما ، فهلك كثير من الجمال ؛ ووقع بمكة والمدينة (٢٤٧ ا) وعامة بلاد الحجاز وبواديها وباء عظيم حتى جافت البوادى .

وفيه خلع على تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الأخنائى ، واستقر فى قضاء [القضاة] المالكية ، عوضاً من عمه تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الأخنائى ، بعد موته .

وفيه تقدم الوزير منجك لعلاء الدين على بن الكورانى والى القاهرة بطلب الخفراء أصحاب الرباع ، وإلزامهم بكتابة أملاك القاهرة ومصر وظواهرها ، وأسماء سكانها وملاكها ؛ فكتبوا ذلك وكان يوجد فى الزقاق الواحد من كل حارة وخط عدة دور خالية ، لا يعرف لها مالك ، فختم عليها . وتتبع [الوالى] الفنادق والمخازن ودار الوكالة والحواصل والشون ، وفعل فيها كذلك .

و[فيه] قدم الخبر بتفاق العشير وعرب الكرك ، وذلك أن عشير بلاد الشام فرقتان — قيس ، ويمن — لا يتفقان قط ، وفى كل (٢٤٧ ب) قليل يثور بعضهم على بعض ، ويكثر قتلاهم ، فيأتى إليهم من السلطان من يجبيهم[2] الأموال الكثيرة . فلما وقع الفناء فى الناس ثاروا على عادتهم ، وطالت حروبهم لاشتغال الدولة عنهم ، فعظم فسادهم وقطعهم الطرقات على المسافرين . فجرد إليهم النائب — أعنى [الأمير أرغون شاه[3]] نائب الشام —

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٩٧ ا " فتزوج " .
(٢) فى ف " يجيبهم " ، وفى ب ٥٩٧ ا " يجنبهم " ، وما بالمتن من باب الترجيح .
(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢١٣ .

ابن صبيح مقدم الجبلية فى عدة من الأمراء ، فلم يظفر بهم ، وأقام بالعسكر على العجون . وأخذ العشير فى الغارات على بلاد القدس والخليل ونابلس ، فكتب لنائب غزة بمساعدة العسكر .

و [فيه] اشتدت الفتنة أيضا فى بلاد الكرك بين بنى نمير وبنى[1] ربيعة ، فإن الملك الناصر محمد بن قلاون كان لما أعياه أمرهم وتحصنهم بجبالهم المنيعة أخذ فى الحيلة عليهم ، وتقدم إلى شطى أمير بنى عقبة ، وإلى نائب الشام ونائب غزة ونائب الكرك ، بأن يدخلوا إلى البرية كأنهم يصطادون ، (٢٤٨ ا) ويوقعون بهم ؛ فقبضوا على كثير منهم ، وقتلوا فى جبالهم خلقا كثيرا منهم ، وحبسوا باقيهم حتى ماتوا . فسكن الشر بتلك الجهات إلى أن كانت فتنة الناصر أحمد بالكرك ، عاد بنو نمير وبنو ربيعة إلى ما كانوا عليه من الفساد ، وقوى أمرهم . فركب إليهم الأمير جركتمر نائب الكرك ، وطلع إليهم فقاتلوه ، وقتلوا من أصحابه عشرة ، وكسروه أقبح كسرة ؛ فكتب لنائب الشام الأمير أرغون شاه بتجهيز عسكر لقتالهم .

وفى صفر أنعم على عرب بن ناصر الدين الشيخى بإمرة طبلخاناه ، وعلى شاورشى دوادار قوصون بإمرة عشرة .

وفى أول ربيع الأول قدم قود الأمير جبار[2] بن مهنا ، صحبة ولده نعير .

و [فيه] قدم البريد من غزة بركوب نائبها على العشير ، وكبسهم ليلا ، وأسر أكثرهم ، وقتل ستين منهم ، وتوسيط الأسرى بغزة .

وفى (٢٤٨ ب) يوم الأربعاء ثاني عشريه شنقت جارية رومية الجنس خارج باب النصر ، عند مصلى الأموات . وسبب ذلك أنها كانت جارية أم الأمير يلبغا اليحياوى ، فاتفقت مع عدة من الجوارى على قتل سيدتها ، وقتلوها ليلا بأن وضعن على وجهها مخدة ، وحبسن نفسها حتى ماتت ، وأقمن من الغد عزاءها ، وزعمن أنها ضربت بدم . فمشت حيلتهن على الناس أياما ، إلى أن تنافسن على قسمة المال الذى سرقنه ، وتحدثن بما كان ،

---

(١) فى ف " وبين " وما هنا من ب ، ١٥٩٧ ، انظر كذلك ما يلى بهذه الفقرة .

(٢) فى ف " خيار " ، وما هنا من ب ، ٥٩٧ ب .

واعترفن على الجارية التى تولت القتل ، فأخذت وشُنقت ، وهى[1] بإزارها ونقابها . وأخذ من الجوارى ما معهن من المال ، وكان جملة كثيرة . ولم يعهد بمصر امرأة شنقت سوى هذه.

وقد وقع فى أيام المنصور قلاون أن امرأة كانت تستميل النساء وترغبهن حتى تمضى بهن (١٢٤٩ ا) إلى موضع توهمهن أن به من يباشرهن بفاحشة ، فإذا صارت المرأة إليها قبضها رجال قد أعدتهم ، وقتلوها وأخذوا ثيابها . فاشتهر بالقاهرة خبرها ، وعُرفت بالخناقة ؛ فما زال بها الأمير علم الدين سنجر الخياط والى القاهرة حتى قبض عليها ، وسمّرها[2] .

ووقع أيضا فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون أن امرأة بأرض الطبالة كانت عند طائفة البزادرية تفعل ذلك بالنساء ، فقبض عليها ، وسمّروا وسمّرت معهم ؛ فكانت تقول — وهى مسمّرة يطاف بها على الجمل فى القاهرة — إذا رأت النساء وهن يتفرجن عليها : " آه يا قحاب ، لو عشت لكنّ لأفنيتكن ، لكن ما عشت " .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشريه قدم الخبر بقتل الأمير أرغون شاه نائب الشام ، وكان شأنه مما يستغرب .

وذلك أنه لما (٢١٢ ب) كان نصف ليلة الخميس ثالث عشريه لم يشعر الأمير أرغون شاه ، وقد نزل بالقصر الأبلق من الميدان خارج مدينة دمشق ، ومعه أهله ، وإذا بصوت قد وقع فى الناس بدخول العسكر ، فثاروا بأجمعهم . ودارت النقباء على الأمراء[3] بالركوب ، ليقفوا على مرسوم السلطان . فركبوا جميعا إلى سوق الخيل تحت القلعة ، فوجدوا الأمير ألجيبغا المظفرى نائب طرابلس ، وإذا بالأمير أرغون شاه ماش ، وعليه بملوطاق صدر وتخفيفة على رأسه ، وهو مكتّف بين مماليك الأمير فخر الدين أياس .

وذلك أن ألجيبغا لما قدم [من طرابلس سار حتى طرق دمشق على حين غفلة ، وركب معه الأمير الأمير فخر الدين أياس السلاح دار . ثم] ركب أياس بأصحابه ، وأحاط بالقصر

(١) فى ف " وشنقت سوى هذه وهى بازارها . . . " وما هنا من ب ، ٥٩٧ ب .

(٢) تقدمت أخبار هذه الخناقة واسمها غازية فى المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٢١ .

(٣) فى ف " ودارت الاسها على النقبا " ، وما هنا من ب ، ٥٩٧ ب ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢١٣ .

الأبلق ، وطرق[1] بابه وعلم[2] الخدام بأنه قد حدث أمرٌ مهمّ ، فأيقظوا[3] الأميرأرغون شاه ؛ فقام من فرشه ، وخرج إليهم ، فقبضوا عليه ؛ وقالوا حضر مرسوم السلطان بمسكه ، والعسكر واقف . فلم يجسر (٢٠٠ ا) أحد يدفع عنه ، وأخذه أياس وأتى به ألجيبغا . فسلم أمراء دمشق على ألجيبغا ، وسألوه عن الخبر ، فذكر لهم أن مرسوم السلطان ورد عليه بركوبه إلى دمشق بعسكر طرابلس ، وقبض أرغون شاه وقتله والحوطة على موجوده ؛ وأخرج لهم كتاب السلطان بذلك ؛ فأجابوا بالسمع والطاعة ، وعادوا إلى منازلهم ؛ ونزل ألجيبغا بالميدان .

وأصبح يوم الخميس ، فأوقع [ألجيبغا] الحوطة على موجود أرغون شاه ؛ وأصبح يوم الجمعة أرغون شاه مذبوحا . فكتب ألجيبغا محضرا بأنه وُجد مذبوحا والسكين فى يده ،فأنكر الأمراء ذلك عليه ، [و] كونه لما قبض أموال أرغون شاه لم يرفعها إلى القلعة على العادة ، واتهموه فيما فعل ، وركبوا لحربه يوم الثلاثاء ثامن عشريه . فقاتلهم [ألجيبغا] ، وجرح الأمير مسعود بن خطير ، وقطعت يد الأمير ألجيبغا العادلى ، وقد جاوز تسعين سنة . (٢٠٠ ب) وولى ألجيبغا نائب طرابلس ، ومعه خيول أرغون شاه وأمواله ؛ وتوجه نحو المزة ، وصحبته الأمير أياس الذى كان نائب حلب ، ومضى إلى طرابلس .

وسبب ذلك أن أياس لما عزل من نيابة حلب بأرغون شاه ، وأخذت أمواله وسجن ، ثم أفرج عنه واستقرّ من جملة أمراء دمشق وأرغون شاه نائبها ، كان [أرغون شاه] يهينه ويخرق به .

واتفق أيضا إخراج ألجيبغا المظفرى من القاهرة إلى دمشق أميرا[4] بها ، فترفّع عليه أرغون شاه وأذله ، فاتفق مع أياس على مكيدة . وأخذ ألجيبغا فى السعى لخروجه من دمشق عند الأمراء ، وبعث إلى الأمير بيبغا روس نائب السلطان وإلى أخيه الوزير منجك هدية سنية ، فولوه طرابلس كما تقدم ، وأقام بها إلى أن كتب يعرّف السلطان والأمراء أن أكثر

---

(١) فى ف "وطرف" ، وما هنا من ب ، ٥٩٧ ب .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٩٧ ب " واعلم " ، وما هنا من ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢١٤ .

(٣) فى ف وكذلك ب ، ٥٩٧ ب " فايقظوه وخرج فرشه فقبضوا عليه .. " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٤) فى ف " اميرها " ، وما هنا من ب ، ٥٩٨ ب .

عسكر طرابلس مقيم بدمشق ، وطلب[1] أن يكتب (٢٠١ ا) لنائب الشام بردّهم إلى طرابلس ، فكتب له بذلك . فشقّ على[2] [أرغون شاه] أن الجيبغا لم يكتب إليه يسأله ، وإنما كتب إلى السلطان والأمراء دونه ، وكتب إلى الجيبغا بالإنكار عليه ، وأغاظ له فى القول ، وحمل البريد [ى إليه] مشافهة شنيعة ؛ فقامت قيامة ألجيبغا عند سماعها ، وفعل ما فعل .

ولما قدم خبر قتل الأمير أرغون[3] شاه ارتاع الأمراء ، واتهم بعضهم بعضا . فحلف كل من شيخو والنائب [بيبغا روس] على البراءة من قتله ، وكتبوا إلى الجيبغا بأنه قتل أرغون بمرسوم مَنْ ، وإعلامهم بمستنده فى ذلك ؛ وكتب إلى أمراء دمشق بالفحص عن هذه الواقعة .

وكان ألجيبغا وأياس قد وصلا إلى طرابلس ، وخيما بظاهرها . فقدمت فى غد وصولهما كتب أمراء دمشق إلى أمراء طرابلس بالاحتراز على ألجيبغا حتى يرد مرسوم السلطان ، فإنه فعل فعلته بغير مرسوم السلطان ، "ومشت حيلته علينا" ؛ وكتبوا إلى نائب (٢٠١ ب) حماه ونائب حلب وإلى العربان بمسك الطرقات عليه . فركب عسكر طرابلس بالسلاح ، ووقفوا تجاه ألجيبغا ، وأحاطوا به . فوافاهم كتاب السلطان بمسكه ، وقد سار عن طرابلس ، فساروا خلفه إلى نهر الكلب عند بيروت ، فإذا أمراء العربان وأهل بيروت واقفون فى وجهه . فوقف [ألجيبغا] نهاره ، ثم كرّ راجعاً ، فقاتله عسكر طرابلس ، فقبض عليه . وفرّ أياس ، فلم يقدر عليه . ووقعت الحوطة على مماليك ألجيبغا وأمواله ، وأخذ الذى كتب الكتاب بقتل أرغون شاه ، فاعتذر بأنه أكره على ذلك ، وأنه غيّر الألقاب وكتب أوصال الكتاب مقلوبة حتى يعرف أنه مزوّر . وحُمل ألجيبغا مقيّدا إلى دمشق[4] . فقبض نائب بعلبك على أياس ، وقد حلق لحيته ورأسه واختفى عند بعض النصارى ، وبعث[5] به إلى دمشق . فحبسا (٢٠٢ ا) بقلعتها ، وكتب بذلك إلى السلطان والأمراء .

---

(١) فى ف "وكتب" ، وما هنا من ب ، ٥٩٨ ب .

(٢) فى ف وكذلك فى ب ، ٥٩٨ ب " عليه " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٣) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٩٨ ب ، " ولما قدم خبر قتله " .

(٤) فى ف ، وكذلك فى ب ٥٩٨ ب ، " جهة مصر " وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢١٦ .

(٥) فى ف ، كذلك ب ، ٥٩٩ ا وبعثهما " . وما هنا من ابن تغرى بردى (نفس المرجع ، ج ١٠ ، ص ٢١٦) .

وكان قد ركب الأمير قجا السلاح دار البريد إلى دمشق [بأمر السلطان]، فأخرج[1] أياس والجيبغا ووسّطهما، وعلّقهما على الخشب فى يوم الخميس حادى عشرى ربيع الآخر. و[كان] عمر الجيبغا نحو تسع عشرة سنة، وهو ما طرّ شاربه[2].

و[فيه] كتب باستقرار الأمير أرقطاى نائب حلب فى نيابة الشام، عوضا عن أرغون شاه. واستقرّ الأمير قطليجا الحموى نائب حماه فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أرقطاى. واستقرّ أمير مسعود بن خطير فى نيابة طرابلس، عوضا عن ألجيبغا المظفرى.

وفيه قدم طُلب أرغون شاه ومماليكه وموجوده، ثم وصل طُلب ألجيبغا ومماليكه وأمواله وأموال أياس؛ فتصرّف الوزير منجك فى الجميع.

وفيه قدم الخبر بموت الأمير أرقطاى نائب الشام، فكتب باستقرار (٢٠٢ ب) الأمير قطليجا نائب حلب فى نيابة الشام، وتوجه ملكتمر المحمدى بتقليده. فقدم الخبر بأن ملكتمر المحمدى قدم حلب وقطليجا متغير المزاج، فأخرج ثقله يريد دمشق، وأقام بظاهر حلب مدة أسبوع ومات. فأراد [بيبغاروس] النائب والوزير [منجك] إخراج الأمير طاز لنيابة الشام، والأمير مغلطاى أمير آخور لنيابة حلب؛ فلم يوافقا على ذلك، وكادت الفتنة أن تقع. فخلع على الأمير أيتمش الناصرى واستقرّ فى نيابة الشام، عوضا عن قطليجا، فى يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الأولى، وتوجه إليها. وخرج الأمير قارى الحموى إلى دمشق، وجمع أمراءها، وقبض على كثير منهم، وقيّدهم وسجنهم.

وفى هذه الأيام توقفت أحوال الدولة، وقُطعت مرتبات الناس من اللحم والشعير، وصُرف للمماليك السلطانية (٢٠٣ ا) عن كل أردب شعير خمسة دراهم، وقيمته اثنا عشر درهما.

---

(١) فى ف " واخرج "، وما هنا من ب، ٥٩٩ ا، وابن تغرى بردى النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٢١٦، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين.

(٢) فى ف، وكذلك ب ٥٩٩ ا " كاطر شاربه "، وما هنا من ابن تغرى بردى: نفس المرجع والجزء والصفحة

وفى عاشر جمادى الآخرة خرجت التجريدة إلى قتال العشير والعربان . وسببه كثرة فسادهم ببلاد القدس ونابلس . وكان قد قُبض على أدى[1] بن فضل أمير جرم ، وسُجن بقلعة الجبل ، ثم أفرج[2] عنه بعناية الوزير منجك . فجمع [أدى] وقاتل سنجر بن على أمير ثعلبة[3] . فمالت حارثة مع أدى ، ومالت بنو كنانة مع سنجر ، وجرت بينهم حروب كثيرة ، قتل فيها خلائق ، وفسدت الطرقات على المسافرين . فخرجت إليهم عساكر دمشق ، فلم يعبأوا بهم . فلما ولى الأمير يلجك غزة استمال أدى بعد أيام ، وعضده على ثعلبة ؛ واشتدت الحروب بينهم ، وفسدت أحوال الناس . فركب يلجك بعسكر غزة ليلا ، وطرق ثعلبة ، فقاتلوه وكسروه كسرة قبيحة ، وألقوه عن فرسه إلى الأرض ، وسحبوه إلى (٢٠٣ ب) بيوتهم ؛ فقام سنجر بن على أمير ثعلبة[4] عليهم حتى تركوا قتله ، بعد أن سلبوا ما عليه ، و بالغوا فى إهانته ، ثم أفرجوا عنه بعد يومين فعاد [يلجك] إلى غزة ، وقد اتضع قدره . وتقوّى العشير بما أخذوه من عسكره ، وعزّ جانبهم ، فقصدوا الغور ، وكبسوا القصير المعينى ، وقتلوا به جماعة كثيرة من الجبلية وعمال المعاصر ، ونهبوا جميع ما فيه من القنود والأعسال والسكر وغيره ، وذبحوا الأطفال على صدور الأمهات . وقطعوا الطرقات ، فلم يدعوا أحدا يمرّ من الشام إلى مصر حتى أخذوه . وقصدوا القدس ، فخلى الناس منه ومن الخليل ، ثم قصدوا الرملة ولُدّ فانتهبوهما ؛ وزادوا فى التعدّى ، وخرجوا عن الحدّ ، والأخبار ترد بذلك .

فوقع الاتفاق على ولاية الأمير سيف الدين دلنجى نيابة غزة ، وأبقى على إقطاعه بمصر ، وخلع عليه ، وأخرج إليها (٢٠٤ أ) وكتب بخروج ابن صبح من دمشق على ألفى فارس ، وتجهز الوزير[5] منجك ومعه ثلاثة أمراء من المقدمين ، وهم الحمدى وأرغون الكاملى

---

(١) ذكر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٤٦ ؛ ج ٤ ، ص ٤٠٦) هذا الاسم لأمير من أمراء المدينة فى ذلك العصر ، بهذه الصيغة الواردة هنا ، وكذلك بالواو بدل الألف .

(٢) فى ف " اخرج " ، وما هنا من ب ، ٥٩٩ ب .

(٣) فى ف " ثعلبة " ، وما هنا من ب ، ٥٩٩ ب ، من باب الترجيح ، وسيدأب الناشر على هذه الصيغة فيما يلى ، بغير تعليق .

(٤) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٥٩٩ ب " اميرهم " .

(٥) فى ف " الامير " ، وما هنا من ب ، ٥٩٩ ب .

وطقتمر ؛ فسار قبلهم لاجين أمير آخور فى جماعة من طريق عقبة أيلة ، فى يوم السبت رابع عشره .

و بينما الوزير ومن معه فى أهبة السفر إذ قدم الخبر أن الأمير قطليجا توجه من حماه إلى نيابة حلب ، عوضا عن الأمير أرقطاى ، فوجد طُلب أرقطاى وقد برز خارج حلب يريد القاهرة ، فأعاقه لعمل محاسبة إقطاع النيابة بحلب ، وركب بحلب موكبا . ثم ركب [الأمير قطليجا] الموكب الثانى ، ونزل وفى بدنه تغير ؛ فلزم الفراش أسبوعا ومات . فسأل أرغون الكاملى أن يستقرّ عوضه فى نيابة حلب ، فأجيب إلى ذلك ، وخلع عليه فى يوم الخميس ؛ وأنعم بتقدمته على الأمير قطلوبغا الذهبى ، ورسم (٢٠٤ ب) بسفره فى يوم الخميس المذكور .

وخرج الوزير منجك فى تجمل عظيم ، وقد كثرت القالة فى انقضاء مدته ومدة أخيه الأمير بيبغا روس ، و [أن] الأمير شيخو وطاز ومغلطاى وغيرهم من الأمراء قد اتفقوا عليهما حتى بلغهما ذلك ، و [أن الوزير منجك] قصد إبطال التجريدة .

هذا وقد قدّم الوزير النجابة لكشف أخبار العشير ، فلما رحل من بلبيس عادت نجابته بأن ثعلبة ركبت بأجمعها ، ودخلت برية الحجاز ، لما بلغهم مسير العسكر إليهم ، فنهب أدمى كثيرا منهم ، وانفرد فى البلاد بعشيره . فعاد الوزير بمن معه ، وعبر القاهرة فى ثانى عشريه بعد أربعة أيام . وكان قد حصل للوزير فى هذه الحركة من تقادم الكشاف والولاة والأمراء والمباشرين ما ينيف على مائة ألف دينار ، فتلقته العامة [بالشموع[1]] ، وابتهجوا بقدومه ، وأتته الضامنة بجميع أرباب (٢٠٥ ا) الملاهى ، وكان من الأيام المشهورة .

وفى مستهل رجب قدم الخبر بأن الأمير دلنجى نائب غزة بلغه كثرة جمع العشير ، وقصدهم نهب لدّ والرملة مرة ثانية ؛ فركب إليهم ولقيهم قريبا من لدّ ، فنزل تجاههم ، وما زال يراسلهم ويخدعهم حتى قدم إليه نحو الاثنين من أكابرهم ، فقبضهم وعاد إلى غزة ، وقد تفرق جمعهم ، فوسّطهم كلهم .

(١) ما بين الحاصرتين من ب ، ٦٠٠ ا .

وفيه توجه طلب الأمير أرغون الكاملى إلى حلب .

وفيه قدم طلب الأمير أرقطاى مع ولده .

وفى يوم الخميس مستهل شعبان خرج الأمير قبلاى الحاجب بمضافيه من الطبلخاناه والعشرات إلى غزة ، لأخذ شيوخ العشير .

وفى هذا الشهر غيَّر الوزير ولاة الوجه القبلى ، وكتب بطلبهم ، وعزل مازان من الغربية بابن الدوادارى[1] .

وفيه أضيف كشف الجسور إلى ولاة الأقاليم .

وفيه (٢٠٥ ب) أعيد قار السقوف[2] إلى ضمان جهات القاهرة ومصر بأجمعها ، وكان قد سجن فى الأيام الناصرية محمد بن قلاون ، وكتب على قيده مُخَلَّد ، بعد ما صودر وضرب بالمقارع لقبح سيرته . فلم يزل مسجونا إلى أن أفرج عن المحابيس فى أيام الصالح إسماعيل ، فأفرج عنه فى جملتهم ، وانقطع إلى أن اتصل بالوزير منجك واستماله ، فسلمه الجهات بأسرها ، وخلع عليه ، ومنع مقدمى الدولة من مشاركته فى التكلم فى الجهات ؛ ونودى له فى القاهرة ومصر ، فزاد فى المعاملات[3] ثلاثمائة ألف درهم فى السنة .

وفيه قدم الأمير[4] قبلاى غزة ، فاحتال على أدى حتى قدم عليه ، فأكرمه وأنزله ، ثم ردّه بزوادة إلى أهله . فاطمأنت العشرات والعربان لذلك ، وبقوا على ذلك إلى أن أهلّ رمضان حضر أدى فى بنى عمه لتهنئة قبلاى بشهر الصوم ؛ (٢٠٦ ا) فساعة وصوله إليه قبض عليه وعلى بنى عمه الأربعة ، وقيدهم وسجنهم ، وكتب إلى على بن سنجر : " بأنى

---

(١) فى ف " الدويدارى " ، وما هنا من ب ، ١٦٠٠ .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٦٠٠ " الفار " فقط . انظر ما سبق ، ص ٦٠٦ .

(٣) أشار المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٠٥) إلى المعاملات بأنها من المكوس السلطانية التى فرضتها دولة المماليك على الناس فى مصر منذ أيام السلطان أيبك التركمانى ، لكنه لم يدل على هذه المكوس بتعريف واضح ، ونصه أن الوزير هبة الله بن صاعد الفائزى قرر " فى وزارته أموالا على التجار وذوى اليسار وأرباب العقار ، ورتب مكوسا وضمانات . سموها حقوقا ومعاملات ... " انظر كذلك المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٨٤ ، ٥٤٤ .

(٤) فى ف " قدم الخبر بمر قبلاى ... " ، وما هنا من ب ، ٦٠٠ ب .

قد قبضت على عدوّك ليكون لى عندك يد بيضاء». فسُرَّ سنجر بذلك، وركب إلى قبلاى، فتلقاه وأكرمه، فضمن له سنجر درك البلاد. ورحل قبلاى من غده ومعه أدى وبنو عمه يريد القاهرة، فقدم فى يوم الاثنين حادى عشره، فضُربوا على باب القلة بالمقارع ضربا مبرحا وألزم أدى بألف جمل ومائتى ألف درهم، فبعث إلى قومه بإحضارها؛ فلما أُخذتْ سُمِّر هو وبنو عمه فى يوم الاثنين خامس عشريه وقت العصر، وسُيِّروا إلى غزة صحبة جماعة من أجناد الحلقة، فوُسِّطوا بها. فثار أخو أدى، وقصد كبس غزة؛ فخرج إليه الأمير دلنجى ولقيه على ميل من غزة، وحارب ثلاثة أيام، وقتله فى اليوم الرابع بسهم أصابه؛ (٢٠٦ ب) وبعث [دلنجى] بذلك [إلى القاهرة]، فكُتب بخروج نائب صفد ونائب الكرك لنجدته.

وفى مستهل شوال توجه السلطان إلى الأهرام على العادة.

وفيه كثر الإنكار على الوزير منجك، فإنه أبطل سماط العيد، واحتج بأنه يقوم بجملة كبيرة تبلغ خمسين ألف درهم، وتنهبه الغلمان؛ وكان أيضا قد أبطل سماط شهر رمضان.

وفى هذا الشهر فرغت القيسارية التى أنشأها تاج الدين المناوى، بجوار الجامع الطولونى، من مال وقفه، وتشتمل على ثلاثين حانوتا.

وفيه خرج ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير فارس الدين، ومعه عدة من مماليك الأمراء. وحمل [الأمير فارس الدين] معه مالاً من بيت المال، ومن مودع[1] الحكم، لعمارة عين جوبان بمكة، ومبلغ عشرة آلاف درهم للعرب بسبب العين المذكورة؛ ورسم أن تكون مقررة (٢٠٧ ا) لهم فى كل سنة. وخرج معه حاج كثير جدا، وحمل الأمراء من الغلال فى البحر إلى مكة [عدة] آلاف أردب.

وفى مستهل ذى القعدة قدم كتاب الأمير دلنجى نائب غزة بتفرّق العربان، ونزول أكثرهم بالشرقية والغربية من أرض مصر، لربط إبلهم على البرسيم. فكُبست البلاد

(١) انظر المقريزى: كتاب السلوك، ج ١، ص ٨٦٤، حاشية ٣.

عليهم ، وقبض على ثلاثمائة رجل ، وأخذ لهم ثلاثة آلاف جمل . ووُجد عندهم كثير من ثياب الأجناد وسلاحهم وحوائصهم ، فاستعمل الرجال فى العمائر حتى هلك أكثرهم .

وفى نصفه خرج الأمراء لكشف الجسور ، فتوجه الأمير أرنان للوجه القبلى ، وتوجه أمير أحمد قريب السلطان للغربية ، وتوجه الأمير آقجبا الحموى للمنوفية ، وتوجه أراى[1] أمير آخور للشرقية ، وتوجه أحد أمراء العشرات لأشمون .

وفيه توقف حال الدولة ، (٢٠٧ ب) فكثر الكلام من الأمراء والمماليك السلطانية والعاملين والخوشكاشية[2] .

و[فيه] طَلب الأمير مغلطاى أمير آخور زيادة على إقطاعه ، فكُشف عن بلاد الخاص ، فدلّ ديوان الجيش على أنه لم يتأخر منها سوى الإسكندرية ودمياط وفوة وفارس كور ، وخرج باقيها للأمراء ؛ وخرج أيضا من الجيزة ما كان لديوان الخاص للأمراء . وشكا الوزير من كثرة الكلف والإنعامات ، وأن الحوائج خاناه فى الأيام الناصرية [محمد بن قلاون] مرتبها فى كل يوم ثلاثة عشر ألف درهم ، وهو اليوم اثنان وعشرون ألف درهم . فرسم بكتابة أوراق بمتحصل الدولة ومصروفها ، فبلغ المتحصل فى السنة عشرة آلاف ألف درهم ، والمصروف بديوان الوزارة وديوان الخاص أربعة عشر ألف ألف [درهم] وستمائة ألف [درهم]، وأن الذى خرج من بلاد (٢٠٨ ا) الجيزة على سبيل الإنعام زيادة على إقطاعات الأمراء نحو ستين ألف دينار . فتغاضى الأمراء عند سماع ذلك إلا مغلطاى أمير آخور ، فإنه غضب وقال : " من يحاقق الدواوين على قولهم ؟ " .

وفيه قدم طلب الأمير قطليجا الحموى من حلب ، فوضع الوزير منجك يده عليه ، وتصرّف بحكم أنه وصىّ .

وفيه قدم الأمير عز الدين أزدمر الزرّاق من حلب ، باستدعائه ، بعد[3] ما أقام بها مدة سنة من جملة أمراء الألوف ؛ فأجلس مع الأمراء الكبار فى الخدمة .

---

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ١٦٠١ " ارمه " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٦١ .

(٢) هذا اللفظ جمع خوشكاشة ، ومعناه فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) امرأة من موظفات القصر السلطانى (dame du palais) .

(٣) فى ف " وما اقام بها سنه ... " ، وما هنا من ب ، ١٦٠١

وفيه أخرج ابن طقزدمر إلى حلب ، لكثرة فساده وسوء تصرفه .

وفيه خرج الأمير طاز لسرحة البحيرة ، وأنعم عليه من مال الإسكندرية بألفى دينار . وخرج الأمير صرغتمش أيضا ، فأنعم عليه منها بألف دينار .

ثم توجه الأمير بيبغا روس (٢٠٨ ب) النائب للسرحة ، وأنعم عليه بثلاثة آلاف دينار . وتوجه الأمير شيخو أيضا ، ورسم له بثلاثة آلاف دينار .

و [فيه] أنعم على الأمير مغلطاى أمير آخور إرضاء لخاطره بناحية صهرجت ، زيادة على إقطاعه ، وعبرتها عشرون ألف دينار فى السنة .

فدخل الأمير شيخو فى سرحته إلى الإسكندرية ، فتلقته الغزاة بآلات السلاح ، ورموا بالجرخ[1] بين يديه ، ونصبوا المنجنيق ورموا به . ثم شكوا له ما عندهم من المظلمة ، وهى أن التاج إسحاق ضمن دكاكين العطر ، وأفرد دكانا لبيع النشا فلا تباع بغيرها ، وأفرد دكانا لبيع الأشربة فلا تباع بغيرها ؛ وجعل ذلك وقفا على الخانكاه الناصرية بسرياقوس . فرسم بإبطال ذلك ، وأطلق للناس البيع حيث أحبوا ، وكتب مرسوم بإبطال ذلك .

(٢٠٩ ا) وفى مستهل ذى الحجة عوفى علم الدين عبد الله بن زنبور ، وخُلع عليه ، بعدما أقام أربعين يوما مريضا ، تصدق فيها بثلاثين ألف درهم ، وأفرج عن جماعة من المسجونين .

وفيه كتب الموفق ناظر الدولة أوراقا بما استجد على الدولة ، من وفاة [السلطان] الناصر [محمد بن قلاون] إلى المحرم سنة خمسين وسبعمائة ؛ فكانت جملة ما أنعم به وأقطع — من من بلاد الصعيد و بلاد الوجه البحرى و بلاد الفيوم ، وبلاد الملك[2] ، وأراضى الرزق[3] — للخدام والجوارى وغيرهن[4] سبعمائة ألف ألف أردب ، وألف ألف وستمائة ألف درهم ،

---

(١) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٩٨ ، ١٠٠٣ ، وكذلك : (Ayalon : Gunpowder and Firearms in the mamluk Kingdom) حيث توجد شروح وافية لكثير من أدوات الحرب فى ذلك العصر .

(٢ ، ٣) يستطيع الباحث فى التاريخ الاقتصادى الاجتماعى أن يصور من هذه المعلومات بعض مظاهر توزيع الثروة فى عصر سلاطين المماليك .

(٤) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٢ ، ١٦٠٢ ، " وغيرهن فى بلاد الجيزة سبع ماية الف ... " .

معينة بأسماء أربابها من الأمراء والخدام والنساء ، وعبرة البلد ومتحصلها ، وجملة عملها . وقرئت على الأمراء ، ومعظم ذلك بأسمائهم ، فلم ينطق أحد منهم بشيء .

وفيه (٢٠٩ ب) أبطل الوزير منجك سماط عيد النحر أيضا .

وفيها أبطل ما أحدثه[1] النساء من ملابسهن . وذلك أن الخواتين نساء السلطان وجواريهن أحدثن قمصانا طوالا تخب أذيالها على الأرض ، بأكمام سعة الكم منها ثلاثة أذرع ، فإذا أرخته [الواحدة منهن] غطى رجليها ؛ [و] عُرف القميص منها فيما بينهن بالبهطلة ، [و] مبلغ مصروفه ألف درهم فما فوقها . وتشبه نساء القاهرة بهنّ في ذلك ، حتى لم يبق امرأة إلا وقميصها كذلك . فقام الوزير [منجك] في إبطالها ، وطلب والى القاهرة ورسم له بقطع أكمام النساء ، وأخذ ما عليهن .

ثم تحدث [منجك] مع قضاة القضاة بدار العدل يوم الخدمة ، بحضرة السلطان والأمراء ، فيما أحدثه النساء من القمصان المذكورة ، وأن القميص منها مبلغ مصروفه ألف درهم ، وأنهن أبطلن لبس الإزار البغدادى ، (٢٦٠ ا) وأحدثن الإزار الحرير بألف درهم ، وأن خفّ المرأة وسرموزتها بخمسمائة درهم . فأفتوه جميعهم بأن هذا من الأمور المحرمة التى يجب منعها ، فقوى بفتواهم ، ونزل إلى بيته ، و بعث أعوانه إلى بيوت أرباب الملهى ، [حيث كان كثير من النساء] ، فهجموا عليهن ، وأخذوا ما عندهن من ذلك . وكبسوا مناشر الغسالين ودكاكين البابية[2] ، وأخذوا ما فيها من قمصان النساء ؛ وقطعها [الوزير منجك] . ووكل [الوزير] مماليكه بالشوارع والطرقات ، فقطعوا أكمام النساء ؛ ونادى فى القاهرة ومصر بمنع النساء من لبس ما تقدم ذكره ، وأنه متى وجدت امرأة عليها شيء مما منع أخرق بها وأخذ ما عليها .

واشتدّ الأمر على النساء ، وقبض على عدة منهن ، وأخذت أقمصتهن . ونصبت أخشاب على سور القاهرة بباب (٢٦٠ ب) زويلة وباب النصر وباب الفتوح ، وعلق عليها تماثيل معمولة على صور النساء ، وعليهن القمصان الطوال ، إرهابا لهنّ وتخويفا .

---

(١) فى ف « ما اخذته » ، وما هنا من ب ، ٢٠٢ ا .

(٢) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٧٥ ، ٩٥٠ ، حاشية ١

وطُلبت الأساكفة ، ومنعوا من بيع الأخفاف والسراميز المذكورة ، وأن تعمل كما كانت أولا تعمل ؛ ونودى من باع إزارا حريرا أخذ جميع ماله للسلطان . فانقطع خروج النساء إلى الأسواق ، وركوبهن حمير المكارية ، وإذا وجدت امرأة كشف عن ثيابها . وامتنع الأساكفة من عمل أخفاف النساء وسراميزهن المحدثة ، وانكف التجار عن بيع الأزر الحرير وشرائها ، حتى إنه نودى على إزار حرير بثمانين درهما فلم يلتفت له أحد ؛ فكان هذا من خير ما عمل .

وفيه استقرّ جمال الدين يوسف المرداوى فى قضاء الحنابلة بدمشق ، بعد وفاة علاء (٢٦١ ا) الدين على بن أبى البركات بن عثمان بن أسعد بن المنجا .

و [فيه] استقرّ نجم الدين محمد الزرعى فى قضاء الشافعية بحلب ، بعد وفاة نجم الدين عبد القاهر بن أبى السفاح .

وفيه توقف النيل ، ثم زاد حتى كان الوفاء فى جمادى الآخرة . ثم نقص نحو ثانى ذراع ، وبقى على النقص إلى النوروز ، وهو ستة عشر ذراعا وإحدى وعشرين إصبعا . ثم ردّ النقص وزاد إصبعين ، فبلغ ستة عشر ذراعا وثلاثا وعشرين إصبعا فى يوم عيد الصليب .

وفيه أضاع الولاة عمل الجسور ، وباعوا الجراريف حتى غرق[1] كثير من البلاد . ومع ذلك امتدت أيديهم إلى الفلاحين ، وغرّموهم مالم تجر به عادة ؛ فشكى من الولاة للوزير ، فلم يُلتفت لمن شكاهم .

ومات فيها من الأعيان شيخ الإقراء (٢٦١ ب) شهاب الدين أحمد بن موسى بن موسك ابن جكو الهكارى بالقاهرة ، عن ست وسبعين سنة ، فى ثانى عشر جمادى الأولى . وكتب بخطه كثيرا ، ودرس القراءات والحديث .

و [مات] النحوى شهاب الدين أحمد بن سعد بن محمد بن أحمد الغسانى الأندرشى بدمشق ، وله شرح سيبويه فى أربعة أسفار .

(١) فى ف "شرق" ، وما هنا من ب ، ٢٠٢ ب .

و[مات] مكين الدين إبراهيم بن قروينة ، بعد ما ولى استيفاء الصحبة ونظر البيوت ، ثم ولى نظر الجيش مرتين ، وصودر ثلاث مرات ، وأقام بطالا حتى مات .

و [مات] الأمير أرغون شاه الناصرى نائب الشام ، مذبوحا ، فى ليلة الخميس رابع عشرى ربيع الأول . رباه [السلطان] الناصر محمد [بن قلاون] حتى عمله أمير طبلخاناه رأس نوبة الجمدارية ؛ ثم استقرّ بعد وفاته أستادارا أمير مائة مقدم (٢٦٢ ا) ألف ، فتحكم على المظفر شعبان حتى أخرجه لنيابة صفد ؛ وولى بعدها نيابة حلب ، ثم نيابة الشام . وكان جَفيفا[١] قوى النفس شرس الأخلاق ، مهابا جائرا فى أحكامه ، سفاكا للدماء غليظا فحاشا كثير المال . وأصله[٢] من بلاد الصين ، حُمل إلى أبوسعيد بن خربندا ، فأخذه دمشق خواجا بن جوبان ، ثم ارتجعه أبو سعيد بعد قتل[٣] جوبان ، و بعث به إلى مصر هدية ، ومعه ملكتمر السعيدى .

و [مات] الأمير أرقطاى المنصورى ، بظاهر حلب ، وهو متوجه إلى دمشق ، عن نحو ثمانين سنة ، فى يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى . وأصله من مماليك المنصور قلاون ، رباه الطواشى فاخر أحسن تربية ، إلى أن توجه الناصر محمد [بن قلاون] إلى الكرك كان معه . فلما عاد إليه ملكه جعله من جملة الأمراء ، ثم سيره صحبة (٢٦٢ ب) الأمير تنكز نائب الشام ، وأوصاه ألا يخرج عن رأيه ، وأقام عنده مدة . ثم تنكر عليه [السلطان الناصر محمد] ، فولاه نيابة حمص مدة سنتين ونصف ، ثم نقله لنيابة صفد ، فأقام بها ثمانى عشر سنة . وقدم مصر ، فأقام بها عدة سنين ، وجُرِّد إلى أياس . ثم ولى نيابة طرابلس ، ومات الناصر [محمد] وهو بها . ثم قدم مصر ، وقبض عليه ، ثم أفرج عنه ، وأقام مدة . ثم ولى نيابة حلب ، ثم طُلب إلى مصر ، فصار رأس الميمنة . ثم ولى

(١) فى ف "حففا" ، وما هنا من ب ، ٦٠٢ ب ؛ والجفيف اليابس من النبات (محيط المحيط) ، ولعل هذه الصفة هى المقصودة هنا من باب المجاز .

(٢) لم يسبق للناشر أن قرأ أن بعض المماليك جاء أصلا من بلاد الصين بالذات ، مع العلم بكثرة أجناس المماليك وبلادهم الأصلية ، من فنلندا بالشمال الغربى من أوربا ، إلى تركستان بجوف آسيا .

(٣) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٠٢ ب ، " بعد قتله " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

نيابة السلطنة نحو سنتين ، ثم أخرج لنيابة حلب ، فأقام بها مدة . ثم نقل لنيابة الشام ، فمات فى طريقه لدمشق ، فدفن بحلب ؛ وكان مشكور السيرة .

ومات الأمير ألجيبغا المظفرى نائب طرابلس ، مُوَسَّطا بدمشق ، فى يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر .

وقُتل معه أيضاً الأمير أياس ، وأصله من الأرمن ، (٢٦٣ ا) أسلم على يد الناصر محمد [بن قلاون] ، فرقاه حتى عمله شاد العمائر ، ثم أخرجه إلى الشام ، ثم أحضره غرلو ، وتنقل إلى أن صار شاد الدواوين . ثم صار حاجبا بدمشق ، ثم نائبا بصفد ، ثم نائبا بحلب ، ثم أميراً بدمشق ، حتى كان من أمره ما تقدم ذكره .

ومات بدمشق الأمير طقتمر الشريفى ، بعدما عمى .

و [مات] قاضى الشافعية بحلب نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف ابن أبى السفاح .

و [توفى] نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن على القرشى الأصفونى الشافعى ، بمنى[1] فى ثالث عشر ذى الحجة . ودفن بالمعلا ، وله مختصر الروضة وغيره .

و [توفى] قاضى القضاة علاء الدين على بن الفخر عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردينى ، المعروف بابن التركمانى الحنفى ، فى يوم الثلاثاء عاشر المحرم بالقاهرة . وله كتاب (٢٦٣ ب) الرد النقى فى الرد على البيهقى وغيره ، وله شعر ؛ وكان الناصر محمد بن قلاون يكره منه اجتماعه بالأمراء ، وكان يغلو فى مذهبه غلوا زائدا .

و [توفى] قاضى الحنابلة بدمشق ، علاء الدين على بن الزين أبى البركات بن عثمان ابن أسعد بن المنجا التنوخى ، عن ثلاث وسبعين سنة .

و [مات] الأمير قطليجا الحموى ، أصله مملوك المؤيد صاحب حماه ، فبعثه إلى الناصر محمد بن قلاون ، وترقى حتى صار من جملة الأمراء . ثم ولى نيابة حماة ، ونقل إلى نيابة حلب ، فأقام بها أياما ومات ؛ وكان سيىء السيرة .

(١) فى ف " نما " ، وما هنا من ب ، ١٦٠٣ .

و[توفى] قاضى القضاة تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى الأخنائى المالكى ، فى ليلة الثالث من صفر .

و[مات] الأمير توغيه البدرى والى الفيوم .

و[ماتت] خوند بنت [الملك] الناصر محمد بن قلاون ، [وهى] زوجة الأمير طاز . (٢٦٤ ا) وتركت مالا عظيما ، أبيع موجودها بباب القلة من القلعة بخمسمائة ألف درهم ، من جملته قبقاب مرصع بأر بعين ألف درهم ، ثمنها ألفا دينار مصرية .

و[مات] علم الدين بن سهلول . كان أبوه كاتباً عند بعض الأمراء ، فخدم بعده أميرَ حسين بن جندر[1] ، ثم ولى الاستيفاء ونظر الدولة ، شركةً للموفق[2] . ثم صودر ولزم بيته ؛ وعمر دارا جليلة بحارة زويلة من القاهرة .

وفيها قام بتونس أبو العباس الفضل بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن أبى حفص فى ذى القعدة ، وكان قد قدم إلى تونس السلطان أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ملك بنى مرين صاحب فاس ، وملَكَ تونس وإفريقية ، ثم سار منها للنصف من شوال ، واستخلف ابنه أبا [العباس] الفضل ؛ فقام أبو العباس (٢٦٤ ب) المذكور وملَكَ تونس مُلك أبيه .

* * *

سنة إحدى وخمسين وسبعمائة : أهل المحرم والناس فى بلاء عظيم من فأر السقوف[3] ضامن الجهات ، فإنه أحدث حوادث قبيحة فى دار البطيخ ودار السمك وسائر المعاملات[4] ، وزاد فى ضرائب المكوس ، وتمكن من الوزير منجك تمكنا زائداً ، حتى كان يقول : " هذا أخى " . وكثرت الشكاية منه ، ووقفت العامة فيه للسلطان ، فلم يتغيّر الوزير عليه .

(١) فى ف " حيدر " ، وما هنا من ب ، ٣٠٦ ب .

(٢) فى ف " الموفق " ، وما هنا من ب ، ٣٠٦ ب .

(٣) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٣٠٦ ب " الفار " فقط ، انظر ما سبق ، ص ٦٠٦ ، ٨٠٦

(٤) فى هذه الجملة تعريف دقيق للفظ المعاملات ، انظر ما سبق ، ص ٨٠٦ حاشية ٣

وفيه[1] أوقع الأمير أرغون [الكاملى] نائب حلب بكاتب سرّها زين الدين عمر ابن يوسف بن عبد الله بن يوسف ابن أبى السفاح ، وضربه وسجنه . فاستقر عوضه فى كتابة السر بحلب الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين ، المعروف بابن قاضى العسكر .

وفيه أوقع الشيخ حسن نائب بغداد والأمير جبار (٢٦٥ ب) بن مهنا بطائفة من العرب ، وقتل منهم نحو المائتين ، وأسر كثيراً منهم ؛ ففرّ عدة [منهم] إلى الرحبة . فطلب الأمير جبار من أزدمر النورى نائب الرحبة تمكينه منهم ، فأبى عليه ؛ فكتب فيه [الأمير جبار] إلى السلطان ، فعزله .

وفيه اقتتل موسى بن مهنا وسيف بن فضل ، فانهزم سيف ، ونهبت أمواله .

وفيه ابتدأت الوحشة بين الأمير مغلطاى أمير آخور و بين الوزير منجك ، بسبب الفار الضامن ، وقد شكى منه . فطلبه مغلطاى من الوزير عندما احتمى به ، فلم يمكّنه منه .

وفيه قدم صاحب حصن كيفا ، والخواجا عمر بن مسافر ، بعد غيبة طويلة . فسُرّ به الأمير شيخو ، لأنه [هو] الذى جلبه من بلاده ، ونسب إليه ، فقيل له شيخو العمرى . وأكرم صاحب حصن كيفا ، وروعى فى متجره ، وكان من جملته ثلاثمائة ألف جلد (٢٦٥ ب) سنجاب . فقدّم [صاحب حصن كيفا] عدة تقادم للأمراء ، فبعثوا إليه بمال كثير ؛ [و] بعث إليه الأمير شيخو ألف دينار ، وتعبئة قماش ؛ و بعث إليه الوزير منجك بألفى دينار وقماش كثير ، وأنزله فى بيته ؛ و بعث إليه الأمير بيبغا روس وغيره ؛ ثم عاد بعد شهر إلى بلاده .

وفيه كمل صهريج الوزير منجك عَلى الثغرة[2] تحت القلعة ، واشترى له من بيت المال ناحية بلقينة من الغربية بخمسة وعشرين ألف دينار ، أنعم عليه بها ، ووقفها على صهريجه . وكانت [بلقينة] مرصدة لجوامك الحاشية ، فعوّضوا عنها .

---

(١) فى ف " وفى " ، وما هنا من ب ، ٣٠٢ ب .

(٢) حدد المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٢٠) هذا الموضع بأنه خارج باب الوزير

وفى رابع عشريه قدم الأمير فارس الدين بالحجاج ، وكانوا لما قدموا مكة نزلت بهم شدة من غلاء الأسعار وقلة الماء ، بحيث أبيعت الراوية بعشرين درهما ، حتى هموا بالخروج منها ونزول بطن مرو . فبعث الله فى تلك (٢٦٦ ا) الليلة مطراً استمرّ يومين وليلة ، حتى امتلأت الأبار والبرك[1] ، وقدم [مكة] عدة قوافل ؛ فانحلّ السعر قليلا . وحصل لهم خوف من عبور المدينة النبوية ؛ وذلك أن الشريف أدى[2] لما عزل بالشريف سعد ، جمع العربان ، وهجم المدينة قبل قدوم سعد إليها ، وأخذ أموال الخدام وودائع الشاميين وقناديل الحجرة الشريفة وأموال الأغنياء وغيرهم ، وخرج .

وفيه أفرج عن عيسى بن حسن الهجان ، وكان قد قبض عليه وسجن ، بسبب أنه مالأ هو وعربه [جماعةَ] العايد المفسدين[3] من العربان ؛ وأحيط بأمواله . وكان قد كثرت سعادته ، فإنه كان مع الناصر [محمد بن قلاون] فى الكرك ، فلما عاد إليه ملكه سلّمه الهجن وحكّمه فيها ، فطالت أيامه وكثرت أمواله . وتسلم بعده الهجن جمال الدين نفر[4] ، فقام الوزير حتى أفرج عنه ، (٢٦٦ ب) وردّ عليه إقطاعه ، وأنعم على جماعة من عربه بإقطاعات .

وفى مستهل صفر قدمت رسل أرتنا نائب الروم ، وسأل أن يكتب له تقليد بنيابة الروم على عادته ؛ فكُتب له ، وأكرم رسوله .

وفيه تنافس الوزير [منجك] والأمير مغلطاى ، واستعدّ كل منهما بأصحابه للآخر ؛ فقام الأمير شيخو حتى أخمد الفتنة .

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه وقت الصلاة وقعت نار بخط البندقانيين من القاهرة ، فأحرقت دار هناك . فركب الأمير علاء الدين على بن الكورانى لإطفائها على العادة ، وكان الهواء شديداً ، والدور متلاصقة ، فاشتدّ لهب النار بحيث رؤى من القلعة . فركب

---

(١) فى ف " البركة " ، وما هنا من ب ، ٦٠٤ ا .

(٢) فى ف ، كذلك فى ب ، ٦٠٤ ا " ودى " ، وما هنا مما سبق ، ص ٨٠٤ ، حاشية ١ .

(٣) فى ف " القايد المفسدون " ، وما هنا من ب ، ٦٠٤ ا .

(٤) كذا فى ف ، وهو فى ب ، ٦٠٤ ا " نقر " .

الوزير منجك ، والأمير بيبغا روس النائب ، والأمير شيخو ، والأمير طاز ، والأمير مغلطاى ، والأمير قبلاى حاجب الحجاب ، وغيرهم من الأمراء (١٢٦٧) بماليكهم ؛ وأتوا إلى الحريق ، ونزلوا عن خيولهم ، ومنعوا العامة من النهب . فامتدّت النار من [دكاكين[1]] البندقانيين إلى [دكاكين] الرسامين و [دكاكين] الفقاعين[2] ، والفندق [المجاور لها] ، والربع علوه . وتعلقت بما تجاه ذلك من الدور المجاورة لبيت المظفر بيبرس الجاشنكير ، فأحرقت الربع ، واتصلت بزقاق الكنيسة إلى بيت كريم الدين بن الصاحب أمين الدين ، إلى بير الدلاء [التى كانت تعرف قديما ببئر زويلة] . فأحرقت [النار] الدكاكين والربع المجاور لدار الجوكندار ، ولم يبق إلا أن تصل إلى دار علاء الدين على بن فضل الله كاتب السرّ . وعظم الأمر ، والأمراء جميعهم على أرجلهم بمن معهم ، والمقيدون[3] بالمساحى بين أيديهم تهدم الدور وتطفى النار ، والناس فى أمر مريج .

و بينا أصحاب الدار فى نقلة متاعهم خوفا من وصول النار إليهم ، إذا بالنار (٢٧٦ ب) قد ظهرت عندهم ، فينجون بأنفسهم ، و يتركون أموالهم ، حتى شمل الهدم والحريق ما هنالك من العمائر . ولم يبق بالقاهرة سقاء إلا وأحضر لإطفاء الحريق ، وكانت الجمال[4] تحمل الروايا بالماء من باب زويلة إلى البندقانيين . واستمرّت النار يومين وليلتين ، وجميع الأمراء وقوف حتى خف اللهب . فوكل بالحريق بعض الأمراء مع الوالى ، ومضى بقيتهم إلى بيوتهم ، وبهم من التعب مالا يوصف . فأقامت النار بعد انصرافهم ثلاثة أيام وهى تطفأ ، فكان حريقا مهولا ، ذهب فيه من الأموال مالا ينحصر .

وامتد الحريق إلى قيسارية طشتمر وربع بكتمر ، ثم صارت النار توجد بعد ذلك

(١) أفاض المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣١) فى أخبار هذا الحريق ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة .

(٢) هذا اللفظ جمع فقاعى ، وهو بائع الفقاع أو صانعه ؛ والفقاع حسبما ورد فى محيط المحيط شراب من الحبوب والأثمار ، يسمى بذلك لما يرتفع فى سطحه من الزبد .

(٣) اتهم والى القاهرة وقتذاك أوباش العامة بهذا الحريق ، فقبض على كثير منهم ، وقيدهم كالمساجين ، واستخدمهم وهم فى القيود فى إطفاء الحريق .

(٤) فى ف وكذلك ب ، ٦٠٤ ب " وكانت الجمال التى تحمل ... " .

فى مواضع عديدة من القاهرة وظواهرها . ووُجِد فى بعض [المواضع التى بها الحريق] كعكات (٢٦٨ ا) زيت وقطران ، ووُجِد فى بعضها نشابة فى وسطها نفط . وكان أكثر الأماكن تقع النار بسطحها ، ولم يُعرف مَن فعل ذلك . فنودى باحتراس الناس على أملاكهم من الحريق ، فلم يَبق جليل ولا حقير حتى اتخذ عنده أوعية ملأها ماء . ولم يزل الحريق فى الأماكن إلى أثناء شهر ربيع الأول ، فقُبض فى هذه المدة على كثير من أوباش العامة ، وقيدوا ليكونوا عونا على إطفاء[1] الحريق ؛ ففرّ معظمهم من القاهرة . ثم نودى ألا يقيم بالقاهرة غريب ، ورسم للخفراء بتتبعهم وإحضارهم .

وتعب والى القاهرة فى مدة الحريق تعباً لا يوصف ، فإنه أقام مدة شهر لا يكاد ينام هو وحفدته ، فإنه لا يخلو وقت من صيحة تقع بسبب الحريق ؛ فذهبت دور كثيرة . ثم وقع بعد شهر بمصر حريق فى شونة حلفاء ، بجوار مطابخ السلطان وبعدّة أماكن .

وفى يوم السبت (٢٦٨ ب) حادى عشرى ربيع الأول سُمِّر حمام وعبده الذى كان يحملُ سلاحه ، وثلاثة نفر . وكان قد عظم فساده ، وكثر هجومه الدور وأخذُ ما فيها وقتلُ مَن يمنعه ؛ وأعيا الولاة أمره حتى أوقعه الله وكفى شرّه .

وفى أول ربيع الآخر قُبض على أحمد بن أبى زيد ، ومحمد بن يوسف ، مقدمى الدولة . وسبب ذلك أن ابن يوسف حجّ فى السنة الماضية على ستة قطر جمال ، وثلاثة قطر هجن بطبل وبيزه[2] ، كما تحج الأمراء ، بحيث كان معه نحو مائتى عليقة . ولما قدم [ابن يوسف إلى القاهرة] أهدى للوزير [منجك] ، والنائب [بيبغا روس] ، والأمير طاز والأمير صرغتمش ، الهدايا الجليلة القدر ؛ ولم يهد إلى الأمير شيخو ، ولا [إلى] الأمير مغلطاى شيئاً . فعاب عليه الناس ترك مهاداة شيخو ، فحمل إليه بعد مدة هدية سنية ، فردّها عليه وقال : " هذا ماله حرام " . ثم بعد (٢٦٩ ا) أيام وقف جماعة من

---

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٦٠٤ ب " طفى " .

(٢) الراجح أن المقصود هنا لفظ " بيز " ، ومعناه فيما يبدو قماش يكسو الطبل على ظهور الجمال ، كما هو الحال فى مصر حتى العصر الحاضر . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، حيث ورد هذا اللفظ معرفاً بأنه قماش لتغطية المائدة ، وعلى هذا يحتمل أن يكون مأخوذاً من لفظ (baize) فى اللغة الإنجليزية القديمة ، وهو بدوره مشتق من (baidus) فى اللاتينية .

الأجناد ، وشكوا فى الولاة طمعهم وفساد البلاد ؛ فأنكر الأمراء على الوزير [منجك] سيرة ولاة الأعمال ، وتعرّضوا لهم بأنهم ولّوا بالبراطيل ، فاحتاجوا إلى نهب أموال الناس . وأخذ الأمير شيخو فى الحطّ على مقدمى الدولة ، وأنكر كثرة ما أنفقه ابن يوسف فى حجته ، وأن ذلك جميعه من مال السلطان . فقام الأمراء فى مساعدة شيخو ، وعدّدوا ما يشتمل عليه ابن يوسف من لعبه ولهوه وانهما كه فى اللذات . فلم يجد الوزير بدًّا من موافقتهم على عزل الولاة ، ومسك المقدمين [أحمد بن أبى زيد ومحمد بن يوسف] ، فقبض عليهما ، وألزما بحمل المال . وطُلب ابن سلمان متولى المنوفية ، وألزم بمال ، واستقرّ عوضه ابن تغلى . واستقرّ فى ولاية الشرقية ابن الجاكى ، وعُزل أسندمر منها .

وفى يوم الخميس رابع عشريه (٢٦٩ ب) خرج إلى الإطفيحية سبعة أمراء ألوف ، وعشرون أمير طبلخاناه ، وقت العصر بأطلابهم ، فيهم الوزير منجك والأمير طاز . وسبب ذلك أن الأمير عرب بن الشيخى كان بالإطفيحية مقيما بها ، فاستمال العرب حتى وثقوا به ، وأتاه منهم نحو عشرين رجلا ، فقبض عليهم وركب بهم إلى القاهرة ، وأوقفهم بين يدى النائب [الأمير بيبغا روس] ، فأمرهم فقيّدوا وحُبسوا ، وأعاده [النائب] إلى الإطفيحية . فقبض [الأمير عرب بن الشيخى] على خمسة أخر وقيّدهم ، فأتاه ليلا عدة من العربان وفكّوا قيودهم ، وكبسوا خيمته ، ففرّ إلى القاهرة ؛ ومالوا على موجوده وانتهبوه . فعظم ذلك على الأمراء ، وخرجوا إلى الإطفيحية . وقد بلغ العرب خبرهم ، فارتفعوا إلى الجبال ، فقبض الأمراء على نحو مائة من الأوباش وأهل البلاد ، وقطعوا (٢٧٠ ا) جميع ما هنالك من شجر المقلّ ، وخرّبوا السواقى ، وعادوا بعد ثلاثة أيام ، فى يوم الثلاثاء تاسع عشريه . فعادت العربان بعد رجوع العسكر ، وأكثروا من قطع الطريق .

وفى نصف جمادى الأولى وصلت أم الأمير بيبغا روس النائب ، وأم الأمير أرغون الكاملى نائب حلب وأبوه ، وعدة من أقاربهم . فركب النائب وتلقاهم من سرياقوس ، وسرّ بهم .

وفيه أخرج أمير أحمد الساقى إلى حلب ، لسوء سيرته فى كشف الجسور بالغربية .

و[فيه] قدم قود جبار بن مهنا، وقود سيف بن فضل محبته . ثم قدم الأمير جبار بعده، فأقام أياما وعاد إلى بلاده .

و[فيه] قدم كتاب الملك الأشرف دمرداش بن جوبان صاحب توريز، يتضمن السلام والتودد . فأكرم رسوله، وأعيد بالجواب؛ (٢٧٠ ب) وأرسل [السلطان] بعده إليه وإلى الشيخ حسن صاحب بغداد رسولين .

و[فيه] قدم الخبر بأن الأمير أرغون [الكاملي] نائب حلب ركب إلى التركمان، وقد كثر فسادهم، فقبض على كثير منهم، وأتلفهم؛ وأوقع بالعرب حتى عظمت مهابته . ثم بعث موسى الحاجب على ألفى فارس فى طلب نجمة أمير الأكراد، فلما قرب منه بعث صاحب ماردين بشير بعود العسكر، خوفا من كسر حرمة السلطنة . فعاد [موسى الحاجب] بهم إلى حلب، من غير لقاء . فتنكر[١] الأمير أرغون على موسى الحاجب، وكتب يشكو منه .

و[فيه] قدم الخبر بأن المذبانى الكاشف واقع[٢] عرب عرك وبنى هلال، فهزموه أقبح هزيمة، وجرحوا فرسه، وقتلوا عدة من أصحابه، وأخذوا الطلب بما فيه من خيل وغيرها، وأنه نزل بسيوط، وطلب تجريد العسكر (٢٧١ أ) إليه؛ فاقتضى الرأى تأخير التجريدة حتى يفرغ تخضير الأراضى بالزرع .

وفى رجب سار ركب الحجاج الرجبية، فلقوا الشريف عجلان بالعقبة، وقد أخرجه أخوه ثقبة من مكة . فقدم [عجلان] إلى القاهرة، ودخل على السلطان، وطلب منه تجريد عسكر معه . فلم يجب إلى ذلك، ورسم له بشراء مماليك، واستخدام الأجناد البطالين؛ فشرع فى ذلك . وقدم كتاب أخيه ثقبة يشكو منه، فكتب لعجلان توقيع بإمرة مكة بمفرده، واشترى أربعين مملوكا، واستخدم عشرين جنديا، وأنفق فيهم خمسمائة درهم كل واحد؛ ثم استجد [عجلان] طائفة أخرى حتى صار فى مائة فارس . وحمل معه حملين نشابا وقسيا[٣] ونحوها، وسافر إلى مكة مستهل رمضان؛ فأخذ الأمير بيبغا روس والأمير طاز فى الحركة للحج .

(١) فى ف " فشكر "، وما هنا من ب، ٦٠٥ ب .
(٢) فى ف " واوقع "، وما هنا من ب، ٦٠٥ ب .
(٣) فى ف " قيسان " .

(٢٧١ ب) وفيه توجه السلطان لسرحة سرياقوس .

وفيه أنعم على الأمير قطلوبغا الذهبى بإقطاع الأمير لاجين أمير آخور ، بعد موته ؛ وأنعم بإمرته وتقدمته على عمر بن أرغون النائب .

وفيه أخرج بكلمش أمير شكار لنيابة طرابلس ، عوضا عن أمير مسعود بن خطير ؛ وكتب بإحضار أمير مسعود .

وفيه هجم ابن معين بمر به على الإطفيحية ، فقاتله أهلها ، فكسرهم بعد [أن قتل منهم عدة] قتلى كبيرة تبلغ المائتى رجل .

وفيه قدم حمل سيس بحق النصف ، لخراب بلادهم .

وفيه قدم كتاب الشريف ثقبة ، وصحبته محضر ثابت يتضمن الشكر من سيرته ، وتكذيب عجلان فيما نقل عنه ؛ فكتب باستقراره شريكا لأخيه عجلان .

و [فيه] كتب بعود أمير مسعود إلى دمشق بطالا ، حتى ينحلّ [من الإقطاع] ما يليق به . فعاد من الرملة (٢٧٢ ا) إلى دمشق ، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ؛ ورسم بجلوسه فوق الأمراء المقدمين .

وفيه خلع على الأمير فارس الدين ألبكى ، واستقرّ فى نيابة غزة ، بعد موت دلنجى . وأنعم بإمرته على أخيه ، وأنعم على قطليجا الدوادار بإمرة طبلخاناه .

[وفيه] قدم قرا وأشقتمر المتوجهين إلى الشيخ حسن ، وإلى الأشرف دمرداش ابن جوبان ، بكتابيهما . وذكر الشيخ حسن [فى كتابه] أن دمرداش إنما طلب الودّ مكراً منه ، فإن رسوله إنما قدم [مصر[1]] لكشف أمر عسكرها ، فإنه طمع فى أخذ البلاد .

وفيه توجه الأمير طاز لسرحة البحيرة ، وأنعم عليه بعشرة آلاف أردب شعير وخمسين ألف درهم بناحية طموه من الجيزية ، زيادة على إقطاعه .

وفيه توجه السلطان إلى برّ الجيزة ، ليتمّ صوم شهر رمضان (٢٧٢ ب) بها .

وفيه تواردت تقادم نواب الشام والأمراء بديار مصر على الأمير بيبغا روس ، لحركته للحج .

---

(١) ما بين الحاصرتين من ب ، ٦٠٦ ا .

وفى شوال قدم السلطان من برّ الجيزة إلى القلعة .

وفى خامس عشره خرج محمل الحجاج إلى بركة الحاج ، صحبة الأمير بزلار أمير سلاح .
وخرج طُلب الأمير بيبغاروس النائب بتجمل زائد ، وفيه مائة وخمسون مملوكا معدة بالسلاح ؛ وخرج طُلب الأمير طاز ، وفيه ستون فارساً . فرحل النائب قبل طاز بيومين ؛ ثم رحل الأمير طاز بعده ؛ ثم رحل بزلار بالحجاج ركباً ثالثاً فى عشريه .

وفى يوم السبت رابع عشره عزل الأمير منجك من الوزارة ، وكان الأمير شيخو قد خرج إلى العباسة . وذلك أن السلطان بعد توجه الأمير شيخو طلب[1] القضاة والأمراء ، (٢٧٣ ا) فلما اجتمعوا بالخدمة قال لهم : " يا أمراء ! هل لأحد علىّ ولاية حجر ، أو أنا حاكم نفسى ؟ " فقال الجميع : " ياخوند ما ثم أحد يحكم على مولانا السلطان ، وهو مالك رقابنا " ، فقال : " إذا قلت لكم قولا ترجعوا إليه ؟ " ، فقالوا جميعاً : " نحن [فى] طاعة السلطان ، وممتثلون ما يرسم به " . فالتفت إلى الحاجب ، وقال : " خذ سيف هذا " ، وأشار إلى منجك ، فأخذ سيفه ، وأخرج وقُيِّد . ونزلت الحوطة على أمواله مع الأمير كشلى السلاح دار ، فوجد له خمسون حمل جمل زردخاناه ؛ ولم يوجد له كثير مال ، فرسم بعقوبته ؛ ثم أخرج إلى الإسكندرية ، فسجن بها . وساعة قبض عليه رسم بإحضار الأمير شيخو من العباسة ، على لسان بعض الجدارية ، وإعلامه بمسك منجك . فقام الأمير منكلى بغا والأمير مغلطاى فى منعه من الحضور ، وما زالا (٢٧٣ ب) يخيلان السلطان منه حتى كُتب له مرسوم بنيابة طرابلس ، على يد طينال الجاشنكير . فلقيه [طينال] قريب بلبيس ، وقد عاد صحبة الجدارية ، وأوقفه على المرسوم ، فأجاب بالسمع والطاعة . وبعث [شيخو] يسأل فى الإقامة بدمشق ، فكتب له بخبز[2] الأمير بلك[3] بدمشق وحضور بلك ؛ فتوجه [شيخو] إليها .

---

(١) استدعى السلطان القضاة والأمراء لإعلان بلوغه سن الرشد ، وفى ذلك يقول ابن إياس (بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٩٣) ما نصه : " رشد [السلطان] نفسه ، واستعذر الأوصية ، فأعذروا له فى ذلك " .

(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٦٠٦ ب " بخبر " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ج ١٠ ، ص ٢١٩ .

(٣) فى ف " ملك " ، وما هنا من ب ٦٠٦ ب .

و[فيه] قبض على الأمير عمر شاه الحاجب ، وأخرج إلى الإسكندرية .

و[فيه] أنعم على الأمير طنيرق باستقراره رأس نوبة كبيراً .

و[فيه] وقبض على حواشى منجك ، وعلى عبده عنبر البابا ، وصودر . وكان [عنبر البابا] قد أفحش فى سيرته مع الناس ، وشره فى قطع المصانعات[1] ، وترفع ترفعاً زائداً . فضُرب ضرباً مبرّحاً ، وأخذ منه نحو ستين ألف درهم .

و[فيه] ضرب بكتمر شاد الأهراء[2] ، فاعترف الوزير بأنى عشر ألف أردب غلة ، اشتراها [منجك] من أرباب الرواتب (٢٧٤ أ) والصدقات ، على حساب ستة دراهم الأردب وسبعة دراهم .

وفى مستهلّ ذى القعدة قبض على ناظر الدولة والمستوفين ، وألزموا بخمسمائة ألف دينار . فترفق فى أمرهم الأمير طنيرق حتى استقرت خمسمائة ألف درهم ، وزّعها الموفق ناظر الدولة على جميع المباشرين ، من الكتاب والشهود والشادين ونحوهم ؛ وألزم كل منهم بحمل معلومه عن ستة أشهر . فاشتدّ شاد الدواوين فى استخراجها ، وأخرق بجماعة منهم . والتزم علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص والجيش بتكفية جميع الأمراء والمقدمين بالخلع من ماله ، وقيمتها خمسمائة ألف درهم ، وفصّلها وعرَضها على السلطان . فبعث [السلطان] بها إلى الأمراء ، وركبوا بها الموكب ، وقبلوا الأرض ، فكان موكباً جليلا .

و[فيه] قبض (٢٧٤ب) على أسندمر كاشف الوجه القبلى ، وناصر الدين محمد بن الدوادارى[3] متولى المحلة والغربية ؛ وألزم [ابن الدوادارى] بحمل مائة ألف درهم .

و[فيه] قبض على الفار الضامن ، وضرب بالمقارع ، وأخذ منه جملة مال ، وسجن .

وفى يوم السبت ثامنه خلع على الأمير بيبغا ططر حارس الطير ، واستقرّ فى نيابة السلطنة عوضاً عن بيبغا روس ، بعد ما عرضت على أكابر الأمراء ، فلم يقبلها أحد . وتمنع بيبغاططر تمنعاً كبيراً ، ثم قبلها .

(١) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٥٧ ، حاشية ٣ ، حيث يوجد تعريف غير شاف لهذا اللفظ .

(٢) فى ف " الاهراء " وما هنا من ب ، ٦٠٦ ب

(٣) فى ف " الدويدارى " . انظر ما سبق

و[فيه] استقرّ الأمير مغلطاى رأس نوبة ، عوضاً عن طنيرق . وأطلق له التحدث فى أمور الدولة كلها ، عوضاً عن الأمير شيخو ، مضافاً إلى ما بيده من التحدث فى الإصطبل .

و[فيه] استقر الأمير منكلى بغا الفخرى رأس المشورة أتابك العساكر ، وأنعم على ولده بإمرة . ودقت الكوسات وطبلخاناه الأمراء (٢٧٠ ا) بأجمعها ، وزُيِّنت القاهرة ومصر يوم الأحد تاسعه ، واستمرت ثمانية أيام .

و[فيه] قدم الخبر صحبة الأمير طشبغا الدوادار من دمشق بأن الأمير شيخو لما قدم [دمشق] ليلة الثلاثاء رابع ذى القعدة ، أظهر[1] طينال كتاباً بأن يستقرّ [شيخو] على إمرة بلك البلاطى ، وتجهز بلك إلى القاهرة . فقدم من الغد الأمير أرغون التاجى بإمساكه ، فقيد وأخرج من دمشق . وكان [شيخو] لما قدم تلقاه النائب ، وأخرج له كتاب السلطان بمسكه ، وإرساله صحبة الأمير طيلان . فحلّ [شيخو] سيفه بيده ، وقال : "وأى حاجة إلى غُدوّنا[2] إلى الشام ، كنى هتكنا فى مصر". ثم قال للنائب : "والله يا أمير ما أعرف لى ذنباً غير أنى كنت جسراً بينهم ، أمنع بعضهم من الوصول إلى بعض" ؛ فقُيِّد ، وتسلمه طيلان ليسير به إلى مصر ، وسُلِّم سيفه لطشبغا .

و[وفيه] قبض على ملك آص شاد الدواوين ، (٢٧٠ ب) وعلى شهاب الدين أحمد ابن على بن صبح ؛ وتسلم سيفهما طشبغا .

و[فيه] أركب [قطلوبغا] ، فخرج أخوه مغلطاى رأس نوبة إلى لقائه .

و[فيه] قدم الأمير شيخو إلى قطيا ، فتوجه به متسلمه منها إلى الطينة ، وأوصله إلى الإسكندرية ، فسجن بها .

و[فيه] خلع على طشبغا ، واستقرّ على ما كان عليه دواداراً . وتصالح هو

(١) فى ف " واظهر " ، وما هنا من ب ، ١٦٠٧ ا .

(٢) فى ف " غدا بنا " ، وفى ب ، ١٦٠٧ ا ، " غدابنا " ولعل المقصود ما أثبت بالمتن .

وعلاء الدين على بن فضل الله [كاتب السرّ] بحضرة الأمراء ، وبعث كل منهما إلى الآخر هدية .

وكان لما أمسك منجك خرج الأمير قردم إلى الأمير طاز وأمير بزلار أمير الركب بكتاب السلطان ، يتضمن القبض على الوزير [منجك] ، وأنهما يحترسان على الأمير بيبغاروس . وكتب لبيبغاروس بتطييب خاطره وإعلامه بتغير السلطان على أخيه لأمور صدرت منه اقتضت مسكه ، وأنه مستمرّ على نيابة السلطنة ، فإن أراد (٢٧٦ ا) العود عاد ، وإن أراد الحج حج . فركب [الأمير قردم] يوم القبض على الوزير [منجك] المعين وقت العصر ، وأوصل إلى طاز وبزلار كتابيهما ، ومضى إلى بيبغاروس وقد نزل سطح العقبة . فلما قرأ [بيبغاروس] الكتاب وجم[1] ، ثم قال : " كلنا مماليك السلطان " ، وخلع على الأمير[2] قردم ، وكتب جوابه بأنه ماضٍ لأداء الحج .

[ثم إن السلطان] رسم للأمير صرغتمش أن يدخل الخدمة[3] مع الأمراء ، بعد أن عزله من وظيفة الجدارية ، هو وأمير على ؛ وكانا من جملة حاشية شيخو .

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره أمسك الأمير عمر شاه الحاجب ، والأمير آقبغا البالسى ؛ وأخرج عمر شاه إلى الإسكندرية ، ونفى آقبغا البالسى وطشتمر القاسمى إلى طرابلس . وأخرج أمير على إلى الشام ، وأخرج الأمير صرغتمش لكشف الجسور بالصعيد .

و[فيه] ألزم أستادار بيبغاروس بكتابة حواصله ، وندب الأمير (٢٧٦ ب) آقجبا الحموى لبيع حواصل منجك . وأخذت جوارى النائب بيبغاروس ومماليكه ، وجوارى منجك ومماليكه ، إلى القلعة . وطلع من مماليك منجك خمسة وسبعون مملوكا صغاراً ؛

---

(١) فى ف " وحم " ، وفى ب ، ٦٠٧ ب ، " وجم " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٢١ .

(٢) فى ف ، وكذلك ب ، ٦٠٧ ب ، " وخلع عليه " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٣) فى ف " الخدمه " ، وما هنا من ب ، ٦٠٧ ب . والجملة كلها مضطربة فى النسختين ، وما هنا بعد التصحيح من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٢١ .

وخلع من جوارى بيبغاروس خمس وأربعون جارية ، فلما وصلن إلى دار النيابة بالقلعة صحن صيحة واحدة ، وبكين فأبكين من هناك .

وفى يوم الجمعة رابع عشره نفى ابن العرضى إلى حماه ، بعد ما صودر .

و[فيه] خلع على بلبان السنانى نائب البيرة ، وقد حضر منها ؛ واستقر أستادارا ، عوضا عن الأمير منجك الوزير .

و[فيه] قدم الخبر أن الأمير أحمد الساقى نائب صفد خرج عن الطاعة . وسببه أنه لما قبض على الوزير منجك ، خرج الأمير قارى الحموى ، وعلى يده ملطفات لأمراء صفد بالقبض على أحمد ، فبلغه (٢٧٧ ا) ذلك من هجان جهزه إليه أخوه . فندب [الأمير أحمد الساقى] طائفة من مماليكه لتلقى قارى . وطلب نائب قلعة صفد وديوانه ، وأمره أن يقرأ عليه كم له بالقلعة من غلة ، فأمر لمماليكه منها بشىء فرقه عليهم إعانة لهم على ما حصل من المحل فى البلاد ، و بعثهم ليأخذوا ذلك ؛ فعندما طلعوا القلعة شهروا سيوفهم وملكوها . فقبض [الأمير أحمد الساقى] على عدة من الأمراء ، وطلع بحريمه إلى القلعة وحصنها ، وأخذ مماليكه قارى ، وأتوه به . فكتب [السلطان] لنائب غزة ونائب الشام بتجريد العسكر إليه ، ورسم بالإفراج عن فياض بن مهنا وعيسى بن حسن الهجان أمير العايد ، وخلع عليه وجهز ؛ وأخذت المجن من [جمال الدين] بقر [أمير عرب[1] الشرقية] ، وأعيدت إلى[2] على بن حسن .

وكانت الأراجيف قد كثرت [بأن[3] الأمير طاز قد] تحالف هو والأمير بيبغا روس بعقبة أيله ، فخرج الأمير فياض وعيسى بن حسن أمير العايد (٢٧٧ ب) ، ليقيما على عقبة أيلة ، بسبب بيبغا روس . وكتب لعرب شطى و بنى عقبة و بنى مهدى بالقيام مع الأمير فضل ، وكتب لنائب غزة بإرسال السوقة إلى العقبة .

---

(١) أضيف مابين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٢٦٩ . انظر ما سبق هنا ، ص ٨١٦ ، حيث ورد اسم هذا الأمير خطأ بالفاء بدل القاف .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٠٨ ا " إليه " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ٦٠٨ ا ، فقط .

و [فيه] خلع على شهاب الدين [أحمد] بن قزمان[1] بنيابة الإسكندرية ، عوضا عن بكتمر المؤمنى .

و [فيه] خلع على الأمير [أرلان[2]] أمير آخور ، واستقرّ فى نيابة الكرك ، عوضاً عن جركتمر . وأنعم على جركتمر باستقراره حاجباً بحلب ، عوضاً عن موسى لشكوى نائب حلب منه .

وفى يوم الأربعاء سادس عشريه قدم سيف الأمير بيبغاروس ، وقد قُبِض عليه . وذلك أنه لما ورد عليه الكتاب بمسك أخيه منجك اشتدّ خوفه ، وطلع إلى العقبة ، ونزل المنزلة[3] . فبلغه أن الأمير طاز والأمير بزلار ركبا للقبض عليه ، فركب بمن معه من الأمراء والمماليك بآلة الحرب . فقام الأمير (٢٧٨ ا) عز الدين إزدمر الكاشف بملاطفته ، وأشار عليه ألا يعجل ، و [أن] يكشف عن الخبر [أولا] . فبعث [الأمير بيبغاروس] نجّاباً فى الليل لذلك ، فعاد وأخبر أن الأمير طاز مقيم بركبه ، وأنه سار بهم وليس فيهم أحد لابس عدة الحرب . فقلع [الأمير بيبغا روس] السلاح هو ومن معه ، وتلقى طاز وسأله عما تخوّف منه ، فأوقفه [طاز] على كتاب السلطان إليه . فلم يرَ [بيبغا روس] فيه ما يكره ، فاطمأنّ ورحل كل منهما بركبه من العقبة . فأتت الأخبار إلى الأمراء باتفاق طاز وبيبغا روس ، فكتب [السلطان] إلى طاز و بزلار أمير الركب بالقبض على [بيبغا روس] قبل[4] دخوله مكة ، وتوجه إليهما طيلان الجاشنكير ، وقد رُسم له أن يتوجه [مع بيبغا روس] إلى الكرك . وجُرِّد فياض وعيسى بن حسن إلى العقبة ، ثم خرج الأمير أرلان بعضافيه تقوية لهما . فلما قدم طيلان على طاز و بزلار كتبا إلى أزدمر (٢٧٨ ب) الكاشف يعلمانه بما رُسم

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٠٨ ا " قرمان " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢ .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٠٨ ا " اربه " ، وما هنا مما سبق ، ص ٨٠٨ .

(٣) فى ف " المنزل " ، وما هنا من ب ، ٦٠٨ ا ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٢٣ ، حيث توجد حاشية طويلة فى التعريف بهذه البلدة التى تعرف باسم المويلح ، والمويلحة كذلك ، كما فى الصفحة التالية ، وهى على شاطىء البحر الأحمر جنوبى العقبة ؛ والناشر مدين بهذه التعريفات للمرحوم محمد رمزى ، إذ تفضل قبل وفاته بإمدادى بها وغيرها من المعلومات الجغرافية الدقيقة ، للإفادة منها فى حواشى كتاب السلوك .

(٤) فى ف " عند " ، وما هنا من ب ، ٦٠٨ ب .

يعلمها من مسك بيبغا روس ، و يؤكدان عليه فى استمالة الأمير فاضل والأمير محمد بن بكتمر الحاجب و بقية من مع [بيبغاروس[١]] ، وتعجيزهم[٢] عن القيام معه ؛ فأخذ [أزدمر الكاشف] فى [تنفيذ] ذلك . ثم كتب طاز وبزلار[٣] لبيبغاروس أن يتأخر لسماع مرسوم السلطان ، حتى يكون دخولهم [مكة] جميعاً . فأحسّ [بيبغا روس] بالشر ، وهمّ بالتوجه إلى الشام ؛ فما زال أزدمر الكاشف به حتى رجعه عن ذلك . وعند نزول [بيبغا روس] المويلحة[٤] قدم طاز و بزلار ، فتلقاهما وأسلم نفسه من غير ممانعة ، فأخذا سيفه ، وأرادا تسليمه لطيلان حتى يحمله إلى الكرك . فرغب [بيبغاروس] إلى طاز أن يحج معه ، فأخذه صحبته محتفظاً به ، وكتب بذلك [إلى السلطان] . فتوهّم السلطان ومغلطاى أن طاز قد مال مع بيبغاروس ، وتشوّشا تشوّشاً زائدا . ثم أكد (٢٧٩ ا) ذلك ورود الخبر بعصيان أحمد فى صفد ، وظنوا أنه مناظر لبيبغا روس . فأخرج طيلان ليقيم على الصفراء[٥] حتى يرد الحجاج إليها ، فيمضى بيبغا إلى الكرك .

وفى يوم الخميس سابع عشريه خلع على علم الدين عبد الله بن زنبور ، خلعة الوزارة ، مضافا لما معه من نظر الخاص ونظر الجيش ، بعدما امتنع ، وشرط وشروطا كثيرة . وخرج [ابن زنبور] فى موكب [عظيم] ، فركب بالزنارى الحرير الأطلس إلى داره بمصر ، فكان يوما مذكوراً .

وفيه خلع على الأمير طنيرق بنيابة حماه ، عوضا عن أسندمر العمرى .

وفى يوم السبت تاسع عشريه جلس الوزير علم الدين [ابن زنبور] بشباك قاعة الصاحب من القلعة ، فى دست الوزارة . وجلس الموفق ناظر الدولة قدامه ، ومعه جماعة المستوفين . فطلب [ابن زنبور] جميع (٢٧٩ ب) المباشرين ، وقرّر معهم ما يعتمدونه ؛

---

(١) فى ب ، وكذلك ب ، ٦٠٨ ب ، " وبقية من معه " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٢٤ ، ومنه سائر الإضافات .

(٢) فى ف " وسحرهم " ، وفى ب ، ٦٠٨ ب ، " تعجيزهم " ، وما هنا من باب الترجيح .

(٣) فى ف ، وكذلك ب ، ٦٠٨ ب " وكتبا " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٤) انظر الصفحة السابقة ، حاشية ٣ .

(٥) الصفراء قرية بين المدينة وينبع . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٢٤ ، حاشية ١ ، وما بها مراجع .

وطلب محمد بن يوسف ، وشدّ وسطه[1] على عادته ؛ وطلب العاملين ، وسلّفهم على اللحم وغيره . وأمر فكتبت أوراق من بيت المال والأهراء ، فإنه لم يكن بهما درهم واحد ولا أردب غلة ، وقرأها على السلطان والأمراء . وشرع فى عرض الشادّين والكتاب وسائر أرباب الوظائف ، وتقدّم إلى المستوفين بكتابة أوراق المتأخر فى النواحى ، واهتم بتدبير الدولة . ورسّم على بدر الدين ناظر البيوت ، وألزمه بمال لشىء كان فى نفسه منه ؛ وولى عوضه فخر الدين ماجد بن قروينه صهره نظر البيوت . ورسّم لأولاد الخروبى التجار بمصر بتجهيز راتب السكر لشهر المحرم ، وأنفق فى بيت السلطان جامكية شهر ؛ فطلع إلى (٢٨٠ ا) الحوائج خاناه السكر والزيت والقُلوبات[2] وسائر الأصناف .

و [فيه] أفرج [ابن زنبور] عن الفار الضامن بسفارة الأمير ملكتمر المحمدى ، وضمنه الجهات بزيادة خمسين ألف درهم . وضمن [الفار] معاملة الكيزان[3] من الأمير طيبغا المجدى ، بزيادة ثلاثين ألف درهم .

وفيه حمل علاء الدين بن فضل الله كاتب السرّ تقليد الوزارة إلى الصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور ، ونعت فيه بالجناب العالى . وكان جمال الكفاة قد سعى أن يكتب له ذلك [زمن السلطان الصالح إسماعيل] ، فلم يرض كاتب السرّ ، وشحّ به . فخرج الصاحب وتلقى كاتب السرّ ، وبالغ فى إكرامه ، وبعث إليه تقدمة سنية .

وفى مستهل ذى الحجة خلع على بكتمر المؤمنى نائب الإسكندرية ، واستقر شاد الدواوين .

وفيه خلع على سعد الدين رزق الله ، (٢٨٠ ب) ولد الرزين علم الدين ، واستقر بديوان المماليك .

---

(١) انظر ما سبق هنا ، ص ٦٦٤ ، حاشية ٣ .

(٢) القلوبات هى اللوز والبندق والفستق ، وسائر أنواع المكسرات المقشورة ، والقلوبات كذلك مرادف لما يسميه أهل مصر الملبس " المحشو " باللوز أو الجوز أو الفستق ، انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، وعلى هذا يكون المرادف العام لهذا اللفظ بالإنجليزية sugared almonds.

(٣) عرّف (Dozy : Supp. Dict. Ar.) هذا اللفظ — ومفرده كوز — بأنه قدح لحفظ اللبن ، ويبدو أن المقصود بمعاملة الكيزان هنا أن صناعة هذه الكيزان كانت مما يقوم به أحد العاملين — أى المتعهدين — على قاعدة احتكار هذه الصناعة ، مقابل مبلغ ضمان يدفعه العامل — أى المتعهد — لصاحب الأرض التى تصلح طينتها لصنع هذه الأقداح .

وفيه التزم الوزير علم الدين بين يدى السلطان والأمراء أنه يباشر الوزارة بغير معلوم ، ويباشر ابنه أيضاً بغير معلوم ، ويوفر ذلك للسلطان .

و [فيه] قدم الخبر بأن هندو أحد الأكراد استولى على بلاد الموصل ، وصار فى جمع كبير يقطع الطريق ؛ والتحق به نجمة التركمانى[1] ، فاستنابه وتقوّى به . وركب [هندو] إلى سنجار وتحصن بها ، وأغار على الموصل ونهب وقتل ، ومضى إلى الرحبة وأفسد بها ، ومشى على بلاد ماردين ونهبها . فخرجت إليه عساكر الشام ، وحصروه بسنجار ومعهم عسكر ماردين ، ونصبوا عليها المنجنيق مدة شهر حتى طلب هندو الأمان ، على أنه يقيم الخطبة للسلطان ، ويبعث بأخيه ونجمة فى عقد الصلح ، ويقطع قطيعة (٢٨١ ا) يقوم بها كل سنة . فأمنه العسكر ، وساروا عنه بأخيه ونجمة إلى حلب ؛ فحمل نجمة ورفيقه إلى مصر ، فلما نزلا منزلة قاقون هرب نجمة .

وفى خامسه رسم بعرض أجناد الحلقة ، وخرجت البريدية إلى النواحى لإحضار من بها منهم ، فحضروا ؛ وابتدئ بعرضهم بين يدى النائب بيبغا [ططر] حارس[2] الطير فى يوم السبت حادى عشره . وسبب ذلك دخول جماعة كبيرة من أرباب الصنائع فى جملة أجناد الحلقة ، وأخذ جماعة كثيرة من الأطفال الإقطاعات ، حتى فسد العسكر . فرسم لنقيب الجيش بطلب المقدّمين ومضافيهم[3] ، وإحضار الغائبين ؛ وحذّروهم من إخفاء أحد منهم . وتقرّر العرض بين يدى السلطان فى كل يوم مقدّمين بمضافيهما ؛ ثم رسم للنائب [بيبغا ططر حارس الطير] أن يتولى ذلك ، فطلع إليه عدة أيتام (٢٨١ ب) مع أمهاتهم ، ما بين أطفال تحمل على الأكتاف وصغار وشباب ، وجماعة من أرباب الصنائع . فساءه ذلك ، وكره أن يقطع أرزاقهم ، ومضى يومه بالتغاضى ، وصرفهم جميعا على أن يحضروا من الغد . وتحدث [بيبغا ططر حارس الطير] مع الأمراء فى إبطال العرض ، فعارضه منكلى بغا الفخرى ، وأشار بأن العرض فيه مصلحة ، فإن القصد من إقامة الأجناد إنما هو الذبّ عن المسلمين ، فلو

(١) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٠٩ ب ، وهو متفق مع ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣٨٩) . انظر ما سبق هنا ، ص ٨٢٠ ، حيث ورد خطأ أن نجمة هذا " أمير الأكراد " .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٨٢٣ ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٣) فى ف " مضافيهما " ، وفى ب ٦٠٩ ب " مضافيها " .

تحرك العدو ما وجد فى عسكر مصر من يدفعه . فلم توافقه الأمراء على ذلك ، وخرج الأمير قبلاى الحاجب على لسان السلطان بإبطال العرض ، وقد اجتمع بالقلعة عالم كبير ؛ فكان يوما مهولا من كثرة الدعاء والبكاء والتضرع .

و [فيه] قدم الخبر بنزول عسكر دمشق وطرابلس على صفد ، وزحفهم عليها عدة أيام ، جرح (٢٨٢ ا) فيها كثير من الأجناد ، ولم ينالوا من القلعة غرضا ، إلى أن بلغهم القبض على بيبغاروس . وعلم بذلك [الأمير] أحمد [الساقى نائب صفد] من هجانته ، فانحل[1] عزمه ؛ فبعث إليه بكلمش نائب طرابلس يرغّبه فى الطاعة ، ودسّ إلى من معه فى القلعة حتى خامروا عليه ، وهمّوا بمسكه . فوافق [الأمير أحمد الساقى] على الطاعة ، وحلف لنائب طرابلس ، ونزل إليه بمن معه . فسرّ السلطان بذلك ، وكتب بإهانته وحمله .

وفى عاشره كانت الوقعة بمنى ، وقبض على المجاهد على بن المؤيد [داود بن المظفر أبوسعيد المنصورى عمر بن رسول[2]] صاحب اليمن . فكان من خبر ذلك أن ثقبة لما بلغه استقرار أخيه عجلان فى إمرة مكة ، توجه إلى اليمن ، وأغرى المجاهد بأخذ مكة وكسوة الكعبة . فتجهز [المجاهد] ، وسار يريد الحج فى جحفل كبير بأولاده وأمه حتى قرب من مكة ، وقد سبق حاج مصر . فلبس عجلان آلة (٢٨٢ ب) الحرب ، وعرّف أمراء مصر ما عزم عليه صاحب اليمن ، وحذّرهم غائلته . فبعثوا إليه بأن " من يريد الحج إنما يدخل مكة بذلة ومسكنة ، وقد ابتدعتَ من ركوبك والسلاح حولك بدعة لا يمكنك أن تدخل بها ، وابعث إلينا ثقبة ليكون عندنا حتى تنقضى أيام الحج ، ثم نرسله إليك " . فأجاب [المجاهد] إلى ذلك ، و بعث ثقبة رهينة ، فأكرمه الأمراء ، وأركبوا الأمير طقطاى فى جماعة إلى لقاء المجاهد ، فتوجهوا إليه ومنعوا سلاحداريته من المشى معه بالسلاح ، ولم يمكنوهم من حمل الغاشية . ودخلوا به مكة ، فطاف وسعى ، وسلّم على الأمراء واعتذرَ إليهم ، ومضى إلى منزله . وصار كل منهم على حذر حتى وقفوا بعرفة ، وعادوا إلى الخيف من منى ،

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٠٩ ب " انحل " .

(٢) ما بين الحاصرتين من ب ، ٦٠٩ ب ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٢٦ .

وقد تقرّر الحال (٢٨٣ ا) بين الشريف ثقبة و بين المجاهد على أن الأمير طاز إذا سار من مكة أوقعا [هما] بأمير الركب ومن معه ، وقبضا على عجلان ، وتسلم ثقبة مكة .

فاتفق أن الأمير بزلار رأى وقد عاد من مكة إلى منى خادم المجاهد سائرا ، فبعث يستدعيه فلم يأته ، وضرب مملوكه — بعد مفاوضة جرت بينهما — بحربة فى كتفه . فماج الحاج ، وركب بزلار وقت الظهر إلى طاز فلم يصل إليه حتى أقبلت الناس جافلة تخبر بركوب المجاهد بعسكره للحرب ، وظهرت لوامع أسلحتهم ؛ فركب طاز و بزلار والعسكر وأكثرهم بمكة .

فكان أول من صدم أهل اليمن الأمير بزلار وهو فى ثلاثين فارسا ، فأخذوه فى صدورهم إلى أن أرموه قرب خيمة . ومضت فرقة منهم إلى جهة طاز ، فأوسع (٢٨٣ ب) لهم ، ثم عاد عليهم . وركب الشريف عجلان والناس ، فبعث طاز لعجلان أن " احفظ الحاج ، ولا تدخل بيننا فى حرب ، [ودعنا مع[1] غريمنا] " ؛ واستمر القتال بينهم إلى بعد العصر . فركب أهل اليمن الذلة ، والتجأ المجاهد إلى دهليزه ، وقد أحيط به وقطعت أطنابه ، وألقوه إلى الأرض. ففرّ المجاهد على وجهه ومعه أولاده ، فلم يجد طريقا ، فسلّم ولديه إلى بعض الأعراب ، وعاد بمن معه وهم يصيحون : " الأمان يامسلمين " : فأخذوا وزيره ، وتمزقت عساكره فى تلك الجبال ، وقتل منهم خلق كثير ، ونهبت أموالهم وخيولهم حتى لم يبق لهم شىء ، وما انفصل الحال إلى غروب الشمس . وفرّ ثقبة بعربه ، وأخذ عبيد عجلان جماعة من الحجاج فيما بين مكة ومنى ، وقتلوا جماعة . فلما أراد الأمير طاز الرحيل من منى سلّم أم المجاهد (٢٨٤ ا) وحريمه لعجلان ، وأوصاه بهن . وركب [الأمير طاز] ومعه المجاهد محتفظا به ، و بالغ فى إكرامه ؛ وصحب معه أيضاً الأمير بيبغاروس مقيّداً ؛ و بعث الأمير طقطاى مبشراً . ولما قدم الأمير طاز المدينة النبوية قبض على الشريف طفيل .

وكان قاع النيل فى هذه السنة أربعة أذرع ونصف [ذراع] . وتوقفت الزيادة حتى ارتفع سعر الأردب القمح من خمسة عشر درهما إلى عشرين [درهما] . ثم زاد [النيل] فى يوم [واحد] أربعا وعشرين إصبعا ، ونودى من الغد بزيادة عشرين إصبعا ، ثم بزيادة خمس

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة لعبارة الأمير طاز كما قيلت فيما يبدو ، وهى من ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٢٦ .

عشرة إصبعا ، ثم ثمانى أصابع . واستمرت الزيادة حتى بقى من ذراع الوفاء ثلاث أصابع ، فتوقف[١] ستة أيام ، ثم وفّى الستة عشر ذراعا فى يوم الاثنين ثانى عشرين مسرى . وزاد بعد ذلك إلى خامس توت ، فبلغ سبعة عشر ذراعا ، (٢٨٤ ب) وهبط . فشرقت بلاد كثيرة ، وتوالى الشراقى ثلاث سنين شقّ الأمر فيها على الناس : من عدم الفلاحين[٢] ، وخيبة[٣] الزرع بخلاف ما يعهد ، وكثرة المغارم[٤] والكلف ، وظلم الولاة وعسفهم ، وزيادة طمعهم فى أخذ ما بذلوا مثله حتى ولوا ، مع نفاق[٥] عرب الصعيد ، وطمعهم فى الكشاف والولاة ، وكسر المغلّ ، وعنتهم[٦] فى إعطائه الأجناد ، ورمى الشعير على البلاد من حساب سبعة دراهم الأردب ، وحمله إلى الأمراء ؛ فحمل نحو الأربعين ألف أردب شعيراً ، ونحو خمسة آلاف أردب برسيا .

وفيه خلع على ملك تونس أبو العباس الفضل بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم ابن عبد الواحد بن أبى حفص ، فى ثامن عشر جمادى الأولى ، فكانت مدته ستة أشهر ؛ فقام بعده أخوه أبو إسحاق (٢٨٥ ا) إبراهيم [بن أبى بكر] .

ومات فى هذه السنة من الأعيان الأمير سيف الدين دلنجى نائب غزة . قدم القاهرة سنة ثلاثين وسبعمائة ، فأنعم عليه بإمرة عشرة ، ثم بإمرة طبلخاناه ؛ وولى غزة بعد يلجك ؛ فأوقع بالعشير ، وقويت حرمته .

و [مات] الأمير لاجين أمير آخور .

و [توفى] فخر الدين محمد بن على بن إبراهيم بن عبد الكريم المصرى الفقيه الشافعى بدمشق ، فى ثالث عشر ذى القعدة ؛ ومولده سنة إحدى وتسعين وستمائة . وخرج من القاهرة سنة اثنتين وسبعمائة ، وسكن دمشق ، وبرع فى الفقه والعربية وغير ذلك . وكان

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٦١٠ ب " توقف " .

(٢) هنا إشارة لاستمرار الاضطراب الاقتصادى فى مصر ، لقلة الأيدى العاملة بسبب الوباء الكبير فى السنة السابقة ، فضلا عما جدّ من انخفاض النيل .

(٣) فى ف " وحشية " ، وما هنا من ب ، ٦١٠ ب .

(٤) فى ف " المغرم " ، وما هنا من ب ، ٦١٠ ب .

(٥) فى ف " نقات " ، وما هنا من ب ، ٦١ ب .

(٦) فى ف " غبنهم " ، وما هنا من ب ، ٦١٠ ب .

يتوقد ذكاء ، بحيث أنه حفظ مختصر ابن الحاجب مع تعقد ألفاظه فى تسعة عشر يوما ، ودرّس وأفتى وأفاد .

و[توفى] العلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر (٢٨٠ ب) بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية الزرعى الدمشقى بدمشق ، فى ثالث عشر رجب ؛ ومولده سنة إحدى وتسعين وستمائة . برع فى عدّة علوم ، ما بين تفسير وفقه وعربية ، وغير ذلك . ولزم شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية بعد عوده من القاهرة سنة اثنتى عشرة وسبعمائة حتى مات ، وأخذ عنه علماً جمّاً ، فصار أحد أفراد الدنيا ، وتصانيفه كثيرة ؛ وقدم القاهرة غير مرّة .

ومات ابن قرمان صاحب جبال الروم .

و[مات] الحسين بن خضر بن محمد بن حجى بن كرامة بن بحتر بن على بن إبراهيم ابن الحسين بن إسحاق بن محمد الأمير ناصر الدين ، المعروف بابن أمير الغرب[1] التنوخى ، فى نصف شوال . وولى عوضه ابنه زين الدين صالح ، وولايته ببلاد الغرب من (٢٨٦ ا) بيروت . وأول من وليها منهم كرامة ابن بحتر فى أيام نور الدين محمود بن زنكى ، فسمى [كرامة] أمير الغرب[2] .

* * *

سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة : فى يوم الخميس رابع المحرم قدم الأمير أسندمر العمرى من حماة .

وفى يوم الجمعة خامسه قدم الأمير أرغون الكاملى من حلب بغير مرسوم ؛ فخلع عليه ، وأنزل بالقلعة . وسبب ذلك أنه كان قد أشيع بحلب القبض عليه ، وأشيع بمصر أنه خاص ، فكره تمكُّن موسى حاجب حلب ، لما بينهما من العداوة ، ورأى أن وقوع

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٦١١ ا . انظر ما يلى بهذه الفقرة .

(٢) يلحظ القارئ قلة الوفيات فى هذه السنة ، ولعل مرجع ذلك كثرة المتوفين فى السنتين السالفتين فى أعقاب الوباء الكبير ، أو مناعة الذين بقوا أحياء بعد هذا الوباء الكبير من الأمراض .

المكروه به فى غير حلب أخفّ عليه ؛ فركب من حلب وقدم مصر ، ففرح السلطان بقدومه ، لما كان عنده من إشاعة عصيانه .

و[فيه] قدم عيسى بن حسن الهجان من العقبة ، بكتاب الأمير فياض يتضمن (٢٨٦ ب) حضور طقطاى ورفيقه مبشرين ، وأنه عوّقهما بالعقبة ، وبعث ما على يديهما من الكتب ، وأن طيلان لقى الحاج بينبع ؛ فكتب بإحضار طقطاى ورفيقه

و[فيه] قدم الخبر بأن طيلان تسلم الأمير بيبغاروس من الأمير طاز ، وتوجه به إلى الكرك من بدر . فسرّ السلطان والأمراء بذلك ، وكتب بإعادة العسكر من العقبة .

و [فيه] توجه الأمير فياض بن مهنا إلى أهله ، وسُيِّر إليه منشوره بإمرة العرب ، عوضا عن جبار ، صحبة قطلوبغا أخى الأمير مغلطاى ، ليسافر به إلى بلاده .

وفى رابع عشره خلع على الضياء يوسف الشامى ،وأعيد إلى حسبة القاهرةونظر المارستان ، عوضا عن ابن الأطروش ، بسفارة النائب [الأمير بيبغا ططر حارس الطير] ، لكلام نقله ابن الأطروش للوزير [ابن زنبور[1]] ، فسبّه وأهانه ، وتحدّث فى عزله وعود الضياء . (٢٨٧ ا) فعرض الضياء حواصل المارستان ، فلم يجد بها شيئاً ، وكتب بذلك أوراقا ، وأوقف [الأمير بيبغا ططر حارس الطير] النائب عليها . فنزل النائب معه إلى المارستان ، واستدعى القضاة وأرباب الوظائف بالمارستان ، وأحضر ابن الأطروش ، وطلب كتاب الوقف وقرأه ، حتى [وصل] فيه القارئ إلى قوله عن الناظر التعمّم ، ويكون عارفاً بالحساب وأمور الكتابة . فقال الضياء لابن الأطروش : " قد سمعت ما شرطه الواقف فيك ، وأنت عَامِيّ مشهور ببيع الخرائط[2] ، لاتدرى شيئاً مما شرطه الواقف " . وناوله ورقة حساب ليقرأها ، فقام إليه بعض

(١) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق هنا ، ص ٨٢٨ .

(٢) مفرد هذا اللفظ خريطة ، ومعناها العام فى محيط المحيط ، وكذلك فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) كيس أو جراب من جلد أو غيره (sac, portefeuille) . غير أن معناها المقصود هنا مرادف الجوراب للقدم ، أو الجونتى (القفاز) لليد ، وفى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٨١) أن أحد رجال الدولة الفاطمية " كانت له خرائط من القطن الأبيض [يلبسها] فى يديه ورجليه " ، خشية لمس النجس ، وإمعانا فى الوسوسة ، فلا يدخل مجلس الخليفة " إلا بتلك الخرائط فى رجليه ، ولا يأخذ من أحد شيئا إلا وفى يديه خريطة ، ... فإذا اتفق أن صافح أحدا ، أو مس رقعة بيده من غير خريطة ، لا يمس ثوبه أبداً حتى يغسلها ... " .

الفقهاء ، وقال : " هـذا معه تدريس و إعادة ، وأنا أسأله عن شيء ، فإن أجاب استحق المعلوم " . وأخذته الألسنة من كل جانب ، فقال النائب : " يا قوم ! هذا رجل عامىّ ، وقد أخطأ ، وما بقى إلا الستر عليه " . فاعترف [ابن الأطروش] (٢٨٧ ب) أنه لايدرى الحساب ، وأنه عاجز عن المباشرة ، وألزم نفسه ألا يعود إليها أبداً ، بإشهاد كتب فيه قضاة[1] القضاة ونوابهم يتضمن قوادح شنيعة ؛ ومازال النائب بأخصامه حتى كفّوا عنه . ثم قام النائب ليكشف أحوال المرضى ، فوجدت فرشهم قد تلفت ، ولها ثلاث سنين لم تغير ؛ فسدّ النائب خلله وانصرف .

وفيه قبض على مستوفى الدولة الأسعد حربة ، وكريم الدين أكرم بن شيخ ؛ وسُلّما لشاد الدواوين . فضرب [شاد الدواوين] ابن شيخ ، وعاقبه حتى وزن مائة وستين ألف درهم ، تتمة ثلاثمائة ألف درهم ؛ ووزن حربة مالا جزيلا . واستقرّ عوضهما تاج الدين ابن ريشة ، والعلم كاتب آل ملك .

وفى يوم السبت عشريه قدم الأمير طاز من الحجاز بمن معه ، وصحبته الملك المجاهد ، والشريف أدى أمير (٢٨٨ ا) المدينة ، بعد ما فرّ ولحق باليمن ، وقدم مع المجاهد [إلى[2] مكة] . فخرج الأمير مغلطاى إلى البركة ومعه الأمراء ، ومدّ له سماطا جليلا ، وقبض على من معه من الأمراء الذين كانوا من جماعة الأمير بيبغاروس ، وقيّدوهم ، وهم فاضل أخو بيبغاروس وناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب . وأما الأمير أزدمر الكاشف فإنه أخرج [عنه] إقطاعه ، ولزم بيته .

وفى يوم الاثنين ثانى عشريه طلع الأمير طاز بالمجاهد إلى القلعة ، فقُيِّد عند باب القلعة ، ومشى بقيده حتى وقف مع العموم[3] بالدركاه — تجاه النائب ، والأمراء جلوس — وقوفاً طويلا ، إلى أن خرج أمير جندار يطلب الأمراء على العادة ، فدخل معهم . وخلع [السلطان] على الأمير طاز ؛ ثم أخذ المجاهد ، وأمر به فقبّل الأرض ثلاث (٢٨٨ ب)

(١) فى ف " قاضى القضاة القضاة " ، وما هنا من ب ، ٦١١ ب
(٢) انظر ما سبق ص ٨٣١ ، حيث وردت أخبار مخالفة قليلا لما هنا
(٣) فى ف " العمود " ، وما هنا من ب ، ٦١٢ ب .

سراة . وطلب [السلطان] الأمير طاز وسأل عنه ، فما زال [طاز] يتشفع فى أمر[1] [المجاهد] إلى أن أمر بقيده ففك ، وأنزل بالأشرفية من القلعة عند الأمير مغلطاى ؛ وأجريت له الرواتب السنية ، وأقيم له من يخدمه .

وفيه أنعم على الأمير طاز بمائتى ألف درهم .

و [فيه] قبض على الأمير حسين الططرى وولده ، وأخرج مع الأمراء المسوكين إلى الإسكندرية .

وفيه خلع على الأمير أرغون الكاملى ، واستقر فى نيابة حلب على عادته ؛ ورسم أن يكون موسى الحاجب بحلب نائبا بقلعة الروم[2] .

وفى يوم الاثنين خامس عشريه حضر المجاهد الخدمة ، وأجلس تحت الأمراء .

وفيه ألزم [المجاهد] بحمل أربعمائة ألف دينار يقترضها من الكارم[3] ، ثم بعد ذلك ينعم له بالسفر إلى بلاده .

وفيه قدم (٢٨٩ ا) المجردون من العقبة بسبب بيبغاروس .

وفى يوم الخميس ثامن عشريه قدم الأمير قطلوبغا الكركى ، ومعه أمير أحمد الثائر بصفد ، فأرسل إلى الإسكندرية ، فسجن بها .

---

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٦١٢ ا " امره " ، والتعديل من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٢٧ .

(٢) فى ف " القلعة الرومية " ، وما هنا من ب ، ٦١٢ ا .

(٣) تقدم التعريف بالكارم فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٩٩) ، وهم جماعة تجار الصادر والوارد بمصر وغيرها من البلاد الإسلامية فى العصور الوسطى ، وهم كذلك أرباب المال والأعمال المصرفية (البنوك) فى الشرق فى تلك العصور . (صبحى لبيب : التجار الكارمية ، بمجلة الجمعية التاريخية المصرية ، ج ٤ ، ص ٥ — ٦٣) . ومع أن أصل الكارمية لا يزال غامضا ، لعدم وضوح المراجع المعروفة فى هذا الموضوع ، فالواضح أنهم قاموا ببلاد الشرق الأوسط ، بمثل ما قام به تجار البنادقة والجنويين والفلورنسيين ، من الأعمال المصرفية فى غرب أوربا فى العصور الوسطى ، وأولئك هم أصول تأسيس المصارف (البنوك) والأعمال المصرفية الأوربية الحديثة .

وربما استطاع الباحث فى التاريخ الاقتصادى المصرى أن يتابع هذا التطور المتوازى فيما يخص الكارمية وأعمالهم المصرفية فى مصر ، منذ العصور الوسطى إلى أواسط القرن التاسع عشر الميلادى ، أى قبل أن يبدأ تأسيس الأعمال المصرفية فى مصر على نسق المصارف الأوربية

وفى يوم الاثنين تاسع عشريه خلع على الأمراء [اليمنيين ؟] المقيدين[١] ، وعلى المجاهد صاحب اليمن بالإيوان ؛ وقبل [المجاهد] الأرض عدّة مرار . وكان الأمير طاز والأمير مغلطاى تلطفا فى أمره حتى أعفى من حمل المال ، وقرّبه السلطان ووعده بالسفر إلى بلاده مكرما . فقبل [المجاهد] الأرض ؛ وسرّ بذلك ، فأذن له أن ينزل من القلعة إلى إصطبل الأمير مغلطاى ، ويتجهز للسفر . وأفرج عن وزيره وخادمه وحواشيه ، وأنعم عليه بمال . فبعث له الأمراء مالا جزيلا ، وشرع فى القرض من الكارم تجار مصر واليمن ، فبعثوا له عدة هدايا ، وصار يركب حيث شاء .

(٢٨٩ ب) وفيه خلع على ابن بورقية ، واستقرّ فى حسبة مصر ، عوضاً عن ولى الدين .

وفى يوم الخميس ثانى صفر ركب المجاهد فى الموكب بسوق الخيل تحت القلعة ، وطلع مع [الأمير بيبغا ططر حارس الطير] النائب إلى القلعة ، ودخل إلى الخدمة بالإيوان مع الأمراء والنائب . فكان موكبا عظيما ، ركب فيه جماعة من أجناد الحلقة مع مقدميهم . وخلع [السلطان] على المقدمين[٢] ، وطلعوا إلى القلعة ، وأجناد الحلقة معهم . واستمرّ المجاهد يركب فى الخدمة مع النائب فى سوق الخيل ، ويطلع إلى الخدمة بالقلعة .

وفيه خلع على الأمير صرغتمش ، واستقرّ رأس نوبة على ما كان عليه ، بعناية الأمير طاز والأمير مغلطاى .

وفيه قبض على محمد بن يوسف مقدم الدولة ، وسلم لشاد الدواوين ؛ وأفرد محمد ابن زيد بالتقدمة .

---

(١) فى ف « المقعدين » ، وما هنا من ب ، ٢٦١٢ ا .

(٢) تقدم هذا اللفظ فى المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٩٣ ، ٦٧٣) بغير تعريف ، مع أهمية وظيفة المقدم فى النظام الإقطاعى المملوكى . وفى النويرى (نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ٢٠٣) أن ناظر الجيش « يحتاج فى أجناد الحلقة إلى أن يضيف كل جماعة منهم إلى مقدم مشهور من أعيانهم ، ممن هو متميز الإقطاع ، ويقيم عليهم نقيبا يعرف مساكنهم ومظانهم ، فإذا طلبوا جمعهم ، أو طلب أحد منهم أحضره » .

وفى يوم السبت (٢٩٠ ا) ثامن عشره برز المجاهد صاحب اليمن بثقله إلى الريدانية، ليسافر إلى بلاده، وصحبته الأمير قشتمر شاد الدواوين. وكتب [السلطان] إلى الشريف عجلان أمير مكة بتجهيزه إلى بلاده، وكتب لبنى شعبة وغيرهم من العربان بالقيام فى خدمته، وخلع عليه أطلس؛ فوعد [المجاهد] بإرسال الهدية والمال، وقرّر على نفسه حملا فى كل سنة. وأسر [السلطان] إلى قشتمر أنه إن رأى منه ما يريبه يمنعه من المضى، ويطالع بأمره. فرحل [المجاهد] من الريدانية خارج القاهرة فى يوم الخميس ثالث عشريه، ومعه عدة مماليك اشتراها، وكثير من الخيل والجمال.

وفى مستهل ربيع الأول قدم الأمير قطلوبغا متسفر الأمير فياض بن مهنا؛ وقد أنعم عليه بمائة ألف درهم، وثلاثين فرساً، وخمسين جملا، وقماش كثير.

و[فيه] قدم الخبر بلين الأمير أيتمش (٢٩٠ ب) الناصرى نائب الشام، وضياع أحوال الشام، وكثرة قطع الطرقات، وأن أهل الشام سموه "إيش كنت أنا"، وأن أحوال شمس الدين موسى بن التاج إسحاق الناظر توقفت. ووقع جراد مضرّ بالزرع، أفسد أكثرها، وأن الغرارة القمح ارتفعت من ثمانين إلى مائة وعشرين [درهماً]. ووقع بحماه سيل لم يعهد مثله، [و] خرّب [السيل] أماكن كثيرة.

و[فيه] قدم الأمير قطلوبغا الذهبى من الوجه القبلى، وقد عجز عن مقاومة الأحدب.

و[فيه] قدم الخبر بقتل الشريف سعد بن ثابت، أمير المدينة النبوية. وسببه أن الشريف أدى لما نهب المدينة، وفرّ إلى اليمن، وصار عند صاحبها المجاهد حتى قدم مكة، رامى على الأمير طاز إلى أن أخذ له أماناً من السلطان، [وقدم معه[1]، ومثل بين يدى السلطان] وفى عنقه منديل [الأمان][2]. فقيل له: "إنما أمناك على نفسك، وأما (٢٩١ ا) الأموال التى أخذتها من أهل المدينة ومن الحجاج فلا بدّ من ردّها إلى أربابها".

(١) ما بين الحاصرتين وارد فى ب، ٦١٢ ب، فقط.

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح. انظر (Dozy : Supp. Dict Ar.).

فجمع [أذى[1]] ولده، وطرق سعد بن ثابت ليلا وحاربه . فقتل سعد ، وكتب باستقرار فضل بن قاسم عوضه .

وفى مستهل ربيع الآخر كان عرس خوند زهراء ابنة السلطان الملك الناصر محمد — و[هى] زوجة آقسنقر الناصرى [المقتول زمن[2] المظفر حاجى] — على الأمير طاز . ثم [كان] بعد ذلك عرس الأمير تنكز بغا ، وأعراس جماعة من الأمراء . [و] عمل السلطان لكل منهم مهما يليق به ، فأقامت الأفراح طول الشهر ؛ وأنعم [السلطان] على طاز وعلى تنكز بغا بثلاثمائة ألف درهم ، وأنعم على كل من الأمير مغلطاى رأس نوبة ، والأمير منكلى بغا الفخرى .

وفيه أخرج الأمير نوروز على إمرة طبلخاناه ، بدمشق . وسببه أنه لما قدم من الشام أنعم عليه (٢٩١ب) بتقدمة ألف ، فصار يتحدث مع السلطان فى المشور ، وترفع على الأمراء .

وفيه قدم سيف بن فضل ، بقوده .

وفى ليلة الثلاثاء رابعه قدم الخبر بأن الأمير قشتمر أمسك المجاهد صاحب اليمن بينبع ، بعد ما فرّ بنفسه ، وترك ثقله . ثم قدم قشتمر فى يوم السبت خامس عشره ، وأرسل المجاهد إلى الكرك ، فسجن بها .

وفى أول جمادى الأولى قدمت رسل الأشرف دمرداش بن جوبان بسبب الصلح ، فأنزلوا بصهريج منجك ثلاثة أيام ، ولم يمكن أحد من الاجتماع بهم . ثم مثلوا بين يدى السلطان ، وأعيدوا بجوابهم .

وفيه خلع على الأمير أرغون الإسماعيلى ، واستقرّ فى نيابة غزة ، عوضاً عن فارس الدين البكى . وقدم فارس الدين ، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه .

وفيه (٢٩٢ا) خرجت العرب المعروفة بثعلبة من أماكنها ، وتفرقوا فى البلاد .

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ٦١٣ ا : "ثم قيد وسجن ، فجمع ولده ..." ، وتعديل العبارة بحذف نصفها الأول ، ثم إضافة ما بين الحاصرتين ، من ابن حجر (الدرر الكامنة . ج ١ ، ص ٣٤٦ — ٣٤٧) ، وكلاهما يقتضيه السياق .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ١٧٩ .

فوقفت أحوال مراكز البريد ، فإن درك البريد عليهم . فسعى ابن طلدية فى ولاية الشرقية ، وتكفل بردّ ثعلبة ، فخلع عليه بولايتها .

وفيه ركب الأمير طاز لكبس عرب الإطفيحية ، وقد اشتدّ ضررهم وكثر قطعهم الطريق ؛ فلم يُظفر منهم بأحد ، وتعاقوا بالجبال .

وفيه توعك السلطان ولزم الفراش أياماً ، فبلغ طاز ومغلطاى ومنكلى بغا أنه أراد بإظهار توعكه القبض عليهم إذا دخلوا إليه ، وأنه قد اتفق مع قشتمر[1] وألطنبغا الزامر وملكتمر الماردينى وتنكز بغا على ذلك ، وأن ينعم عليهم بإقطاعاتهم وإمراتهم . فواعدوا أصحابهم ، واتفقوا مع الأمير بيبغا [ططر حارس الطير] النائب والأمير طيبغا المجدى والأمير رسلان بصل ، وركبوا (٢٩٢ ب) يوم الأحد سابع عشرى جمادى الآخرة بأطلابهم ، ووقفوا عند قبة النصر .

فخرج السلطان إلى القصر[2] [الأبلق] ، وبعث يسألهم عن سبب ركوبهم ، فقالوا : " أنت اتفقت مع مماليكك على مسكنا ، ولا بدّ من إرسالهم إلينا . فبعث [السلطان] إليهم تنكز بغا وقشتمر[3] وألطنبغا الزامر وملكتمر ؛ فعندما وصلوا إليهم قيدوهم ، وبعثوهم إلى خزانة شمايل ، فسجنوا بها . فشق ذلك على السلطان ، وبكى ، وقال : " قد نزلت عن السلطنة " ، وسير إليهم النمجاة[4] ، فسلموها للأمير طيبغا المجدى . [وقام السلطان] إلى حريمه ، فبعث الأمراء الأمير صرغتمش ، ومعه الأمير قطلوبغا الذهبى وجماعة ، ليأخذه ويحبسه[5] . فطلعوا إلى القلعة راكبين إلى باب القصر الأبلق ، ودخلوا إلى الناصر حسن

---

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٦١٣ ا "عشقتمر" ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٣٠ .

(٢) فى ف " القبض " ، وما هنا من ب ، ٦١٣ ب ، وما بين الحاصرتين مما يلى بهذه الفقرة .

(٣) فى ف ، وكذلك ب ٣١٦ ب "اشتقمر" ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٣١ .

(٤) فى ف " النجاه " ، وما هنا من ب ، ٦١٣ ب .

(٥) فى ف " لياخذوه ويحبسه " ، وما هنا من ب ، ٦١٣ ب .

وأخذوه من بين حرمه . فصرخ النساء صراخاً عظيماً ، وصاحت ست حدق على صرغتمش صياحاً (٢٩٣ ا) منكراً ، وسبّته ، وقالت : " هذا جزاؤه منك " فأخرجه صرغتمش وقد غطى وجهه إلى الرحبة ، فلما رآه الخدام والمماليك تباكوا عليه بكاءاً كثيرا . وطلع [صرغتمش] به إلى رواق فوق الإيوان ، ووكل به من يحفظه ، وعاد إلى الأمراء

وكانت مدته ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوما ، منها مدة الحجر عليه ثلاث سنين ، ومدة استبداده تسعة أشهر . وكان القائم بدولته الأمير شيخو رأس نوبة ، وإليه أمر خزانة الخاص — ومرجع [ذلك إلى] علم الدين بن زنبور ناظر الخاص — ؛ والأمير بيبغا روس نائب السلطنة ، وإليه حكم العسكر وتدبيره والحكم بين الناس ؛ والأمير منجك الوزير الأستادار مقدم المماليك ، وإليه التصرف فى أموال الدولة ؛ والمتولى لتربيته خوند طغاى أم آنوك ؛ وفى خدمته ست (٢٩٣ ب) حدق . ورُتِّب له فى كل يوم مائة درهم تُصرف لخدامه من خزانة الخاص ، فكان كذلك فى طوع الأمراء ، يصرفونه على حسب اختيارهم ، إلى أن نفرت نفوس الأمراء الخاصكية من الوزير منجك ، وحسدوه على ما هو فيه ، وكان أشدّهم عليه حقداً الأمير مغلطاى والأمير طاز وكان الأمير شيخو يكفّهم عنه ، إلى أن خرج الأمير بيبغا روس إلى الحج ، وخرج الأمير شيخو إلى السرحة بالعباسة ، وقع الاتفاق على ترشيد السلطان ، ومسك منجك كما تقدم . فاستبد السلطان بالتصرف ، وأخذ أموال الأمراء المقبوض عليهم ، وفرّقها فى خواصه . ثم اختصّ بطاز ، وبالغ فى الإنعام عليه ، واستخص قشتمر[1] وألطنبغا وملكتمر وتنكز بغا ، وجعلهم ندماءه فى الليل ومشيريه فى النهار ، فلم يكن يفارقهم أبداً ليلاً ولا نهاراً ؛ (٢٩٤ ا) وسوّغهم من الأملاك ، وأنعم عليهم من الجواهر والأموال بشىء جليل إلى الغاية ؛ وأعرض عن الأمراء ، فلم يلتفت إليهم حتى كان ما كان من خلعه.

وكانت أيامه شديدة ، كثرت فيها المغارم بالنواحى ، وخربت عدة أملاك على النيل ،

---

(١) فى ف " اشتتمر " ، انظر الصفحة السابقة .

واحترقت مواضع كثيرة بالقاهرة ومصر ، وخرجت عربان العايد وثعلبة وعشير الشام وعرب الصعيد عن الطاعة ، واشتدّ فسادهم وكثر قطعهم الطرقات . وكان الفناء المظيم الذى لم يعهد مثله ، وتوالى شراق الأراضى ، وتلاف الجسور ، وقيام ابن واصل الأحدب ببلاد الصعيد والعجز عنه ، وقتل عرب الصعيد طنية الكاشف ، وهزيمتهم الهذبانى وأخذ ثقله . فاختلت أرض مصر وبلاد الشام بسبب ذلك خللاً فاحشاً ، إلا أن[1] الناصر حسن كان فى نفسه مفرط الذكاء ، ضابطاً لما يدخل (٢٩٤ ب) إليه ويصرّفه كل يوم ، عارفاً متديناً شهماً ، لو وجد ناصرا ومعينا [لكان أجل[2] الملوك] .

* * *

السلطان الملك الصالح

صلاح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاون

أمه بنت الأمير تنكز نائب الشام ، أقيم سلطانا بعد خلع أخيه الناصر حسن ، فى يوم الاثنين ثامن عشرى جمادى الآخرة ، سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة .

وذلك أن الأمراء لما حملت إليهم النمجاة ، باتوا ليلة الاثنين بإصطبلاتهم ، وبكروا يوم الاثنين إلى القلعة ، واجتمعوا بالرحبة داخل باب النحاس ، وطلبوا الخليفة والقضاة وسائر أهل الدولة ، واستدعوا به . فلما خرج إليهم ألبسوه شعار السلطنة ، وأركبوه فرس النوبة من داخل باب الستارة ، ورفعت الغاشية بين يديه . وكان الأمير طاز والأمير منكلى بغا الفخرى آخذين بشكيمة الفرس حتى جلس (٢٩٥ ا) على التخت . وحلفوا له ، وحلّفوه على العادة ، ولقبوه بالملك الصالح ، ونودى بسلطنته فى القاهرة ومصر .

وكان النيل قد نقص عندما كُسر ، فردّ نقصه ، ونودى عليه هذا اليوم بزيادة ثلاث أصابع من سبعة عشر ذراعاً ؛ فتباشر الناس بولايته

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦١٤ ا " الا انه فى نفسه " ، وحذف الضمير وإثبات العائد والإضافة للتوضيح .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٣٣

وفيه نقل السلطان أخاه حسن الناصر إلى حيث كان ساكنا ، ورتب فى خدمته جماعة. وطلب أخاه أمير حسين وأكرمه ، ووعده بتغيير إقطاعه وزيادة راتبه .

وفيه توجه الأمير بزلار أمير سلاح إلى الشام ، ومعه التشريف والبشارة بولاية السلطان وتحليف العساكر له على العادة .

وفيه دقت البشائر ، ونودى بزينة القاهرة ومصر ، فزينتا .

وفيه طلب الأمير مغلطاى والأمير طاز مفاتيح الذخيرة ، ليعتبروا ما (٢٩٠ ب) فيها ، فوُجد شيء يسير .

وفيه رُسم للوزير علم الدين عبد الله ابن زنبور بتجهيزه تشاريف الأمراء وأرباب الوظائف على العادة ، فجهزها .

وفيه وقف الأمير طاز ، وسأل الأمراء والسلطان فى الإفراج عن الأمير شيخو ، فرُسم به . وكتب كل من مغلطاى وطاز إليه كتابا ؛ فبعث مغلطاى [بكتابه] ، أخاه قطلوبغا رأس نوبة ، وبعث طاز الأمير طقطاى صهره . وجهزت الحراقة لإحضار[1] [شيخو] من الإسكندرية ، فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه .

وكان ذلك بغير اختيار الأمير مغلطاى ، فإن الأمير طاز دخل عليه فى ذلك ، ومضى إلى بيته ، فاعتذر إليه بأنه يخشى من خلاصه على نفسه . فحلف له طاز أيمانا مغلظة أنه معه على كل ما يريد ، ولا يصيبه من شيخو ما يكره ، وإن شيخو إذا حضر ما يعارضه من فى شيء من أمر المملكة ، (٢٧١ أ) " وإنى ضامن له فى هذا " ؛ وما زال به حتى وافق على الإفراج عنه ، وكتب إليه مع أخيه . فشقّ ذلك على الأمير منكلى بغا الفخرى ، وعتب مغلطاى على موافقته لطاز ، وأوهمه أن بحضور شيخو يزول عنهم ماهم فيه ، حتى تقرر ذلك فى ذهنه ، وندم على ما كان منه ، إلى أن كان يوم الخميس أول شهر رجب ، وركب الأمراء فى الموكب على العادة ، أخذ منكلى بغا يعرف [الأمير بيبغا ططر حارس الطير] النائب والأمراء

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٦١٤ به " لاحضاره " .

الـكبار ما دار بينه و بين مغلطاى ، وخيّلهم من حضور شيخو إلى أن وافقوه ، وطلعوا إلى القلعة ودخلوا إلى الخدمة . فابتدأ [الأمير بيبغا حارس الطير] النائب بحديث شيخو ، وأنه رجل كبير ، ويحتاج إلى إقطاع كبير وكلف كبيرة . فتكلم منكلى بغا ومغلطاى والأمراء ، وطاز ساكت قد اختبَط لتغير مغلطاى ورجوعه عما وافقه (٢٩٦ ب) عليه . وأخذ [طاز] يتلطف [به] ، فصمم [مغلطاى] على ما هو عليه ، وقال : " مالى وجه أنظر به شيخو ، وقد أخذت منصبه بعد ما مسكته ، وسكنت بيته " . فوافقه [الأمير بيبغا ططر حارس الطير] النائب ، وقال لناظر الجيش : " اكتب له مثالا بنيابة حماه ، وانتقال طنيرق لنيابة حلب " ؛ وقال لـكاتب السر : " اكتب كتابا بعوده من طريقه إلى نيابة حماه " . فكُتب ذلك ، وتوجه به أيدمر الدوادار من وقته وساعته فى حراقته ، وعُيِّن لسفر شيخو إلى حماه عشرون هجينا ليركبها ويسير عليها ؛ وانفضوا ، وفى نفس طاز ما لا يعبر عنه . فاجتمع هو وصرغتمش وملـكتمر وجماعة ، واتفقوا جميعا و بعثوا إلى مغلطاى بأن " منكلى بغا رجل فتنى ، وما دام بيننا لا نتفق أبدا " . فلم يصغ [مغلطاى] إلى قولهم ، واحتج بأنه إن وافقهم لا يأمن على نفسه . فدخل عليه طاز ليلا بالأشرفية من (٢٩٧ ا) القلعة حيث سكنه ، وخادعه حتى أجابه إلى إخراج منكلى بغا ، وتحالفا على ذلك . فما هو إلا أن خرج عنه طاز أخذ دوادار مغلطاى يقبّح ما صدر منه ، و يهول عليه الأمر بأنه متى أبعد منكلى بغا وحضر شيخو أُخذ لا محالة ، فمال إليه .

و بلغ الخبر منكلى بغا ، بكرة يوم الجمعة ثانيه ، فواعد [الأمير بيبغا ططر حارس الطير] النائب والأمراء على الاجتماع فى صلاة الجمعة ، ليقع الاتفاق على ما يكون . فلم يخف عن طاز وصرغتمش رجوع مغلطاى عما تقرر بينه و بين طاز ليلا ، فاستعد للحرب ، وواعد الأمير ملـكتمر المحمدى والأمير قردم الحموى ومن يهوى هواهم ، واستمالوا مماليك بيبغا روس ومماليك منجك حتى صاروا معهم رجاء لخلاص أستاذيهم . وشدّ الجميع خيولهم . فلما دخل الأمراء لصلاة الجمعة اجتمع منكلى بغا بالنائب [بيبغا ططر حارس الطير] وجماعة ،

وقرر (٢٩٧ ب) معهم أن يطلبوا طاز وصرغتمش إلى عندهم فى دار النيابة ، ويقبضوا عليهما . فلما أتاهم الرسول بطلبهما أحسّا بالشرّ ، وقاما ليتهيئا للحضور ، وصرفا الرسول على أنهما يكونان فى أثره ، وبادر إلى باب الدور[1] ونحوه من الأبواب فأغلقاها ؛ واستدعوا من معهم من المماليك السلطانية ، ولبسوا السلاح . ونزل صُرغتمش بمن معه من باب السرّ ، ليمنع من يخرج من إصطبلات الأمراء ، ودخل طاز على السلطان حتى يركب به للحرب ؛ فالتى الأمير صرغتمش فى نزوله الأمير أيدغدى أمير آخور ، فلم يطق منعه ، وأخذ بعض الخيول من الإصطبل ، وخرج فوجد خيله وخيل من معه فى انتظارهم . فركبوا إلى الطبلخاناه ، فإذا طلب منكلى بغا مع ولده ومماليكه يريدون قبة النصر ، فأتوه عن (٢٠٠ ا) فرسه وجرحوه فى وجهه ، وقتلوا حامل الصنجق ، وشتتوا شمل الجميع . فما استتم هذا حتى ظهر طُلب مغلطاى مع مماليكه ، ولم يكن لهم علم بما وقع على طُلب منكلى بغا . فصدمهم صُرغتمش بمن معه صدمة بدّدهم ، وجرح جماعة منهم ، وهزم بقيتهم . ثم عاد [صرغتمش] ليدرك الأمراء قبل نزولهم من القلعة ، وكانت خيولهم واقفة على باب السلسلة تنتظرهم . فمال عليها ليأخذها . وامتدت أيدى أصحابه إليها ، فقتلوا الغلمان ، وقد عظم الصياح ، وانعقد الغبار ، وإذا بالنائب [بيبغا ططر حارس الطير] ومغلطاى ومنكلى بغا وبيغرا ومن معهم قد نزلوا ، وركبوا خيولهم . وكانوا لما أبطأ عليهم مجىء طاز وصرغتمش بعثوا فى استعجالهما ، فإذا الأبواب مغلقة ، والصيحة داخل باب القلة ، فقاموا[2] من دار النيابة يريدون الركوب ، (٢٩٧ ب) فما توسطوا القلعة حتى سمعوا ضجة الغلمان وصياحهم . فأسرعوا إليهم وركبوا ، فشهر مغلطاى سيفه ، واقتحم بمن معه على صرغتمش ومن معه ؛ ومرّ النائب [بيبغا ططر حارس الطير] وبيغرا ورسلان بصل يريد كل منهم إصطبله . فلم يكن غير ساعة حتى انكسر مغلطاى كسرة قبيحة ، وجرح كثير من أصحابه ، وفرّ إلى جهة قبة النصر وهم فى أثره ؛ وانهزم منكلى بغا أيضا .

---

(١) لا يوجد فى القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٧٠) باب بهذا الاسم من أبواب القلعة .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦١٥ ب " قاموا " .

و[فيه] استقرّ مغلطاى أمير آخور ، عوضا عن قطز .

و[فيه] أفرج عن بزلار .

و[فيه] أنعم على فارس الدين قريب آل ملك بإمرة طبلخاناه .

و[فيه] جهزت التشاريف لنواب الشام ، وكتب إليهم بما وقع .

و[فيه] وقع الاتفاق على تخفيف الكلف السلطانية ، وتقليل المصروف بسائر الجهات ؛ وكتبت أوراق بما على الدولة من الكلف .

و[فيه] أخذ الأمراء فى تتبع طائفة الجراكسية من المماليك ، وقد كان المظفر قرّبهم إليه بسفارة غرلو ، فإنه كان جركسى الجنس . وجلبهم [المظفر] من كل مكان حتى عرفوا بين الأمراء ، وقوى أمرهم ، وصار منهم أمراء وأصحاب أخباز (١٩٨ ا) ، وتميزوا بكبر عمائمهم ، وعملوا كلفتاه خارجة عن الحد . فطلبوا الجميع ، وأخرجوهم منفيين خروجا فاحشا .

وفى يوم الاثنين ثانى شوال ركب الأمراء وأهل الدولة إلى الخدمة ، وكتبت أوراق من ديوان الجيش بأسماء الذين اشتروا الإقطاعات فى الحلقة من أرباب الصنائع ، ورسم بقطع أخبازهم . فشفع الأمراء فى كثير منهم ، ولم يقطع غير عشرين جنديا .

و[فيه] قدم جواب [الأمير أرغون شاه] نائب الشام بموافقته ورضاه بما وقع ، وَغَضٌّ من فخر الدين أياس نائب حلب . وكان الأمير أرقطاى [نائب السلطنة] قد أرام من الأمراء أن يعفوه من النيابة ، ويولوه بلدا من البلاد ، فلم يوافقوا على ذلك . فلما ورد كتاب [الأمير أرغون شاه] نائب الشام يذكر فيه أن أياس يصغر عن نيابة حلب ، فإنه لا يصلح لها إلا رجل شيخ كبير القدر له ذكر وشهرة ، طلب الأمير أرقطاى نيابة حلب ، فأجال[1] [الأمراء] الرأى فى ذلك إلى أن اتفقوا عليه . فلما كان يوم الخميس خامسه (١٩٨ ب) واجتمعوا بالخدمة ، خُلع على الأمير بيبغا روس القاسمى واستقرّ فى نيابة السلطنة ، عوضا عن أرقطاى ، وخُلع على الأمير أرقطاى واستقرّ فى نيابة حلب ، عوضا عن فخر الدين أياس ؛ وخرجا بتشريفهما . فجلس بيبغا روس فى دست النيابة ، وجلس أرقطاى

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٥٧٦ ب " فأجالوا " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

ودخل الأمراء فهنأوه السلامة، ونودى بالزينة. وفى الحال كُتب باستدعاء الأمير شيخو، وخرج جماعة من الأمراء ومماليكه إلى لقائه. ونزلت البشائر إلى بيوت شيخو و بيبغا روس ومنجك، وكان يوما مذكورا؛ و بات الأمراء على تخوّف.

وأما شيخو، فإن حراقة أخى طاز وطقطاى وافت الإسكندرية يوم الخميس أول (١٣٠٠) رجب، فخرج [شيخو] من السجن وهو ضعيف، وركب الحراقة فى الخليج، وأهل الإسكندرية فى فرح وسرور بخلاصه. فوافاه كتاب صرغتمش بأنه "إذا أتاك أيدمر بمرسوم توجهك إلى حماه لا ترجع، وأقبل إلى القاهرة، فإنا معك"؛ فتغير لقراءته، وعلم أنه قد حدث فى أمره حادث. فلم يكن غير ساعتين حتى لاحت له حراقة أيدمر، فرّ وهو مقلع، وأيدمر منحدر إلى أن تجاوزه، وهو يصيح و يشير بمنديله، فلا يلتفتون إليه. واستمرت حراقة شيخو طول الليل وأيدمر فى أثره[1]، فلم يدركه إلا بكرة يوم السبت. فعندما طلع إليه [أيدمر]، وعرّفه ما رسم له من عوده إلى حماه، وقرأ المرسوم الذى على يده، و إذا بالخيل على البرّ تتبع بعضها بعضاً، والمراكب قد ملأت وجه الماء تبادر لبشارته و إعلامه بما وقع (٣٠٠ ب) من الركوب، ومسك مغلطاى ومنكلى بغا. فسرّ [شيخو] بذلك سرورا كثيرا، وسار إلى أن أرسى بساحل بولاق، فى يوم الأحد رابعه.

وكان الناس قد خرجوا يوم السبت إلى لقائه، وأقاموا ببولاق ومنبابه. ووصلت المشاة إلى منية السيرج تنتظر قدومه. فلما رأوا الحراقة صاحوا ودعوا له، وتلقته مراكب أصحابه. وخرج الناس للفرجة، فبلغ كراء المركب إلى مائة درهم؛ وما وصلت الحراقة إلّا وحولها فوق الألف مركب. وركب الأمراء إلى لقائه، وزينت الصليبية؛ وأشعلت الشموع، وخرج مشايخ الصوفية بصوفيتهم إلى لقائه. فسار [شيخو] فى موكب عظيم إلى الغاية، لم ير مثله لأمير، إلى [أن صعد] القلعة.

ودخل [شيخو] على السلطان، فأقبل عليه، وخلع عنه ثياب السجن، وألبسه تشريفا

---

(١) فى ف، وكذلك فى ب، ٦١٦ ا "أثرم".

جليلا ؛ وخرج [شيخو] إلى منزله والتهانى تتلقاه .

وفيه فرّقت الخلع على الأمراء ، وركبوا بها إلى الخدمة ، فى يوم الاثنين خامسه .

وفى يوم الأربعاء سابعه رسم بإخراج الأمير بيبغا [ططر] حارس الطير نائب السلطنة ، والأمير بيغرا . فنزل الحاجب إلى بيت آل ملك بالحسينية ، وأخرج منه النائب ، ليسير إلى نيابة غزة . وأخرج بيغرا من الحمام إخراجًا عنيفا ، ليتوجه إلى حلب . فركبا من فورهما ، وسارا .

و[فيه] قبض على الطيب أحد أمراء الطبلخاناه من أصحاب مغلطاى ، وقيد وسجن .

و[فيه] أخرج أيدغدى آمير آخور إلى طرابلس ، بطالا .

و[فيه] كتب بالإفراج عن المسجونين بالإسكندرية والكرك .

وفى يوم السبت عاشره ركب السلطان والأمراء إلى الميدان على العادة ، ولعب فيه بالكرة ، (٢٠١ ب) فكان يوماً مشهودا .

و[فيه] وقف الناس فى الفار الضامن ، ورفعوا فيه مائة قصّة . فقبض عليه ، وضربه الوزير بالمقارع ضربا كثيرا ، وهو يحمل المال ؛ فوجدت له خبية فيها نحو مائتى ألف درهم حملت إلى بيت المال .

وفيه قبض على النائب بيبغا [ططر حارس الطير] فى طريقه ، وسجن بالإسكندرية .

وفى يوم الأحد حادى عشره وصل الأمراء من سجن الإسكندرية ، وهم سبعة : منجك الوزير ، وفاضل أخو بيبغا روس ، وأحمد الساقى نائب صفد ، وعمر شاه الحاجب ، وأمير حسين التترى وولده ، ومحمد بن بكتمر الحاجب . فركب الأمير طاز ومعه الخيول المجهزة لركوبهم حتى لقيهم ، وطلع بهم [إلى]القلعة ، فخلع عليهم بين يدى السلطان . ونزلوا إلى بيوتهم ، فامتلأت القاهرة بالأفراح والتهانى . (٢٠٢ ا) ونزل الأمير شيخو والأمير طاز والأمير صرغتمش إلى إصطبلاتهم ، و بعثوا إلى الأمراء القادمين من السجن التقادم السنية ،

من الخيول والتعابى القماش والبسط وغيرها ؛ فكان الذى بعثه الأمير شيخو لمنجك خمسة أفراس ، ومبلغ ألفى دينار .

وفى يوم الاثنين ثانى عشره خلع على الأمير قبلاى الحاجب ، واستقرّ فى نيابة السلطنة عوضا عن بيبغا [ططر] حارس الطير .

و [فيه] قدم الخبر بنفاق عرب الصعيد ، ونهبهم الغلال ومعاصر السكر ، وكبسهم البلاد ، وكثرة حروبهم ، بحيث قتل منهم ألف رجل ؛ وأن ابن مغنى حشد وركب فى البرّ والبحر . وامتنع الناس من سلوك الطرقات ، وأنه[1] متى لم يبادر [الأمراء إلى حربه] لا يحصل للأراضى تخضير ؛ وكان زمن النيل . فطُلب عز الدين أزدمر الأعمى الكاشف ، وأعيد له (٣٠٢ ب) إقطاعه من الأمير قندس أمير آخور ؛ وخلع عليه ، واستقرّ فى كشف الوجه القبلى . وخلع على مملوك أسندمر ، واستقرّ فى كشف الإطفيحية ، وأنعم عليه بإقطاع ابن بيبغا [ططر حارس الطير] النائب . وأنعم على فارس الدين ألبكى نائب غزة بتقدمة ألف ، ورسم بخروجه صحبة أزدمر [الأعمى[2]] الكاشف ، وعين معه ستة أمراء طبلخاناه .

وفى يوم الخميس خامس عشره قدم الأمير بيبغا روس من سجن الكرك ، فركب الأمراء إلى لقائه ؛ وطلع إلى السلطان ، فخلع عليه ونزل [بيبغا روس] إلى بيته ، فلم يبق أحد من الأمراء حتى قدم له تقدمة تليق به .

وفى يوم السبت سابع عشره ركب [السلطان] إلى الميدان ، ومعه الأمير بيبغا روس ، وعليه التشريف ، وصحبته الأمراء . فلعب السلطان بالكرة ، وعاد إلى القلعة آخر النهار .

وفى يوم الاثنين تاسع عشره (٣٠٣ ب) خلع على الأمير بيبغا روس ، واستقرّ فى نيابة حلب عوضا عن أرغون الكاملى . واستقرّ أرغون [الكاملى] فى نيابة الشام ، عوضا عن أيتمش الناصرى .

---

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٦١٧ ا " وانه متى لم يبادر الا ويحصل ويحصل للاراضى تخضير " .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق بهذه الفقرة ، انظر كذلك ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٥٥) ، حيث ورد أن أزدمر هذا عمى منذ ٧٤٢ هـ ، وأنه أخفى عماه ، وظل فى وظيفته مدة ، دون أن يشعر بعاهته أحد .

وفيه خلع أيضا على أمير أحمد الساقى شاد الشرابخاناه ونائب صفد ، واستقرّ فى نيابة حماه ، عوضا عن طنبرق . ورُسم بتوجه طنبرق إلى حلب أمير طبلخاناه ، ثم رسم أن يكون بطالا بدمشق .

وفيه خلع على الوزير علم الدين ابن زنبور خلعة الاستمرار ، وركب قدام المحمل بالزنارى فى موكب عظيم . ولم يركب أحد من الوزراء قدام المحمل سوى ابن السلعوس ، فى أيام الأشرف خليل ، وأمين الملك بن الغنام فى أيام الناصر محمد ، مرّة واحدة .

وفيه أحيط بموجود ست حدق ، ووكل بها . وكتب موجودها ، وألزمت بمال (٣٠٣ ب) كبير سوى موجودها ؛ ثم أفرج عنها ، ولم يؤخذ لها شىء .

وفى يوم الجمعة أول شعبان خلع على محمد بن السكورانى بولاية مصر والصناعة ، عوضا عن بلاط .

وفى يوم الأحد [ثالثه] سافر [الأمير] بيبغا روس إلى نيابة حلب ، وأمير أحمد إلى نيابة حماة .

و[فيه] كتب باستقرار منجك فى نيابة صفد ، فسأل الإعفاء ، وأن يقيم بجامعه بطالا ؛ فأجيب إلى ذلك بسفارة الأمير شيخو . فاستردّ أملاكه التى أنعم بها على المماليك والخدّام والجوارى ، ورمّ ما تشعث من صهريجه ، واستجدّ به خطبة ، وولى زين الدين البسطامى فى خطابته .

و[فيه] خلع على عمر شاه ، واستقرّ حاجب الحجاب ، عوضا عن النائب قبلاى .

و[فيه] أنعم على طشتمر القاسمى بتقدمة ألف ، واستقرّ حاجبا ثانيا .

و[فيه] أنعم على جماعة (٣٠٤ ا) من المماليك السلطانية ، بإمرات .

وفى يوم الخميس سابعه قدم أمير على المارد نى ، وأنعم عليه بتقدمة بيغرا .

وفيه أخرج أقجبا الحاجب الحموى ، وطينال الجاشنكير ، وملكتمر السعيدى ، وقطلوبغا أخو مغلطاى ، وطشبغا الدوادار ؛ وفرّقوا ببلاد الشام .

وفى يوم السبت تاسعه وصل المجاهد صاحب اليمن من سجن الكرك ، فخلع عليه من الغد ، ورسم له بالعود إلى بلاده من جهة عيذاب . فبعث إليه الأمراء تقادم كثيرة ، وتوجه. وكانت أمه قد رجعت من مكة بعد مسكه ، وأقامت فى مملكة اليمن [ابنه[1] الملك] الصالح ، وكتبت إلى تجار الكارم توصيهم بابنها [المجاهد] صاحب اليمن أن يقرضوه ما يحتاج إليه ، وختمت على مالهم من أصناف المتجر بعدن وزبيد وتعز . فقدم قاصدها ، وقد (٣٠٤ ب) قبض على المجاهد [ثانيا] ، وسجن بالكرك .

وفى يوم الاثنين ثانى عشره وصل الأمير أيتمش الناصرى من الشام ، فقبض عليه من الغد .

وفى يوم الجمعة ثانى عشربه خرج الأمير فارس الدين ألبكى ، ومعه الأمير آينبك ، وأربعة أمراء طبلخاناه ، صحبة الأمير أزدمر [الأعمى] الكاشف إلى الوجه القبلى ، بسبب نفاق العربان ، فى تجمل كبير .

وفى مستهل شهر رمضان قدم الشريف ثقبة ، بعد ما قدم قوده وقود أخيه عجلان ؛ فخلع عليه ، واستقر فى إمارة مكة بمفرده . وأنعم عليه الأمير طاز بقرض ألف دينار ، وأقرضه الأمير شيخو عشرة آلاف درهم . واقترض [ثقبة] مِنَ التجار مالا كثيرا ، واشترى الخيل والسلاح والمماليك ، واستخدم عدة مماليك .

[وفيه] رسم بسفر الحسام لاجين العلائى مملوك آقبغا الجاشنكير (٣٠٥ ا) وأستادار العلائى صحبته[2] [ثقبة] ، ليقلده بمكة .

وفيه رسم بإبطال رمى البرسيم والشعير على أهل النواحى ، ونقش [المرسوم] على رخامة بجانب باب القلة ؛ وكتب بذلك إلى الولاة .

وفيه خلع على ابن الأطرش ، وأعيد إلى حسبة القاهرة ونظر المارستان ، عوضا عن الضياء ، بعناية جماعة من الأمراء به ، لكثرة مهاداته لهم .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ٥ ، ص ٩٢ .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٦٨ ا ، " صحبته " .

و [فيه] أخرج أيدمر الدوادار وعدة من المماليك إلى الشام .

وفيه قدم الخبر بخروج عيسى بن حسن الهجان عن الطاعة ، وامتنع بجماعته[1] فى الوادى .

وفى شوال قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام بالحط على قاضى القضاة تقى الدين السبكى ، وأنه حكم بنزع وقف من أصحابه وأعاده[2] ملكا ؛ وطلب [الأمير أرغون الكاملى] أن يعقد لذلك مجلس فيه قضاة مصر وعلماؤها بين يدى السلطان .

وكان (٣٠٥ ب) من خبر ذلك أن أرغون لما ولى نيابة الشام خرج علاء الدين القرع إلى لقائه قريب حلب ، وأغراه بالسبكى ، وقدح فيه وفى ولده بقوادح حتى غيّر خاطره . فلما لقيه السبكى لم يجد منه إقبالا ، وبقى على ذلك إلى أن وقف جماعة بدار العدل يشكون من السبكى أن لهم وقفا من عهد أجدادهم ، وأقطع للأجناد ثم استرجعوه منهم ؛ وثبت وقفه على قاضى القضاة المالكى بدمشق ، فانتزعه السبكى منهم ، وسلّمه لمن كان قديما فى يده بالملكية ؛ وسألوا عقد مجلس . فلما اجتمع القضاة والفقهاء لذلك ، قام القرع وجماعة فى العصبية على السبكى ؛ وشنعوا عليه . فأجاب [السبكى] بأنه " ثبت عندى أن يكون فى يد مالكه ، وقد حُكم بذلك . وهأنا ، ومن ينازعنى فيما حكمت ؟ " ؛ فلم ينازعه أحد . فطلب [الأمير أرغون الكاملى] قضاة القضاة ، فحضروا إلا (٣٠٦ ا) عز الدين ابن جماعة ، فإنه تعذر حضوره . وقرئ عليهم كتاب النائب بحضرة الشيخ بهاء الدين أحمد بن السبكى ، فأظهر كتاب أبيه بصورة الواقعة ، وهى أن أجداد الشكاة ادعوا الوقفية فى ضيعة كذا ، فوقفها أبناءهم من بعدهم ، ثم أقطعت بعد وفاتهم لجماعة من الجند . فادعى الشيخ تقى الدين البوسى[3] لما قدم من بعلبك أنها ملكه و بيده ، [وأنه] ابتاعها من أهلها قبل وفاتهم ، وأثبت كتاب مشتراه وتسلمها ، وأن الشراء كان سنة اثنتين وثمانين وستمائة ،

---

(١) فى ف " بجماعة " ، وما هنا من ب ، ٦١٨ ا .

(٢) هنا إشارة إلى نوعين من أنواع الملكية فى عصر سلاطين المماليك ، وهما مختلفان تمام الاختلاف عن الملكية الإقطاعية السائدة فى ذلك العصر . انظر ما سبق كذلك هنا ، ص ٨٠٩ حاشية ٢ ، ٣ .

(٣) فى ف " البوبى " ، وفى ب ، ٦١٨ ا " البوتينى " ، وما هنا مما يلى ، والنسبة إلى بوس ، وهى حسبما جاء فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٥٨) قرب صنعاء اليمن ، يقال لها كذلك بيت بوس .

و بقى إلى سنة أربع وتسعين . فأظهر قوم كتاب وقفها وأثبتوه ، وتسلموها ، فسعى[1] البوسى فى سنة أربع وسبعمائة واستعاد الضيعة منهم ، بعد منازعات عُقد فيها عدة مجالس . فأخذها تنكز منهم ، ثم استردها[2] البوسى ، (٣٠٧ ب) فلم يزل إلى هذا الوقت وقف أهل الوقف ، وأثبتوه على قاضى المالكية جمال الدين المسلّاتى . فأثبت الآخرون أن المسلاتى كانت بينه و بين البوسى عداوة لا يجوز معها أن يحكم عليه ، وأخذوا الضيعة . فتحاكم الفريقان إلى السبكى ، فحكم باستقرار يد الملاك ، وأبقى كل ذى حجة على حجته . فتنازع ابن السبكى والتاج المناوى طويلا وانفضوا ، وأخذ ابن السبكى خطوط جماعة من المفتين بصحة حكم أبيه . ثم اجتمعوا ثانيا ، وحضر قاضى القضاة عز الدين بن جماعة ، وانتدب للنظر فى ذلك بمفرده . فادعى[3] قوام الدين أمير كاتب الحنفى فساد حكم السبكى ، وتعصب عليه تعصبا زائدا . وذلك أنه لما قدم [قوام الدين] دمشق ، وبها يلبغا اليحياوى نائبا ، اختص به ، أخذ ينهاه عن (٣٠٧ ا) رفع يديه فى الركوع ، وأن هذا لا يجوز ، وصلاته التى صلاها كذلك باطلة يجب عليه إعادتها . فسأل يلبغا من السبكى عن ذلك ، فأنكر مقالة القوام . واشتهر بين الأمراء والأجناد مقالة القوام ، وكثرت القالة فيها . فطلب السبكى القوام ومنعه من الإفتاء ، واقتضى رأى ابن جماعة النظر فى من شهد بالعداوة ، وفيمن شهد بالوقفية ؛ فكتب بذلك لنائب الشام .

وفيه ارتفع سعر اللحم[4] ، ووقف حال المعاملين بحيث أخذوا الأغنام من أربابها بغير ثمن . فأبطل الوزير المعاملين ، واشترى الأغنام بالثمن الناض[5] .

---

(١) فى ف " يسعى " ، وما هنا من ب ، ٦١٨ ب .

(٢) فى ف " اشتراها " ، وما هنا من ب ، ٦١٨ ب .

(٣) فى ف " فادعى فى قوام ... " ، وما هنا من ب ، ٦١٨ ب .

(٤) فى ف " القمح " ، وما هنا ب ، ٦١٨ ب .

(٥) الناض ، حسبما جاء فى محيط المحيط ، الدرهم والدينار ، ومن هذا يتضح أن الوزير أخذ فى شراء الأغنام اللازمة بالنقد مباشرة ، لا عن طريق المعاملين المتعهدين بتوريدها من حساب معاملتهم .

وكانت عادة اللحم من أربعين درهما إلى خمسين [درهما] القنطار ، وأكثر ما عهد بستين [درهما القنطار] . فبلغ فى هذه الأيام بتعريف[1] الحسبة إلى مائة وأربعين ، ومائة وخمسين [درهما] ؛ وأبيع فى الحوانيت كل رطل بخمسة (٣٠٧ ب) دراهم سوداء ، عنها درهم وثلث درهم كاملية .

وتعذر وجود الغنم ، فكتب إلى البلاد الشامية بتجهيز التركمان بالأغنام ، وحمل نحو الخمسمائة ألف درهم لشراء الأغنام . وكتب إلى ولاة الوجه القبلى و [الوجه] البحرى بحمل الأغنام ، فحملت أغنام كثيرة من أعمال مصر . وقدم من الشام نحو العشرين ألف رأس ، فانحط سعر اللحم .

وفى خامس عشره سار محمل الحاج ، صحبة الأمير طيبغا الجدى . وقدم الحج عالم كثير من [أهل] الصعيد والفيوم والوجه البحرى ؛ وقدم من أهل المغرب جماعة كثيرة ؛ وقدم التكرور ومعهم رقيق كثير ، وفيهم ملكهم . فسأل [ملكهم] الإعفاء من الدخول على السلطان ، فأعفى ؛ وسار بقومه إلى الحج ، مستهل ذى القعدة .

وفيه قدم البريد بقتل نجمة الكردى بحيلة عملها عليه صاحب ماردين حتى (١٣٠٨) قدم عليه ، فتلقاه وأكرمه ، ثم قبض عليه ، وضرب عنقه بيده ، وقتل من معه .

و [فيه] قدم الخبر بأن الأمير أزدمر [الأعمى][2] الكاشف رتب من معه من الأمراء فى عدة مواضع ، وركب ومعه الأمير آينبك ليلا ، وصابح العربان من عرك صباحا ، وقتل منهم جماعة ، وامتنع باقيهم بالجبل . فعاد [الأمير أزدمر] وطلب بنى هلال أعداء عرك ، فأتاه[3] منهم ومن غيرهم خلق كثير . وكتب [الأمير أزدمر] لأولاد الكنز[4] بمسك الطرقات على عرك ، وركب ومعه الأمير فارس الدين والأمراء ، وأسندمر متولى الإطفيحية ، إلى

(١) يبدو من هذا التعبير أن المحتسب أشرف فى ذلك العصر أشرافاً فعليا على الأسعار اليومية ، وأنه أصدر لذلك تعريفة رسمية قام مرءوسوه على تنفيذها .

(٢) انظر ما سبق هنا ، ص ٨٥٠ .

(٣) فى ف " فأواه " ، وما هنا من ب ، ٦١٨ ب .

(٤) ف " لأولاد البرعكة " ، وما هنا من ب ، ٦١٨ ب .

الجبل ؛ وقد لقيه الأحدب فى حشد كبير ، فلم يثبت [الأحدب] وانهزم من رمى النشاب ، وترك أثقاله وحريمه . ونادى الأمير أزدمر . "يا بنى هلال دونكم أعداءكم" ، فمالوا عليهم يقتلون ، وينهبون المواشى والغلال والدقيق والقرب والروايا ، وسلبوا الحريم (٣٠٨ ب) ، حتى امتلأت أيدى بنى هلال وأيدى الأجناد والغلمان من النهب . وكتب بذلك [إلى السلطان] ، وأن البلاد قد خضرت أراضيها ، وأطاع عربانها العصاة ، وتوطن أهلها . فسرّ السلطان والأمراء بذلك ، وحمل إلى كل من الكاشف والأمراء خلعة .

وفيه ألزمت ست حدق الا تجتمع بأحد ، فإنها كانت من جملة [أنصار] الناصر حسن .

وفيه ضُيِّق على الناصر حسن ، وسُدَّت عنه أماكن كثيرة كان ينظر منها ويحدّث من يريد ؛ واحتفظ به احتفاظاً زائداً .

وفيه توجه السلطان والأمراء إلى السرحة قريباً من الأهرام .

وفى أول ذى الحجة قدم عيسى بن حسن الهجان طائعاً بأمان ، فخلع عليه .

وفيه ارتفع سعر القمح من عشرين إلى سبعة وثلاثين درهما الأردب ؛ وانحطّ سعر اللحم ، فأبيع (٣٠٩ ا) بدرهم الرطل .

وفيه قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام يطلب الإعفاء من النيابة .

وفى هذه السنة استقرّ فى قضاء المالكية بحلب زين الدين عمر بن سعيد بن يحيى التلمسانى ، عوضاً عن الشهاب أحمد بن ياسين الرياحى . واستقرّ فى قضاء الحنفية بها جمال الدين إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن الكمال عمر بن العز عبد العزيز بن العديم ، بعد وفاة أبيه . واستقرّ فى كتابة السرّ بحلب جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود ، عوضاً عن الشريف شهاب الدين بن قاضى العسكر ؛ وقدم الشريف إلى القاهرة .

ومات فيها من الأعيان قطب الدين أبو بكر بن محمد بن مكرم ، كاتب الإنشاء ، فى أواخر شعبان ، عن اثنتين وثمانين سنة وأشهر ؛ وكان كثير العبادة .

و[توفى] الشريف أدى صاحب المدينة (٣٠٩ ب) النبوية ، فى السجن .

و [مات] الأمير طشبغا الدوادار ، بدمشق ؛ وكان فاضلا ديناً .

و [توفى] قاضى الحنفية بحلب ناصر الدين محمد بن عمر بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الحسن بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبى جرادة المعروف بابن العديم ، عن ثلاث وستين سنة ، منها فى قضاء حماه عشر سنين[1] ، وفى قضاء حلب اثنتان وثلاثون سنة .

و [توفى] تاج الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد المراكشى الفقيه الشافعى ، بدمشق ، فى يوم الأحد ثالث عشرى جمادى الآخرة عن اثنتين وخمسين سنة ؛ نشأ بالقاهرة ، واستوطن بدمشق .

و [مات] الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بيبرس الأحمدى أحد الطبلخاناه ، وهو مجرّد بالصعيد . فحمل ميتاً إلى القاهرة ، وقدم فى يوم الاثنين ثانى عشرى رمضان .

و [ومات] علاء الدين (٣١٠ ا) على بن محمد بن مقاتل[2] الحرانى ، ناظر الشام ، فى عاشر رمضان بالقدس .

و [توفى] شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر المعروف بابن القيسرانى[3] ، موقع الدست ، وصاحب المدرسة بسويقة الصاحب من القاهرة ، وبها قبره .

و [مات] الشيخ ابن بدالك ، فى يوم الأحد سابع عشرى شوال .

و [مات] تاج الدين محمد بن أحمد بن السكويك ، فى داره ليلة السبت سادس عشرى ذى الحجة ، ذبحه الحرامية .

و [مات] آقبغا والى المحلة ، يوم الخميس تاسع عشرى ذى الحجة .

---

(١) فى ف " عشرين سنة " ، وما هنا من ب ، ٦١٩ ب ، وهو أقرب للمعقول ، نظراً لعمر ابن العديم عند وفاته ، ومدة إقامته قاضياً بحلب ، كما بالمتن .

(٢) فى ف " العامل " ، وفى ب ٦١٩ ب " المقامل " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٥٣ .

(٣) فى ف " ابن القيسر ابن موقع الدست " ، وما هنا من ب ، ٦١٩ ب .

و[مات] ملك الغرب أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن محيو بن أبى بكر بن حمامة ، فى ثالث عشرى ربيع الآخر . وقام بعده ابنه أبو عنان[1] فارس ، وكانت مدته إحدى وعشرين سنة .

* * *

سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة (٣١٠ ب) فى أول المحرم قدم مبشرو الحاج ، وأخبروا أن الشريف ثقبة لما نزل بطن مرّ ، وتقدم إلى مكة متسفر[2] [الحاج] حسام الدين لاجين ، وعرّف الشريف عجلان بانفراد أخيه ثقبة بالإمرة ، امتنع [الشريف عجلان] من تسليمه مكة . وعاد حسام الدين إلى ثقبة ، فأقاما حتى قدم الحاج صحبة الأمير طيبغا الجدى . فتلقاه ثقبة ، وطلب منه أن يحارب معه عجلان ، فلم يوافقه على محاربته ، فأسمعه مالا يليق ، وهدّده أنه لا يمكن الحاج من دخول مكة . وقام [ثقبة] عنه وقد اشتد غضبه ، وألبس من معه من العربان وغيرهم السلاح . فاجتمع أمير الركب ، وقاضى القضاة عز الدين بن جماعة — وكان قد توجّه صحبة الركب للحج — واتفقا على إرسال الحسام إلى عجلان ومعه ابن جماعة . فجرت لهم معه منازعات ، آخرها أن تكون الإمرة شركة (٣١١ ا) بينه وبين أخيه ثقبة . وعادا إلى بطن مرّ ، وقرّرا ذلك مع ثقبة حتى رضى ، وساروا جميعاً إلى مكة . فتلقاهم عجلان على العادة ، وأنصف ثقبة ، وأنعم عليه بسبعين ألف درهم .

وكانت الوقفة بعرفة يوم الجمعة ؛ وجاور قاضى القضاة عز الدين بن جماعة . ولقى الحاج من عبيد مكة شرًّا كثيراً .

و[فيه قدم الخبر] أن المجاهد قدم إلى تعز فى ثامن عشرى ذى الحجة الماضية ، واستولى على ملكه . وكانت أمه قد ضبطت البلاد فى غيبته ، وأنفقت عند قدومها مائة ألف دينار للشريف الزيدى صاحب صنعاء ، ولأهل الجبال ولأكابر المملكة ، حتى

(١) فى ف " عناد " ، وما هنا من ب ، ٦١٩ ب .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٦٢٠ ا " متسفره " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

أقامت ابن[1] المجاهد ، [واسمه الصالح] . ثم قبضت عليه ، وساست الأمور ، ووفت ما اقترضه المجاهد من التجار بمصر .

وفيه قدم الأمير أزدمر [الأعمى] الكاشف والأمراء (٣١١ ب) من بلاد الصعيد ، فركب الأحدب وكبس ناحية طما على بنى هلال ، وقتل منهم جماعة ، ونهب ما وجد .. فتوجه إليهم الأمير بلبان السنانى الأستادار بمضافيه ، والأمير قارى الحموى الحاجب ، وعدة من أولاد الأمراء ، فى مستهل صفر ، ليقيموا حتى يتم قبض المغل .

وفيه استقر ابن عقيل فى ولاية البهنسى ، واستقر بيبغا الشمسى فى ولاية إطفيح . وكانتا مع أسندمر مملوك أزدمر [الأعمى] الكاشف ، فعادت العربان بعد عزل أسندمر إلى ما كانت عليه من الفساد .

وفى يوم الخميس حادى عشر ربيع الأول قدم الأمير أيتمش الناصرى من سجن الإسكندرية ، وخرج من القاهرة فى يوم السبت ثالث عشره إلى صفد بطالا .

وفى حادى عشريه نفى الأمير قردم أمير آخور إلى صفد ، ثم أنعم (٣١٢ ا) عليه بإقطاع تلك [الحسنى الأرغونى[2] الحاجب] ، وأن يحضر تلك إلى مصر ؛ فلما حضر تلك هذا — ويعرف بتلك الشحنة — أنعم عليه بإقطاع قردم .

و [فيه] استقر تلك الحسنى الأرغونى الحاجب أمير آخور ، عوضا عن قردم على إقطاعه ، وهو حاجب .

وفى يوم الخميس رابع عشريه أخرج الأمير ألطنبغا العلائى شاد الشراب خاناه ، إلى حلب .

وفى هذا الشهر شرع الأمير طاز فى عمارة قصر وإسطبل تجاه حمام الفارقانى ، بجوار

---

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ١٦٢٠ ا ، " ابنا " ، وما هنا مما سبق ، ص ٨٥٢ ، ومنه كذلك ما بين الحاصرتين .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين مما يلى بالفقرة التالية بهذه الصفحة .

[المدرسة] البندقدارية ؛ وأدخل فيه عدة أملاك . وتولى عمارته الأمير منجك ؛ وحمل إليها الأمراء وغيرهم من الرخام وآلات العمارة شيئاً كثيرا .

وفيه ابتدأ الأمير صرغتمش عمارة إصطبل الأمير بدرجك ، بجوار بئر الوطاويط ، قريبا من الجامع الطولونى ، وأدخل فيه عدة دور ؛ وحمل إليه الناس ما يحتاج إليه من الرخام (١١٢ ب) وغيره .

وفيه عوفى الأمير قبلاى النائب ، وركب الموكب . وكان منذ استقر فى النيابة مريضا بوجع المفاصل ، لم يركب فرسا ، ، وإنما يجلس فى شباك النيابة للحكم بين الناس . ومشت فى ولايته المقايضات والنزولات عن الإقطاعات ، فزاد فساد الأجناد بكثرة دخول أر باب الصنائع فيهم . وفحش ذلك حتى نزل مقدمو الحلقة عن التقدمة ، وقام جماعة نحو الثلاثمائة رجل عرفوا بالمهيسين[1] على الإقطاعات ، وصاروا يطوفون على الأجناد ، ويبذلون لهم الرغبات فى النزول عن أقطاعاتهم .

و[فيه] خلع على الأمير صرغتمش ، واستقر رأس نوبة كبير ، فى رتبة الأمير شيخو باختياره . وجُعل إليه التصرف فى أمور الدولة كلها من الولاية والعزل والحكم ، ما عدا مال الخاص ، (١١٣ ا) فإن الأمير شيخو متحدث فيه ، وما عدا أمور الوزارة . فقصده الناس ، وكثرت مهابته ، وعارض الأمراء فى جميع أفعالهم . وأراد [صرغتمش] ألا يُعمل شىء إلا من بابه وبإشارته ، فإن تحدث غيره فى عزل أو ولاية غضب ، وأبطل ما تحدث فيه ، وأخرق بصاحبه .

وفيه اجتمع الأمراء على استبداد السلطان بالتصرف ، وأن يكون ما يرسم به على لسان الأمير صرغتمش رأس نوبة .

و[فيه] قدم الخبر من مكة بأن الأسعار بها غلت حتى بلغ الأردب القمح ثلاثمائة

---

(١) يوجد تعريف واضح لهذا اللفظ فى سياق العبارة هنا ، وفيما يقابلها فى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٩) . وفى محيط المحيط أن هيس هيس كلمة تقال مكررة عند الإغراء بشىء من الأشياء ، ويبدو واضحا أن اللفظ الوارد بالمتن مأخوذ من هذه الكلمة .

درهم ، والشعير مائتى درهم ، والراوية الماء بأربعة دراهم مسعودية[١] . فأغاثهم الله تعالى فى أول يوم من المحرم بمطر استمر ثلاثة أيام ، فانحل السعر ، وأبيع الأردب القمح بمائة وخمسين درهما ، والراوية الماء بنصف وربع مسعودى ، (٢١٣ ب) لجريان ماء عين جوبان .

و [فيه] قدم الخبر بنفاق عرب الصعيد ونهبهم سقط ميدان وقتل أهلها ، ونهب بلاد سودى بن مانع ، وأن أهل منفلوط رجموا الوالى . فألزم الأمير أزدمر [الأعمى الكاشف] بالخروج إليهم ، وأنعم عليه بألف أردب شعير وأربعين ألف درهم ، قبضها وسافر .

و [فيه] قدم الخبر أن طائفة الزيلع[٢] كانت عادتهم حمل قطيعة فى كل سنة إلى ملك[٣] الحبشة ، من تقادم السنين . فقام فيها عَبْدٌ صالح ومنعهم من الحمل ، وشنّع عليهم إعطاءهم الجزية وهم مسلمون لنصرانى ، وردّ رسول ملك الحبشة . فشقّ ذلك على[٤] ملك الحبشة ، وخرج بعساكره ليقتل الزيلع عن آخرهم . فلما صار على يوم منهم قام العبد الصالح تلك الليلة يسأل الله تعالى كفاية أمر الحبشى ، فاستجاب دعاءه . (٢١٤ أ) وعندما ركب ملك الحبشة بكرة النهار أظلم الجو — حتى كاد الرجل لا يرى صاحبه — مقدار ساعة ، ثم انقشع الظلام ؛ وأمطرت السماء عليهم ماء متغير اللون بحمرة ، وأعقبه رمل أحمر امتلأت منه أعينهم ووجوههم ، ونزل من بعده حيات كبيرة جداً ، فقتلت منهم عالماً كثيراً . فعاد بقيتهم من حيث أتوا ، وهلك فى عودهم معظم دوابهم ، وكثير منهم .

---

(١) شرح (Dozy : Supp. Dict. Ar.) هذا اللفظ بأنه صفة يطلقها أهل مكة على نوع جيد من العسل (épithète d'une excellente espèce de miel à la Meque) ، ويبدو مما هنا بالمتن أن هذه الصفة أطلقت فى مكة كذلك على الدنانير والدراهم الجيدة . انظر كذلك (Broadhurst : The Travels of Ibn Jubair, Glossary. P. 395) .

(٢) أطلق المؤرخون اسم الزيلع على إحدى الإمارات الإسلامية التابعة لملوك الحبشة المسيحية فى ذلك العصر ، ووصفوها بأنها تمتد من ميناء زيلع المطل على خليج عدن إلى مدينة هرر الحالية . انظر المقريزى : الإلمام بأخبار من فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام ، ص ٦ — ٧ ، وكذلك (Trimingham : Islam in Ethiopia, pp. 67-68) حيث يوجد شرح جغرافى حديث لإقليم الزيلع وغيره من الأقاليم الإسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى .

(٣) المقصود بملك الحبشة هنا سيف أرعد (١٣٤٤ — ١٣٧٢ م) . انظر : (Trimingham : Op. Cit. pp. 72-73) حيث ورد أن العبد الصالح المذكور هنا اسمه الإمام صالح ، وأنه ابن شريف من أشراف مكة . انظر كذلك (Budge : A History of Ethiopia. Vol I. pp. 298-299) .

(٤) فى ف ، وكذلك ب ، ٦٢١ ا "فشق ذلك عليه" ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

وفيه تزايد تسلط الأمير صرغتمش رأس نوبة ، وكثر ترفعه . فتنكر له الأمراء ، وكثرت الأراجيف بوقوع الفتنة بينهم ، وإعادة الناصر حسن ، ومسك شيخو وطاز ، وانفراد صرغتمش بالكلمة . فقلق طاز — وكان حادّ الخلق — ، وهمّ بالركوب ، فمنعه شيخو ؛ فاحترز طاز وشيخو . وأخذ صرغتمش في التبرئ (٣١٤ ب) مما رمى به ، وحلف للأمير شيخو والأمير طاز ، فلم يصدّقه طاز وهمّ به . فقام شيخو قياماً كبيراً حتى أصلح بينهما ، وأشار على طاز بالركوب إلى عمارة صرغتمش ، فركب إليه وتصافيا .

و [فيه] خلع على جرجي[1] الدوادار ، واستقرّ حاجباً ، عوضاً عن طشتمر القاسمي باستعفائه .

و [فيه] ركب الأمير ضروط[2] البريد ، لطلب جمال وهجن للسلطان من الأمير فياض بن مهنا ، فإن جمال السلطان قلّت ، بحيث أنه لما خرج إلى السرحة أكترى له جمالا كثيرة لحمل ثقله ، ومنع أميرآخور الكتاب والموقعين وغيرهم مما جرت به عادتهم من حمل أثقالهم على جمال السلطان .

و [فيه] قدم الخبر بفتنة الفرنج الجنوية والبنادقة ، وكثرة الحروب[3] بينهم ، من أول المحرم إلى آخر ربيع الآخر . فقلّ الواصل من بلاد الفرنج ، (٣١٥ ا) إلى الإسكندرية ، وعزّ وجود الخشب ، وغلا وتعذّر وجود الرصاص والقصدير والزعفران . وبلغ المَنّ بعد مائتى درهم إلى خمسمائة ، ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف . ثم قدم الخبر بأن البنادقة انتصرت على الجنوية ، وأخذت لهم واحداً وثلاثين غراباً بعد قتل مَنْ بها .

---

(١) في ف "جرجى" ، وما هنا من ب ، ٦٢١ ا ، وابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، س ٢٥١ .

(٢) في ف " ظروط " ، وهو في ب ، ٦٢١ ا " ضرقط " ، وما هنا من المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ س ٤٨ .

(٣) يشير المقريزى هنا إلى ما نشب حوالى ذلك الوقت (١٣٥٣ م) من إحدى حروب المنافسة المستمرة بين جنوة والبندقية في المياه البيزنطية ، قرب القسطنطينية نفسها ، وهذه الحروب هي التي أدت تلك السنة إلى تدخل كل من مملكة أرجوان والإمبراطورية البيزنطية ، فضلا عن السلطنة العثمانية الناشئة . (Camb. Med. Hist. IV. p. 666) . على أن موضع الأهمية هنا هو مدى تأثير هذه الحروب وأشباهها ، لا على التجارة الأوروبية في المياه المصرية فحسب ، بل على اتجاه تجارة جنوة نحو موانى حوض البحر الأسود وعطات الطريق البرى في إيران لمدة سنين .(Heyd : Hist. du Commerce. II. pp.49).

وفيه قدم الشيخ أحمد الزرعى من الشام ، فبالغ الأمير شيخو والأمير طاز فى إكرامه .

و[فيه] قدمت رسل الأشرف دمرداش بن جوبان صاحب توريز بكتابه ، يخبر أنه قد حسن إسلامه هو وأخوته وأقاربه ، والتزم سيرة العدل فى رعيّته ، وترك ظلمهم . وشكا [الأشرف دمرداش] من كثرة الاختلاف بينهم حتى هلك رعيّته ، وطلب أن يبعث إليه بمن نزح عن بلاده من التجار ، وكتب إليهم أماناً ، وأن أرتنا نائب الروم قد أفسد بلاده ، (٣١٠ ب) ومنع التجار أن تسير إليهم ، وطلب ألا يدخل السلطان بينهما . وكان قد قدم إلى مصر والشام فى هذه السنة وما قبلها كثير من تجار العجم ، لسوء سيرة الولاة فيهم ، فعرض عليهم أمان الأشرف [دمرداش] ، فلم يوافقوا على العود إلى بلاده .

وفيه رسم للأمير جرجى الحاجب أن يتحدث فى أمر أرباب الديون ، ويفصلهم من غرمائهم بأحكام السياسة[1] . ولم يكن عادة الحجاب فيما تقدم أن يحكموا فى الأمور الشرعية ، فاستمر ذلك فيما بعد . وكان سبب ذلك وقوف تجار العجم بدار العدل ، وذكروا أنهم لم يخرجوا من بلادهم إلا لما نزل بهم[2] من جور التتار ، وأنهم باعوا بضائعهم لعدة من تجار القاهرة ، فأكلوها عليهم ، وأرادوا إثبات إعسارهم على القاضى الحنفى ، وهم فى سجنه ، وقد فلس بعضهم . فرُسم لجرجى بإخراج (١٣٦ ا) غرماء التجار من السجن ، وخلاصهم مما فى قبلهم ، وأنكر على [القاضى] الحنفى ما عمله ، ومُنع من التحدث فى أمر التجار والمديونين . فأخرج جرجى التجار من السجن ، وأحضر لهم أعوان الوالى ، وضربهم ، وخلّص منهم المال شيئاً بعد شىء . ومن حينئذ صارت الحجاب بالقاهرة

---

(١) المقصود بأحكام السياسة هنا السلطة القضائية الممنوحة فى دولة سلاطين المماليك لمتولى الحجوبية الكبرى والحجاب عامة للحكم فى قضايا المماليك والأمراء ، حسب قانون مستقل عن حدود الشريعة الإسلامية ، وفى المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٩) أن أصل هذا النوع من القضاء المملوكى هو الشريعة المغولية — أى الياسة — التى ترجع الى أيام جنكز خان . انظر كذلك (Gibb & Bowen : Islamic Society and the West, I, Part II, p. 119) ، وكذلك (Poliak : Feudalism in the Middle East, pp. 14, 60).

(٢) فى ف " اليهم " ، وما هنا من ب ، ١٦٢١ب .

و بلاد الشام تتصدّى للحكم بين الناس ، فيما كان من شأن القضاة[1] الحكم فيه .

وفيه ركب عرب إطفيح على بيبغا الشمسي ، ونهبوا ما معه وهزموه ، وخرجوا عن الطاعة ؛ فجرد إليهم طائفة من الأمراء .

وفى هذه السنة رتب الأمير شيخو فى كل ليلة جمعة وقتاً يجتمع عنده فيه الفقهاء للمذاكرة ، ويقوم الشيخ على بن الركبدار المادح ، فينشد من مدائح الصرصرى ونحوه ما يطربهم ، وينصرفون بعد أكلهم .

وفيه كثرت الإشاعة (٣١٦ ب) بمدينة حلب أنّ الأمير بيبغا روس نائبها [يريد] الفرار منها إلى بلاد العدو حتى ساءه ذلك ، وقبض على عدة من العامة وسمّرهم وشهّرهم ، ثم أفرج عنهم .

وفيها رتب الأمير شيخو فى الجامع الذى أنشأه الشيخ أكمل الدين محمد الرومى الحنفى مدرسا وشيخ صوفية[2] ، وقرّر له[3] فى كل شهر أربعمائة درهم ، وجعل عنده عشرين فقيها . وجعل خطيبه جمال الدين خليل بن عثمان الزولى ، ونقله من مذهب الشافعى إلى مذهب الحنفى . وجعل به درسا المالكية أيضا ، وولى تدريسه نور الدين السخاوى ، وقرّر له ثلاثمائة درهم فى كل شهر . ورتّب به قراء ومؤذنين ، وغير ذلك من أرباب الوظائف ، وقرر لهم معاليم بلغت جملتها فى الشهر ثلاثة آلاف[4] درهم .

وفيه قدم الشريف طفيل بن أدى (٣١٧ ا) من المدينة النبوية ، يطلب تركة[5] سعد فى الإمارة .

---

(١) هنا إشارة عابرة إلى تطور خطير فى النظام القضائى فى مصر زمن سلاطين المماليك ، وهو ما أفاض المقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ٢١٩ — ٢٢٠) فى شرحه ومدى خطورته فى المجتمع المصرى فى ذلك العصر .

(٢) فى ف " وشيخ الصوفية " ، وما هنا من ب ، ٢٢٢ ا .

(٣) فى ف " لهم " ، وما هنا من ب ، ١٦٢٢ .

(٤) يتضح من مجموعة هذه المرتبات والمعاليم مقدار ما احتاجه جامع من الجوامع من المال زمن سلاطين المماليك بمصر .

(٥) فى ف ، وكذلك فى ب ٦٢٢ ب "شركة" ، وهو خطأ منشؤه تهاون الناسخ ، والصحيح ما هنا ، إذ المعروف مما سبق ، ص ٨٤٠ ، وابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٣٤) أن الأمير سعد المذكور هنا مات قتيلا فى السنة السابقة .

و [فيه] قدم صدر الدين سليمان بن محمد بن قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن عبد الحق ، فخلع عليه ، واستقر فى توقيع الدست .

وفى عاشر جمادى الآخرة خلع على الأمير شيخو ، وأعيد رأس نوبة ، عوضا عن صرغتمش . فعند لبسه التشريف قدم البشير بولادة بعض سراريه ولدا ذكرا ، فسر به سرورا زائدا ، لأنه لم يكن له ذكر .

وهنأه الأدباء بعدة قصائد ، منها أبيات فخر الدين عبد الوهاب كاتب الدرج ، قال :

بأيمن ساعة قدم الوليد تحفُّ به النجابة والسعود
مبارك غرة ميمون وجه فيوم وروده بشرى وعيد
لقد كادت سروج الخيل تأتى إليه قبل أن تأتى المهود
(٣١٧ب)هلالٌ سوف تستجليه بدرًا تماما يستنير به الوجود
وشبلٌ سوف يبدُو وهو ليثٌ تروع من بسالته الأسود
وزهر عن قريب منه تجنى ثمار كلّها كرم وجُودُ
وفجر سوف يظهر منه صبح وَجوهرة تُزَان بهـا العقود
وأبناء الكرام هُمُ كرام كذلك فرعك الزاكى يسود
أيا من نفعـه عمّ البرايا ويا من سـعيه سعى حميـد
ومن للملك منه أجل ذخر إلى أبوابه يأوى الطريد
ومن لولاه لم تسكن خطوب ولم تكتم مواضيها الغمُود
ومن قد شدّ للإسلام أزرا وَأيّده وَإن رغم الحسُود
لقد وَافاك مولود كريم يسرّك فيه ذو العرش المجيد[1]

وفى هذا اليوم قدم البريد من صفد بأن فى يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى ظهر بقرية حطين ، من عمل صفد ، شخص ادعى أنه السلطان أبو بكر المنصور (٣١٨ أ) ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ، ومعه جماعة تقدير عشرة أنفار فلاحين . فبلغ ذلك الأمير

(١) بعض ألفاظ هذه الأبيات غلط فى ف ، وصححها الناشر من ب ، ٦٢٢ ب » بغير تعليق .

علاء الدين ألطنبغا برناق نائب صفد ، فجهز إليه دواداره شهاب الدين أحمد ، وناصر الدين محمد بن البتخاصي الحاجب ، فأحضراه . فجمع له النائب الناس والحكام ، فادعى أنه كان فى قوص ، وأن [واليها عبد[1]] المؤمن لم يقتله ، وأنه أطلقه ، وركب فى البحر ، ووصل إلى قطيا ، وبقى مختفيا فى بلاد غزة إلى الآن ، وأن له دادة مقيمة فى غزة ، عندها النمجاة والقبة والطير . فقال النائب : " وإذا كنتُ فى تلك الأيام جاشنكيرا ، وكنت أمد السماط بكرة وعشيا ، وما أعرفك ؟ " . فأقام مصرّاً على حاله ، وانفسدت له عقول جماعة ، وما شكّوا فى ذلك . فكشف أمره من غزة ، فوجدت (٣١٨ ب) المرأة التى ذكر أنها دادته ، واعترفت أنها أمه ، وأنه يعتريه جنون منذ سنين [فى كل سنة] مرتين وثلاثا . وذكر أهل غزة أنه يعرف بأبى بكر بن الرماح ، وله سيرة قبيحة ، وأنه ضرب غير مرة بالمقارع . فكتب بحمله ، فخشّبه نائب صفد فى يديه ورجليه ، وجعل الحديد فى عنقه ، وحمله إلى السلطان . فقدم قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء [ثامن[2] عشره ، فسئل] بحضرة الأمراء ، فخلط فى كلامه ، وهذى هذيانا كثيراً . ثم قُدّم بين يدى السلطان ، فتكلم بما سوّلت له نفسه . فسمّر فى يوم الخميس عشريه تسمير[3] سلامة ، وشهّر بالقاهرة ومصر . فكان فى تلك الحالة يتحدث أنه كان سلطانا ، ويقول : " اشفقوا على سلطانكم ، فمن قليل أعود إليكم " . فاجتمع حوله عالم كثير ، وأتوه بالشراب والحلوى ، وحادثوه . فكان (٣١٩ ا) إذا أتى إليه [أحد] بالماء حتى يشرب به يقول [له] : " اشرب[4] ششنى " . وإذا رأى أميراً قال : " هذا مملوكى ومملوك أبى " . ويقول : " لى أسوة بأخى الناصر أحمد ، وأخى الكامل شعبان وأخى المظفر حاجى ، الكل قتلوهم " . وأقام على الخشب يومين ، ثم حبس فى ثالثه ، فاستمرّ فى الحبس على حاله ، فقطع لسانه .

وفيه ادعى شخص بالقاهرة النبوة ، وأن معجزته أن ينكح امرأة فتلد من وقتها ولداً

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق هنا ، ص ٥٧٩ .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ٦٢٢ ب ، فقط .

(٣) لم يستطع الناشر أن يجد تعريفا لهذا النوع من التسمير ، ولعل المقصود أن هذا الشخص سمر تسميرا خفيفا .

(٤) المقصود بذلك أن كان لا يشرب الماء إلا بعد أن يشرب منه الساقى مثلا ، على عادة السلاطين .

ذكراً يخبر بصحة نبوته . فقيل له : " إنك لبئس النبي " . فقال : " لكونكم لبئس الأمة " . فسُجن ، وكُشف عن أمره ؛ فوجدله اثنا عشر يوماً منذ خرج من عند المرورين بالمارستان ، وأنه أخذ غير مرة وهو مجنون ، فسلم عند المرورين .

وفى يوم الاثنين رابع عشريه سمّر ابن مغنى ، ومعه جماعة قبض عليهم الأمير مجد الدين (٣١٩ ب) بن موسى الهذبانى الكاشف ، من معدية زفيته .

وفى مستهل رجب قدم الأمير أزدمر الأعمى الكاشف ، وقد كمل تخضير أراضى الوجه القبلى ، واطمأن أهله . وطلب [أزدمر] الإعفاء من كشف الوجه القبلى ، فخلع عليه واستقرّ فى كشف الوجه البحرى ، عوضاً من مجد الدين بن موسى الهذبانى .

وفيه قدم كتاب الملك المجاهد على من اليمن بوصوله إلى بلاده ، وأنه جهز تقدمته[1] ، وأوفى التجار أموالهم التى اقترضها ، وأنه أطلق مراكب التجار لتسير ، إلا أنه منعها أن ترسى بجده وتعبر إلى مكة كراهة فى أمرائها[2] .

وفى يوم الأربعاء عاشر رجب قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام ، يتضمن أنه قبض على قاصد الأمير منجك الوزير ، بكتابه إلى أخيه الأمير بيبغا روس نائب حلب ، يحسّن له (٣٢٠ ا) الحركة . وقد أرسله [الأمير أرغون الكاملى] ، فإذا فيه أنه قد اتفق مع سائر الأمراء على الأمر ، " وما بقى إلا [أن] تركب وتتحرك " . فاقتضى الرأى التأنّى[3] حتى يحضر الأمراء والنائب من الغد إلى الخدمة ، ويقرأ الكتاب عليهم ، ليدبّروا الأمر على ما يقع عليه الاتفاق .

فلما طلع الجماعة من الغد إلى الخدمة لم يحضر منجك ، فطلب فلم يوجد ، وذكر أتباعه أنه من عشاء الآخرة لم يعرفوا خبره . فركب الأمير صرغتمش فى عدة من الأمراء ، وكبس بيوت جماعة ، فلم يوقف له على خبر . وافتقدوا مماليكه ، ففقد منهم اثنان . فنودى عليه فى القاهرة ، وهدد من أخفاه . وأخرج عيسى ابن [حسن] الهجان فى جماعته من عرب العايد على

(١) فى ف " تقدمه " ، وما هنا من ب ، ١٦٢٣ .

(٢) هنا إشارة لتطور التجارة وأسواقها فى ذلك العصر ، وهى مما يوجب التفات المعنيين بالتاريخ الاقتصادى .

(٣) فى ف " الثانى " ، وفى ب ، ٦٢٣ ا " الثانى " .

النجب[1] لأخذ الطرقات عليه ، وكتب إلى العربان ونواب الشام وولاة الأعمال (٣٢٠ ب) على أجنحة الطيور بتحصيله ، فلم يقدر عليه ؛ فكبست بيوت كثيرة . وكان قد خرج فى يوم الخميس حادى عشره الأمير فارس الدين البكى بألفه ، والأمير طشتمر القاسمى بألفه إلى غزة ، فأخر[2] أمرهم .

وفى يوم الأربعاء رابع عشريه قدم البريد من دمشق بعصيان الأمير بيبغا روس نائب حلب ، واتفاقه مع [الأمير] أحمد الساقى نائب حماه ، والأمير بكلمش نائب طرابلس . فجرد فى يوم السبت سابع عشريه جماعة من الأمراء وأجناد الحلقة إلى الصعيد ، منهم عمر شاه الحاجب ، وقارى الحاجب ، ومحمد بن بكتمر الحاجب ، وشعبان قريب يلبغا . وكتب لبيبغا روس نائب حلب بالحضور إلى مصر ، على يد سنقر وطيدمر من مماليك الحاج أرقطاى ، وكتب معهما ملطفات لأمراء حلب (٣٢١ ا) تتضمن أنه إن امتنع عن الحضور فهو معزول ؛ ورسم لهما أن يعلما بيبغا بذلك أيضاً مشافهة بحضرة الأمراء .

فقدم البريد من دمشق بموافقة ابن دلغادر لبيبغاروس ، وأنه تسلطن بحلب ، وتلقب بالملك العادل ، وأظهر أنه يريد مصر لأخذ غرمائه ، وهم طاز وشيخو وصرغتمش وبزلار وأرغون [الكاملى] نائب الشام . فرسم للنائب [بيبغا ططر حارس[3] الطير] بعرض مقدمى الحلقة ، وتعيين مضافيهم من عبرة أربعمائة دينار الإقطاع فما فوقها ، ليسافروا .

فقدم البريد بأن قراجا بن دلغادر قدم حلب فى جمع كبير من التركمان ، فركب بيبغاروس وتلقاه ، وقد واعد[4] نائب حماه ونائب طرابلس على مسيره أول شعبان ، وأنهم تلقوه بعساكرهم على الرستن .

فركب الأمير أرقطاى الدوادار الكبير [البريد] بملطفات لجميع أمراء حلب وحماة (٣٢١ ب) ونائب طرابلس ، فقدم دمشق وبعث بالملطفات لأصحابها ، فوجد أمر بيبغاروس قد قوى ، ووافقه النواب والعساكر وابن دلغادر بتركمانه وكسابته ، وجبار بن

(١) فى ف " التنجيب " ، وفى ف " التجب " .
(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٢٣ ب " اخرمرهم " .
(٣) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق ، ص ٨٤١ .
(٤) فى ف " اعد " ، وما هنا من ب ، ٦٢٣ ب .

مهنا بعربانه . فكتب [الأمير أرغون الكاملى] نائب الشام بأن سفر السلطان لابدّ منه ، " وإلا خرج عنكم الشام جميعه " .

فاتفق رأى الأمراء على ذلك ، وطُلب الوزير [علم الدين عبد الله[١] بن زنبور] ، ورُسم له بتهيئة بيوت السلطان وتجهيز الإقامات فى المنازل ؛ فذكر أنه ما عنده مال لذلك ، فرسم له بقرض ما يحتاج إليه من التجار ، فطلب الكارم وَ بَاعَهُم غلالا من الأهراء بالسعر الحاضر ، وعدّة أصناف أخرى ، وكتب إلى مغلطاى بالإسكندرية بقرض أربعمائة ألف درهم ، فأجاب إليها . وأخذ من ابن مشكلى بغا ستمائة ألف درهم ، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه . وأخذ من [الأمير بيبغا[٢] ططر حارس الطير] النائب مائة ألف (٣٢٢ أ) درهم قرضاً ، ومن الأمير بلبان السنانى أستادار مائة ألف درهم . فلم يمض أسبوع حتى جهّز الوزير جميع ما يحتاج إليه ، وحمل الشعير إلى العريش ، وحمل فى الخزانة أربعمائة تشريف ، منها خمسون أطلس بحوائص ذهب .

وخرج الأمير طاز فى يوم الخميس ثالث شعبان ، ومعه الأمير بزلار ، والأمير كلتا [ى أخو[٣] طاز] ، وفارس الدين ألبكى . ثم خرج الأمير طيبغا المجدى وابن أرغون النائب ، فى يوم السبت خامسه .

وخرج الأمير شيخو فى يوم الأحد سادسه[٤] فى تجمل عظيم . فبينا الناس فى التفرج على طُلبه إذ قيل[٥] قُبض على منجك . وسبب ذلك أن الأمير طاز رَحَل فى يوم السبت ، فلما وصل بلبيس قيل له إن [رجلا[٦] من] بعض أصحاب منجك صحبة شاورشى مملوك قوصون ، فطلبهما [طاز] ، وفحص عن أمرهما ، فرأى به [بعض] شىء . فأمر بالرجل ففتش ، فإذا معه كتاب منجك لبيبغاروس يتضمن أنه قد فعل كلّ ما يختاره ، وجهز أمره مع الأمراء كلهم ،

(١) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق ، ص ٨٤٤ .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق ، ص ٨٤٦ ، وغيرها .

(٣) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٦٢٤ " كلتا " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٨٦ .

(٤) فى ف " الجمعه سابعه " ، وما هنا من ب ، ١٦٢٤ .

(٥) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٦٢٤ ، " ان قبل " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٢ .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين لتنسجم العبارة مع سائر الفقرة .

وأنه أخفى نفسه ، وأقام عند شاورشى أياما ، ثم خرج من عنده إلى بيت الحسام القصرى أستاداره ، وهو مقيم حتى يكشف خبره ، وهو يستحثه على الخروج من حلب . فبعث [الأمير طاز بالكتاب إلى[1] الأمير شيخو ، فوافى والأطلاب خارجة . فطلب الأمير شيخو] الحسام القصرى ، وسأله فأنكر ، فأخذه الأمير صرغتمش وعاقبه ، ثم ركب إلى بيته بجوار الجامع الأزهر وهجمه ، فإذا منجك ومملوكه ، فأركبه مكتوف اليدين إلى القلعة ؛ فَسُفِّرَ إلى الإسكندرية . وفي يوم الاثنين سابعه ركب السلطان إلى الرّيدانية ، وجعل الأمير قبلاى نائب الغيبة . ورُتِّب أمير على الماردينى فى القلعة ، ومعه الأمير كشلى السلاح دار ، ليقيما (٣٢٣ ا) داخل القلعة ، ويكون على باب القلعة الأمير أرنال والأمير قطلوبغا الذهبى ؛ ورُتِّب الأمير مجد الدين موسى الهذبانى مع والى القاهرة لحفظها .

واستقل [السلطان] بالمسير من الريدانية يوم الثلاثاء [ثامن] شعبان بعد الظهر ، فقدم البريد بأن الأمير طقطاى الدوادار خرج من دمشق يريد مصر ، وأن الأمير أرغون [الكاملى] نائب الشام لما بلغه خروج بيبغا روس من حلب فى ثالث عشر رجب ، ومعه قراجا بن دلغادر وجبار بن مهنا ، وقد نزل بكلمش نائب طرابلس وأمير أحمد نائب حماه على الرستن فى انتظاره ، عزم [أرغون كذلك] على لقائه . فبلغه مخامرة أكابر أمراء دمشق عليه ، فاحترس على نفسه ، وصار يجلس بالميدان وهو لابس آلة الحرب . ثم اقتضى رأى [أمير] مسعود بن خطير أن النائب لا يلقى القوم ، (٣٢٣ ب) وأنه ينادى بالعَرْض للنفقة فى منزلة الكسوة ، ويركب إليها ، [فإذا] خرج العسكر [إليه] بمنزلة الكسوة منعهم من عبور دمشق ، وسار بهم إلى الرملة فى انتظار قدوم السلطان . ففعل [أرغون] ذلك ، وأنه مقيم على الرملة بعسكر دمشق ، فإن ألطنبغا برناق نائب صفد سار إلى بيبغا روس فى طاعته ، وأن بيبغا روس وصل إلى حماه ، واجتمع مع نائبها أحمد ، وبكلمش نائب طرابلس ، وسار بهم إلى حمص ، فلقيه مملوكا أرقطاى بكتاب السلطان ليحضر ، فقبض عليهما وقيدهما ، وسار يريد دمشق ، فبلغه مسير السلطان بعساكره ، واشتهر ذلك فى عسكره ، وأنه قد عُزل من نيابة حلب ، فانحلت عزائم كثير ممن معه ، وأخذ فى

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٤٠٦٧٢ ا " فبعث به الى الامير شيخو " ، والتعديل للتوضيح .

الاحتفاظ بهم والتحرز منهم ، إلى أن قدم دمشق يوم الخميس خامس عشرى رجب (٣٢٤ ا) فإذا أبواب المدينة مغلقة والقلعة محصنة . فبعث [بيبغا روس] إلى [الأمير] أياجى نائب[1] القلعة يأمره بالإفراج عن الأمير قردم ، وأن يفتح أبواب المدينة . ففتح [أياجى] أبواب دمشق ، ولم يفرج عن قردم . فركب أمير أحمد نائب حماه و بكلمش نائب طرابلس من الغد ، ليعبرا على الضياع ، فوافى نجابٌ بخبر مسك منجك ، ومسير السلطان من خارج القاهرة . وعاد أحمد و بكلمش فى يوم الاثنين رابع عشريه ، وقد نزل الأمير طاز بمن معه المزيريب . فارتج عسكر بيبغا روس ، وتواعد قراجا بن دلغادر وجبار بن مهنا على الرحيل ؛ فما غربت الشمس يومئذ إلاّ وقد خرجا بأثقالها وأصحابهما ، وسارا . فركب بيبغا روس فى أثرهما ، فلم يدركهما ، وعاد بكرة يوم الثلاثاء . فلم يستقرّ قراره حتى دقت (٣٢٤ ب) البشائر بالقلعة ، وأعلن أهلها بأن الأمير طاز والأمير أرغون نائب الشام وافيا ، وأن الأمير شيخو والسلطان ساقة . فبهت بيبغا روس ، وتفخّذ[2] عنه من معه ، وركب عائدا إلى حلب فى تاسع عشر شعبان . فكانت إقامته أربعة وعشرين يوما ، أثر أصحابه فيها بدمشق وأعمالها آثارا قبيحة ، من النهب والسبى والحريق والغارات على الضياع من حلب إلى دمشق ، كما فعل المغول[3] أصحاب غازان[4] .

فبعث السلطان الأمير أسندمر العلائى والى القاهرة ليبشر بذلك ، فقدم إلى القاهرة يوم الجمعة خامس عشريه . فدقت البشائر وطبلخاناه الأمراء ، وزينت القاهرة سبعة أيام . وجبى من الأمراء والدواوين والولاة ومقدمى الحلقة الذين لم يسافروا ثمن الشقق [الحرير[5]]

---

(١) فى ف " فبعث الى نايبها اناخى " ، والتعديل والتصحيح والإضافة بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١٠ ، ص ٢٧٤ .

(٢) المعنى أن أصحاب الأمير بيبغاروس تأخروا عنه ، وخذلوه . (محيط المحيط) .

(٣) فى ف ، وكذلك ب ، ١٦٢٥ ا " المغل " ، والصيغة المثبتة بالمتن يطلقها المؤرخون على المغول أنفسهم ، وهم أهل جنكزخان والدولة المغولية الكبرى وفروعها ، ويطلقون لفظ المغل على الملوك المسلمين الذين تفرعوا من دولة تيمورلنك بتركستان ، وأسسوا لأنفسهم دولة عاشت بالهند الإسلامية حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى .

(٤) فى ف " غارات " ، وما هنا من ب ١٦٢٥ ا .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين مما يلى هنا ، ص ٨٧٦ .

التى تفرش إذا (٣٢٠ ا) قدم السلطان ، وكان قدم إليه من صفد الأمير أيتمش الناصرى ، فكان يرجعه عن كثير من ذلك .

وأما السلطان فإنه التقى مع الأمير أرغون [الكاملى] نائب الشام على بذعرش بمن من عمل غزة ، وقد تأخر معه الأمير طاز بمن معه . فدخل [السلطان] بهم إلى غزة ، وخلع على نائب الشام ، وأنعم عليه بأربعمائة ألف درهم ، وأنعم على أمير مسعود بألف دينار ، وأنعم على كل من أمراء الألوف بدمشق بألفى دينار ، وعلى كل من أمراء الطبلخاناه بعشرة آلاف درهم ، وعلى كل من أمراء العشرات بخمسة آلاف درهم ؛ فكانت جملة ما أنفق فيهم ستمائة ألف درهم .

وتقدم الأمير شيخو والأمير طاز والأمير أرغون [الكاملى] نائب الشام بمن معهم إلى دمشق ، وتأخر الأمير صرغتمش صحبة السلطان ليدبر العسكر . وتبعهم (٣٢٠ ب) السلطان ، فكان دخوله دمشق فى يوم [الخميس] مستهل رمضان ، وقد خرج الناس إلى لقائه ، وزينت المدينة زينة حفلة ، فكان يوما مشهودا . ونزل [السلطان] بالقلعة ، ثم ركب منها فى غده يوم الجمعة [ثانيه] إلى الجامع الأموى فى موكب جليل ، حتى صلى به الجمعة .

وكان الأمراء قد مضوا فى طلب بيبغا روس ، فقدم خبرهم فى يوم الاثنين خامسه بنزول الأمير شيخو والأمير طاز على حمص ، وأنه قد بلغهم مسك بيبغا روس وأمير أحمد نائب حماه وجماعة . فدقت البشائر بالقلعة ، ثم تبين كذب هذا الخبر .

وفى يوم الأربعاء سابعه رسم بعود أجناد الحلقة ومقدميها وأطلاب الأمراء إلى القاهرة ، فخرجوا فيه من دمشق أرسالا . وكانت جماعة من العسكر قد تخلفوا بغزة ، فقدموا القاهرة (٣٢٦ ا) فى رابعه ؛ وقدم الأجناد وأطلاب الأمراء إلى القاهرة فى خامس عشريه .

وأما بيبغا روس فإنه قدم حلب فى تاسع عشرى شعبان ، وقد حفرت خنادق تجاه أبوابها ، وغلقت [الأبواب] . وامتنعت القلعة ، ورمته [رجالها] بالمنجنيق والحجارة ؛ وتبعهم من فوق الأسوار من الرجال بالرمى عليه . وصاحوا عليه . فبات بمن معه ، وركب من الغد يوم الخميس

أول شهر رمضان للزحف على المدينة ، وإذا بصياح[1] عظيم ، والبشائر تدق فى القلعة ، والرجال[2] يصيحون : "يا مُنَافِقين ! العسكر وَصَل". فالتفت [بيبغا روس] بمن معه ، فإذا البيارق والصناجق نحو جبل جوشن ، فانهزموا بأجمعهم نحو البر . ولم يكن ما رأوه على جبل جوشن عسكر السلطان ، ولكنه جماعة من جند حلب وطرابلس وحماه كانوا (٣٢٦ ب) مختفين من عسكر بيبغا روس عند خروجه من دمشق ، فساروا فى أعقابه رجاء أن يدركهم عسكر السلطان . فلما حضر بيبغا [روس إلى] حلب أجمعوا على كبسه ، وراسلوا[3] أهل [جبل] بانقوسا[4] بموافاتهم ، وجمعوا عليهم كثيراً من العربان . وركبوا أول الليل ، وترتبوا بأعلا جبل جوشن ، ونشروا الصناجق . فعندما أشرقت الشمس ساروا ، وهم يصرخون صوتاً واحداً ، فلم يثبت بيبغا [روس] ولا أصحابه ، [و] ولوا ظناً منهم أنه عسكر السلطان . فإذا أهل بانقوسا قد أمسكوا عليهم طرق المضيق ، وأدركهم العسكر ، فتبددوا وتمزقوا ، وقد انعقد عليهم الغبار حتى لم يكن أحد ينظر رفيقه . فأخذهم العرب وأهل حلب قبضاً باليد ، ونهبوا الخزائن والأثقال ، وسلبوهم ما عليهم من آلة الحرب .

ونجا بيبغا روس بنفسه ؛ وامتلأت (٣٢٧ ا) الأيدى بنهب ما كان معه ، وهو شىء يجل عن الوصف ، لكثرته وعظم قدره . وتتبع أهل حلب أمراءه ومماليكه ، وأخرجوهم من عدة مواضع ، فظفروا بكثير منهم ، فيهم أخوه الأمير فاضل ، والأمير ألطنبغا الملاق مشد الشراب‌خاناه ، وألطنبغا برناق نائب صفد ، وملكتمر السعيدى ، وشادى أخو [أمير أحمد] نائب حماة ، وطيبغا حلاوة الأوجاق ، وابن أيدغدى الزراق أحد أمراء حلب ، ومهدى شاد الدواوين بحلب ، وأسنباى [قريب[5]] ابن دلغادر ، و بهادر الجاموس ، وقليج أرسلان أستادار بيبغا روس ، ومائة من مماليك الأمراء ؛ فقيد الجميع وسجنوا . وتوجه مع

(١) فى ف " بصايح " ، وما هنا من ب ، ٦٢٥ ب .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٢٥ ب ، " وهم " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٣) فى ف " ارسلوا " ، وما هنا من ب ، ٦٢٥ ب .

(٤) يقع هذا الجبل على مسافة قصيرة شمالى حلب . (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٨٢) .

(٥) ما بين الحاصرتين من ب ، ٦٢٦ ا ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٦ .

بيبغا روس [أمير] أحمد نائب حماه ، و بكلمش نائب طرابلس ، و [طشتمر] القاسمى(١) نائب الرحبة ، وآقبغا البالسى ، وصصمق ، وطيدمر ، وجماعة تبلغ عدتهم نحو مائة وستة (٢٢٧ ب) عشر .

فدخل الأمراء حلب ، و بعثوا بالمماليك إلى دمشق ، وتركوا [الأمراء المقيدين] بسجن القلعة . وركب الحسام العلائى إلى طرابلس ، فأوقع الحوطة على موجود نائبها ، بكلمش ؛ و[تم] إيقاع الحوطة بحماة على موجود أمير أحمد .

وكتب الأمراء إلى قراجا بن دلغادر بالعفو عنه ، والقبض على بيبغا روس ومن معه ؛ وكان [بيبغاروس] قد قدم عليه ، فركب وتلقاه ، وقام له بما يليق به . فلما وقف [قراجا بن دلغادر] على كتب الأمراء أجاب بأنه ينتظر فى القبض عليه مرسوم السلطان به ، و إرسال الأمان لبيبغا روس ، وأنه مستمرّ على إمرته ؛ فلما جُهز له ذلك امتنع من تسليمه . فطُلب رمضان من أمراء التركمان ، وخُلع عليه بإمرة قراجا بن دلغادر و إقطاعه .

وعاد الأمراء من حلب ، واستقر بها الأمير أرغون الكاملى نائباً ، عوضاً عن بيبغا روس . (٢٢٨ ا) وقدموا دمشق ومعهم الأمراء المسجونون ، يوم الجمعة سلخ رمضان ؛ وركبوا مع السلطان لصلاة العيد ، والأمير مسعود بن خطير حامل الجتر(٢) على السلطان حتى عبر الميدان . فصلى بهم تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى قاضى العسكر صلاة العيد ، وخطب . ومُدّ السماط بالميدان ، فكان يوماً مذكوراً .

وفى يوم الاثنين ثالثه جلس السلطان بطارمة(٣) قلعة دمشق ، ووقف الأمير شيخو وطاز وسائر الأمراء بسوق الخيل تحت القلعة . وأخرج الأمراء المسجونون فى(٤) الحديد ، ونودى عليهم : "هذا جزاء من يخامر على السلطان ، ويخون الإسلام" . ووسطوم(٥) واحداً بعد

(١) فى ف "القاسم" ، وما هنا من ب ، ٦٢٦ ا ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٢) فى ف « الجبر » . انظر فهرس الألفاظ الاصطلاحية فى آخر الجزء الأول من كتاب السلوك .

(٣) الطارمة بيت من خشب يكون سقفه على هيئة قبة ، لجلوس السلطان . انظر المقريزى ، كتاب السلوك ، ج ١ ، ٧٧٥ ، حاشية ٤ .

(٤) فى ف " من " ، وما هنا من ب ، ٦٢٦ ا .

(٥) فى ف " ووسطهم " ، وما هنا من ب ، ٦٢٦ ا .

واحد ، وهم ألطنبغا برناق ، وطيبغا حلاوة ، ومهدى شاد الدواوين بحلب ، وأسنبغا التركمانى ، وألطنبغا العلائى شاد الشرابخاناه ، وشادى أخو أمير (٣٢٨ ب) أحمد نائب حماه ؛ وأعيد ملكتمر السعيدى إلى السجن .

و[فيه] قبض على ملك آص شاد الدواوين بدمشق ، وساطلمش الجلالى ، ومصطفى ، والحسام مملوك أرغون شاه ، وأمير على بن طرنطاى البشمقدار ، وابن جودى ، وقردم أمير آخور ؛ وأخرجوا إلى الإسكندرية ، ومعهم ملكتمر السعيدى ؛ ونفى مقبل نقيب الجيش إلى طرابلس .

و[فيه] خلع على الأمير أيتمش الناصرى ، واستقر فى نيابة طرابلس ، عوضاً عن بكلمش . وأنعم على أمير مسعود بن خطير بإقطاع قردم ؛ وأنعم على كل من ولديه بإمرة طبلخاناه . واستقرّ الأمير طنيرق فى نيابة حماة ، عوضاً عن أمير أحمد الساقى . واستقرّ شهاب الدين أحمد بن صبيح ، فى نيابة صفد . ورسم بإقامة الأمير طيبغا المجدى بدمشق ، على إمرة . وتوجه الأمير يلجك (٣٢٩ ا) والأمير نوروز إلى مصر .

وفى يوم الجمعة سابعه صلى السلطان الجمعة ، وخرج من دمشق يريد مصر . فكانت إقامته بها سبعة وثلاثين يوماً .

وأما القاهرة فإن[1] مماليك الأمراء وأجنادهم كانت تركب فى مدة غيبة السلطان كل ليلة من عشاء الآخرة ، وتتفرق فى نواحى المدينة وظواهرها ، لحفظ الناس . فإذا رأوا أحداً يمشى ليلا حبسوه ، حتى يتبين أمره ؛ ولم يبق حانوت ولازقاق إلا وعليه قنديل يشعل طول الليل . وطلب [الأمير قبلاى[2]] النائب مقدمى الوالى[3] ، وألزمهم أن يقوموا بجميع ما يسرق فى القاهرة وظواهرها . وانتدب الأمير مجد الدين [موسى] الهذبانى ، والأمير ناصر الدين محمد بن الكورانى ، لحفظ مدينة مصر . ورتب جماعة لحفظ بيوت المتجر[4] ، فى البر والبحر . فلم يعدم (٣٢٩ ب) لأحد شىء سوى سرقة متاع من حانوت

(١) فى ف " فكانت " ، وما هنا من ب ، ٦٢٦ ب .
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق هنا ، ص ٨٧٠ .
(٣) فى ف " الولاة " ، وما هنا من ب ، ٦٢٦ ب . انظر ما يلى بهذه الصفحة .
(٤) فى ف وكذلك فى ب ، ٦٢٦ ب " البحر " ، وما هنا ترجيح يؤيده سائر العبارة .

يهودى ، فضربه [الأمير قبلاى] النائب مقدى الوالى بالمقارع حتى أحضروا متاع اليهودى له .

واتفق أن ابن الأطروش محتسب القاهرة مر بسوق الشرابشيين[1] ، وابن أيوب الشرابيشى فى حانوته . وكان [أيوب هذا] يعتريه جنون فى بعض الأحيان ، فأخذ يسب المحتسب ويهزأ به ، ثم وثب إليه وألقاه عن بغلته ، وركب صدره . فما خلصه الناس منه إلا بعد جهد ، وأقاموه من تحت ابن أيوب ، وقد تباعدت عمامته وانكشف رأسه . فطلع [ابن الأطروش] إلى [الأمير قبلاى] النائب ، وأخبره بما جرى عليه ؛ فأحضر [الأمير قبلاى] ابن أيوب ، وضربه وحبسه .

و [فيه] حدثت زلزلة فى رمضان ، والناس فى صلاة العشاء الآخرة .

وفى سابع عشره خرج الأمير أرنان والأمير قطلوبغا الذهبى ، والأمير علم دار[2] . (٢٣٠ ا) إلى الصعيد فى البر والبحر ، بسبب نفاق العربان ، وقطع الطرقات على المسافرين ، وتشليح[3] الأجناد .

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرى شوال قدم السلطان ، ومشى بفرسه على شقاق الحرير التى فرشت له ؛ وخرج الناس إلى لقائه ورؤيته ، فكان يوماً مشهوداً لم يتفق مثله لأحد من أخوة السلطان الذين تسلطنوا .

وعندما طلع [السلطان] القلعة تلقته أمه وجواريه وأخوته ، ونثر عليه الذهب والفضة ، وقد فرشت له طريقه بشقاق الحرير الأطلس ؛ ولم يبق بيت من بيوت الأمراء إلا وفيه الأفراح والتهانى . وفيه يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة :

الصالح الملك المعظم قدره ... يطوى له الأرض البعيد النازح

لا تعجبوا من طيها لمسيره ... فالأرض تطوى دائماً للصالح

---

(١) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٩٥١ ، حاشية ٣

(٢) كذا فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٢٦ ب . انظر كذلك ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣٠٤ .

(٣) التشليح هنا السلب ، وهو استعمال عامى . (محيط المحيط) .

وفى يوم الأربعاء سادس عشريه عمل الوزير علم الدين [ابن زنبور] السماط للأمراء والخواتين ، وطلع أرباب الملهى إلى القلعة .

وفى يوم الخميس سابع عشريه عمل المهم العظيم ، ومُدّ السماط . وقد بالغ الوزير فى الاهتمام به والتأنق به ، فاستمر طول النهار .

ثم خرج المرسوم بطلب جميع أرباب الوظائف من الامراء والمباشرين ، فطلعوا بعد العصر ، وخلع عليهم ، وعلى الوزير [علم الدين بن زنبور] ، وولده سعد الدين رزق الله ، وعلى فخر الدين بن قروينة ناظر البيوت وأخيه ، ومباشرى الحوائج خاناه ، وسائر أرباب الوظائف .

[وفيه] قبض[1] على الوزير الصاحب علم الدين عبدالله بن أحمد بن زنبور ، وهو بخلعته ، قريب المغرب . وسبب ذلك أنه لما فرقت التشاريف على الأمراء ، غلط الذى أخذ تشريف الأمير صرغتمش ، (٣٣١ ا) ودخل إليه بتشريف الأمير بلبان السنانى أستاداز ، فلما رآه تحرك ما عنده من الأحقاد على الوزير . وتميز [صرغتمش] غضباً ، وقام من فوره ودخل إلى الأمير شيخو ، وألقى البقجة قدامه ، وقال : " انظر فعل الوزير معى " ، وحل الشاش ، وكشف التشريف : فقال شيخو : " هذا قد وقع فيه الغلط " . فقام صرغتمش ، وقد أخذه من الغضب شبه الجنون ، وقال : " هـذا شغل الوزير ، وأنا فما أرضى بالهوان ولا بد لى من القبض عليه ، ومهما شئت فافعل بى " ، وخرج . فصادف ابن زنبور داخلا للأمير شيخو وعليه الخلعة ، فصاح فى مماليكه خذوه . ففى الحال نزعوا عنه الخلعة ، وجروه إلى بيت صرغتمش ، فسجنه فى موضع مظلم من داره ؛ وعُزِل عنه ابنه رزق الله فى موضع آخر . وكان [صرغتمش] قبل دخوله على شيخو رتب عدة من مماليكه (٣٣١ ب) على باب خزانة الخاص ، و باب النحاس ، و باب القلعة ، و باب القرافة ، وغيره من المواضع ، وأوصاهم بالقبض على حاشية ابن زنبور ، وجميع الكتاب بحيث لا يدعون أحدا منهم يخرج من القلعة . فعندما قبض على ابن زنبور ارتجت القلعة ، وخرجت الكتاب ، فقبض مماليك صرغتمش عليهم كلهم حتى شهود الخزانة وكتابها ، وكتاب الأمراء الذين بالقلعة . واختلطت الطماعة بمماليك صرغتمش ، وصاروا يقبضون على الكاتب ويمضون به إلى

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٢٧ ب ، " فقبض " ، والتعديل والإضافة بين الحاصرتين للتوضيح .

مكان ، ليعروه ثيابه ، و إن احترموه أخذوا مهمازه من رجله ، أو خاتمة من يده ، أو يفتدى منهم بمال يدفعه لهم حتى يطلقوه ؛ وفيهم من اختفى ببيت أمير ، فقرر غلمان الأمير عليه مالا ، واسترهنوا دواته ، بحيث أن بعض غلمان أمير حسين أخى السلطان (٣٣٢ ا) جمع ست عشرة دواة من ستة عشر كاتباً ، وأصبح يجبيهم ويدفع لهم دويهم ؛ وذهب من الفرجيات والعمائم والمناديل شيء كثير .

وساعة القبض على ابن زنبور ، بعث الأمير صرغتمش الأمير جرجي والأمير قشتمر فى عدة من المماليك إلى دوره بالمصاصة[1] من مدينة مصر ، فأوقعوا الحوطة على حريمه ، وختموا بيوته و بيوت أصهاره وقت المغرب ؛ وكانت حريمهم فى الفرح ، وعليهن الحلى والحلل ، وعندهن معارفهن . فسلب المماليك كثيرا من النساء اللاتى كن فى الفرح ، [ووقفوا] حتى مكنوهن من الخروج إلى دورهن ؛ فخرج عامة نساء ابن زنبور و بناته ، ولم تبق إلا زوجته ، فوكل بها . وكتب إلى ولاة الأعمال بالوجه القبلى والوجه البحرى بالحوطة على ماله من زروع وقنود وغيرها ، وخرج لذلك عدة من مقدمى الحلقة ؛ (٣٣٢ ب) وتوجه الحسام العلائى إلى بلاد الشام ليوقع الحوطة على أمواله بها .

وأصبح الأمير صرغتمش يوم السبت ثامن عشريه ، فأخرج رزق الله بن الوزير بكرة ، وهدده[2] ، ونزل به من داره بالقلعة إلى المصاصة . وأخذ [صرغتمش] زوجة ابن زنبور وهددها ، وألقى ابنها رزق الله ليضربه ، فلم تصبر ودلته على موضع المال ، فأخذ منه خمسة عشر ألف دينار وخمسين ألف درهم ، وأخرج من بئر صندوقا[3] فيه ستة آلاف دينار ومصاغ . ووجد فى ثقل[4] [ابن زنبور] الذى قدم صحبة الصارم مشد العمارة ستة آلاف دينار ، ومائة وخمسون ألف درهم سوى التحف والتفاصيل الحرير وثياب الصوف ،

---

(١) المصاصة خط كبير من أخطاط مصر ، ويبدو من ابن دقاق (ج ٤ ، ص ١٤ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٤٩ ، ٨٠) أن هذا الخط اختص بسكن اليهود والنصارى فى مصر ، منذ أيام الفاطميين على الأقل .

(٢) فى ف " حدده " ، وما هنا من ب ، ٦٢٧ ب .

(٣) فى ف " من بير صفد وقاميه ... " ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٩ .

(٤) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٢٧ ب ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

وغير ذلك . وألزم محمد بن الكورانى والى مصر بتحصيل بنات ابن زنبور ، فنودى عليهن . ونُقل ما فى دور صهرى ابن زنبور ، وسُلّما (٢٠٠ ا) لشاد الدواوين . وعاد [الأمير صرغتمش] إلى القلعة .

فطلب السلطان جميع الكتّاب وعرضهم ، وعين الموفق هبة الله بن إبراهيم للوزارة ، وبدر الدين كاتب يلبغا لنظر الخاص ، وتاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله ابن الغنام لنظر الجيش ، وأخاه كريم الدين لنظر البيوت ، وابن السعيد لنظر الدولة ، وقشتمر مملوك طقزدمر لشد الدواوين ؛ وفى يوم الأحد تاسع عشريه خلع عليهم .

فأقبل الناس إلى باب الأمير صرغتمش للسعى فى الوظائف ، فولى أسعد حربة استيفاء الدولة ، وولّى كريم الدين أكرم بن شيخ ديوان الجيش .

وسلم [الأمير صرغتمش] المقبوض عليهم لشاد الدواوين ، وهم الفخر بن قرويته ناظر البيوت ، والفخر بن مليحة ناظر الجيزة ، والفخر مستوفى الصحبة ، والفخر (٣٣٣ ب) ابن الرضى كاتب الإصطبل ، وابن معتوق كاتب الجهات ، وأكرم الملكى . وطُلب التاج ابن لفيتة ناظر المتجر وناظر المطبخ ، وهو خال ابن زنبور ، فلم يوجد ؛ وكُبست بسببه عدة بيوت حتى أخذ .

وصار الأمير صرغتمش ينزل ومعه ناظر الخاص وشهود الخزانة ، وينقل حواصل ابن زنبور من مصر إلى حارة زويلة بالقاهرة . فأعيام كثرة ما وجدوا له . وتُتُبِّعت حواشى ابن زنبور ، وهُجمت دور كثيرة بسببهم ، عدم لأربابها مال عظيم .

وفى يوم الاثنين مستهل ذى القعدة قدم البريد من نائب حلب بمائة وعشرين منشوراً للتركمان ، ويستأذن فى تجريد عسكر حلب إلى ابن دلغادر .

وفيه نزل الأمير صرغتمش إلى بيت ابن زنبور بالصناعة ، وهدم منه ركناً دُلّ عليه ، فوجد فيه خمسة وستين (٣٣٤ ا) ألف دينار حملها إلى القلعة . وطلب [الأمير صرغتمش] ابن زنبور ، وضربه عرياناً ، فلم يعترف بشىء ؛ فنزل إلى بيته ، وضرب ابنه الصغير وأمه تراه فى عدة أيام حتى أسمعته كلاما جافيا ؛ فأمر بها ، فعُصرت .

وأخذ ناظر الخاص فى كشف حواصل ابن زنبور بمصر، فوجد له من الزيت والشيرج والنحاس والرصاص والكبريت والعكر والبقم والقند والسكر والعسل وسائر أصناف المتجر ما أذهله، فشرع فى بيع ذلك.

هذا والأمير صرغتمش ينزل بنفسه وينقل قماش[1] ابن زنبور وأثاثه إلى حارة زويلة، ليكون ذخيرة السلطان. فبلغت عدة الحمالين الذين حملوا النصافى[2] والتفاصيل، وأوانى الذهب والفضة والبلور والصينى والكفت، والسنجاب والملابس الرجالية والنسائية، والزركش والجواهر واللآلئ، (٣٢٤ ب) والبسط الحرير والصوف، والفرش والمقاعد، وأوانى النحاس ونحو ذلك، ثمانمائة حمال، سوى ما حمل على البغال. فكان ما وجد من أوانى الذهب والفضة زنة ستين قنطارا، ومن الجوهر زنة ستين رطلا، ومن اللؤلؤ كيل أردبين، ومن الذهب المرجة [مبلغ] ثلاثين ألف دينار وأربعة آلاف دينار، ومن الحوائص ستة آلاف حياصة، ومن الكلفتاه الزركش ستة آلاف كلفتاه، ومن ملابس [ابن[3] زنبور نفسه] عدة ألفين وستمائة فرجية، ومن البسط ستة آلاف بساط، ومن الصنج لوزن الذهب والفضة بقيمة خمسين ألف درهم، ومن الشاشات ثلاثمائة شاش. ووُجد له من الخيل والبغال ألف رأس، و[دواب] عاملة ستة آلاف رأس، ودواب حلابة ستة آلاف رأس، ومن معاصر السكر خمسة وعشرون معصرة، ومن (٣٣٠ أ) الإقطاعات سبعمائة إقطاع، كل إقطاع متحصله خمسة وعشرون ألف درهم فى السنة. ووُجد له مائة عبد، وستون طواشى، وسبعمائة جارية، وسبعمائة مركب فى النيل، وأملاك قُوّمت بثلاثمائة ألف دينار، ورخام بمائتى ألف درهم، ونحاس بأربعة آلاف دينار، وسروج وبدلات عدة خمسمائة. ووُجد له اثنان وثلاثون مخزنا، فيها من أصناف المتجر ما قيمته أربعمائة ألف دينار. ووُجد له سبعة آلاف نطع[4]، وخمسمائة حمار، ومائتا بستان، وألف وأربعمائة ساقية، وذلك سوى ما نهب، وسوى

---

(١) فى ف "ينزل بنفسه قماشة وأثاثه ..." . وما هنا من ب ٦٢٨ ب.

(٢) انظر فهرس الألفاظ الاصطلاحية فى آخر الجزء الأول من كتاب السلوك.

(٣) فى ف، وكذلك فى ب "ملابسه"، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح.

(٤) النطع بساط من أديم، أو جلد. (محيط المحيط). انظر كذلك (Dozy : Supp. Dict. Ar.).

ما اختلس ؛ على أن موجوده أبيع بنصف قيمته . ووُجد [له فى] حاصل بيت المال [مبلغ] مائة ألف وستين ألف درهم ، وفى الأهراء نحو عشرين ألف أردب[١] .

وكان مبدأ أمره أنه باشر (٣٣٠ ب) استيفاء الوجه القبلى ، وتوجه إليه صحبة الأمير علم الدين أيدمر الزراق ، وهو كاشف . فنهض فيه ، وشكرت سيرته ، إلى أن عرض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الكتاب فى أيام النشو ، ليختار منهم من يوليه كاتب الإسطبل ؛ وكان [ابن زنبور] من جملتهم ، وهو شاب ، فأثنى عليه الفخر ناظر الجيش ، وساعده الأكوز . فخلع عليه [السلطان الناصر محمد] ، واستقرّ به كاتب الإصطبل ، عوضا عن ابن الجيعان ؛ فنال فى مباشرة الإصطبل سعادة طائلة . وأعجب به السلطان لفطنته ، وشكره مَنْ تحت يده ، حتى مات [السلطان] الناصر [محمد] .

[ثم] استقرّ [ابن زنبور] مستوفى الصحبة فى أيام المنصور أبى بكر ، وانتقل منها فى وزارة نجم الدين محمود وزير بغداد إلى نظر الدولة . ثم أخرجه جمال الكفاة لكشف القلاع ، فقدم [إلى مصر] بعد موته . ثم[٢] استقرّ فى نظر الخاص (٣٣٦ ا) بعناية الأمير أرغون العلائى ؛ ثم أضيف إليه نظر الجيش ، وجمع بعد مدة[٣] إليهما الوزارة . ولم يتفق لأحد قبله بالجمع بين الوظائف الثلاث .

وعظم [ابن زنبور] إلى الغاية ، حتى إنه كان إذا خرجت الخيول لأرباب الوظائف من إصطبل السلطان ، يخرج له ثلاثة أرؤس ؛ وإذا خُلع عليه ، خُلع عليه ثلاث خلع . ونفذت كلمته ، وقويت مهابته ، وتخمت سعادته . واتجر فى جميع الأصناف حتى فى الملح والكبريت ، وربح فى سنة واحدة من المتجر زيادة على ألف ألف درهم ، منها فى صنف الزيت الحار خاصة مائة ألف وعشرة آلاف .

فكثرت حساده ، وَعَادته الكتاب لضبطه ، وأحصوا عليه جميع مايتحصل له . فلما ولى الأمير صرغتمش بعد الأمير شيخو رأس نوبة ، أغروه به ، فإنه كان يحمل لشيخو

---

(١) بلغت هذه الثروة مبلغا يوجب التفات الباحثين فى التاريخ الاجتماعى ، والتاريخ الاقتصادى كذلك .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٢٩ ب . " واستقر " ، والتعديل للتوضيح .

(٣) فى ف " بعدمه " ، وما هنا من ب ، ٦٢٩ ب .

مالى الخاص ، وهو (٣٣٦ب) الذى عمر له العمارة التى على النيل من ماله ، وكان يقوم له بما يفرّقه من الحوائص على مماليكه ونحو ذلك ، حتى تغيّر صرغتمش . وصار [صرغتمش] يسمع شيخو الكلام الكثير بسببه ، فيقول له : " قد كثرت القالة فيك بسبب ابن زنبور ، وأنه يحمل إليك كلّ ما يتحصل من الخاص ، وأنه قد كثر ماله . فلو مكنتنى أخذت للسلطان مالاً ينفعه " . فيدافعه شيخو عنه ، ويعتذر له بأنه إذا قبض عليه لا يجد من يسدّ مسدّه ، وإن كان ولا بد فيقرَّر عليه مال يحمله ، وهو على وظائفه .

وبينما هو فى ذلك إذ قدم خبر مخامرة بيبغاروس ، فاشتغل عنه صرغتمش ، وخرج إلى الشام ، وفى نفسه منه ما فيها . وصار [صرغتمش] يتجهّم لابن زنبور ، ويسمعه ما يكره ، إلى أن أرجف بمسكه ، وهو يسترضيه ، ويحمل له (٣٣٧ ا) أنواع المال فلا يرضى ؛ حتى أعيى ابن زنبور أمره . وحدّث [ابن زنبور] شيخو بدمشق بما هو فيه مع صرغتمش ، فطيّب [شيخو] خاطره بأنه ما دام حيا لا يتمكن منه أحد ؛ فركن لقوله . وأخذ صرغتمش يغرى الأمير طاز بابن زنبور حتى وافقه على مسكه ، فقوى به على شيخو ؛ ووكّل بتقله لما توجه من دمشق من يحرسه ، وهو لا يشعر .

فلما وصل السلطان خارج القاهرة أشيع أنه يعبر من باب النصر ويشق القاهرة ، فاجتمع لرؤيته عالم عظيم ، وأشعلوا له الشموع والقناديل . فدخل ابن زنبور على بغلة رائعة ، بزنارى أطلس ، فى موكب جليل إلى الغاية ، وبين يديه جميع المتعممين من القضاة والكتاب ، وقد أعجب بنفسه إعجابا كثيراً ، والناس تشير إليه بالأصابع . فكانت تلك نهايته ، وقبض عليه (٣٣٧ ب) كما تقدم .

وانتدب جماعة بعد مسك[1] [ابن زنبور] للسعى فى هلاكه ، وأشاعوا أنه وُجد فى بيته عدة صلبان ، وأنه لما دخل إلى القدس فى سفرته هذه بدأ [بكنيسة] القيامة[2] ، فقبّل عتبتها ، وتعبّد فيها ؛ ثم خرج إلى [المسجد] الأقصى فأراق الماء فى بابه ، ولم يصلّ فيه ؛ وكانت صدقته على النصارى بكنيسة القيامة[3] ، ولم يتصدق على أحد من

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٢٩ ب " مسكه " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٢ ، ٣) فى ف ، وكذلك ب ، ٦٢٩ ب " بالقمامة " . وجرى المؤرخون المسلمون فى العصور =

فقراء المسلمين بالقدس . فأثبتوا فى ذهن صرغتمش أنه باقٍ على النصرانية ، ورتبوا فتاوى تتضمن أنه ارتد عن الإسلام . وكان أجلّ من[١] قام عليه الشريف شرف الدين نقيب الأشراف ، والشريف أبو العباس الصفراوى ، و بدر الدين ناظر الجامعين ، والصوّاف تاجر صرغتمش .

فأول ما بدأوا به من نكايته أن حسنوا لصرغتمش حتى بعث إليه (٣٣٨ ا) الصدر عمر وشهود الخزانة ، فشهدوا عليه فى مكتوب[٢] أن جميع ما بيده من الدور والبساتين والأراضى — مَا وَقفه منها وما هو طلق — جميعه اشتراه من مال السلطان دون ماله ، وأنه ملك للسلطان ليس له فيه شىء قلّ أو جلّ[٣] . ثم حسّنوا له ضربه ، فأمر به فأخرج بكرة يوم وفى عنقه باشة[٤] وجنزير ، وضرب عريانا قدام باب قاعة الصاحب من القلعة . ثم أعيد إلى موضعه ، وعُصر ، وسقى الماء والملح . ثم سُلّم لشاد الدواوين ، وأُمِر بقتله ، فنوّع عقوبته . فمنع الأمير شيخو من قتله ، فأمسك عنه ، ورتب له الأكل والشرب ، وغيرت عنه ثيابه ، ونقل من قاعة الصاحب إلى بيت الأمير صرغتمش .

وفى يوم الأحد رابع عشر ذى القعدة قبض على الأمراء[٥] (٣٣٨ ب) قمارى الحموى ، وشعبان قريب يلبغا ، ومحمد بن بكتمر الحاجب ، ومأمور ؛ وحملوا إلى الإسكندرية ، فسجنوا بها ، ماعدا شعبان فإنه أخرج إلى دمشق .

وفيه قدمت رسل الأشرف بن جوبان أنه يريد محاربة أرتنا نائب الروم ، وطلب ألا يدخل السلطان بينهما ؛ فأجيب عن ذلك .

= الوسطى على هذه التسمية لكنيسة القيامة بالقدس ، كما جرى المؤرخون المسيحيون فى تلك العصور السالفة على هذا النوع من الألفاظ عند ذكر الرسول عليه السلام مثلا ، وهذا وذاك مما لم يعد له مجال أو معنى فى العصور الحديثة .

(١) فى ف ، وكذلك ب ، ٦٢٩ ب " وكان اجلهم الشريف ... " .

(٢) فى ف " مملوك " ، وما هنا من ب ٦٢٩ ب .

(٣) فى ف ، وكذلك ب ، ٦٢٩ ب " قل ولاجل " .

(٤) الباشة فى محيط المحيط " حلقة ذات عروة وزر ، تجعل فى طرف القيد ، فتحيط برسغ الدابة عند الربط " . غير أن معناها هنا حلقة توضع حول رقبة الواقع تحت العقوبة ، ليربط منها إلى جنزير كما بالمتن ، والجنزير لفظ فارسى معرب ، معناه سلسلة من الحديد . انظر (Dozy : Supp. Dic. Ar.) .

(٥) فى ف " الامير " ، وما هنا من ب ، ٦٢٩ ب .

وفى يوم الاثنين خامس عشره قدم الأمير ناصر الدين بن المحسنى .

وفى أول ذى الحجة قُرِّر على أتباع ابن زنبور مال ، وأفرج عنهم ؛ فكانت جملة ذلك ستمائة وسبعين ألف درهم .

وفى خامسه وصل أمير على المارديني نائب الشام إلى دمشق ، صحبة الأمير عز الدين أزدمر الخزندار متسفره ؛ وركب [أمير على] الموكب على العادة .

وفى يوم الاثنين ثامن عشريه قدم البريد من حلب (٢٣٩ ا) بأخذ أحمد الساقى نائب حماه ، و بكلمش نائب طرابلس ، من عند ابن دلغادر ؛ وقد قبضهما . فدخلا حلب فى حادى عشريه ، وسجنا بقلعتها . فأجيب [الأمير أرغون الكاملى نائب حلب[1]] بالشكر والثناء ، وأنه يشهّر المذكورين بحلب ، و يقتلهما ؛ وجهز لنائب حلب خلعة .

و [فيه] قدم الخبر من غزة بكثرة الأمطار التى لم يعهد بغزة مثلها ، وأنه هدم عدة بيوت كثيرة منها على أهاليها ، وسقط نصف دار النيابة ، وسكن النائب بجامع الجاولى ، وتلف مازرع من كثرة المياه . ثم سقط ثلج كثير حتى تعدّى العريش .

و [فيه] كانت الأمطار أيضاً بأراضٍ كثيرة جدا ؛ وسقط الثلج بناحية بركة الحبش وعلى الجبل ، و بأراضى الجيزة .

وأما النيل فإن القاع جاء ثلاثة أذرع وثلث ، وتوقفت الزيادة أياما . ثم زاد فى كل يوم (٢٠٧ ب) ما بين أربعين وثلاثين وعشرين أصبعاً ، حتى كان الوفاء ، فى يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الآخرة ، وثالث عشر مسرى ؛ ونودى بزيادة عشر أصابع من سبعة عشر ذراعا ، وانتهت زيادته إلى ثمانية عشر ذراعا وتسع عشرة أصبعا .

وفيها وقع بدمشق حريق عظيم ، عند باب جيرون ، عدم فيه الباب النحاس الأصفر الذى لم يُرَ مثله ، و يزعم أهل دمشق أنه من بناء جيرون بن سعيد بن عاد بن أرم بن سام بن نوح .

وفيها ولى الأمير بكتمر المؤمنى شاد الدواوين ، عوضا عن الأمير تلك أمير آخور

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق هنا ، ص ٨٧٤ .

بعد موته بغزة . وكان قد توجه إلى الحجاز ، فتوجه النجاب لإحضاره حتى قدم ، واستقرّ بعناية الأمير شيخو وتعيينه له .

و[فيه] تولى (٢٤٠ ا) نظر خزانة الخاص قاضى القضاة تاج الدين محمد بن محمد ابن أبى بكر الأخنائى ، ثم استعفى منها بعد القبض على ابن زنبور ؛ فولى عوضه تاج الدين الجوجرى .

ومات فيها من الأعيان آرتنا نائب الروم من قبل بو سعيد .

و[توفى] بدر الدين حسن بن على بن أحمد الغزّى[1] ، المعروف بالزغارى ، الدمشقى الأديب الشاعر ، عن نيف وخمسين سنة بدمشق ، فى ليلة الخميس حادى عشر رجب ؛ ومولده سنة ست وسبعمائة .

و[توفى] العضدُ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار العراقى ، شارح المختصر والمواقف ، ولى قضاء مملكة[2] أبى سعيد .

و[توفى] الأمير فاضل آخو بيبغا روس بحلب ؛ وكان عسوفا .

و[مات] الأمير تلك أمير آخور بغزة ، وهو عائد إلى القاهرة .

و[توفى] شمس الدين (٢٤٠ ب) محمد بن سليمان القفصى ، أحد نواب المالكية بدمشق .

و[توفى] بهاء الدين محمد بن على بن سعيد ، المعروف بابن إمام المشهد ، الفقيه الشافعى بدمشق ، فى ثامن عشرى رمضان ؛ وقد أناف على الستين ؛ وولى حسبة دمشق ، وقدم القاهرة .

و[توفى] شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد ابن محمد بن نصر ، المعروف بابن القيسرانى ، كاتب السرّ بدمشق ، وهو بطّال ، عن نيف وخمسين سنة .

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ٦٠٣ ا ، " الغزى " ، وما هنا من ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٢) فى ف " مكة " ، وما هنا من ب ، ٦٣٠ ا .

و[توفى] ناظر الخزانة تاج الدين بن بنت الأعز .

و[مات] الأمير شهاب الدين أحمد بن بيليك[(١)] المحسنى ، والى دمياط . وكان فقيها شافعيا، شاعراً أديبا ؛ نظم كتاب التنبيه فى الفقه ، وكتب عدة مصنفات .

و[مات] الأمير منكلى بغا الفخرى ؛ قدم الخبر بوفاته مستهل جمادى الأولى .

و[مات] الحاج عمر مهتار السلطان ، يوم (٣٤١ ا) الجمعة ثانى جمادى الأولى .

و[مات] سيف الدين خالد بن الملوك بالقدس ، فى أول رمضان .

و[مات] الأمير تمر بغا ، ليلة الأربعاء رابع عشرى رجب[(٢)] .

* * *

سنة أربع وخمسين وسبعمائة . شهر الله المحرم ، أوله الخميس .

فيه قدم الخبر من متولى مدينة قوص بقدوم رسل الملك المجاهد على بن المؤيد داود ابن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن على بن رسول متملك اليمن ، إلى عيذاب ، بهدية . فتوجه الأمير آقجبا الحموى لملاقاتهم ، وصحبته الإقامات من الأنزال[(٣)] والعلوفات والطبائخ ، ونحو ذلك .

وفى يوم الأربعاء سابعه قدم البريد من حلب بالقبض على الأمير قراجا بن دلغادر مقدم التركمان ، فسرّ أهل الدولة بذلك .

و[فيه] قدم الأمير جنتمر أخو طاز رأسى الأمير بكلمش والأمير أحمد (٣٤١ ب) الساقى ، وقد قتلا بحلب .

وفى هذا الشهر حملت رُمّتا والد الأمير طاز ، وأخيه جركس . وكان أبوه قدم إلى

---

(١) فى ف " سليك " ، وفى ب ٦٣٠ ا ، "بعلبك"، وما هنا من ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(٢) هنا ينتهى الجزء الثانى من مخطوطة ب المتداولة فى الحواشى ، وما يلى بداية الجزء الثالث من هذه المخطوطة الباريسية .

(٣) ف.ف "الاموال" ، وما هنا من ب ، ١ ب ، وهو الصحيح الذى يتطلبه السياق ، فنى محيط المحيط الأنزال جمع نزل ، وهو الطعام ، وهو كذلك ما يجهّز للضيف أن ينزل عليه .

مصر من بلاد الترك فى سنة اثنتين وخمسين [وسبعمائة] ، فتلقاه وأكرمه ، وأدخله فى دين الإسلام وختنه . ثم توجه [أبوه هذا] بعد مدة عائداً إلى بلاده ، بحجة أن يسوق بقية أهله ، فهلك بالمعرة ، ودفن بها ؛ فبنى نائب حلب على قبره تربة . ثم لما توجه الأمير طاز بالعسكر إلى حلب ، هلك أخوه جركس ، فدفنه[1] بالمعرة مع أبيه ؛ ثم بدا له فى نقلهما إلى مصر ، فنقلهما فى هذا الشهر ، ودفنهما خارج باب المحروق ، ظاهر القاهرة ، فى تربة أنشأها هناك ؛ ورتب بها القراء وغير ذلك من أرباب الوظائف ، وجعل لها أوقافا دارّة ، وعمل لقد ومهما عدة مجتمعات ختم فيها القرآن (٣٤١ ا مكرر) الكريم على قبريهما . وحضر تلك المجتمعات معه الأمراء والأعيان ، فاحتفل لذلك احتفالا زائدا .

وفى ثامن عشره قدم شيخ الشيوخ زكىّ الدين الملطى من بلاد الهند ، فتلقاه طوائف الناس ، وطلع قلعة الجبل . فخلع عليه بين يدى السلطان ، وحمل على بغلة رائعة بزنارى ، واستقرّ على ما كان عليه فى مشيخة الخانكاه الناصرية بسرياقوس . وقد تقدم سفره فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ، فكانت غيبته بالهند عشر سنين وتسعة أشهر ، وعاد بغير طائل . ولم يرض الأمير صرغتمش بولايته .

وفى يوم السبت سابع عشريه أعيد الوزير ابن زنبور إلى تسليم [قشتمر[2]] شاد الدواوين ، وأمر بقتله ، فعاقبه بقاعة الصاحب من قلعة الجبل أشد عقوبة . (٣٤١ ب مكرر) فشقّ ذلك على الأمير شيخو ، وعتب الأمير طاز والأمير صرغتمش ، وأغلظ فى القول ، ومنع من التعرض لابن زنبور ، وأخرجه بعد المغرب من ليلة الاثنين تاسع عشريه ، وحمله فى النيل إلى قوص . وكانت مدة شدته ثلاثة أشهر .

ولما قدم الحاج أخبروا أن الشريف عجلان مضى قبل قدُوم الحاج إليه من مكة يريد جدة ، لأخذ مكس التجار الواردين فى البحر . فبعث إليه أخوه ثقبة يطلب نصيبه من ذلك ، فأبى عجلان أن يدفع له شيئا ، فركب إليه ولقيه . فلما نزلا غدر ثقبة بعجلان ،

---

(١) فى ف " فدفنه " ، وما أثبتنا من ب ، ا ب .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق .

وقبض عليه وقيده ، وأسلمه لمن يحفظه ، وركب ليأخذ أموال عجلان من وادى نخلة . فلما أبعد [ثقبة] فى السير أفرج الموكلون بعجلان عنه ، وأطلقوه ، فرمى نفسه على عرب بالقرب منه ، وتذمم منهم . فأنزلوه عندهم ، وأركبوه ليلا ، وصاروا (٢٤٢ ا) به إلى بنى حسن وبنى شعبة ؛ وأقام [عجلان] معهم خارج مكة حتى قدم الحاج . وكان قد بلغ ذلك ثقبة ، فعاد يريد عجلان ، ففاته . و[من الأخبار كذلك] أن[1] الحاج لما قدم مكة لم يجد بها أحداً من بنى حسن ولا من العبيد ، وأن أسعار مكة رخية ، وأن المجاهد باليمن منع التجار من المجىء إلى مكة غيظا من أمرائها .

وفى أول صفر قام الأمير صرغتمش فى أمر أوقاف ابن زنبور يريد حلها وبيعها ، وقد حسّن له ذلك الشريف شرف الدين على بن الحسين بن محمد نقيب الأشراف ، والشريف أبو العباس الصفراوى ، ولقّناه فى ذلك أمورا يحتج بها ، منها أن السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاون لما قبض على كريم الدين الكبير أراد أخذ أوقافه ، فلم يوافقه على ذلك قاضى القضاة بدر الدين محمد (٢٤٢ ب) بن جماعة ، فندب السلطان من شهد على كريم الدين بإشهاده له على نفسه أن جميع ما ملكه من العقار وغيره — وقفُه وطلقُه — هو من مال السلطان دون ماله . فلما ثبت ذلك بطريقة صارت أملاك كريم الدين بأجمعها للسلطان ، فأقرّ ما كان منها وقفاً على حاله ، وسماه الوقف الناصرى ، وتصرف فيما ليس بوقف .

فلما اجتمع القضاة الأربعة بدار العدل من قلعة الجبل فى يوم الخدمة السلطانية على العادة ، كلمهم الأمير صرغتمش فى حل أوقاف ابن زَنبُور ، فاشتدّ عليه قاضى القضاة عزالدين [عبدالعزيز] ابن جماعة فى الإنكار لذلك ، وساعده قاضى القضاة موَفّق الدين عبدالله الحنبلى ، وجبه صرغتمش بكلام خشن ، وقال له : " أخربت البلد بشرّك يا صبى " . هذا وصرغتمش يحاججهم ، ويذكر (٢٤٣ ا) قضية أوقاف كريم الدين ، فأجاباه بأن كريم الدين كانت بيده جميع أموال السلطان كلها ، ما بين خزائنه وحواصله ومتاجره ، يتصرف فيها برأيه ، فلهذا ساغ[2]

(١) فى ف " ففاته اوان الحاج ... " ، وما هنا من ب ، ٢ ا .

(٢) فى ف " شاع " ، وما هنا من ب ، ٢ ب .

أن يثبت الإشهادُ عليه بأن جميع أملاكه وعقاراته وغيرها إنما هى من مال السلطان دون ماله . وأما مَن له مال من متجر ، أو اكتسبه من مباشرة ونحوها ، فليس لأحد أن يتعوض لماله ، ولا يجوز نقضُ شيء وقفه من ذلك ، ولا أخذُ ما ملكه أو وهبه من يد مَنْ هو فى أيديهم ، فإن جميع تصرفاته فى ماله سائغة بطريقها . فذكر لهم صرغتمش أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه شاطر عماله[1] ، ومالُ الوزير جميعه إنما هو مال السلطان . فعرّض له قاضى القضاة عز الدين بذكر الشريفين [على بن حسين[2] وأبى العباس الصفراوى] ، وقال يا أمير : " إن كنت تبحث معنا (٣٤٣ ب) فى هذه المسألة بحثنا معك ، وإن كان أحد ذكرها لك فليحضر حتى نناظره فيها ، فإنه ما قصد بذكر هذه المسألة إلا مصادرة سائر الناس ، وأخذ أموالهم " ؛ وقاموا على الامتناع والإنكار على من يريد هذا ونحوه .

وكان صرغتمش قد وعد أم السلطان بالدار المعروفة بالسبع قاعات من أوقاف ابن زنبور ، فبعثت[3] لقاضى القضاة عز الدين فى ذلك ، فخوّفها عاقبة ذلك ، وما زال بها حتى أعرضت عن طلبه . فشقّ ذلك على الأمير صرغتمش ، واشتدّ حنقه حتى مرض عدة أيام مرضاً خيف عليه منه ، فتصدّق بأموال جزيلة على الفقراء ، وافتكّ أهل السجون .

وفى أثناء ذلك اتفق الأميران شيخو وطاز على عزل صرغتمش من وظيفة رأس نوبة ، ليقلّ شره وتنحطّ (٣٤٤ ا) رتبته ، ويعود الأمير شيخو رأس نوبة . فلما عوفى صرغتمش نزل من القلعة إلى إصطبله المجاور لمدرسته ، فأشعلت له الشموع ، وفرح به سكان الصليبة[4] ؛ وتصدق [صرغتمش] بمال كبير .

وفيه اجتمع الأمراء بالقصر بين يدى السلطان ، فى الخدمة على العادة ، وذكروا أمر توقف حال الدولة من قلة حاصل بيت المال وخزانة الخاص ، وأن الوقت محتاج إلى نظر الأمير شيخو . وكان [الأمير شيخو] منذ خرج من وظيفة رأس نوبة ، ووليها الأمير

---

(١) فى ف " عمله " ، وما هنا من ب ، ٢ ب .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق بالصفحة السابقة .

(٣) فى ف " فبعث " ، وما هنا من ب ، ٢ ب .

(٤) فى ف " الطيبة " . وما هنا من ب ، ٢ ب .

صرغتمش ، ترك التحدث فى أمر الدولة لصرغتمش ، وصار كالمشير[1] . فلما عينه الأمراء فى هذا اليوم التحدث كما كان امتنع عليهم ، فما زالوا به حتى ألبسوه التشريف ، وولى على عادته، بعد ما شرط عليهم ألا يتحدث أحد فى أمر جليل ولا حقير غيره ؛ فأجابوا إلى ذلك .

و[فيه] خلع (٣٤٤ ب) أيضاً على الأمير ناصر الدين محمد بن بدر الدين بيليك المحسنى ؛ واستقر مشير[2] الدولة ، رفيقاً للصاحب موفق الدين ، على قاعدة الأكوز فى الدولة الناصرية .

و[فيه] استقر سيف الدين قطلوشاد الدوادار بن أمير طبلخاناه ، كما كان لؤلؤ مع الأكوز؛ وقيل للوزير ألا يفصل أمراً دونهما ، وخرجوا من الخدمة . فجلس ابن المحسنى من داخل الشباك بدار الوزارة من القلعة تجاه الوزير، وأمر بكتابة كاف الدولة . وأقبل الناس إلى باب الأمير شيخو ، فصارت أمور الدولة كلها تصدر عنه حتى الإقطاعات .

و[فيه] رسم بإبطال المقايضات والنزولات[3] فى الإقطاعات ، فبطل ذلك بعدما كان قد فحش الأمر فيه ، وأخذ كتاب الجيش منه مالا جزيلا . فتعطل[4] [كتاب الجيش

---

(١) يبدو من عبارة المتن هنا أن شاغل هذه الوظيفة ، واسمها الإشارة فى المصطلح المملوكى ، كان فى العادة من كبار الأمراء المماليك ، وأنه لم يقم بعمل نوعى معين ، إلا أن يكون حضور مجلس المشورة مثلا . (انظر ما سبق هنا ، ص ٥٥١ ، حاشية ١ ؛ ص ٦٣٤ ، حاشية ٤ ، ص ٧٤٦ ؛ حاشية ٣) . غير أن القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٥٣ — ١٥٥) جعل هذه الوظيفة ثالثة الوظائف المملوكية الكبرى ، وهى نيابة السلطنة والوزارة والإشارة هذه ، لكنه لم يحدد للإشارة عملا بذاته ، بل ذكر إضافتها إلى الأمير جمال الدين يوسف البجاسى (لا البيشاسى كما فى القلقشندى) ، وهو على وظيفة الأستادارية . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ٣٠٩ ، وكذلك (Bjorkman : Beitrage... Staatskanzlei... Aegypten. P. 168).

(٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) فى ف " النزلات " ، وما هنا من ب ، ١٣ .

(٤) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٣ " فتعطلوا " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

بسبب ذلك] و [لاسيما بعد أن] رسم لهم الا يأخذوا رسماً فى كل مشور أو محاسبة سوى ثلاثة دراهم ، وكان (٢٤٠ ا) رسم ذلك عشرين درهماً

و [فيه] استقرّ [أن] الوزير والمشير ونحوهما يحضرون كل يوم إلى مجلس الأمير شيخو ، ويطالعونه بما تحصل وانصرف ، ويحضر إليه ناظر الجيش فيمضى من الأشغال ما شاء ، حتى تعطل حكم [الأمير قبلاى] نائب السلطنة .

وفى ربيع الأول ورد الخبر بوصول الصاحب علم الدين بن زنبور إلى قوص سالماً ، وقد نفى إليها .

وفيه رُفعت يد ناظر الخاص من وقف الصالح إسماعيل ، وفوّض نظره إلى الأمير عز الدين أزدمر الخازندار .

وفيه قدم الخبر بوصول الأمير بيبغا روس إلى حلب وقتله ، فكُتب إلى [الأمير أرغون الكاملى] نائب حلب بالشكر والثناء ، وعُمل وحمل[1] إليه تشريف ، وأُمر أن يعمل الحيلة[2] فى إحضار قراجا بن دلغادر ؛ وجُهِّز إليه تشريف برسمه ، وتقليد تقدمة التركمان . فاستدعاه [الأمير أرغون الكاملى] نائب حلب ليلبس التشريف (٢٤٠ ب) السلطانى ، ويقرأ عليه التقليد بحضرة أمراء[3] حلب ، فاعتذر عن حضوره .

فلما قدم كتاب [الأمير أرغون الكاملى] نائب حلب بذلك ، كُتب له بالركوب إليه ومحاربته ، فاعتذر بأنه قد حلف له قبل ذلك بأنه إن سيّر إليه بيبغا روس لا يحاربه . فشقّ ذلك على الأمراء ، وكتبوا إليه بالإنكار عليه ، وجُهِّز له الأمير عز الدين طقطاى الدوادار ، ومعه الكتب إلى نواب الشام بنجدة [الأمير أرغون الكاملى] نائب حلب على قتال ابن دلغادر ؛ فسار [طقطاى] فى يوم الاثنين مستهل شهر ربيع الآخر .

وفيه انحطت رتبة الشريف [أبى العباس] الصفراوى ، بمنع الأمير شيخو له من

---

(١) فى ف " وحمل " ، وما هنا من ب ، ٣ ا .

(٢) فى ف " الجلله " ، وما هنا من ب ، ٣ ا .

(٣) فى ف " نايب " ، وما هنا من ب ، ٣ ا .

عبوره إلى داره وصعوده إلى القلعة . فثار عليه أعداؤه ، ونفوه من الشرف ، وشنعوا عليه ؛ فالتجأ [الشريف أبو العباس] إلى الأمير طاز حتى كفّ عنه من يقاومه .

وفي يوم الخميس رابعه شُمِّر عيسى بن حسن شيخ العايذ .

وفيه أعرس الأمير جنتمر أخو طاز (٣٤٦ ا) بابنة الأمير آقسنقر ، وأنعم عليه بسبعة آلاف دينار ومائتي قطعة قماش ، وعمل له[١] مهم جليل .

و [فيه] قدم من المدينة النبوية جماعة يشكون من قاضيها شمس الدين محمد بن سبع ، فعين عوضه بدر الدين إبراهيم بن أحمد بن عيسى الخشّاب ، فلم يجب حتى اشترط ألا يقيم بها سوى سنة واحدة ، وأن تستقرّ وظائفه[٢] التي بالقاهرة بيد نوابه ؛ فأجيب [بدر الدين] إلى ذلك ، وولى [قضاء المدينة] .

وعزل [[٣]] أيضاً عن قضاء الإسكندرية لسوء سيرته ، وولى عوضه الربعي .

و [فيه] استقر صدر الدين سليمان بن عبد الحق في نظر الأحباس ، عوضاً عن شمس الدين بن الصاحب .

وفي يوم السبت حادي عشر ربيع الآخر قدمت رسل المجاهد صاحب اليمن ، ومعهم ابنه الملك الناصر ، [وعمره[٤] إحدى عشرة سنة] . فأنزلوا بالميدان ، ونزل إليهم الأمير طاز حتى عرضت عليه الهدية ، ثم تمثلوا بين يدي السلطان بهديتهم ، (٣٤٦ ب) قدْرُ ستين رأساً من الرقيق بقية ثلاثمائة ماتوا ، ومائتي شاش ، وأربعمائة قطعة صيني ، ومائة وخمسين

---

(١) في ف " لهم " ، وما هنا من ب ، ٣ ب .

(٢) المعروف أن بعض رجال القلم في الدولة المملوكية جمع عدة وظائف في يده ، بالقاهرة أو دمشق مثلا ؛ غير أنه لم يكن من المعروف لدى الناشر أن تعدد الوظائف في شخص واحد وصل إلى الجمع بين وظيفة في القاهرة ، وأخرى في المدينة مثلا كما هنا ؛ وفي هذا التعدد والتغيب الناتج عنه دلالة على بعض أسرار الفساد في الإدارة المملوكية .

(٣) بياض في ف ، وكذلك في ب ، ٣ ب

(٤) ما بين الحاصرتين من ب ، ٣ ب

نافجه[1] مسك ، وقرن[2] زباد ، وعدة تفاصيل ، ومائة وخمسين قنطاراً من الفلفل ، وأشياء ما بين زنجبيل وعنبر[3] وأفاويه ، وفيل[4] واحد ؛ وذلك سوى هدية لكل من الأمير شيخو ، وطاز ، وقبلاى نائب السلطنة ، وللوزير علم الدين بن زنبور . فحملت [المدية السلطانية] إلى الصاحب موفق الدين ؛ فلم يرض الأمراء بذلك ، فإن هدية المؤيد للملك الناصر محمد بن قلاون كان فيها قدر ألفى شاش .

ومع ذلك فإنه أنفق على الرسل منذ قدموا عيذاب إلى أن وصلوا إلى الميدان نحو مائتى ألف درهم ، وخُلع على الجميع ، وتقرّر لهم فى كل يوم خمسمائة درهم ، ولم يبق أحد من الأمراء حتى عمل لهم ضيافة .

وفى يوم الجمعة سابع عشره صلى قاضى القضاة عز الدين [عبد العزيز] بن جماعة [بالسلطان] (١٣٤٧) الجمعة [على العادة] ، ثم اجتمع بالسلطان وعنده الأمير شيخو ، واستعفى من القضاء ، فإنه عزم على الحج والمجاورة ، واعتذر بكبر سنه . فلم يجب إلى ذلك ، فما زال يتلطّف و يترفّق حتى أجيب ، بشرط[5] أن يعين للقضاء من يختاره . فعين صهره وخليفته على الحكم قاضى العسكر تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى ، فولاه السلطان القضاء ، وأشهد عليه بذلك فى غيبته ؛ وانفضوا على ذلك . فامتنع المناوى من القبول ، فما زال به قاضى القضاة عزّ الدين حتى قَبِل ، فى يوم السبت ثامن عشره . وَوَلّى [المناوى] شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد الحلبى المعروف بالسمين وغيره ، فبادر

(١) النافجة هنا وعاء خاص من جلد ، يوضع فيها المسك ، ويقال إنها كلمة فارسية معربة ، وجمعها نوافج . (محيط المحيط) .

(٢) القرن هنا مكحلة لحفظ الزباد ، ولعله سمى بذلك لمشابهته قرن الحيوان ؛ والزباد نوع من الطيب يستعمل لمداواة الزكام . محيط المحيط ، وكذلك الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، نشر العرينى ، ص ٥٤ ، حاشية ٤ .

(٣) فى ف " وغيره " ، وما هنا من ب ، ١٤ .

(٤) فى ف " وقيل " ، وما هنا من ب ، ١٤ .

(٥) فى ف " بشرطان " ، وما هنا من ب ، ١٤ .

الناس السعى فى وظائفه ، وكانت جليلة ؛ وكتب [المناوى] لبهاء الدين أحمد بن تقى الدين ابن على بن السبكى بقضاء العسكر .

ولما أذّن عصر يوم السبت حتى اجتمع عند الأمير شيخو نحو ستين قصة رفعت إليه (٣٤٧ ب) بالسعى فى وظائف المناوى ، فقام قاضى القضاة جمال الدين عبد الله الحنفى ، وقاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلى ، فى عود ابن جماعة إلى القضاء ؛ ومازالا بالأمير شيخو حتى بعث بالأمير عز الدين أزدمر الخازندار إليه ، فتلطف به إلى أن أجاب إلى استقراره فى القضاء على عادته ، وأنه يتوجه إلى الحجاز ، ويستخلف على الحكم والأوقاف إلى أن يعود أو تدركه الوفاة . فاستُدْعى [ابن جماعة] فى يوم الاثنين خامس عشريه ، وجُدِّدت له ولاية ثانية ، وخُلع عليه ، ونزل فى موكب عظيم إلى داره .

وفى يوم السبت المذكور توجه [عز الدين[1] أيدمر] الشّنانى إلى الشام ، وقدم الأمير طقطاى[2] الدوادار من حلب ، وقد ألزم الأمير أرغون الكاملى نائب حلب حتى سار لحرب ابن دُلغادر ، وأتاه نواب القلاع حتى صار فى عشرة آلاف فارس ، سوى الرّجالة (٣٤٨ ا) والتركمان . ونزل [الأمير أرغون الكاملى] على الأبلستين ، فنهبها وهدمها ؛ وتوجه إلى قراجا بن دلغادر ، وقد امتنع بجبل عال ، فقاتلوه عشرين يوماً ، فقتل فيها وجرح عدد كثير من الفريقين . فلما طال الأمر نزل إليهم [قراجا بن دلغادر] ، وقاتلهم صَدراً من النهار قتالاً شديداً ، فاستحرّ القتل فى تركمانه ، وانهزم إلى جهة الروم ؛ فأُخذت أمواله ومواشيه . وصعد العسكر إلى الجبل ، فوجدوا فيه من الأغنام والأبقار مالا يكاد ينحصر ؛ فاحتَوَوْا عليها ، بحيث ضاقت أيديهم عنها ، وأبيع الرأس من البقر بعشرين إلى ثلاثين درهماً ، والرأس من الضأن بثلاثة دراهم ، والإكديش من أربعين إلى خمسين درهماً . وسُبيت نساؤه ونساء تركمانه [وأولاده[3] ، وبيعوا] بحلب وغيرها بالهوان ؛

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من (Wiet : Biogs. du Manhal el-Safi. p. 86) ؟ انظر كذلك ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٢٨ .

(٢) فى ف " يقطاى " ، وفى ب ، ٤ ب " تقطاى " ، وما هنا مما سبق.

(٣) ما بين الحاصرتين من ب ، ٤ ب .

فكانت خياو بناتهن تباع بخمسمائة درهم ؛ وظفروا بدفائن فيها مال كبير .

وفى هذا الشهر أعلن بعض النصارى الواردين من الطور بالقدح (٣٤٨ ب) فى الملة الإسلامية ، فأحضر إلى القاضى تاج الدين المناوى ؛ وسأله [المناوى] عن سبب قدومه ، فقال : " جئت أعرفكم أنكم لستم على شىء ، ولا دين إلا دين النصرانية ، وما قلت [هذا] إلا لكى أموت شهيداً " . فضربه [المناوى] بالمقارع ضرباً مبرحاً مدة أسبوع ، وهو يقول له " عجل على القتل حتى ألحق بالشهداء " ، فيقول له : " ما أعجل عليك غير العقوبة " ، ثم ضربت عنقه ، وأحرقت جثته .

و [فيه] قدم البريد من حلب بأن ابن دلغادر لما انهزم تبعه العسكر ، وأسروا ولديه ونحو الأربعين من أصحابه ؛ ونجا بخاصة نفسه إلى ابن أرتنا ، وقد سبق الكتاب إليه بإعمال الحيلة فى قبضه . فأكرمه [ابن أرتنا] وآواه ، ثم قبض عليه وحمله إلى حلب ، فدخلها وسجن بقلعتها فى ثانى عشرى شعبان . فكتب إلى [الأمير أرغون الكاملى] نائب حلب بحمله إلى مصر ، وأنعم عليه بخمسمائة ألف درهم ، منها ثلاثمائة ألف من مال دمشق ، وباقيه من مالى (٣٤٩ ب) حلب . وأعفى [الأمير أرغون] من تسيير القود الذى جرت عادة نواب[1] [حلب] بحمله إلى السلطان من الخيل والجمال البخاتى والهجن والعراب[2] ، ومن البغال والقماش والجوارى والمماليك ، وقيمته خمسمائة ألف درهم[3] . فعظم بذلك شأن الأمير أرغون [الكاملى] نائب حلب ، فإنه مع صغر سنه كان له أربعة مماليك أمراء ، وله ولد عمره ثلاث سنين أمير مائة مقدم ألف ، فلما مات [هذا الولد ؟] أضيفت تقدمته إلى إقطاع النيابة ؛ وكان لأربعة من أخوته القادمين من البلاد وأقاربه أربع إمرات .

وفى ثالث جمادى الآخرة سافر الأمير حسام الدين طرنطاى إلى البلاد الشامية ، بعدة خيول لنواب الشام .

---

(١) فى ف " النواب " ، والتعديل والإضافة بين الحاصرتين من ب ، ٤ ب .

(٢) العراب من الإبل والخيل هى الخالصة الخالية من التهجين ، والواحد منها عربى . (محيط المحيط) .

(٣) هنا إشارة إلى مبلغ ما يقدمه نائب من كبار النواب إلى السلطان سنويا ، مقابل نيابته ، أو بعبارة أخرى مقابل إقطاعه الذى يتمتع به أثناء نيابته .

وفى خامسه عزل الأمير بكتمر المؤمنى أمير آخور ، واستقر عوضه الأمير قندس .

وكان من خبر آل مهنا أنهم (٢٤٩ ب) قووا وفخم أمرهم ، حتى صار من أولاد مهنا ابن عيسى وأولادهم نحو مائة وعشرة ، ما منهم إلا ومن له إمرة و إقطاع . فبطروا ، وشنّوا الغارات على البلاد ، وقطعوا الطرقات على التجار حتى امتنعت السابلة ؛ وذلك بعد موت السلطان الملك الناصر محمد . فقبض على فياض وسجن ، واستقرت الإمرة لأخيه جبار ، فسكن الشر ، وسافرت القوافل . ثم خلص فيّاض من السجن ، بشفاعة الأمير مغلطاى أمير آخُور ، وركب من القاهرة ، ولحق بأهله ؛ فلما خلص بيبغا روس كُتب له بالإمرة ، فبعث أولاده بتقدمته . ثم قدم سيف بن فضل ، فولى الإمرة ، وعُزل فياض ، فلم يحرك ساكنا حتى توجه [الأمير أرغون الكاملى] نائب حلب لقتال ابن دلغادر ، فكثر طمعه وفساده . ثم ركب جبار وفياض ابنا مهنا إلى إقطاعاتهم التى (٢٥٠ ا) خرجت عنهم لسيف بن فضل و بريد بن تتر ، وقسموها ورفعوا مغلاتها[1] . فلم يُطق سيف معارضتهم ، لقوتهم وكثرة جمعهم ، فبعث يعرفهم أن هذه البلاد قد أقطعها له السلطان ، فردّا عليه جوابا جافيا . فكتب إليهما [الأمير أرغون الكاملى] نائب حلب يعتب عليهما ، فلم يذعنا له ، فكتب إلى السلطان والأمراء بذلك ، فكتب إليهما بالقدوم إلى الحضرة ، فاعتذرا عن الحضور . فتوجه الأمير قشتمر الحاجب لإحضار الجميع على البريد فى نصف شعبان ، فلم يوافقاه ، وأجابا بالاعتذار ، فعاد قشتمر وقدم عمر بن موسى بن مهنا بقوده ، وسعى فى الإمرة ؛ فأدركه سيف بن فضل بعد حضور الأمير قشتمر ، وسعى حتى استقرّ على إمرته شريكا لعمر بن موسى .

وفيه أيضاً كثر عبث العربان ببلاد الصعيد ، وقووا على المقطعين ، وقام من شيوخهم رجل (٢٥٠ ب) أحدب ، فجمع جمعاً كبيراً ، وتسمى بالأمير . فقدم الخبر فى شعبان بأنهم كبسوا ناحية ملوى ، وقتلوا بها نحو ثلاثمائة رجل ، ونهبوا المعاصر ، وأخذوا حواصلها وذبحوا أبقارها ، وأن عرب منفلوط والمراغة وغيرهم قد نافقوا ، وقطعوا بعض الجسور

(١) فى ف " بغلاتها " ، وما هنا من ب ، ١ ، ٥ .

بالأشمونين - فوقع الاتفاق على الركوب عليهم بعد تخضير الأراضى بالزراعة ، وكتب إلى الولاة بتجهيز الإقامات .

وفى يوم السبت سابع عشرى جمادى الآخرة عمل الأمير طاز وليمة عظيمة بداره التى عمرها برأس الصليبة عندما كملت ، حضرها السلطان وجميع الأمراء . فلما انقضى السماط قدّم الأمير طاز للسلطان أربعة أروش خيل مسرجة ملجمة بسروج ذهب وكنابيش ذهب مطرز ، ولكل من الأميرين شيخو وصرغتمش فرسين ، ولمن عداهما من (٢٠١ أ) الأمراء كل واحد فرساً ؛ ولم يعهد قبل ذلك أن أحداً من ملوك الترك بمصر نزل إلى بيت أمير .

وفيه ورد كتاب الأمير أيتمش نائب طرابلس ، ومعه محضر ثابت على قاضيها ، يتضمن أن امرأة من أهل طرابلس اسمها نفيسة جميلة الصورة تزوجت[1] بثلاثة أزواج ، ولم يقدر واحد منهم على بكارتها[2] ، من غير مانع منها ، وظنوا أنها رتقاء[3] ، وطلقوها واحداً بعد واحد . فلما بلغت خمس عشرة سنة غار[4] ثدياها ، واعتراها النوم ليلا ونهاراً ، وصار يخرج من فرجها شىء قليلا قليلا إلى أن تشكل منه ذكر صغير وانثيان . فكتمت أمرها إلى أن خطبها رجل رابع ، ولم يبق إلا العقد عليها ، أطلعت أمها على أمرها ؛ فاشتهر ذلك بطرابلس ، وأعلم به الأمير [أيتمش] النائب ، فكتب به محضراً وجهزه إلى السلطان .

وبرز المذكور بين الناس ، وتسمى عبد الله ، (٢٠١ ب) وسار إلى دمشق ، ووقف بين يدى نائبها أمير على ، فسأله عن حاله ، فأخبره بما ذُكر . فأخذه الحاجب كجكن عنده ، وأخبر أنه احتلم ثلاث مرات منذ صار ذكراً ، فى مدة ستة أشهر . ثم نبتت له لحية سوداء ، وصار من جملة الأجناد ، ولم تبق فيه من سمات النساء شىء سوى كلامه ، فإن فيه أنوثة .

---

(١) فى ف " متزوجة " ، وما هنا من ب ، ه ، م .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ه ب " ولا يقدروا على بكارتها " ، والتعديل يقتضيه السياق .

(٣) الرتقاء الأنثى التى يكون بها الرتق ، وهو حسبما جاء فى محيط المحيط ، أن يكون على فم فرج الأنثى ما يمنع الجماع ، من زيادة عضلية أو غشاء ، أو التحام قرحة ... " .

(٤) فى ف " علوا " ، وما هنا من ب ، ه ، م .

فكتب بإحضاره إلى مصر ، فكان هذا من عجائب صنع الله وقد ذكر شيخنا عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير فى تاريخه أنه اجتمع به[1] .

وفيه وقف السلطان الملك الصالح ناحية سردوس من القليوبية على كسوة الكعبة ، وكانت تعمل بدار الطراز ، فيؤخذ حريرها من التجار بغير ثمن يرضيهم . وأضيف إليها أراضى أُخَر مِمَّا تغلّ فى السنة مبلغ ستين ألف درهم ، واستقرّ نظرها لوكيل بيت المال ؛ (٢٠١٣٠ ا) فاستمر ذلك فيما بعد .

وفيه قدم الأمير طيبغا المجدى من دمشق ، فلزم بيته ، وبقى على إقطاعه الذى بدمشق .

وفى يوم الخميس خامس عشرى رمضان وصل مقدم التركمان قراجا بن دلغادر ، وهو مقيد فى زنجير ؛ فأقيم بين يدى السلطان ، وعدّدت ذنوبه . ثم أخرج إلى الحبس ، فلم يزل به إلى أن قدم البريد من حلب بأن جبار بن مهنا استدعى أولاد بن دلغادر فى طائفة كبيرة من التركمان ، لينجدوه على سيف . [وكان سيف[2] قد] التجأ إلى بنى كلاب ، فالتقى الجمعان على تعبئة ، فانكسر التركمان وقتل منهم نحو سبعمائة رجل ، وأخذ منهم ستمائة إكديش . فكتب السلطان من سرياقوس — وكان بها — إلى النائب قبلاى بقتل ابن دلغادر ، فأخرجه من السجن إلى تحت القلعة ووسّطه ، فى يوم الاثنين رابع عشر ذى القعدة (٢٠٢ ب) ، بعدما أقام مسجوناً ثمانية وأربعين يوما .

وفيه عزل ركن الدين عن مشيخة الشيوخ [بخانكاه] سرياقوس[3] ، وأعيد .

وأما العربان ، فإن الأمراء عقدوا مشورا بين يدى السلطان فى أمرهم ، فتقرر الحال على التجريد إليهم ، فرسم للأمير سيف الدين بزلار العمرى أن يتوجه إلى قوص بمضافيه ، وللأمير سيف الدين أزلان والأمير قطلوبغا الذهبى أن يتوجها بمضافيهما إلى الواح ، وتتمة

(١) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٢٤٦ ، حيث توجد تفصيلات أكثر قليلا مما هنا .

(٢) فى ف " فالتجا " ، والتعديل وما بين الحاصرتين من ب ، ١٦ ا .

(٣) فى ف " بسرياقوس " ، والتعديل وما بين الحاصرتين من ب ، ١٦ ا .

ثلاثة عشر مقدماً بمضافيهم من أمراء الطبلخاناه ، وأن يكون مقدمهم الأمير شيخو ؛ وجهزت الإقامات براً وبحراً . فأخذ العرب حذرهم ، فتفرّقوا واختفوا ؛ وقدمت طائفة منهم إلى مصر ، فأُخذوا ، وكانوا عشرة . فقُبض ما وجد معهم من المال ، وحمل لأمير جندار ، فإنهم كانوا فلاحيه[1] ، وأتلفوا .

فلما برز الحاج إلى بركة الحجاج (٣٠٣ ا) ركب الأمير شيخو ، وضرب حلقة على الركب ، ونادى من كان عنده بدوى وأخفاه حلّ دمه ، وفتش الخيام وغيرها ؛ فقُبض على جماعة ، فوسط بعضهم وأفرج عن بعض .

ثم لما عاد السلطان إلى الجيزة كُبِسَتْ تلك النواحى ، وحُذِّر الناس من إخفاء العربان ، فأخذ البَحْرى[2] والبرى ، وقُبضت خيول تلك النواحى وسيوف أهلها بأسرها . وعُرضت الرجال ، فمن كان معروفا أفرج عنه ، ومن لم يعرف أُقرّ فى الحديد ، وحمل إلى السجن . ورسم أن الفلاحين تبيع[3] خيولها بالسوق ، ويوردون أثمانها مما عليهم من الخراج . فبيعت عدة خيول ، وأورد [ت] أثمانها المقطعين ؛ والفرس الذى لم يعرف له صاحب حمل إلى إصطبل السلطان .

وكتب للأمير عز الدين أزدمر ، الكاشف بالوجه البحرى ، أن يركب ويكبس البلاد التى لأرباب الجاه ، والتى يأويها (٣٠٣ ب)[4] أهل الفساد . فقبض على جماعة كثيرة ووسطهم ، وساق منهم إلى القاهرة نحو ثلاثمائة وخمسين رجلا ، ومائة وعشرين فرسا ، وسلاحا

(١) هذا اللفظ هنا يوجب التفات الباحثين ، إذ يدل على أن المقصود بالعرب — أو العربان — فى مصر ، هم الفلاحون ، وأن ثوراتهم حدثت بسبب عوامل اقتصادية ، فضلا عن عنف النظام الإقطاعى المملوكى .

(٢) ليس من الواضح للناشر ما يعنيه المريزى هنا من هذا التمييز بين فئات أهل الجيزة ، ولعله يقصد بالبحرى فئات السكان القريبة أراضيهم الزراعية من النيل ، تمييزا لهم من الفئات الضاربة فى الرمال المجاورة ، أى أهل البر .

(٣) فى ف " تتبع " ، وما هنا من ب ، ٦ ب .

(٤) يقتصر اعتماد الناشر من هنا إلى ٣٠٥ ا ، على نسخة مخطوطة ب فقط ، وذلك لأن ٣٠٣ ب — ٣٠٤ ا ، ٣٠٤ ب — ٣٠٥ ا من نسخة ف مصورتان فوتوغرافيا على ورقة واحدة ، مما جعل القراءة مستحيلة تقريبا .

كثيراً. ثم أحضر [الأمير أزدمر] من البحيرة ستمائة وأربعين فرسا ، فلم يبق بالوجه البحرى فرس ؛ ورُسم لقضاة البر[1] وعدوله ركوب البغال والأكاديش .

ثم كبست البهنسا وبلاد الفيوم ، فركب الأميران طاز وصرغتمش بمن معهما إلى البلاد ، وقد فرّ أهلها ، واختفى بعضهم فى حفائر تحت الأرض . فقبضوا النساء والصبيان ، وعاقبوهم حتى دلوهم على الرجال ، فسفكوا دماء كثيرين ؛ وعوقب كثير من الناس بسبب من اختفى ، وأخذت عدة أسلحة .

واتفق بناحية النحريرية أنه شُهد على بعض نصاراها أن جده كان مسلما ، فحكم قاضيها بإسلامه ، وحبسه حتى يسلم . فاجتمع النصارى إلى الوالى ، وأخرجوا [الحبيس] ليلا ؛ فتصايحت العامة من الغض بالقاضى . فغضب الوالى من ذلك ، وطلب القاضى لينكر عليه ما فعله فقامت العامة مع القاضى ، وأغلقوا الحوانيت ، واجتمعوا ليرجموا الوالى . فجمع لهم الوالى أيضاً ليوقع بهم ، فحملوا عليه وهزموه حتى خرج من البلد ، وهدموا كنيسة كانت بها حتى لم يبق بها جدار قائم ، وأحرقوا ما بها من الصلبان والتماثيل ، وعمروها مسجدا . ونبشوا قبور النصارى ، وأحرقوا رممهم ، وهمّوا يأخذون النصارى ، فهربوا منهم ؛ وكان يوما مهولا . فكتب الوالى إلى الأمراء والوزير بالشكاية من القاضى ، وأنه ضيّع مال السلطان ، وهو خمسمائة ألف درهم ، بتعرضه للنصرانى حتى ثارت بسببه الفتنة وكتب النصارى أيضاً إلى الحسام أستادار العلائى — وقد ترقى حتى صار أمير طبلخاناه — ، فقام مع النصارى ، وحدّث الأمير شيخو ، (٣٠٤ ب) وشنع على القاضى ، وسعى فى إلزامه بإعادة الكنيسة من ماله . فطُلب القاضى والوالى فحضرا ، وعُقد مجلس حضره القضاة الأربعة بجامع القلعة ، ومعهم الوزير وغيره من أهل الدولة ؛ فانتصب الحسام لخصمة قاضى النحريرية ، [وما زالوا] حتى انفضوا على غير رضى .

(١) لم يستطع الناشر أن يجد تعريفا خاصا لهذه الطائفة من القضاة ، بالمراجع المتداولة فى هذه الحواشى .

فأغرى الأمير شيخو بقيام القضاة مع قاضى النحريرية ، وهوّل الأمر ؛ فانعقد[1] المجلس بين يديه ، وقد امتلأ غضباً على القاضى . فعند ما استقر المجلس أغلظ [شيخو] على القاضى ، وأخذ الحسام ينهره ويخزّيه بالقول ؛ وساعَده على هذا الأمير عز الدين إزدمر كاشف الوجه البحرى حتى يتبين الغرض . فامتعض لذلك الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود بن أحمد شيخ الجامع الشيخونى يومئذ ، وله اختصاص زائد بالأمير شيخو ، وأخذ يتكلم معه بالتركية فى إنكار ما قام فيه الحسام من إعادة (١٣٠٠) الكنيسة ، وتعصبه على القاضى للنصارى ، وخوف الأمير عاقبة ذلك . فشاركه الحسام فى الكلام مع الأمير ، ونجرى على عادته فى إعادة الكنيسة ، فصدعه الأكمل بالإنكار ، وزجره ومنعه من الكلام فى هذا ، وقال له ؛ " ما يحل السلام عليك ، فإنك قد خرجت من الإسلام بتعصبك للنصارى " . وما زال [الشيخ أكمل الدين يلحّ فى الكلام] حتى رسم الأمير شيخو بالكشف عن الواقعة ، لينظر من تعدى من الرجلين — القاضى أو الوالى ، ووكل بهما من يحفظهما حتى يحضر الكشف[2] عن أمرهما . فلما حضر الكشف من والى المحلة ، وكان قد حَسَّن أمرهما بأن ذكر أن كلا منهما أساء التدبير ، رُسم بعزل الوالى والقاضى .

و [فيه] رسم بتجريد أجناد الحلقة إلى بلاد الصعيد ، فعرض النائب [قبلاى] مقدمى الحلقة وعين منهم تسعين مقدما ، اختار منهم خمسة (٣٠٠ ب) وعشرين مقدما ، مع كل مقدم عشرون من أجناد الحلقة ، لتكون عدة الجملة خمسمائة فارس ؛ فبينما هم فى تجهيز أمرهم إذ ورد كتاب الأمير شيخو بأنه لا يحتاج إلى ذلك ، فبطلت تجريدتهم .

وفيها كثرت المناسر بظاهر القاهرة فى مدة غيبة السلطان ، وكبسوا عدة دور ، وركبوا الخيل ، وضاقت[3] بهم الرجالة ؛ فعظم الضرر بهم . وتتبع الوالى آثارهم حتى [ظهر][4]

---

(١) فى ب ، ١٧ ، " فاعتاد " ، والتعديل يرجحه السياق . انظر ص ٨٩٩ ، حاشية ٤ .

(٢) الكشف هنا تحقيق فى مسألة معينة ، وهو كذلك التقرير الخاص بالتحقيق . (Dozy : Supp. Dict. Ar).

(٣) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٧ " طاقت " ، والترجيح المثبت بالمتن يقتضيه السياق .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى ب ، ١٧ .

أنهم فى ناحية بلبيس ، فكبس عليهم ، وقبض منهم جماعة اعترفوا بعد عقوبتهم على بقية أصحابهم ؛ فتتبعهم الولاة بالنواحى حتى أخذوهم . ورُتِّب فى أثناء ذلك أربعة أمراء ، وأضيف إليهم عدة من أجناد الحلقة ، للطواف[1] بالليل خارج القاهرة . وركب الوالى بجماعته طول الليل فى القاهرة ؛ وسُمِّر عدد كثير من أهل الفساد بالقاهرة ، وَوُسِّط خلق فى النواحى . وكُتب إلى جميع أعمال الوجه (٣٠٦ ا) البحرى بألا يدعوا عندهم مفسداً ، ولا أحداً ممن يتجمّع إليهم من بلاد الصعيد والفيوم ، ومن آواهم حلّ دمه . وحُذِّر أيضاً من اقتناء الخيل بجميع الأعمال ، وألزموا بإحضارها . فاشتدّ طلب الولاة لذلك ، وقُبض على جمع كبير ، وأُخذت خيول وأسلحة كثيرة .

وفيها استسقى أهل دمشق ، لتأخر نزول المطر بعامة بلاد الشام ، حتى بلغت الغرارة [من القمح] إلى مائة وعشرين درهما ، بعد ما كانت بثمانين درهما . فأغيثوا من ليلتهم ، وأُمطروا كثيرا مدة أسبوع ؛ فنزل سعر القمح فى يومه عشرين درهما الغرارة .

وفيها كثرت تزويرات المساطير[2] وغيرها ، فقام فى ذلك قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى ، وتحدث مع الأمير شيخو فيه حتى رُسِم له بالفحص عن ذلك ، ومقابلة من يفعله بما يستحقه . فكبس [قاضى القضاة] عدة بيوت ، وأخرج منها تزاوير كثيرة ، وقبض على (٣٠٦ ب) جماعة وعاقبهم وسجنهم ، ولم يقبل فيهم شفاعة أحد من الأمراء . واشتدّ الطلب على ابن أبى الحوافر ، فإنه كان عجبا فى محاكاة الخطوط ؛ وكبست داره[3] ، فوجد فيها من تزويره كتب كثيرة ، ولم يقدر عليه لاختفائه .

---

(١) فى ف " الطواف " ، وما هنا من ب ، ٧ ا .

(٢) المساطير جمع مسطور ، وهو حسبما ورد فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ما يكتبه مدين على نفسه لدائن مثلا بمبلغ ما عليه من دين ، وبميعاد الوفاء المتفق عليه . غير أن هذا التعريف لا يساعد على توضيح عبارة المتن ، بل يبدو أن المساطير المقصودة هنا هى بعض وثائق الإقطاعات التى كثر تداولها عن طريق النزولات والمقايضات فى ذلك العصر (انظر ما سبق هنا ، ص ٨٩٠) ، كما كثر تزويرها استنتاجاً من عبارة المتن .

(٣) فى ف " دوره " . وما هنا من ب ، ٧ ب

وفيها قدم نفيس الدّوّادارى الداودى اليهودى التبريزى ، لمعالجة الأمير قبلاى النائب من ضربان المفاصل ، ومعه ولدَاهُ ، وهو فى خنزوانة(١) وتعاظم . فادعى دعوى عريضة ، وأراد أن يركب بغلة ، فلم يمكن من ذلك .

وفيها ولدت امرأة طفلين ملتصقين ، لكل منهما ثلاثة أيدى وثلاثة أرجل ، وليس لهما قُبُل ولا دُبُر .

وفيها انحطت الأسعار بأرض مصر ، حتى بيع الأردب من القمح من عشرة دراهم إلى خمسة عشر درهما .

وفيها فشت الأمراض فى الناس بالإسكندرية والوجه البحرى (٣٠٧ ا) كله والقاهرة مدة شهرين ، [و] بلغ عدة الموتى فى كل يوم ما بين الخمسين إلى الستين .

وفيها وُلد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون .

وفيها توجه ركب الحجاج صحبة الأمير ركن الدين عمر شاه الحاجب ؛ وحجّ من الأمراء الأمير سيف الدين كشلى ؛ والأمير سيف الدين بزلار ، والأمير سيف الدين طقطاى(٢) ، والأمير شهاب الدين أحمد بن آل ملك ، والأمير ناصر الدين محمد بن بكتمر الساقى ، والأمير ركن الدين عمر بن طقزدمر ؛ وحجّ الخليفة المعتضد بالله أبو بكر ، وحجّ قاضى القضاة عز الدين [عبد العزيز] بن جماعة ، والشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل . وأسرّ السلطانُ والأمراء مدبر [و] الدولة إلى أمير الحاج ومن صحبته من الأمراء أن يقبضوا على الشريف ثقبة ، ويقرّروا الشريف (٣٠٧ ب) عجلان بمفرده على إمارة مكة . فلما قدم الحاج بَطْن مرّ ، ومضى عجلان إلى لقائهم شكا إلى الأمراء من أخيه ثقبة ، وذكر ما فعله معه ، وبكى . فطمّنوا قلبه ، وساروا به معهم حتى لقيهم ثقبة فى قواده وعبيده ، فألبسوه خلعة على العادة ، ومضوا حافين به نحو مكة ، وهم يحادثونه فى الصلح مع أخيه عجلان ، ويحسّنون له ذلك ، وهو يأبى موافقتهم حتى أيسوا منه . فلمّا

(١) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧ .

(٢) فى ف " تقطاى " ، انظر ما سبق .

الأمير كشلى يده إلى سيفه فقبض عليه ، وأشار إلى من معه فألقوه عن فرسه ، وأخذوه ومعه ابن لمطيفة ، وآخر من بنى حسن ، وكبلوهم بالحديد ؛ ففر القواد والعبيد . وأحضر عجلان ، وألبس التشريف ؛ وعبروا به إلى مكة ، فلم يختلف عليهم اثنان . وسُلم ثقبة للأمير أحمد بن آل ملك ؛ فسر الناس بذلك . وكثر جلب الغلال وغيرها ، فانحل السعر (٢٠٨ ا) عشرين درهما الأردب . وقُبض على إمام الزيدية أبى القاسم محمد بن أحمد اليمنى ، وكان يصلى فى الحرم بطائفته ، ويتجاهر ، ونصب له منبراً فى الحرم يخطب عليه يوم العيد وغيره بمذهبه . فضُرب بالمقارع ضربا مبرحا ليرجع عن مذهبه ، فلم يرجع وسجن ؛ ففر إلى وادي نخلة ؛ فلما انقضى موسم الحاج حمل الشريف ثقبة مقيداً إلى مصر .

وبلغ النيل فى زيادته إلى ستة عشر أصبعاً من تسعة عشر ذراعا ، بعد ما توقف فى ابتداء الزيادة . وكان الوفاء يوم الأحد تاسع رجب ، وهو ثامن عشر مسرى ؛ وفتح الخليج على العادة .

ومات فيها أمين الدين إبراهيم بن يوسف المعروف بكاتب طشتمر ؛ وولى نظر الجيش فى أيام الصالح إسماعيل ، ثم عزل وتوجه إلى القدس حتى أقدمه الأمير شيخو ، وعمله ناظر ديوانه ، فمات قتيلا بحلب فى رابع عشر المحرم .

و[مات] الأمير بكلمش نائب طرابلس ، فى أول المحرم . وأصله من مماليك صاحب ماردين ، بعثه إلى السلطان الملك الناصر محمد [بن قلاون] ، فترقى فى خدمته ، وأنعم عليه إلى أن ولى نيابة طرابلس فى الأيام المظفرية ؛ وكان من أمره ما ذكر .

و [مات] الأمير أحمد بن الساقى نائب حماه ، فى أول المحرم . وأصله من الأويرانية[1] ، بعثه نائب البيرة فى الأيام الناصرية ، فأعطاه السلطان [للأمير] بكتمر الساقى ؛ ثم أنعم عليه [السلطان] بعد موت بكتمر بإمرة عشرة ، ولقبه بأحمد الساقى ؛ ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، وعمله شاد الشراب خاناه . وتنقل بعد موت السلطان ،

(١) فى ف " الاويراثيد " ، وما هنا من ب ، ٨ ب . انظر فهرس أسماء الرجال ... والقبائل فى آخر الجزء الأول من كتاب السلوك ، ص ١٠٧٠ .

فعمل أمير شكار فى الأيام المظفرية ، ثم أخرج لنيابة صفد ، ثم ولى نيابة حماة ، حتى كان من أمره ما كان ؛ وكان شجاعاً أهوج جهولا مقداما .

و[مات] الأمير بيبغا روس القاسمى ، أحد المماليك (٣٠٩ ا) الناصرية . توفى السلطان [الناصر محمد بن قلاون] وهو من خاصكيته ، فترقى حتى صار فى الأيام الصالحية إسماعيل أمير طبلخاناه ، وتمكن منه حتى كان الصالح لا يفارقه ساعة واحدة . ثم أنعم عليه فى الأيام الكاملية شعبان بتقدمة ألف ، ثم كان من قبضه على المظفر حاجى ما كان . ثم ولى فى الأيام الناصرية حَسَن نيابة السلطنة ، فَشُكِرَت سيرته فيها ؛ ثم قُبِضَ عليه بطريق الحجاز وسجن ، ثم أفرج عنه . وولى نيابة حلب ، وكان من عصيانه ما كان حتى لحق بقراجا بن دلغادر ، فأخذه وبعث به إلى حلب ، فقتل بها .

و[مات] الأمير ألجيبغا العادلى ، فى سابع ربيع الأخر بدمشق ؛ وكان فارسا جوادًا .

و[مات] الأمير شعبان قريب يلبغا اليحياوى . وكان من جملة خواص ألماس الحاجب ، فسجن عند مسكه مدة ، ثم نفى إلى صفد . وأنعم عليه بعد (٣٠٩ ب) مدة بإمرة ، وتوجه إلى حلب فى نيابة يلبغا اليحياوى . ثم سجن بعد موت(1) [يلبغا اليحياوى] مدة ، ثم أفرج عنه ، وأنعم عليه بإمرة ، وقدم مصر ؛ ثم توجه إلى دمشق ، فمات بها .

ومات الأمير بيغرا المنصورى أحد أمراء الألوف بديار مصر ، وهو بطال بحلب ؛ وكان خيراً ، ولى الحجوبية بمصر ، فشكرت سيرته لجودة عقله .

و[مات] الأمير بدر الدين مسعود بن أوحد بن مسعود بن الخطير الرومى ، فى سابع شوال ؛ ومولده ليلة السبت سابع جمادى الأولى ، سنة ثلاث وثمانين وستمائة بدمشق ، ترقى فى خدمة الأمير تنكز نائب الشام ، وولى حاجبا بالقاهرة ، ثم ولى نيابة غزة وطرابلس غير مرة ؛ وكان مشكورا .

و[مات] الشريف أمير ينبع عيسى بن حسن الهجان ، فى رابع ربيع الأخر .

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب " موته " ، وحذف الضمير وإثبات الزائد للتوضيح .

و [مات] قراجا بن دلغادر ، (٣٦٠ ا) فى رابع عشر ذى القعدة .

و [مات] الشيخ إبراهيم بن الصائغ ، فى رابع عشرى رجب .

و [مات] عمر بن مسافر الخواجا ركن الدين ، أستاذ الأمير شيخو وغيره من المماليك العمرية ، فى عشرى ربيع الآخر .

و [مات] الوزير علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم بن زنبور بقوص ، فى يوم الأحد رابع عشر ذى القعدة .

و [مات] أسعد حربه ، مستوفى الصحبة ، [وهو] أحد مسالمة الكتاب ، فى عشرى ذى القعدة .

و [مات] شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن محمد بن الشهاب محمود بن سليمان الحلبى ، أحد موقعى الدست ، بدمشق .

و [مات] شرف الدين عبد الوهاب الشهاب أحمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى ، أحد موقعى الدست ، بدمشق .

و [مات] شرف الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح ، كاتب سرّ حلب بها .

و [مات] صدر الدين محمد بن الشرف محمد بن إبراهيم بن أبى (٣٣٦ ب) القاسم الميدومى أبو الفتح الشيخ المُسْنِد المُعَمّر ؛ حَدّث عن النجيب وغيره . ومولده سنة أربع وستين وستمائة ، حدثنا[1] عنه شيخنا سراج الدين عمر بن الملقّن .

وتوفى إمام الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن على بن محمد بن الحسن ابن عبد الله بن أحمد بن ميمون إمام الدين بن زين الدين بن المحدث أمين الدين أبى المعالى ابن الإمام القدوة قطب الدين أبى بكر بن الفقيه الزاهد أبى العباس القيسى القسطلانى ، بالقاهرة فى المحرم ؛ ومولده بمكة سنة إحدى وسبعين وستمائة .

و [مات] جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الإمام شمس الدين أبى محمد أبى عبد الله

(١) ليست هذه أول مرة يستخدم المقريزى فيها ضمير المتكلم فى هذا الكتاب ، للإشارة الى أجداده ومشايخه (انظر ما سبق ص ١٤٠ ، ٢٩٠ ، ٣٦٠ ، ٤٢٦ ، ٨٩٨) ، وهذه الإشارات تضيف إلى ما هو معروف عن حياته ، فى المراجع المطبوعة

ابن العقيف محمد بن يوسف بن عبد المنعم بن سلطان المقدسى النابلسى ، ثم الدمشقى الحنبلى ، فى رجب . ومولده بنابلس ، فى سنة إحدى وتسعين وستمائة ؛ حدث عن جماعة .

و[مات] الفقيه (٣٦١ ا) المحدث تقى الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم الطائى .

و[مات] القيراطى المصرى ثم الدمشقى الشافعى ، فى شوال . حدّث بالقاهرة ودمشق ، ودرس بهما .

وقتل حسن بن هند ، و[هو] الحاكم بمدينة سنجار ، وبالموصل ؛ قتله صاحب ماردين ، وكانت عساكر الشام حاصرته ، ثم عادت عنه .

* * *

سنة خمس وخمسين وسبعمائة . شهر الله المحرم أوله يوم [الأحد[١]] .

وفى ثامن عشره قدم الحاج ، ولم يتفق بمثل هذا فيما سلف ، وهلك جماعة من المشاة ؛ وقدم الشريف ثقبة مقيداً ، فسجن .

وفى ثامن عشريه قدم الأمير شيخو ، بمن معه من بلاد الصعيد . وكان من[٢] خبره أن العربان بالوجه القبلى خرجوا عن الطاعة ، وسفك بعضهم دماء بعض ، وقطعوا الطرقات ، وأخذوا أموال الناس ، وكسروا مغلّ الأمراء والأجناد . وقتلوا (٣٦١ ب) الكاشف طغاى ، وكسروا مجد الدين موسى الهذبانى[٣] ، وأخذوا خامه وقماشه ، وقتلوا بعض أجناده . وقام فى البهنساوية ابن سودى ، وحشد على بنى عمه ، وقتل منهم نحو الألفى رجل ، وأغار على البلاد ، وأكثر من القتل والنهب . ونافق أيضاً ميسرة بالإطفيحية ،

---

(١) بياض فى ف ، وأضيف مابين الحاصرتين بعد مراجعة (Wustenfeld-Mahler : Tabellen).

(٢) سبق ورود هذا الخبر وغيره من الأخبار فى مواضعها وسنواتها ، غير أن المقريزى رأى أن يجمع هنا أخبار حركات العربان كلها ، منذ أيام السلطان الناصر محمد إلى هذه السنة ، ليجعل منها موضوعا واحدا . انظر ما يلى .

واقتتل مع ابن مُغنى قتالا كبيرا فاستمر هذا البلاء بالصعيد سنة كاملة ، هلك فيهامن العربان خلائق كثيرة ؛ فما زال السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون يسوس الأمر حتى سكنت تلك الفتن ، وتتبع أهل الفساد ، وحرث ديارهم بالأبقار ، وأفناهم بالقتل . ثم ثاروا بعد ذلك ، وركبوا على بيبغا الشمسى الكاشف ، وحاربوه ، وتجمعوا على الفساد ؛ [ثم تبع[1] ذلك قيام] الأحدب ، واسمه محمد بن واصل ، ولم يكن أحدب ولكن أقعس[2] ، فشُهر لذلك بالأحدب ؛ وقام [الأحدب هذا] فى عرب عرك (٣٦٢ ا) بناحية [[3]] ، وقاتل بنى هلال .

فلما تغافل أهل الدولة بعد موت السلطان [الناصر محمد بن قلاون] عن أهل النواحى ، قلت مهابة الكشاف والولاة عندهم ، فخرجوا عن الحد ، وقطعوا الطرقات برّاً وبحراً حتى تعذر سلوكها . ومالوا على المعاصر والسواقى ، فنهبوا حواصلها من القنود والسكر والأعسال ، وذبحوا الأبقار .

وادعى الأحدب السلطنة ، وجلس فى جتر أخذه من قماش المذبانى ، وجعل خلفه السند ، وأجلس العرب حوله ، ومدّ السماط بين يديه ؛ فنفذ أمره فى الفلاحين . وصار الجندى إذا انكسر له خراج قصده ، وسأله فى خلاصه من فلاحه ، فيكتب له ورقة لفلاحه،وأهل بلده ، فيصل بها إلى حقه ؛ ويرسل مع مماليك الكاشف والوالى بالسلام عليه ، ويأمره أن يقول : " إن كانت لك حاجة قضيتها لك " . وحدّثته نفسه بتملك (٣٦٢ ب) الصعيد ، وقويت نفسه بتأخر ولاة[4] الأمور عنه ؛ وأقام له حاجبا وكاتبا .

فلما عظم أمره عقد الأمراء المشور بين يدى السلطان الملك الصالح ، فى مستهل شوال سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، فى أمر عرب الصعيد . وقرروا تجريد العسكر لهم ، صحبة

---

(١) موضع ما بين الحاصرتين لفظ " فتبع " ، والتعديل بالإضافة للتوضيح .

(٢) فى ف " اقنس " ، وفى ب " اقعس " وما هنا هو المقصود فيما يبدو ، فمن محيط المحيط أن الأقعس هو كل ما مال وانحنى .

(٣) موضع ما بين الحاصرتين بياض فى ف ، وكذلك فى ب ، ٩ ب

(٤) فى ف " الولاة " ، وما هنا من ب ، ١٠ ا

الأمير سيف الدين شيخو العمرى رأس نوبة ، ومعه اثنى عشر مقدما بمضافيهم من أمراء الطبلخاناه والعشرات ، وهم أسندمر العمرى ، وطشتمر القاسمى ، وقطلوبغا الطرخانى ، أرلان ، و بزلار أمير سلاح ، وكلتا [ى] أخو طاز ، وأمير على بن أرغون النائب ، وتنكزبغا ، وجركتمر ، ويلجك قريب قوصون ، وقطلوبغا الذهبى ؛ وأن يتوجه كلتا [ى] وابن [أرغون] النائب نحو الشرق بالإطفيحية ، ويتوجه يلجك إلى الفيوم ، و بزلار وأرلان نحو الواح ، و يتوجه الأمير شيخو ببقية الأمراء إلى جهة قوص ، و يتأخر (١٣٦٣) فى صحبة السلطان عند سفره الأمير طاز ، والأمير صرغتمش ، والأمير لجا أمير شكار . فيتوجه السلطان نحو البهنسا كأنه يتصيّد ، وأن يكون السفر فى ذى القعدة ، فيتوجه الأمراء أولا ، ثم يركب السلطان بعدهم .

فطار الخبر إلى عامة بلاد الوجه القبلى ، فأخذ العربان حذرهم ، فنهم من عزم على الدخول بأهله إلى بلاد النوبة ، ومنهم من اختفى فى موضع أعده ليأمن فيه على نفسه ، ومنهم من عزم على الحج وقدم إلى مصر ، ففطن بهم أعداؤهم ، ودلوّا عليهم الأمراء . فقُبض على جماعة ممن قدم مصر نحو العشرة ، وأخذ ما معهم . ثم ركب الأمير شيخو إلى بركة الحاج فى عدة وافرة ، وأحاط بالركب ، وتتبع الخيام وغيرها بعد ما حذّر من أخفى العرب ؛ فقُبض على جماعة منهم ، وقُتل من عرف منهم بفساد ، وأطلق من شكر حاله .

ثم توجه (٣٦٣ ب) الأمراء فى ذى القعدة ، وعدّى السلطان بمن معه من بقية الأمراء إلى برّ الجيزة ، فكبست بلاد الجيزة ، بعد ما كتب لمتوليها ومشايخها وأرباب أدراكها أنهم لا يخفون أحداً من العرب ، ولا من أولادهم ونسائهم ؛ فأخذ الصالح والطالح ؛ وقبض[1] [الأمراء] على الخيول والسيوف ، حتى لم يبق [ببلاد[2] الجيزة] فرس ولا سيف ؛ وأحضروا [أصحابها] إلى الوطاق[3] . واستُدعى الوالى ومشايخ العربان ، وعُرض

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٩ ب ، " قبضوا " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

(٢) موضع ما بين الحاصرتين فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٩ ب ، لفظ " بها " ، والتعديل بحذف الضمير وإثبات العائد بالإضافة بين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، حاشية ٦ .

من قبض عليه ، فمن عرفوه أنه من أهل البلاد أفرج عنه ، ومن لم يعرفوه قُيِّد وحُمل إلى القاهرة فسجن بها ؛ وعُرضت الخيول ، فمن عُرف فرسه من الفلاحين رُسم له ببيعها فى سوق الخيل تحت القلعة ، وحمل ثمنها إلى الديوان مما عليه من الخراج . ورُسم بمثل ذلك فيما يحضر من خيول فلاحى بقية النواحى ، [أى] أن الفلاح يبيعها ويورد ثمنها (٣٦٤ ا) فيما عليه من الخراج ، إما للأمير أو للجندى . فامتثل ذلك وعمل به ، وسيقت[1] خيول المفسدين ، ومن لم يعرفه له صاحب حُمل إلى إصطبل السلطان .

ونُدب الأمير عز الدين أزدمر كاشف الوجه البحرى للسفر إلى عمله ، فكبس البلاد المتجوّهة ، والتى تُعرف بأنها مأوى المفسدين فى عامة الشرقية والوجه البحرى بأجمعه . وأحسن [أزدمر] التدبير فى ذلك ، فإنه كتب لجميع الولاة أن يلاقوه فى البر[2] والبحر ، وواعدهم يوماً عيّنه . وكان الوالى بالغربية فى برّه[3] ، والكاشف والولاة وأرباب الأدراك مقابله ، ومنعوا الناس كلهم من ركوب النيل ؛ فأخذ [الوالى] عربا كثيرا ، وكبس بلادا عديدة ، وأخذ منها المفسدين ، فوسّط وسمّر جماعات منهم ؛ وسير إلى القاهرة مائة وخمسين رجلا فى الحديد ، ومائة وعشرين فرساً ، (٣٦٤ ب) وسلاحاً كثيراً .

وأرسل متولى البحيرة من خيل عربها ستمائة وأربعين فرساً ، فلم يتأخر فى الوجه البحرى فرس واحد من خيول العربان . ورسم لقضاة البر[4] وعدوله بركوب البغال والأكاديش .

وتوجه السلطان بعد رحيل الأمراء من الجيزة إلى البهنسا ، فتولى الكبسات الأمير طاز والأمير صرغتمش ، وتتبعوا الرجال ، وعاقبوا النساء والصبيان حتى دلّوهم على أماكنهم ، فأخرجوهم من المطامير[5] ، وسفكوا دماء كثيرة . وقبضوا على عدة رجال ، فأودعوهم الحديد ، وحازوا من الخيل والسلاح شيئاً كثيراً .

فحشد الأحدب بن واصل شيخ عرك جموعه ، وصمم على لقاء الأمراء ، وحلّف أصحابه

---

(١) فى ف " ولشتت " ، وما هنا من ب ، ١٠ ب .

(٢،٣) انظر ما سبق هنا ، ص ٨٩٩ ، حاشية ٢ .

(٤) انظر ما سبق ، ص ٩٠٠ ، حاشية ١ .

(٥) المطامير جمع مطمور ، وهو هنا المكان الصالح للاختباء . انظر محيط المحيط ، وكذلك (Dozy : Supp. Dict. Ar.)

على ذلك . وقد اجتمع معه عرب منفلوط ، وعرب المراغة و بنى كلب وجهينة وعرك ، حتى تجاوزت فرسانه عشرة آلاف فارس تحمل السلاح ، (٣٦٠ أ) سوى الرجالة المعدة ، فإنها لا تعد ولا تحصى لكثرتها . وجمع [الأحدب] مواشى أصحابه كلهم وأموالهم وغلالهم وحريمهم وأولادهم ، وأقام ينتظر قدوم العسكر .

فقدم الأمير شيخو بمن معه حتى نزل سيوط ، ومعه الولاة والكشاف ، فتلقاه أهلها وعرّفوه أمور العرب ، وما هم عليه من العزم على اللقاء والمحاربة ، وكثرة جمعهم . فاستراب [الأمير شيخو] ، وقدمت عليه عرب الطاعة ، وهوّلوا عليه بكثرة جمع المارقين حتى داخله الوهم ، وبعث يستدعى بالعسكر من القاهرة . فعرض الأمير سيف الدين قبلاى نائب السلطنة مقدمى الحلقة ومضافيهم ، وعين منهم تسعين مقدما ، وأضاف إلى كل مقدم جماعة . وعرضت أوراق بأسمائهم على السلطان والأمراء ، فاختاروا منهم خمسة وعشرين مقدماً ، مع كل مقدم من مضافيه عشرون (٣٦٠ ب) جندياً ، فتكون عدتهم خمسمائة فارس ؛ ورسم بتجهيزهم . وأعيد جواب الأمير شيخو بذلك ، فردّ جوابه بأن فى حضور نجدة من القاهرة ما يوجب طمع العربان فى العسكر ، وظنهم أن ذلك من عجزهم عن اللقاء ؛ وأشار بإبطال تجريد النجدة ، فبطلت .

ثم رحل الأمير شيخو عن سيوط ، وبعث الأمير مجد الدين الهذبانى ليؤمّن بنى هلال أعداء عرك ، ويحضرهم ليقاتلوا عرك أعداءهم . فانخدعوا بذلك ، وفرحوا به ، وركبوا بأسلحتهم ، وقدموا فى أربعمائة فارس ، فما هو إلا أن وصلوا إلى الأمير شيخو أمر بأسلحتهم وخيولهم فأخذت بأسرها ، ووضع فيهم السيف ، فأفناهم جميعاً . وركب [الأمير شيخو] من فوره ، وصعد عقبة أدفو فى يوم وليلة ، فلما نزل إلى الوُطاة[1] قدم عليه نجابة من أمراء أسوان بأن العرب قد نزلوا فى برية بوادى الغزلان ، (٣٦٦ أ) فألبس العسكر آلة الحرب .

---

(١) الوطاة الأرض السهلة المنخفضة (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ؛ انظر كذلك المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٣٢ ، ١٠٣٣ ، حيث ورد هذا اللفظ بغير تعريف .

وقدم الأمير سودون أحد أمراء الطبلخاناه فى مائة من مماليك الأمراء طليعة ، وساروا . فلما كان قبيل العصر التقت الطليعة [بفئة] من طلائع العرب ، فبعث سودون يخبر الأمير شيخو بذلك ، وقاتلهم فانهزموا ، ثم عادوا للحرب مراراً حتى كلّت خيول الترك ، ولم يبق إلا أن تأخذهم العرب . فأدركهم الأمير شيخو ، وقد ساق لما أتاه الخبر سوقاً عظيما بمن معه ، وامتلأ الجو من غبارهم . وهبت ريح ، فحملت الغبار وألقته فى وجوه العرب حتى صار أحدهم لا يرى رفيقه ، مع رؤيتهم بريق الأسنة ولمعان السيوف . فخارت قوام ، وانهزموا بأجمعهم ، بعد ما استعدوا للقاء استعداداً محكما . فقدموا الرجالة بالدَّرَق أمام الفرسان ، لتلقى عنهم السهام ، وقامت الفرسان من ورائهم بأسلحتها ؛ وأوقفوا (٣٦٦ ب) حريمهم من ورائهم . وصار الرجل منهم يصدم ابنه وأخاه وهو لا يلوى على شىء . فركب الترك أقفيتهم ، من وقت الغروب عند الهزيمة ، يقتلون ويأسرون حتى أعتم[1] الليل ، وباتوا[2] متحارسين ؛ فلم يعد أحد من العرب إليهم . وعند ارتفاع النهار جرد الأمير شيخو طائفة فى طلبهم ، فأحاطوا بمال كثير ، ما بين مواشى وقماش ، وحلى ونقود ، وعروض وأقوات ، وأزواد ورَوَايا ماء . وسبوا حريمهم وأولادهم ، فاسترقوا كثيراً منهم ، وصار إلى الأجناد والغلمان منهم شىء كبير ، باعوا منه عدداً كثيراً بالقاهرة ، بعد عودهم .

وهلك من العرب خلائق بالعطش ، ما بين فرسان ورجالة وجدهم المجردون فى طلبهم ، فسلبوهم . وصعد كثير منهم إلى الجبال ، واختفوا فى المغائر ؛ فقتل العسكر وأسرَ وسبا (٣٦٧ ا) عدداً كثيراً ، وارتقوا[3] إلى الجبال فى طلبهم ، وأضرموا النيران فى أبواب المغائر ، فمات بها خلق كثير من الدخان . وخرج إليهم جماعة ، فكان فيهم من يلقى نفسه من أعلى الجبل ولا يسلم نفسه ، ويرى الهلاك أسهل من أخذ العدو له . فهلك فى الجبال أمم كثيرة ، وقتل منهم بالسيف ما لا يحصى كثرة ، حتى عملت عدة حفائر وملئت من

(١) ف " اعم " ، وما هنا من ب ، ١١ ب .

(٢) فى ف " ويأتوا " ، وما هنا من ب ، ٦١ ب .

(٣) فى ف " وانقوا " ، وما هنا من ب ، ١١ ب .

رممهم ، وبنى فوقها مصاطب ضربت الأمراء رنوكها[1] عليها ؛ وأنتنت البرية من جيف القتلى ورمم الخيل .

ثم فرق الأمير شيخو الأمراء فى البلاد لكبسها ، فطرقوا عامة النواحى ، وقبضوا على جماعة كثيرة قتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأحضروا خلقاً إلى الأمير شيخو فأقاموا على هذا عدة أيام ، حتى لم يبق ببلاد الصعيد بدوى . ثم نصبت الأخشاب على الطرقات ، وعلق فيها أعداد وافرة ممن شُنق ووُسِّط من العرب (٣٦٧ ب) ؛ فكان أولها طما وآخرها منية ابن خصيب .

ثم عاد الأمير شيخو بمن معه ، وصحبته نحو الأفى رجل فى الحديد ، فلم يصل إلى القاهرة منهم سوى ألف ومائتين ، وهلك باقيهم بالجوع والتعب . فلما نزل طموة[2] خرج إليه الأمراء بأجمعهم ، وعملوا له الولائم العظيمة مدة أيام . ثم سافر [الأمير شيخو] منها فى موكب جليل ، والأسرى بين يديه ، والخيول والجمال والسلاح ، حتى صعد القلعة ؛ وكان يوماً مشهوداً . وأثنى عليه مَن كان معه ، بإحسانه إليهم ونفقاته [فيهم] ؛ فكانت مدة غيبته نحو ثلاثة أشهر ؛ وأقل ما قيل إنه قتل فى هذه الواقعة زيادة على عشرة آلاف رجل .

ثم قدمت الأسرى التى أحضرت مع الأمير شيخو ، أو من بعث به الكشاف والولاة ، وفيهم ابن ميسرة الثائر بالإطفيحية ؛ فأفرج عن جماعة منهم . وسُمِّر ابن ميسرة وثلاثة عشر (٣٦٨ ا) من أكابر العربان ، ومائة وأربعون رجلا من شرارهم ، وشُهِّروا . وقُيِّد جماعة ، وسخِّروا فى العمل .

وعُرضت الدوابُ ، فكانت ألفا وثلاثمائة فرس ، وألفا وخمسمائة جمل ، وسبعمائة حمار ، وأغناماً كثيرة ، سوى ما نهبه العبيد وأكلوه .

وعُرض السلاح ، فكان مائة حمل رماح ، وثمانين حمل سيوف ، وثلاثين حمل دَرَق ؛

---

(١) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٧٢ ، حاشية ٤ .

(٢) طموة قرية من قرى مديرية الجيزة الحالية . (فهرس مواقع الأمكنة ، مصلحة المساحة المصرية ، ص ٧٩) .

وكتب لجميع ولاة الأعمال وكشافها ألا يدعوا فى جميع النواحى فرسا لبدوى ولا لفلاح سوى أرباب الأدراك ، فإنه يترك لكل واحد منهم فرس . فركب الولاة إلى البلاد ، وأخذوا ما بها من الخيول ، وسيروها إلى إصطبل السلطان . فكان الرجل إذا حضر وادعى ملك شىء سُلِّم إليه ، بعدما تظهر صحة دعواه[1] ؛ وألزم بعد تسليمه بأن يبيعه ويعطى ثمنه مما عليه من الخراج . فكثرت الخيول بالقاهرة ، واستوفى الأجناد (٣٦٨ ب) خراجهم قبل أوانه .

فكانت هذه الواقعة من أعظم حوادث الصعيد ، وأشنع محنها ، ولذلك سقتها فى هذا الموضع كما هى ، وإن كان قد تقدم فى السنة الخالية طرف منها ، لأن حكايتها متوالية أبينُ لها ، وأكثرُ فائدة لمن وقف عليها .

وقد مدح الأمير شيخو غير واحد عند قدومه ، منهم ناصر الدين النَّشّائى أحد كتاب الإنشاء ، فقال قصيدة أولها :

صعودك للصعيد له سُعُودُ به نُجِزَتْ من النصر الوُعودُ

وأرسل نحوهم فرسان حربه ضراغمة تخافُهُم الأسودُ

فخاضوا فيهمُ بالسيف حتى غدوا وهمُ قتيل أو شريد

ومُهِّدت البلاد فزال عنها ظلام الظلم وابتهج الوجود

وقال الفخر عبد الوهاب كاتب الدرج ، من أبيات :

قدومٌ سعيدٌ مبهجٌ وإيابٌ[2] به حُفَّ للنصر العزيز ركابُ

(٣٦٩ ا) مَضَيْتَ مُضِىَّ السهم فى غزو عُصْبة بُغاةٍ وغازى المفسدين يُثابُ

ومن كان قتلُ النفس بعضَ ذنوبه فليس له إلا السيوفُ عِتابُ

فلم[3] تنجهم أرض ولا عصمتهمُ مغاثر ما بين الصخور صعابُ

---

(١) فى ف " تقواه " ، وما هنا من ب ، ١٢ ا .

(٢) فى ف " وانابه " ، وما هنا من ب ، ١٢ ب .

(٣) فى ف " فلا " ، وما هنا من ب ، ١٢ ب .

وقال الأمير عز الدين أزدمر الكاشف قصيدة منها :

حسام عزمك يردى الأسد فى الأُجُمِ ... ونور رأيك يهدى الناس فى الظُلَمِ

وحين أصبح أمر العُرْبِ مختلفاً ... فليس يُعرفُ منــــه خَلَفٌ من أَمَمِ

سالت عليهم جيوش الله يَقْــدُمُها ... شَيْخُو المؤيد بالصمصامة الخَــذِمِ

(٣٦٩ ب)سعى إليهم ونصرُ الله يَقْدُمُه ... فى بحر جيش بموج الخيل ملتطمِ

والأرض ترْجُفُ تحت الخيل من فَرَقٍ ... والخيل تمشى على الأشلاء[1] والرمم

فأوقع السيف فى الأعداء منتصرا ... لله حتى غَدوْا لحماً على وَضَمِ

ولم يدع دار بغى غــــير دائرة ... ولا منار شقاق غير منهـــــدم

[وكان[2]] الأحدب قد نجا بنفسه ، فلم يقدر عليه ؛ ومن حينئذ أمنت الطارقات براً وبحراً ، فلم يسمع بقاطع طريق بعدها .

ووقع [الموت[3]] فيمن تأخر فى السجون من العربان ، فكان يموت منهم فى اليوم من عشرين إلى ثلاثين ، حتى فنوا إلا قليلا .

وقدم الخبر من المدينة النبوية أن (٣٧٠ ا) الشريف [مانع بن على بن مسعود[4]] ابن جماز وأولاد طفيل جمعوا ونازلوا المدينة ، يريدون قتل الشريف [فضل بن قاسم بن قاسم بن جماز] ، فامتنع بها ، وهم يحاصرونه اثنى عشر يوماً ، مرت بينهم فيها حروب ، فانهزموا ومضوا من حيث أتوا .

وفيه أخرج الأمير ساطلمش تركاش منفياً ، لسوء سيرته .

و [فيه] ضربت عدة من شهود الزور ، وحلقت لحام ، وشُهِّروا فى القاهرة ؛ وكان يوما شنيعا[5] .

---

(١) فى ف " الاشلام " ، وما هنا من ب ، ١٢ ب .

(٢ ، ٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب ، ١٢ ب .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣٣٠ ، وابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .

(٥) فى ف " حنيعا " ، وما هنا من ب ، ١٣ ا .

و[فيها] أخرج ابن طشتمر الساقى منفيا إلى طرابلس ، لانهماكه فى اللعب .

وفى شهر ربيع الأول قدم محمد بن واصل الأحدب ، شيخ عرك من بلاد الصعيد ، طائعا . وكان من خبره أنه لما تجاوزت المزيمة ، وأخذت أمواله وحرمه ، ترامى[1] بعد عود العسكر على الشيخ المعتقد أبى القاسم الطحاوى . فكتب [الشيخ] فى أمره إلى الأمير شيخو ، يسأل العفو عنه وتأمينه ، على أنه يقوم بدرك (٣٧٠ ب) البلاد ، ويلتزم بتحصيل جميع غلالها وأموالها ، وما يحدث بها من الفساد فإنه مؤاخذ به ، وأنه يقابل نواب السلطان من الكشاف والولاة . فكتب له أمان سلطانى ، وكوتب بتطييب خاطره وحضوره آمنا ؛ فسار ومعه الشيخ أبو القاسم ، فأكرم[2] الأمراء الشيخ ، وأكرموا لأجله الأحدب ؛ وكان دخوله يوما مشهودا .

وتمثل [الأحدب] بين يدى السلطان ، وأنعم عليه [السلطان] ، وألبسه تشريفاً وناله من الأمراء إنعامٌ كثير ، وضمن منهم درك البلاد على ما تقدم ذكره ؛ فرسم له بإقطاع . وعاد [الأحدب] إلى بلاده بعدما أقام نحو شهر ، وقد ألبسه السلطان تشريفا ثانيا . ثم توجّه الشيخ [أبو القاسم الطحاوى] أيضا بعد أيام ، وكان نزوله بزاوية العريان من القرافة ، فجددها الأمير [شيخو] تجديداً حسنا .

وفيه توجه الناصر بن المجاهد (٣٧١ ا) صاحب اليمن ، عائداً إلى أبيه بمن معه ، بعد أربعة أشهر من قدومه . وأخذ معه كثيرا من الصناع والخايليين[3] والمُشَعْبِذين[4] والمساخر وأرباب الملاهى ، وتحفا عديدة قامت عليه بأموال جزيلة . وأنعم عليه السلطان والأمراء بغير نوع من الهدايا والتحف السنية ، وألبسوه الخلع الجليلة ، وبالغوا فى إكرامه .

---

(١) فى ف " توامى " ، وما هنا من ب ، ١٣ ا .

(٢) فى ف " فأكرموا " ، وما هنا من ب ، ١٣ ا .

(٣) مفرد هذا اللفظ خايل ، وهو حسبما ورد فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) الرجل الذى يدير لعبة خيال الظل ، (Celui qui montre les ombres chinoises) .

(٤) مفرد هـذا اللفظ مشعبذ ، ويقال كذلك مشعوذ ، وهو حسبما ورد فى محيط المحيط ، وكذلك (Dozy : Supp. Dict. Ar.) الرجل الذى يمارس لعب الشعبذة ، أو الشعوذة ، وهى مثلا المقدرة على إظهار الشىء بغير ما عليه أصله فى رأى العين ، والإيهام بوجود مناظر غير موجودة فى الحقيقة .

وجهزوا له ما يحتاج إليه من المراكب ، وكتب إلى ولاة الأعمال بإكرامه ؛ فسار فى البحر .

وفى حادى عشر رجب أفرج عن الأمير سيف الدين منجك ، والأمير علاء الدين مغلطاى أمير آخور . وكان المتفى بالأمير منجك الأمير شيخو ، والمتفى بالأمير مغلطاى الأمير طاز . فتوجه إليهما الأمير جنتمر أخو طاز ، وحملهما من الإسكندرية ؛ فكان دخولهما يوما مشهوداً ، بعد ما أقاما بسرياقوس عشرة أيام ، والتقادم (٣٧١ ب) ترد إليهما ، وتمدّ لهما الأسمطة العظيمة بالهمة الجليلة ؛ فأنعما على مُتَسفرهما الأمير جنتمر بسبعة آلاف دينار .

و [فيه] قدم البريد من حلب بتعذر مسير القوافل من كثرة فساد العرب وقطعهم الطريق ، وأن سيف بن فضل تعجّز عن مقاومة عرب فياض بن مهنا ، وأن[1] [الأمير أرغون الكاملى نائب حلب] أخرج [مقدما من مقدميه فى] تجريدة لحفظ الطريق مع بعض الأمراء ، فكبسه العرب وقاتلوه ، فقتل فى المعركة ، وأن سيف بن فضل وعمر بن موسى بن مهنا لما ألزمهما [الأمير أرغون الكاملى نائب حلب] بتحصيل من قَتَل المذكور أدعوا أنهم من غير عربهم .

وكان فياض لما كتب إليه بالحضور اعتذر عن ذلك ، والتزم بدرك البلاد وكفّ أسباب الفساد ، وبعث ابنه إلى السلطان رهينة بمصر . فحضر سيف وعمر بقود كبير ، من جمال وخيل ؛ فاعتنى الأمير طاز بسيف ، وما زال حتى (٣٧٢ ا) خُلع عليه وعلى عمر ، واستقرا فى الإمرة . فتوجه ولد فياض من مصر إلى أبيه ، وأخبره بذلك ، فاشتد حنقه ، وكثر قطعه الطريق ، وعزم على المسير إلى أولاد قراجا بن دلغادر وإحضارهم بجمائعهم لأخذ حلب . فانحصر الأمير أرغون [الكاملى] نائب حلب ، وضاق ذرعه . فلما قدم كتابه اقتضى الرأى إرسال الأمير جنتمر أخى طاز إلى الأمير فياض ، وكُتبت على يده عدة كتب من السلطان والأمراء ، بتطمين خاطره والحلف له ألا يتعرض له بسوء . فركب الأمير [جنتمر] فى عشرة سروج على البريد ، ولقى فياضاً ، وما زال به حتى أذعن له وركب

---

(١) فى ف ، وكذلك فى ب ١٣ ا ، " انه " ، وحذف الضمير وإثبات العائد بالإضافة بين الحاصرتين هنا وفى سائر الفقرة للتوضيح .

معه » بعد ما بالغ في إكرامه ، وأكثر من التقادم السنية له ، وقدم إلى القاهرة في عاشر جمادى الآخرة .

وفيه أخذ الأمير صرغتمش (٣٧٢ ب) من دار ابن زنبور بالقاهرة ما كان بها من الرخام ، فوجد في زواياها من أواني الصيني والنحاس ومن القماش وغيره شيئاً كثيراً .

و[فيه] قدم عدة من النصارى بالغربية ، ووقفوا بدار العدل من القلعة للسلطان ، وسألوا إعادة كنيسة النحريرية التي هدمها العامة وعملوها مسجداً . فلم يجابوا لذلك ، وطردوا بعد ضربهم ؛ وكتب إلى متولى الناحية أن يعمل لهذا المسجد مناراً يؤذن فيه للصلوات الخمس ، وتجدد عمارة المسجد ؛ فامتثل ذلك .

وفي شهر ربيع الآخر وقفت أحوال ديواني الخاص والدولة ، حتى إن السلطان كان إذا استدعى بشيء من الخاص يقول [بدر الدين[1]] ناظر الخاص : " ما ثم حاصل ، وليس لي مال " . وتأخر من الدولة ما يصرف للحوائج[2] كاشية وأرباب المرتب (٣٧٣ أ) ونفقات مماليك السلطان . فكثر الإنكار على [بدر الدين] ناظر الخاص ، وأسمعه الأمراء ما يكره ؛ فالتجأ إلى الأمير صرغتمش وكان يعضده ، وذكر له ما هو فيه من العجز . فوعده [الأمير صرغتمش] بتخليصه ، وأسرّ إليه أن يتمارض في بيته أياماً حتى يدبّر أمره مع السلطان والأمراء . فانقطع [بدر الدين] عن الخدمة ، وأظهر أنه مريض ، فلم يبق أحد من أهل الدولة حتى عاده على العادة . ثم بعد أيام انقطع الوزير الصاحب موفق الدين أبو الفضل عبد الله بن سعيد الدولة لوَعْكٍ أصابه ، فتعطلت أشغال السلطنة . وأخذ الأمير صرغتمش يحدث الأمراء في إعفاء بدر الدين ناظر الخاص ؛ فاستُدعى تاج الدين أحمد بن

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق هنا ، ص ٨٧٩ .

(٢) كذا في ف ، وكذلك في ب ، ١٤ أ ، ولم يستطع الناشر أن يجد تعريفاً لهذا اللفظ المركب في المراجع المتداولة بالحواشي ؛ غير أنه من المحتمل أن يكون المقصود هنا بلفظ الحوائج كاشية طائفة الخدم والعمال في بيت الحوائج خاناه (انظر المقريزي : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٥٩ ، حاشية ٤) من باب القياس على لفظ الزرد كاشية ، أي طائفة الصناع في الزرد خاناه . انظر (G. - Demombynes : La Syrie, Introd. P. L III).

الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام ، وعرض عليه السلطان نظر الخاص ، (٣٢٣ ب) فتمنع تمنعاً زائدا ، فلم يوافقه الأمير طاز ، وألبسه التشريف فى يوم الخميس رابع عشره ، فولى الخاص عوضاً عن بدر الدين .

ثم كان موت الوزير موفق الدين فى يوم الجمعة ثانى عشريه ، فتعين[1] الأمير ناصر الدين محمد بن بيليك المحسنى . وطلب [الأمير ناصر الدين] لذلك ، فامتنع أشد الامتناع ، وجرت بينه و بين تاج الدين ناظر الخاص مفاوضة فى مجلس السلطان ، سببها أنه قال : " ما ثم من يصلح للوزارة إلا الأمير ناصر الدين " ، فحنق منه ، وقال له : " ما يصلح إلا أنت ، فتكون الوزارة مضافة للخاص ، كما[2] كان من قبلك " . فامتنع [تاج الدين] من ذلك ، وانفض المجلس ؛ فأخذ الأمير طاز يحسن لناظر الخاص التحدث فى الوزارة ، ويعده بمساعدته ، وهو يأبى .

وفى أثناء ذلك استعفى الأمير شيخو من التحدث (٣٧٤ أ) فى أمر الدولة ، فتقرر الحال على أن ينفرد السلطان بتدبير دولته ، من غير أن يعارضه أحد فى ذلك ، ويستبد بالمملكة وحده ، كما كان أبوه وجده . واجتمع الأمراء وسائر أهل الدولة بين يدى السلطان ، وفاوضوه فى ذلك ، فوافق غرضه ، فإنه كان فى حصر شديد ، ليس له أمر ولا نهى ولا تصرف فى شىء من أمور الدولة ، وهو محجور عليه مع الأمير شيخو . فقلدوه الأمور ، والتزموا بطاعته فيما يرسم به . فصار مباشرو الدولة يدخلون على السلطان ، وينهون له الأحوال ، فيمضيها بأمره ونهيه .

واختص [السلطان] بالأمير طاز ، وتقدم إليه أن ينظر فى أمور الدولة من غير أن يظهر ذلك . فاشتهر بين الأمراء وغيرهم أن استعفاء الأمير شيخو من التحدث فى أمور الدولة ، واستقلال (٣٧٤ ب) السلطان بالأمر ، إنما هو بتدبير الأمير طاز وقيامه فيه[3] مع السلطان ،

---

(١) فى ف " فتمنع " ، وما هنا من ب ، ١٤ أ .

(٢) فى ف " عما " ، وما هنا من ب ، ١٤ أ .

(٣) فى ف " فيهم من " ، وملحنا من ب ، ١٤ أ .

فإن السلطان كان له ميل كبير إلى الأمير طاز ، وشُغِف بحب أخيه جنتمر وفُتِن به . وكان ذلك مما لا يخفى على شيخو ، فرأى أن ترك التحدث فى الدولة من تلقاء نفسه خير من عزله عنه .

فلما استبد السلطان بأمره منع الأميرُ شيخو الوزيرَ وناظرَ الخاص وأمثالهما من الدخول إليه ، واستأذن السلطان فى الإقامة بإصطبله عدة أيام ليشرب دواء . فخلا تاج الدين ناظر الخاص بالأمير طاز ، وعرّفه كثرة ما على الدولة من الكلف ، وأنها لا تقى[1] بذلك ، وقرر معه أن يوفر من المصاريف جملة . وكتب [تاج الدين] ما على الدولة من المصروف ، فكانت جملة ما أطلقه الصاحب[2] موفق الدين لزوجته اتفاق[3] وخدامها ومن يلوذ بها سبعمائة ألف درهم فى كل سنة . ثم كتب [تاج الدين] استيماراً بما يترتب صرفه ، وأخذ (٢٧٠ ا) عليه خط السلطان ؛ وعيّن صهره فخر الدين ماجد بن قرويبة لنظر الدولة ، فطلب وخلع عليه شريكا لفخر الدين بن السعيد . فكان المتوفر من معاليم المباشرين جملة كثيرة ، فإنه لم يدع مباشراً إلا وَفّر من معلومه نصفه أو ثلثيه ؛ ولم يراع منهم أحداً ، لا من مباشرى الدولة ، ولا مباشرى الخاص ، ولا مباشرى الإسكندرية ودمياط ، وجميع أعمال الوجه القبلى والوجه البحرى . ثم عزل [تاج الدين] كثيراً من مباشرى المعاملات ، فإنه كان فى كل معاملة ستة مباشرين[4] وأكثر ، فجعل [فى كل] معاملة [ثلاثة ؟] مباشرين ، ورتب لكل منهم نصف معلوم . ووفر [تاج الدين] معلومه على نظر الخاص ، وباشر الخاص بمعلوم الجيش . فشمل هذا كل من له معلوم فى بيت السلطان ، من متجره وغيره ، ما خلا الموقعين والأطباء ، فإن الموقعين عنى بهم كاتب السر علاء الدين على بن فضل الله ، وكان (٢٧٠ ب) عظيما فى الدولة ، فلم يتعرض [تاج الدين] لشىء من

---

(١) فى ف " تبق " ، وما هنا من ب ، ١١٤ ا .

(٢،٣) تقدمت الإشارة إلى وفاة الوزير موفق الدين فى الصفحة السابقة ، وكان زواجه فى أواخر أيامه من هذه الجارية الشهيرة التى تقدمت أخبارها فى مواضع كثيرة ، فيما سبق هنا ، (انظر كذلك ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٨٠) ؛ والمفهوم من المتن أن الراتب الضخم المذكور هنا ظل جاريا على هذه الجارية بعد وفاة الصاحب الوزير .

(٤) هنا إشارات لبعض نظم الإدارة المملوكية فى المدن والأقاليم المصرية .

معاليمهم ، وأقرها بكمالها . و [أما] الأطباء فاعتنى بهم الأمير طاز ، فإنه أمير مجلس ، وهم من تعلقه[1] . وأما من عدا هؤلاء ، فإنه حاصصه على مباشرى صرغتمش وطاز وشيخو ؛ فجاء جملة المتوفر نحو سبعمائة ألف درهم ، فى كل سنة .

فشق ذلك على الأمراء ، وكرهوا قطع الأرزاق ، وتشاءموا بهذا الفعل واشتهر ذلك بين الناس ، فتنكرت قلوبهم ، وكثر دعاؤهم وابتهالهم إلى الله تعالى .

ثم إن[2] [تاج الدين] اتهم بدر الدين ناظر الخاص بأنه حوى مالا كثيراً من جهة تركة ابن زنبور ، وما زال [به] حتى حُمل من بيته وهو مريض إلى القلعة ، وألزم بحمل مال كبير ؛ فحمل [بدر الدين المال] مدة أيام ، ومات يوم الثلاثاء رابع عشرى [جمادى الأولى] فى قاعة الصاحب بالقلعة ، بعد موت الصاحب موفق الدين بشهر ويومين . فقام (٣٧٦ ا) الأمير صرغتمش فى مساعدته ، ومنع من الحوطة على موجوده ؛ وكان [بدر الدين] قد خلف سعادة جليلة مما حصله من جهة ابن زنبور .

وفى سادس عشر جمادى الأولى قدم ابن رمضان التركمانى ، المستقر عوضاً عن قراجا ابن دلغادر ، وقدّم للسلطان والأمراء ألف أكديش . فرسم له بالإمرة على التركمان ، وأنعم له بالإقطاع ، وأنعم على عدة من أصحابه بإمرات ، ما بين عشرات وطبلخاناه ؛ وعاد إلى بلاده .

وفيه رسم بعمل أوراق بالرزق الأحباسية التى فى إقطاعات الأمراء ، وفى غير ذلك من أراضى مصر ، مما هى موقوفة على الكنائس والديارات ؛ فجاءت خمسة وعشرين ألف فدان . فأنعم على كل أمير بما فى إقطاعه من ذلك ، ورسم لجماعة من الفقهاء بشىء من هذه الرزق .

وفى هذه السنة كانت واقعة (٣٧٦ ب) النصارى ، وذلك أنهم كانوا قد تعاظموا ،

---

(١) هنا إشارة لبعض ما يدخل فى وظيفة أمير مجلس من سلطة وعمل فى الحكومة المملوكية .

(٢) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٥ ب ، " انه " ، وحذف الضمير وإثبات العائد للتوضيح .

وتباهوا بالملابس الفاخرة ، من الفرجيات المصقولة والبقيار[١] الذي يبلغ ثمنه ثلاثمائة درهم ، والفوط[٢] التى تلفها عبيدهم على رؤوسهم بمبلغ ثمانين درهما الفوطة . وركبوا الحمير الفره ذات الأثمان الكثيرة ، ومن ورائهم عبيدهم على الأكاديش . وبنوا الأملاك الجليلة فى مصر والقاهرة ومتنزهاتها ، واقتنوا الجوارى الجميلة من الأتراك والمولّدات ، واستولوا على دواوين السلطان والأمراء ، وزادوا فى الحمق والرقاعة ، وتعدوا طورهم فى الترفع والتعاظم .

وأكثروا من أذى المسلمين وإهانتهم ، إلى أن مرّ بعضهم يوماً على الجامع الأزهر بالقاهرة ، وهو راكب بخف ومهماز وبقيار طرح سكندرى (٢٧٧ ا) على رأسه ، و بين يديه طرّادون يبعدون الناس عنه ، وخلفه عدة عبيد على أكاديش ، وهو فى تعاظم كبير . فوثب به طائفة من المسلمين ، وأنزلوه عن فرسه ، وهموا بقتله ، فخلصه الناس من أيديهم .

وتحركت الناس فى أمر النصارى وماجوا ، وانتدب عدة من أهل الخير لذلك ، وصاروا إلى الأمير طاز مع الشريف أبى العباس الصفراوى ، و بلّغوه ما عليه النصارى مما يوجبه نقض عهدهم[٣] ، وانتدبوه لنصرة الإسلام والمسلمين . فانتفض [الأمير طاز] لذلك ، وحدّث الأميرين شيخو وصرغتمش و بقية الأمراء فى ذلك بين يدى السلطان ، فوافقوه جميعاً ؛ وكان لهم يومئذ بالإسلام وأهله عناية . ورتبوا قصة على لسان المسلمين ، قرئت بدار العدل على السلطان بحضرة الأمراء والقضاة (٢٧٧ ب) وعامة أهل الدولة . فرسم بعقد مجلس للنظر فى هذا الأمر ، ليحمل النصارى واليهود على العهد الذى تقرّر فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وطُلب بطرك النصارى ورئيس اليهود ، وحضرت قضاة القضاة وعلماء الشريعة ، وأمراء الدولة ، وجيء[٤] بالبطرك[٥] والرئيس ، فوقفا على أرجلهما وقرأ العلائى على ابن فضل الله كاتب السر نسخة العهد الذى بيننا و بين أهل الذمة ، بعدما ألزموا بإحضاره ، وهو ألا يحدثوا فى البلاد الإسلامية وأعمالها ديراً ولا كنيسة

(١) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٥ ، حاشية ٤ .
(٢) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٧٨ ، حاشية ١ .
(٣) فى ف "عدهم" ، وما هنا من ب ، ١٥ ب .
(٤) فى ف " وحى " ، وما هنا من به ، ١٥ ب
(٥) فى ف ، وكذلك فى ب ، ١٥ ب " بالبطريق " انظر السطر السابق بالمتن .

ولا صومعة ، ولا يجددوا منها ما خرب ، ولا يمنعوا من كنائسهم التى عاهدوا عليها أن ينزل بها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونه . ولا يكتموا غشاً للمسلمين ، ولا يعلموا أولادهم القرآن ، ولا يمنعوهم من الإسلام (٢٧٨ ا) إن أرادوا ، وإن أسلم أحدهم لا يؤذوه . ولا يتشبهوا بشيء من ملابس المسلمين ، ويلبس النصرانى منهم العمامة الزرقاء عشرة أذرع فما دونها ، واليهودى العمامة الصفراء كذلك ؛ ويمنع نساؤهم من التشبه بنساء المسلمين . ولا يتسموا بأسماء المسلمين ، ولا يكتنوا بكناهم ، ولا يتلقبوا بألقابهم ، ولا يركبوا على سرج ، ولا يتقلدوا سيفا ، ولا يركبوا الخيل والبغال ، ويركبون الحمير عرضاً بالأكف من غير تزيين ولا قيمة عظيمة لها . ولا ينقشوا خواتمهم بالعربية ، وأن يجزّوا مقادم رؤوسهم ؛ والمرأة من النصارى تلبس الإزار[1] المصبوغ أزرق ، والمرأة من اليهود تلبس الإزار المصبوغ أصفر . ولا يدخل أحد منهم الحمام إلا بعلامة تميزه عن المسلم فى عنقه ، من نحاس أو حديد أو رصاص أو غير ذلك ، ولا يستخدموا مسلماً فى أعمالهم . (٢٧٨ ب) وتلبس المرأة السائرة خفين أحدهما أسود والآخر أبيض ، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ، ولا يرفعوا بناء قبورهم ، ولا يعلوا على المسلمين فى بناء ، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيفاً ، ولا يرفعوا أصواتهم فى كنائسهم . ولا يشتروا من الرقيق مسلماً ولا مسلمة ، ولا ما جرت عليه سهام المسلمين ، ولا يمشوا وسط الطريق توسعة للمسلمين ، ولا يفتنوا مسلماً عن دينه ، ولا يدُلّوا على عورات المسلمين . ومن زنى بمسلمة قتل ، ومن خالف ذلك فقد حلّ منه ما يحلّ من أهل المعاندة والشقاق . وكل من مات من اليهود والنصارى والسامرة ، ذكراً كان أو أنثى ، يحتاط عليه ديوان المواريث[2] الحشرية ، بالديار المصرية وأعمالها وسائر الممالك الإسلامية ، إلى أن يثبت ورثته ما يستحقونه بمقتضى الشرع الشريف . فإذا استحق يعطونه (٢٧٩ ا) بمقتضاه ، وتحمل البقية لبيت مال المسلمين ؛ ومن مات منهم ولا وارث له يحمل موجوده لبيت المال . ويجرى على موتاهم الحوطة من ديوان

---

(١) فى ف « الازاق » ، وما هنا من ب ، ١١٦ ا .

(٢) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٧٠ ، حاشية ٢ .

المواريث ووكلاء بيت المال مجرى[1] من يموت من المسلمين ، إلى أن تبين مواريثهم .

وكان هذا العهد قد كتب فى رجب سنة سبعمائة فى الأيام الناصرية محمد بن قلاون ، فلما انتهى [العلائى على بن فضل[2] الله] كاتب السرّ من قراءته تقلد بطرك النصارى وديان اليهود حكم ذلك ، والتزما بما فيه ، وأجابا بالسمع والطاعة .

ثم جال الحديث فى أمر اليهود والنصارى و إعادة وقائعهم الماضية ، وأنهم بعد التزامهم أحكام العهد يعودون إلى ما نُهوا عنه . فاستقر[3] الحال على أنهم يمنعون من الخدم فى جميع الأعمال ، ولا يستخدم نصرانى ولا يهودى فى ديوان السلطان ، ولا فى شىء من دواوين الأمراء ، ولو تلفّظ (٣٧٩ ب) بالإسلام ، على أن أحداً منهم لا يُكره على الإسلام[4] ، فإن أسلم برضاه ، لا يدخل منزله ، ولا يجتمع بأهله ، إلا إن اتبعوه فى الإسلام ؛ ويَلْزَمُ أحدهم إذا أسلم بملازمة المساجد والجوامع . وأن تكون عمامة النصرانى واليهودى عشرة أذرع ، ويلزموا بزيادة صبغها ، وألا يستخدموا مسلماً ، وأن يركبوا الحمير بالأكف ، و إذا مرّوا بجماعة من المسلمين نزلوا عن دوابهم ، وأن يكون قيمة حمار أحدهم أقل من مائة درهم ، وأن يلجؤوا إلى أضيق الطرق ، ولا يُكرَموا فى مجلس ، وأن تلبس نساؤهم ثياباً مغيرة الزى إذا مَرَرْن فى الطرقات ، حتى أخفافهن تكون فى لونين ، ولا يدخلن حمامات المسلمين مع المسلمات .

وكتب بذلك كله مراسيم سلطانية سار بها البريد إلى البلاد الإسلامية ، فكان تاريخها ثانى عشرى جمادى الآخرة ؛ وقرئ منها مرسوم بمجلس (١٣٨٠) السلطان فى يوم الخميس خامس عشريه . وركب من الغد يوم الجمعة سادس عشريه الأمير سيف الدين قشتمر الحاجب ، ومعه الشريف شهاب الدين المنشى [بالمراسيم السلطانية إلى البلاد الإسلامية] .

(١) فى ف " يجرى " ، وما هنا من ب ، ١٦ ا .
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين مما سبق هنا ، ص ٩١٩ .
(٣) فى ف " فاستمر " ، وما هنا من ب ، ١٦ ا .
(٤) فى ف " اسلامه " ، وما هنا من ب ، ١٦ ب .

وقرىء سهيتوم بجامع عمرو من مدينة مصر ، وآخر بجامع الأزهر من القاهرة ، فكان يوماً عظيماً ، هاجت [فيه] حفائظ المسلمين ، وتحركت سواكنهم ، لما فى صدورهم من الحنق على النصارى . ونهضوا من ذلك المجلس بعد صلاة الجمعة ، وثاروا باليهود والنصارى ، وأمسكوهم من الطرقات ، وتتبعوهم فى المواضع وتناولوهم بالضرب ، ومزقوا ما عليهم من الثياب ؛ وأكرهوهم على الإسلام ، فيلجؤهم كثرة الضرب والإهانة إلى التلفظ بالشهادتين خوف الهلاك . فإنهم زادوا فى الأمر حتى أضرموا النيران ، وحملوا اليهود والنصارى ، وألقوهم فيها . فاختفوا فى بيوتهم ، حتى لم يوجد منهم أحد فى (٣٨٠ ب) طريق ولا ممر ، وشربوا مياه الآبار ، لامتناع السقائين من حمل الماء من النيل إليهم .

فلما شنع الأمر نودى فى القاهرة ومصر ألا يعارض أحد من النصارى أو اليهود ، فلم يرجعوا عنهم . وحل بهم من ذلك بلاء شديد ، كان أعظمه نكاية لهم أنهم منعوا من الخدم بعد إسلامهم ، فإنهم كانوا فيما مضى من وقائعهم إذا منعوا من ذلك كادوا المسلمين بإظهار الإسلام ، ثم بالغوا فى إيصال الأذى لهم بكل طريق ، بحيث لم يبق مانع يمنعهم ، لأنه صار [الواحد منهم] فيما يظهر مسلماً ويده مبسوطة فى الأعمال ، وأمره نافذ ، وقوله ممتثل . فبطل ما كانوا يعملون ، وتعطلوا عن الخدم فى الديوان ؛ وامتنع اليهود والنصارى من تعاطى صناعة الطب . وبذل الأقباط جهدهم فى إبطال ذلك ، فلم يجابوا إليه .

ثم لم يكف [الناس من] النصارى ما مر بهم ، حتى (٣٨١ أ) تسلطوا على كنائسهم ومساكنهم الجليلة التى رفعوها على أبنية المسلمين ، فهدموها . فازداد النصارى واليهود خوفاً على خوفهم ، وبالغوا فى الاختفاء ، حتى لم يظهر منهم أحد فى سوق ولا فى غيره .

ثم رفعت قصص على لسان المسلمين بدار العدل تتضمن أن النصارى استجدوا فى كنائسهم عمائر ، ووسعوا بناءها ، وتجمع من الناس عدد لا ينحصر ، واستغاثوا بالسلطان فى نصرة الإسلام ، وذلك فى يوم الاثنين رابع عشر رجب . فرسم لهم أن يهدموا الكنائس

المستجدة، فنزلوا يداً واحدة وهم يضجون . وركب الأمير علاء الدين على بن الكورانى والى القاهرة، ليكشف عن صحة ما ذكروه، فلم يتمهلوا بل هجموا كنيسة بجوار قناطر السباع، وكنيسة للأسرى فى طريق مصر، ونهبوهما وأخذوا ما فيهما من الأخشاب (٣٨١ ب) والرخام وغير ذلك ؛ ووقع النهب فى دير بناحية بولاق التكرور . وهجموا كنائس مطر القاهرة، وأخربوا كنيسة بحارة النقادين من الجوانية بالقاهرة . وتجمعوا لتخريب كنيسة بالبندقانيين من القاهرة، فركب والى القاهرة وما زال حتى ردهم عنها؛ وتمادى هذا الحال حتى عجزت الحكام عن كفهم .

فلما كان فى أخريات رجب بلغ الأمير صرغتمش أن بناحية شبرا الخيام كنيسة فيها أصبع الشهيد التى تُرْمَى كل سنة فى النيل، فتحدث مع السلطان فيه . فرسم بركوب الحاجب والوالى إلى هذه الكنيسة وهدمها، فهدمت ونُهِبَت حواصلها، وأخذ الصندوق الذى فيه أصبع الشهيد، وأحضر إلى السلطان وهو بالميدان الكبير قد أقام به كما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى . فأضرمت النار، وأحرق (٣٨٢ أ) الصندوق بما فيه، ثم ذُرِّى رماده فى البحر .

وكان يوم رمى هذا الأصبع فى النيل من الأيام المشهودة، فإن النصارى كانوا يجتمعون من جميع الوجه البحرى ومن القاهرة ومصر فى ناحية شبرا، وتركب الناس المراكب فى النيل، وتنصب الخيم التى يتجاوز عَدَدُهَا الحد فى البرّ، وتنصب الأسواق العظيمة ؛ ويباع من الخمر ما يؤدون به ما عليهم من الخراج ؛ فيكون من المواسم القبيحة .

وكان المظفر بيبرس قد أبطله كما مرّ ذكره، فأكذب الله النصارى فى قولهم إن النيل لا يزيد ما لم يرم فيه أصبع الشهيد، وزاد تلك السنة حتى بلغ إلى أصبع من ثمانية عشر ذراعاً . ثم سعت الأقباط حتى أعيد رميه فى الأيام الناصرية، كما تقدم، فأراح الله منه بإحراقه .

وأخذ عباد الصليب فى الإرجاف بأن النيل لا يزيد فى هذه السنة، (٣٨٢ ب)

فأظهر الله تعالى قدرته ، و بين للناس كذبهم ، بأن زاد النيل زيادة لم يعهد مثلها كما سيأتى ذكره .

وكثرت الأخبار من الوجه القبلى و[الوجه] البحرى بدخول النصارى فى الإسلام ، ومواظبتهم المساجد ، وحفظهم للقرآن ، حتى أن منهم من ثبتت عدالته وجلس مع الشهود . فإنه لم يبق فى جميع أعمال مصر كلها قبليها و بحريها كنيسة حتى هدمت ، و بنى مواضع كثير منها مساجد . فلما عظم البلاء على النصارى ، وقلت أرزاقهم ، رأوا أن يدخلوا فى الإسلام . ففشا الإسلام [فى عامة] نصارى أرض مصر ، حتى إنه أسلم من مدينة قليوب خاصة فى يوم واحد أربعمائة وخمسون نفراً ؛ وممن أسلم فى هذه الحادثة الشمس القسى ، والخيصم . وحمل كثير من الناس فعلهم هذا على أنه من جملة مكرهم ، لكثرة ما شنع العامة فى أمرهم ؛ فكانت (٣٨٢ ا) هذه الواقعة أيضاً من حوادث مصر العظيمة .

ومن حينئذ اختلطت الانساب بأرض مصر ، فنكح هؤلاء الذين أظهروا الإسلام بالأرياف المسلمات ، واستولدوهن ، ثم قدم أولادهم إلى القاهرة ، وصار منهم قضاة وشهود وعلماء ؛ ومن عرف سيرتهم فى أنفسهم ، وفيما ولوه من أمور المسلمين ، تفطن[1] لما لا يمكن التصريح به .

وفى يوم السبت ثانى عشرى رجب ركب السلطان إلى الميدان الكبير المطل على النيل ، بعد كسر الخليج على العادة ، وعاد من آخره إلى القلعة . ثم ركب [السلطان] السبت الثانى إلى الميدان ، وأقام به ومعه الأمير شيخو ، والأمير طاز ، والأمير صرغتمش ، و بقية الأمراء الخاصكية . وعمل [السلطان] به الخدمة[2] فى يومى الاثنين والخميس ، كما تعمل بالإيوان فى القلعة ؛ ولم يتقدمه أحد إلى مثل هذا .

وكانت (٣٨٢ ب) العامة فى طول إقامته بالميدان لا يبرحون على الحيطان القرجة

(١) فى ف " تفطن " ، وما هنا من ب ، ١٧ ب .

(٢) فى ف " بالخدمة " ، وما هنا من ب ، ١٨ ا

هناك ، وتجمع منهم عالم عظيم ، ونصبت هناك أسواق كثيرة ؛ فصاروا يخوضون فيما لا يعنيهم ويتكلمون في الليل بكل فاحشة ، في حق كبراء الدولة ، ويقولون ليسمع السلطان : " قم اطلع قلعتك ، ما جرت بذا[1] عادة ؛ واحترس على نفسك ، وإياك تأمن لأحد " . فلما كثر هذا وشبهه من كلامهم ، وسمعه منهم الأمراء ، اشتد حنقهم ، وأمروا مماليكهم فركبوا ، وأوقعوا بهم ضرباً بالدبابيس والعصى ، فروا هاربين ، وألقوا أنفسهم في البحر ، وتفرقوا في كل جهة . فقبض منهم جماعة ، وأسلموا لوالى القاهرة ، ورسم له بأن يتتبع غوغاء العامة حيث كانوا ، فهجم أماكنهم ، وقبض على جماعة كثيرة وسجنهم . فأظهر النصارى الشماتة بهم ، وتجاهروا بأن هذا (٣٨٤ ا) عقوبة من الله لهم بما فعلوه معهم . فشق هذا على الأمراء ، وأمروا بأن يفرج عنهم حتى لا يشمت بهم أهل الكفر ، فأطلقوا ؛ وخرج عدة منهم إلى الأرياف .

وركب السلطان في يوم السبت ثالث شعبان — بعدما لعب بالكرة على عادته — إلى القلعة . فلما استقر بها حسّن له ناظر الخاص أن ينقل ما بخزانة الخاص من التحف التي قدمها النواب وغيرهم إلى داخل الدار ، فحملت كلها . ثم كتب [ناظر الخاص] أسماء جماعة لهم أموال ، من جملتهم خالد بن داود مقدم الخاص ، وأغرى السلطان به . فأخذ الأمير نجا أمير شكار في الدفع عن خالد ، وكان يعنى به ، ثم أعلم خالداً بما كان ؛ فالتزم له [خالد] أن يحصل للسلطان أموالاً عظيمة [من] ودائع ابن زنبور أضعاف ما يطلب منه ، على أن يعفى من تقدمة الخاص ، وينعم عليه بإقطاع ، ويبقى من جملة الأجناد . فأتقن (٣٨٤ ب) له أمير شكار ذلك مع السلطان ؛ فأجاب [السلطان] سؤاله ، واستدعى بخالد وألبسه الكلفتاه ، ومكنه مما يريد . فنزل [خالد] وقبض على جماعة من ألزام ابن زنبور ، فدلوه على صندوق قد أودع عند قاضى الحنفيّة بالجيزة ، فركب إليه ، وأخذه منه ، فوجد فيه مصاغاً وزراكش . فأخذ [خالد] في تتبع حواشى ابن زنبور حتى أخذ منهم ما ينيف على مائة ألف دينار ، فانتكى ناظر الخاص من فعله نكاية بالغة .

(١) في ف " به " ، وما هنا من ب ، ١٨ ا .

فلما كان فى شهر رمضان خرج السلطان إلى ناحية سرياقوس على العادة ، ومعه والدته وحريمه ، وجميع الأمراء وغيرهم من أهل الدولة ؛ وتأخر الأمير شيخو بإصطبله لوعك به . فكثر لهو السلطان ولعبه ، وشغفه بالأمير جنتمر حتى أفرط ، وجمع عليه الأمير قجا أمير شكار وأخوته ،

ومال [السلطان] إلى جهة الأمير طاز ، وأعرض عن الأمير شيخو (٣٨٠ ا) والأمير صرغتمش . وصار يركب النيل فى الليل ، ويستدعى أرباب الصنائع ، من الطباخين والخراطين والقزازين ، ونصب له نول قزازة ، وعمل هذه الأعمال بيده ؛ فكان إذا رأى صناعة من الصناعات عملها فى أيسر زمن بيده(١) . وعمل لخوند قطلوبك أمه مهماً طبخ فيه الطعام بيده ، وعمل لها جميع ما يعمل فى الموكب السلطانى ، ورتب لها الخدام والجوارى ، ما بين جدارية وسقاة ، ومنهم من حمل الغاشية والقبة والطير ؛ وأركبها فى الحوش بزى الملك وهيئة السلطنة . وخلع وأنفق ، ووهب شيئاً كثيراً من المال . ثم شد فى وسطه فوطة ، ووقف فطبخ الطعام فى هذا المهم بنفسه ، ومد السماط بين يديها بنفسه ، فكان مهماً يخرج عن الحد فى كثرة المصروف ؛ فأنكر ذلك الأمير شيخو ، وكتم ما فى نفسه .

فلما عاد السلطان (٣٨٠ ب) فى آخر الشهر من سرياقوس إلى القلعة ، وقد بلغ شيخو أن السلطان قد اتفق مع إخوة طاز على أن يقبض عليه وعلى صرغتمش يوم العيد . وكان طاز قد توجه إلى البحيرة فى هذه الأيام ، بعدما قرر مع السلطان ما ذكر . فركب السلطان فى يوم الأحد أول شوال لصلاة العيد فى الإصطبل على العادة ، وقرر مع كلتا [ى] وجنتمر وأمير عمر ما يفعلونه ، وأمر بمائة فرس فشدت وأوقفت ؛ فلم يحضر الأمير شيخو صلاة العيد ، وكان قد بلغه جميع ما تقرر . فباتوا ليلة الاثنين على حذر ، وأصبحوا وقد اجتمع مع الأمير شيخو من الأمراء صرغتمش وطقطاى ومن يلوذ بهم ، وركبوا إلى تحت الطبلخاناه ؛ ورسموا للأمير علم بضرب الكوسات ، فضربت حربياً . فركب جميع العسكر تحت القلعة بالسلاح ، وصعد الأمير (٣٨٦ ا) تنكز بغا والأمير أسنبغا المحمودى إلى القلعة ، وقبضا

(١) فى ف " فى السير من مدة " ، وما هنا من ب ، ١٨ ب .

على السلطان وسجناه مقيداً ؛ فزال ملكه فى أقل من ساعة .

وصعد الأمير شيخو ومن معه من الأمراء إلى القلعة ، وأقامت أطلابهم على حالها تحت القلعة . وقبض [الأمير شيخو] على إخوة [الأمير] طاز ، واستشار فيمن يقيمه للسلطنة ، وصرح هو ومن معه بخلع الملك الصالح صالح ، فكانت مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ؛ فسبحان من لا يزول ملكه .

تم الجزء الرابع[1] ، بحمد الله تعالى وعونه ، وحسن توفيقه . وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم المصير .

يتلوه الجزء الخامس[2] دولة السلطان الملك الناصر الحسن بن قلاون الألفى .

(١، ٢) هذه التقسيمات خاصة بنسخة ف ، وهى من تقسيمات الناسخ ، ولا علاقة لها بتقسيم المقريزى نفسه .

المقـــريزى

كتاب الســـلوك لمعرفة دول الملوك

ملاحق للجزء الثانى

تنكز بغا والأمير اسن بغا المحمودي الى القلعة وقبضا
على السلطان وجعاه مقيدا فزال ملكه في اقل من
ساعة وصعد الأمير شيخو ومن معه من الامرا الى
القلعة واقامت الطلابهم على حالها تحت القلعة وبعض
على اخوة الأمير طاز واستشار فيمن يقيمه للسلطنة
وصرح هو ومن معه بخلع الملك الصالح صالح فكانت
مدة سلطنته ثلاث سنين وثلثة اشهر وثلاثة ايام

فسبحن من لا يزول ملكه

تم الجزو الرابع بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه وصلى الله
على نبيه محمد واله وصحبه وسلم

وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

يتلوه الجزو الخامس دولة السلطان الملك الناصر
الحسن بن محمد بن قلاون الالفي

ملحق رقم ١

روك نيابة طرابلس ونواحيها سنة ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) لضبط شئون طائفة النصيرية ، ووصف أحوال هذه الطائفة فى تلك السنة . (النويرى : نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٠٥ — ١١٣ ؛ صور شمسية من نسخة المكتبة الأهلية بباريس ، دار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ ، معارف عامة)

(ص ١٠٥) وفى سنة سبع عشرة وسبعمائة رسم السلطان بروك المملكة الطرابلسية ، وما أضيف إليها من الأعمال والقلاع والحصون والثغور ، فكشفت النواحى ، ونصب لتحرير[1] ذلك وإتقانه القاضى شرف الدين يعقوب ، ناظر المملكة الحلبيّة ؛ فحضر إلى طرابلس حسب الأمر الشريف ، وانتصب لتحرير[2] ذلك ، وفى خدمته جماعة من الكتاب ؛ ولم يعتمد فيه على ناظر المملكة الطرابلسية شرف الدين يعقوب الحموى .

ولما تكامل ذلك حضر القاضى شرف الدين يعقوب ناظر المملكة الحلبية ، ومعه المكتوب إلى الأبواب السلطانية . وجلس القاضى فخر الدين ناظر الجيوش ومن معه من المباشرين ، وانتصبوا لقسمة الإقطاعات ، وتقرير الخواص ، وإفراد جهات القلاع والحصون ، وكُلَف المملكة ؛ فكمل ذلك فى شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة . وتوفّرا بسبب هذا الروك ما أقيم عليه ستة أمراء أصحاب[3] طبلخاناه ، وثلاثة أمراء أصحاب عشرات ، وخمسون نفراً من البحرية والحلقة .

ورُسم بإبطال جهة الأفراح والسجون وغير ذلك بالمملكة الطرابلسية ، فأبطلت ، وجملة ذلك نحو مائة ألف درهم وعشرة آلاف درهم فى كل سنة . ورُسم أن يبنى بقرى النصيرية فى كل قرية مسجد ، ويُفرد من أراضى القرية رزقة[4] برسم المسجد ، وتُمنع

(١ ، ٢) فى الأصل " لتحرير " وما هنا من مخطوطة أخرى مصورة لكتاب نهاية الأرب ، برقم ٥٥١ معارف عامة ، بدار الكتب المصرية ، ج ٣٠ ، ص ٣٦٣ .

(٣) فى الأصل " لصحاب " .

(٤) فى الأصل " ورقة " . وما هنا من نسخة المخطوطة الأخرى لكتاب نهاية الأرب ، ج ٣٠ ص ٣٦٤ ، بدار الكتب المصرية ، برقم ٥٥١ معارف عامة

النصيرية من الخطاب ، ومعناه أن الصبي إذا بلغ الحلم ، وأنس منه الرشد ، يتطاول إلى المخاطبة ، ويتوسل إلى أبيه وقرابته فى ذلك مدة . فيجمعون له مجتمعا يجتمع فيه أربعون من أكابرهم ، ويذبح هو أو وليه رأس بقر وثلاثة أرؤس من الغنم ، ويفتح لهم خابية من الخمر ، فيأكلون ويشربون . فإذا[1] خالطهم الشراب أخذ كل واحد منهم يحكى حكاية عمن خوطب وباح بما خوطب به : أنه قطعت يده ، أو عمى[2] ، أو سقط من شاهق فمات ، أو ابتلى بعاهة ؛ كل ذلك تحريضاً للمخاطب على كتمان ما يودع إليه من المذهب . فإذا استوثق منه تقدم إليه المعلم ، فحلفه أربعين يمينا على كتمان ما يوجب إليه ، ثم يوضح له إلخطاب ، وكيفيته[3] على ما نقل[4] ماله على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأن محمد بن عبد الله كان حجابا عليه بواسطة جبريل ، ويسمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيد .

ويرفع [المعلم] عن المخاطب التكليف ويعرفه[5] أن لا صلاة ولا زكاة ولا صوم ولا حج إلا إلى مكان يزعمون أنه فيه ضريح على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأن الروح الإلهى الذى كان فيه شغل فى واحد ، وأنه الآن فى هـذا العصر فى رجل يسميه المخاطب للمخاطب[6] ، ويعرفه بأن يقف عند ما يأمره به وينهاه عنه ، ويحل له ، ويحرم عليه . ثم يعرفه أن لا غسل من جنابة ، ويأخذ عليه العهد أن لا ينصح مسلما فى أكل ولا شرب ، ولا يسايره ولا يعامله ؛ ويعرفه أن مال المسلمين فىء له إن استطاع . ولهم سلام بينهم ، يعرف بعضهم بعضا به عند المصافحة والمكالمة له .

وأخبرنى من أثق به فى هذه السنة أن الذى تزعم النصيرية أن الروح الإلهى حل به رجل اسمه شرف ، وهو رئيس قرية سلفتو[7] من عمل صهيون . ومن ظريف ما بلغنى عن شرف هـذا أن بعض أهـل تلك الناحية مرض ، فجاءه ولد المريض ، وسأله أن يعافى أباه ، فوعـده بذلك ، وأن أباه لا يموت فى هذه المرضة . فاشتد به الوجع ،

(١) فى الأصل « مادا » ، وما هنا من مخطوطة رقم ١٠٥ ، معارف عامة ، ج ٣٠ ، ص ٣٦٤ .
(٢) فى الأصل « غمى » .
(٣) فى الأصل « وليبتبه » ، وما هنا من مخطوطة رقم ١٠٥ معارف عامة ، ج ٣٠ ، ص ٣٦٤ .
(٤) كذا فى الأصل . (٥) فى الأصل « وعرمه »
(٦) فى الأصل المخاطب » ، وما هنا من مخطوطة رقم ١٠٥ معارف عامة ، ج ٣٠ ، ص ٣٦٥
(٧) كذا فى الأصل

(ص ١٠٦) فعاوده ؛ فأجابه بمثل ذلك . ثم مات المريض ، فجاءه ابنه ، وقال له : " لا أدعك حتى تعيده حياً كما وعدتنى " . فقال له شرف : " دع هذا ، فإن الدولة ظالمة ، ولا تفتح هذا الباب ، فإنه يؤدى إلى إلزامنا بإحياء من أرادوا إحياءه ، ممن يموت " . وأخبرنى المخبر أن شرف هذا المذكور ، فيه كرم نفس وخدمة لمن يرد عليه من الأضياف وغيرهم .

ولما رسم بإبطال ما ذكرناه ، وبناء المساجد بقرى النصيرية ، كُتب مرسوم شريف سلطانى من إنشاء القاضى كمال الدين ابن الأمير مضمونه[1] :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى جعل الدين المحمدى فى أيامنا الشريفة قائما على أثبت عماد ، واصطفانا لإشادة أركانه وتنفيذ أحكامه من بين العباد ، وسهل علينا من إظهار شعائره ما رام من كان قبلنا تسهيله فكان عليه صعب الانقياد ، وادخر لنا من أجور نصره أجل ما يدّخر ليوم يفتقر فيه لصالح الاستعداد .

نحمده على نعم بلغت من إقامة منار الحق المراد ، وأخمدت نار الباطل بمظافرتنا ولولاها لكانت شديدة الاتقاد[2] ، ونكست رءوس الفحشاء فعادت على استحياء إلى مستسنها أقبح معاد . ونشكره على أن سطر فى صحائفنا من غرر السير ما تبقى بهجته ليوم المعاد ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يجدها العبد يوم يقوم الأشهاد ، وتسرى أنوار هديها فى البرايا فلا تزال آخذة فى الازدياد . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعثه الله بالإنذار ليوم التناد ، والإعذار إلى من قامت عليه الحجة بشهادة الملكين فأوضح له سبيل الرشاد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من ردّ أهل الردة إلى الدين القويم أحسن ترداد ، ومنهم من عمّ بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سائر العباد والبلاد ، ومنهم من بذل ماله للمجاهدين ونفسه فى الجهاد ، ومنهم من دافع عن الحق فلا برح فى جدال عنه وفى جلاد ، صلاة تهدى إلى السداد ، وتقوم المعوج وتثقف المياد ؛ وسلم تسليما كثيراً .

(١) أورد القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ١٣ — ص ٣٠ — ٣٦) نص أجزاء من هذا المرسوم ، وأفاد الناشر من هذه الأجزاء فى تحرير المتن فيما يلى ، بغير تعليق .

(٢) فى الأصل " الانقياد " .

وبعد فإن الله تعالى منذ ملكنا أمور خلقه ، وبسط قدرتنا فى التصرف فى عباده والمطالبة بحقه ، وفوض إلينا القيام بنصرة دينه ، وفهمنا أنه تعالى قبض قبل خلق الخلائق قبضتين ، فرغبنا أن نكون من قبضة يمينه . وألقى إلينا مقاليد الممالك ، وأقام [الحجة] علينا بتمكين البسطة[1] وعدم التشاقق فى ذلك . ومهد لنا من الأمر ما على غيرنا توعر ، وأمد لنا من النصر ما أجرانا فيه على عوايد لطفه ، لا عن صرح فى الأرض ، ولا عن خد مصعر . ألهمنا إعلاء كلمة الإسلام ، وإعزاز الحلال وإذلال الحرام ، وأن تكون كلمة الله هى العليا ، وأن لا نختار على الدار الآخرة دار الدنيا ، وأن ندور مع الحق حيث دار ، ونرغب عن هذه الدار ، بما أعده الله [للإنسان] من حياته فى تلك الدار ، فلم يزل يقيم للدين شعاراً ، ويعفى المنكر ويعلن فى النصيحة لله ورسوله ويُسِرّ إسراراً ، ويتتبع أثر منكر يعفيه ، وممطول بحقه يوفّيه ، ويعلم [حق] قربة يشيّده ، ومخذولا استظهر عليه الباطل يؤيده ، وذا كربة يفرجها ، وغريبة لخشاء استطردت بين أزراد الحيل نخرجها ، وميتة سيئة تستعظم النفوس زوالها ، فيجعلها هباء منثوراً ، وجملة عظيمة أسست على غير التقوى مبانيها فيحطمها كرمنا إذ الجزاء عنها موفوراً ..

فاستقصينا ذلك فى ممالكنا الشريفة مملكة مملكة ، واستطردنا فى إبطال كل فاحشة موبقة مهلكة ، فعفينا من ذلك بالديار المصرية ما شاع خبره ، وظهر بين الأنام أثره ، وطبقت محاسنه الآفاق ، ولهجت به ألسنة الرعايا والرفاق ، من مكوس أبطلناها ، وجهات سوء عطلناها ، ومظالم رددناها إلى أهلها ، وظلمة زجرناها عن ظلمها وغيها ، وبواق[2] سامحنا بها وسمحنا ، وطلبات خففنا عن العباد تركها وأرحنا ، ومعروف أقمنا دعائمه ، وبيوت لله عز وجل أمرنا منها كل نائبة . ثم بثثنا ذلك فى سائر الممالك الشامية المحروسة ، وجنينا النصر من شجرات العدل التى هى بيد يقظتنا مغروسة .

ولما اتصل بعلومنا الشريفة (ص ١٠٧) أن بالمملكة الطرابلسية آثار سوء ليست فى غيرها ، ومواطن فسق لا يقدر غيرنا على دفع ضررها وضيرها[3] ، ومظان آثام

(١) كذا فى الأصل .
(٢) فى الأصل " براق " .
(٣) فى الأصل " خيرها " .

يجد الشيطان[1] فيها مجالا فسيحا ، وقرى لا يوجد بها من [كان] إسلامه مقبولا ، ولا من [كان] دينه صحيحاً ، وخمورا يُتظاهر بها ، و يتصل سبب الكبائر بسببها ، وتشاع فى الخلائق جهراً ، وتباع[2] على رءوس الأشهاد فلا يوجد لهذا المنكر منكرا ، و يحتج فى ذلك بمقررات سحت لا تجدى نفعا ، وتبقى بين يدى آخذها كأنها حية تسعى .

ومما أنهى إلينا أن بها حانة عبّر عنها بالأفراح ، قد تطاير شررها وتفاقم ضررها ، وجوهر فيها بالمعاصى . وآذنت لولا حلم الله و إمهاله بزلزلة الصيّاصى وغدت لأولى الأهوية مجمعا ، ولذوى الفساد مربعاً ومرتعا ، يتظاهر فيها بما أمر بستره من القاذورات ، و يؤتى ما يجب تجنبه من المحذورات ، و يسترسل فى الانشراح فيها إلى ما يؤدى إلى غضب الجبار ، وتتهافت النفوس بها كالفراش على الاقتحام فى النار . ومنها أن السجون إذا سجن بها أحد يجمع عليه بين السجن وبين الطالب ، و إذا أفرج عنه ولو فى يومه انقلب إلى أهله من الخسارة أسوأ منقلب ، فهو لا يجد سروراً بفَرَجه ، ولا يجد عقبى مخرجه .

ومنها أن بالأطراف القاصية من هذه المملكة قرى سكانها يعرفون بالنصيرية ، لم يلج الإسلام لهم قلباً ، ولا خالط لهم لبًا ، ولا أظهروا له بينهم شعاراً ، ولا أقاموا له مناراً ، بل يخالفون أحكامه و يجهلون[3] حلاله وحرامه ، ويخلطون ذبائحهم بذبائح المسلمين ، ومقابرهم بمقابر أهل الدين . وكل ذلك مما يجب ردعهم عنه شرعاً ، ورجوعهم فيه إلى سواء السبيل أصلا وفرعا .

فعند ذلك رغبنا أن نفعل فى هذه الأمور ما يبقى ذكره مفخرة على مر الأيام ، وندوم بهجته بدوام دولة الإسلام ، ونمحو به فى أيامنا الشريفة ما كان على غيرها عاراً ، ونسترجع للحق من الباطل ثوباً[4] طالما كان لديه معارا . "وثبت فى سبق دولتنا الشريفة عوارف لا تزال مع الزمن تذكر ، ويتلو على الأسماع قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان و إيتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر" .

(١) فى الأصل " السلطان " .
(٢) فى الأصل " وشاع " .
(٣) فى الأصل " بلية " .
(٤) فى الأصل " يوما " .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى ، لا زال بالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً وزاجراً ، ولامتثال أوامر الله مسارعاً ومبادرا ، أن يبطل من المعاملات بالمملكة الطرابلسية ما يأتى ذكره ، وهو :

جهات الأفراح المحذورة بالفتوحات خارجاً عما لعله يستقر من ضمان الفرح الحر[1] ؛ وتقديرها سبعون ألف درهم .

السجون بالمملكة الطرابلسية خارجاً عن سجن طرابلس ، بحكم أنه أبطل بمرسوم شريف متقدم التاريخ ؛ وتقديرها عشرة آلاف درهم .

سجن الأقصاب المحدث ما بين أقصاب الديوان المعمور التى كان فلاحو السكورة[2] بطرابلس يعملون بها ، ثم أعفوا عن العمل ؛ وقرر عليهم فى السنة تقدير ألفى درهم أقصابا .

أقصاب الأمراء ، بحكم أن بعض الأمراء كانت لهم جهات تزرع الأقصاب ، وقرروا على بقية فلاحيهم العمل بها ، أو القيام بنظير أجرة العمل ؛ وتقدير ذلك ثلاثة آلاف درهم .

عفاية النيابة بكورة طرابلس وانفة والبترون وما معه ، بحكم أن المذكورين كانوا يبيتون[3] على المراكز بالبحر ، فلما سدّت المراكز بالعساكر المنصورة ، قرّر على كل نفر فى السنة ستة دراهم ؛ وتقدير ذلك عشرة آلاف درهم .

حق الديوان بصهيون و بلاطنس عمن كان يعانى خصبها ؛ وتقدير متحصل ذلك ثلاثة آلاف درهم .

هبة البيادر بنواحى الكهف ؛ مستجدة مما كان يستأدى عن كل فدان ثلاثة دراهم ؛ وتقدير متحصله ألف درهم .

ضمان المستغل بطرابلس ، مما كان أولا بديوان النيابة بالفتوحات ، ثم استقر فى الديوان المعمور (ص ١٠٨) فى شهور سنة ست عشرة وسبعمائة ، وتقديره أربعة آلاف درهم .

ما استجد فى إقطاعات بعض الأمراء على الفلاحين ، ما لم تجر به عادة من حق حشيش

(١) فى الأصل " الحبر " ، وما هنا من مخطوطة رقم ٥٥١ معارف عامة ، ج ٣٠ ، ص ٣٧١

(٢) فى الأصل " السكرة "

(٣) فى الأصل " يباتوا "

وملح وضيافة ؛ وتقديره ستة آلاف درهم .

فليبطل ذلك على ممر الأزمنة والدهور ، إبطالا باقيا إلى يوم النشور ، لا يطلب ولا يستأدى ، ولا يبلغ الشيطان فى بقائه مرادا . وليقرأ مرسومنا هذا على المنابر ويشاع ، ويستجلب لنا به الأدعية الصالحة فإنها نعم المتاع .

وأما النصيرية فليعمر فى بلادهم بكل قرية مسجد ، ويطلق له من أرض القرية المذكورة قطعة أرض تقوم به وبمن يكون فيه القيام بمصالحه على حسب الكفاية ، بحيث يستنيب الجناب العالى الأميرى الكبيرى العالمى العادلى الزعيمى الكافلى المهدى المشيدى الذخرى الشهابى نائب السلطنة الشريفة بالمملكة الطرابلسية والحصون المحروسة ، ضاعف الله نعمته ، من جهته من يثق إليه لإفراد الأراضى المذكورة ، وتحديدها وتسليمها لأئمة المساجد المذكورة ، وفصلها عن أراضى المقطعين . ويعمل بذلك أوراق ، ويخلد بالديوان المعمور حتى لا يبقى لأحد من المقطعين فيها كلام ، وينادى فى المقطعين وأهل البلاد المذكورة بصورة ما رسمنا به فى ذلك .

وكذلك رسمنا أيضاً بمنع النصيرية المذكورين من الخطاب ، وأن لا يمكنوا بعد مرسومنا هذا من الخطاب جملة كافية ، وتؤخذ الشهادة على أكابرهم ومشايخ قراهم بأن لا يعود أحد إلى التظاهر بالخطاب ، ومن تظاهر قوبل أشد مقابلة .

فلتعتمد[1] مراسمنا الشريفة ولا يعدل عن شىء منها . ولتجر المملكة الطرابلسية مجرى بقية الممالك المحروسة فى عدم التظاهر بالمنكرات ، وتعفية آثار الفواحش وإقامة شعار الدين القويم (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

والاعتماد على الخط الشريف أعلاه إن شاء الله عز وجل ، كتب فى السابع من شوال سنة سبع عشرة وسبعمائة ، حسب المرسوم الشريف ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

---

(١) فى الأصل " فليعتمد " .

(٢) فى الأصل ، " كيفت " ، وما هنا من مخطوطة نهاية الأرب ، ج ٣٠ ص ٣٧٤ ، بدار الكتب المصرية ، برقم ٥٥١ معارف عامة .

هذا ما تضمنه المرسوم السلطانى ، ومنه نقلتُ .

وقد كانت كتبت فتيا فى أمر النصيرية ، وتضمنت اعتقادهم وما هم عليه ، وأجاب عن ذلك الشيخ تقى الدين بن تيمية . وقد رأينا أن نذكر نص الفتيا والجواب فى هذا الموضع ، لما فى ذلك بيان ما تعتقده هذه الطائفة الملعونة . والذى كتب هذه الفتيا التى تذكر شهاب الدين أحمد بن محمود بن مرى الشافعى ، ونسختها بعد البسملة[1] ...

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين ، وأعانهم على إظهار الحق المبين و إخمال شغب المبطلين ، فى النصيرية القائلين باستحلال الخمر ، وتناسخ الأرواح ، وقدم العالم ، و إنكار البعث والنشور والجنة والنار ، فى غير الحياة الدنيا ، و بأن الصلوات الخمس عبارة عن خمسة أشياء ، وهى : على وحسن وحسين ومحسن وفاطمة . فذكر هذه الأسماء الخمسة على رأيهم يجزيهم عن الغسل من الجنابة ، والوضوء و بقية شروط الصلوات وواجباتها ، و بأن الصيام عندهم عبارة عن اسم ثلاثين رجلا وثلاثين امرأة ، يعدونهم فى كتبهم ، و يضيق هذا الموضع عن إيرادهم ، و بأن إلههم الذى خلق السموات والأرض هو على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فهو عندهم الإله فى السماء والإمام فى الأرض ، وكانت الحكمة (ص ١٠٩) فى ظهور اللاهوت بهذه الناسوت على رأيهم ، أنه يؤنس خلقه وعبيده و يعلمهم كيف يعرفونه و يعبدونه ، و بأن النصيرى عندهم لا يصير نصيريا مؤمنا يجالسونه و يشربون معه الخمر و يطلعونه على أسرارهم و يزوجونه[2] من نسائهم حتى يخاطبه معلّمه . وحقيقة الخطاب عندهم أن يحلفوه على كتمان دينه ومعرفة شيخه وأكابر أهل مذهبه ، وعلى أن لا ينصح مسلما ولا غيره إلا من كان من أهل دينه ، وعلى أن يعرف ربه و إمامه بظهوره فى أكواره وأدواره . فيعرف انتقال الاسم والمعنى فى كل حين وزمان ؛ فالاسم عندهم فى أول الناس آدم ، والمعنى شيث ؛ والاسم هو يعقوب والمعنى يوسف . و يستدلون على هذه الصورة — كما يزعمون — بما فى القرآن العزيز حكاية عن يعقوب و يوسف

(١) وردت هذه الفتوى فى مجموعة فتاوى ابن تيمية ، ج ٤ ، ص ٢٠٩ — ٢١٦ . طبعة القاهرة ، سنة ١٣٢٩ هـ .

(٢) فى الأصل " ويروحونه منها " .

عليهما السلام ، فيقولون أما يعقوب فإنه كان الاسم فما قدر أن يتعدى منزلته ، فقال : (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) ، وأما يوسف فإنه كان المعنى المطلوب ، فقال : (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) . فلم يعلق الأمر بغيره ، لأنه علم أنه هو الإله المتصرف . ويجعلون موسى هو الاسم ، ويوشع هو المعنى ؛ ويقولون يوشع ردّت له الشمس لما أمرها ، فأطاعت أمره وهل تردّ الشمس إلا لربّها ؟ ويجعلون سليمان هو الاسم ، وآصف هو المعنى ؛ ويقولون سليمان عجز عن إحضار عرش بلقيس ، وقدر عليه آصف ، لأن سليمان كان الصورة ، وآصف كان المعنى القادر المقتدر . وقد قال قائلهم : هابيل ، سام ، يوسف ، يوشع ، آصف ، شمعون الصفا ، مريم . ويعدون الأنبياء والمرسلين واحداً واحداً على هذا النمط إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون محمد هو الاسم ، وعلى هو المعنى ؛ ويوصلون العدد على هذا الترتيب فى كل زمان إلى وقتنا هذا . فمن حقيقة الخطاب والدين عندهم أن يُعلم أن علياً هو الرب ، وأن محمداً هو الحجاب ، وأن سليمان هو الباب ؛ وأنشدنا بعض أكابر درسهم وفضلائهم لنفسه ، فى شهور سنة سبعمائة ، فقال :

أشهد أن لا إله إلا حيدرة الانزع[1] البطين ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين

ولا طريق إليه إلا سليمان ذو القوة المتين

ويقولون إن ذلك على هذا الترتيب لم يزل ولا يزال ، وكذلك الخمسة الأيتام[2] والاثنى عشر نقيباً ، وأسماؤهم مشهورة عندهم ، فى كتبهم الخبيثة ، فإنهم لا يزالون يَظْهرون مع الرب والحجاب والباب فى كل كور ودور أبداً سرمداً على الدوام والاستمرار . ويقولون إن إبليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وثانيه فى رتبة الإبليسية أبو بكر ، ثم عثمان ، رضى الله عنهم أجمعين ، وشرّفهم وأعلا رتبتهم على أقوال الملحدين وانتحال أنواع الغالين والمفسدين ، فلا يزالون موجودين فى كل وقت دائماً حسبما ذكر من الترتيب . ولمذاهبهم الفاسدة شعب وتفاصيل ، ترجع إلى هذه الأصول المذكورة .

(١) كذا فى الأصل .

(٢) كذا فى الأصل .

وهذه الطائفة الملعونة استولت على جانب كبير من بلاد الشام ، فهم معروفون مشهورون ، يتظاهرون بهذا المذهب . وقد حقق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم من عقلاء المسلمين وعلمائهم ، ومن عامة المسلمين أيضاً فى هذا الزمان ، لأن أحوالهم كانت مستورة عن أكثر الناس وقت استيلاء الفرنج على البلاد الساحلية . فلما صارت [هذه البلاد الساحلية] بلاد الإسلام انكشف حالهم ، وظهر ضلالهم ، والابتلاء بهم كثير جداً . فهل يجوز للمسلمين أن يزوجوهم ، أو يُتزوج منهم ، أو يحل أكل ذبائحهم ، والحالة هذه أم لا ؟ وما حكم الجبن المعمول من أنفحة ذبيحتهم ؟ وما حكم أوانيهم وملابسهم ؟ وهل يجوز دفنهم بين المسلمين أم لا ؟ وهل يجوز استخدامهم فى ثغور المسلمين ، وتسليمها إليهم ؟ أو يجب على ولى الأمر قطعهم ، واستخدام غيرهم من المسلمين الأكفاء ، و إذا استخدمهم وقطعهم أو لم يقطعهم هل يجوز له صرف أموال بيت المال عليهم ؟ وهل دماء النصيرية المذكورين مباحة وأموالهم فى حلال أم لا ؟ و إذا جاهدهم ولى الأمر أيده الله تعالى ، بإبطال[1] باطلهم وقطعهم من حصون المسلمين ، وتحذير أهل الإسلام من مناكحتهم ، وأكل ذبائحهم ، وأمرهم بالصوم والصلاة ، ومنعهم من إظهار دينهم الباطل ، وهم يلونه من الكفار ، هل ذلك أفضل وأكثر أجراً من التصدى والترصد لقتال التتار فى بلادهم ، وهجم بلاد سيس ، وديار الفرنج على أهلها ؟ أم هذا أفضل ؟ وهل يعد مجاهد النصيرية (ص ١١٠) المذكورين مرابطاً ، ويكون أجره كأجر المرابط فى الثغور على ساحل البحر خشية قصد الفرنج ، أم هذا أكثر أجراً ؟ وهل يجب على من عرف المذكورين ومذاهبهم أن يشهر أمرهم ، ويساعد على إبطال باطلهم و إظهار الإسلام بينهم ، فلعل الله تعالى أن يهدى بعضهم إلى الإسلام ، وأن يجعل من ذريتهم وأولادهم ناساً مسلمين بعد خروجهم من ذلك الكفر العظيم ؟ أم يجوز التغافل والإهمال ؟ وما قدر أجر المجتهد على ذلك ، والمجاهد فيه ، والمرابط له ، والعازم عليه ؟ .

وليبسطوا القول فى ذلك مثابين مأجورين ، إن شاء الله تعالى إنه على كل شىء قدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) فى الأصل " بإجمال " ، وفى مجموعة فتاوى ابن تيمية ، جـ ٤ ، ص ١٢٠ ، " بإحتمال " .

فأجاب الشيخ تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى عن هذه الفتيا : الحمد لله رب العالمين ، هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية ، هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى ، بل أكفر من كثير من المشركين . وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين ، مثل كفار الترك والفرنج وغيرهم ، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت ، وهم فى الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ، ولا بأمر ولا نهى ، ولا ثواب ولا عقاب ، ولا جنة ولا نار ، ولا بأحد من المسلمين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا بملة[1] من الملل السالفة ، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند المسلمين يتناولونه على أمور يفترونها ، يدّعون أنها علم الباطن من جنس ما ذكره السائل ، ومن غير هذا الجنس . وأنهم ليس لهم حدّ محدود مما يدعونه من الإلحاد فى أسماء الله وآياته ، وتحريف كلام الله ورسوله عن مواضعه . ومقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكل طرائق ، مع التظاهر بأن لهذه الأمور حقائق يعرفونها ، من جنس ما ذكره السائل ، من جنس قولهم إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم ، والصيام المفروض كتم أسرارهم ، وحج البيت العتيق زيارة شيوخهم ، وأن " يدا أبى لهب " هما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وأن النبأ العظيم والإمام المبين على بن أبى طالب رضى الله عنه . ولهم فى معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة ، وكتب مصنفة . فإذا كانت لهم مُكنة سفكوا دماء المسلمين ، كما قتلوا مرّة الحجاج ، وألقوهم فى بئر زمزم ، وأخذوا مرة الحجر الأسود فبقى عندهم مدة . وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم وأمرائهم وجندهم ما لا يحصى عدده إلا الله ، وصنفوا كتباً كثيرة بها ما ذكره السائل وغيره . وصنف علماء المسلمين كتباً فى كشف أسرارهم ، وهتك أستارهم ، وبينوا فيها ما هم عليه من الكفر والزندقة ، والإلحاد الذى هم فيه أكبر من اليهود والنصارى ، ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام ؛ وما ذكره السائل فى وصفهم قليل من الكثير الذى يعرفه العلماء فى وصفهم .

ومن المعلوم عندهم أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم ، وهم

---

(١) فى الأصل " يمكنه " ، وما هنا من مجموعة فتاوى ابن تيمية ، ج ٤ ، ص ٢١٠ .

دائماً مع كل عدو للمسلمين ، فهم مع النصارى على المسلمين . ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى والعياذ بالله تعالى النصارى على ثغور المسلمين ، فإن ثغور المسلمين ما زالت بأيدى المسلمين حتى جزيرة قبرس — يسر الله فتحها — من حين فتحها المسلمون فى ولاية أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فتحها معاوية بن أبى سفيان ، ولم تزل تحت حكم المسلمين إلى أثناء المائة الرابعة ، فإن هؤلاء المحاربين لله ورسوله كثروا بالسواحل وغيرها ، فاستولى النصارى على الساحل ، ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره ؛ فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب فى ذلك . ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين فى سبيل الله تعالى كنور الدين الشهيد ، وصلاح الدين وأتباعهما ، وفتحوا السواحل من النصارى ممن كان بها منهم ، وفتحوا أيضاً أرض مصر ، فإنهم[1] كانوا مستولين عليها نحو مائتى سنة ، واتفقوا هم والنصارى ؛ فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد . ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام بالديار المصرية والشامية .

ثم إن التتار ما دخلوا ديار الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك الأمصار إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم ، فإن منجم هولاكو الذى كان وزيره وهو النصير الطوسى كان وزيراً لهم ، وهو الذى أمرهم بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء .

ولهم ألقاب معروفة (ص ١١١) عند المسلمين ، تارة يسمون الملاحدة ، وتارة يسمون القرامطة ، وتارة يسمون الباطنية ، وتارة يسمون الإسماعيلية ، وتارة يسمون النصيرية ، وتارة يسمون الخرمية[2] ، وتارة يسمون المحمرة . وهذه الأسماء منها ما يعمهم ، ومنها ما يخص بعض أصنافهم . كما أن الإسلام والإيمان يعم المسلمين . ولبعضهم اسم يخصه ، إما لنسب ، وإما لمذهب ، وإما لبلد ، وإما لغير ذلك . وشرح مقاصدهم يطول ، كما قال بعض العلماء فيهم ؛ ظاهرُ مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر المحض — وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بشيء من الأنبياء المرسلين ؛ لا نوح ، ولا إبراهيم ، ولا موسى ، ولا عيسى ، ولا محمد

---

(١) الضمير هنا عائد على الفاطميين ودولتهم فى مصر

(٢) فى الأصل " الحرمية "

صلوات الله عليهم ، ولا بشيء من الكتب المنزلة ، لا التوراة[١] ، ولا الإنجيل ، ولا القرآن ، ولا يقرّون بأن للعالم خالقاً خلقه ، ولا بأن له ديناً أمر به ، ولا أن له داراً يجزى الناس على أعمالهم غير هذه الدار . وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب الفلاسفة الطبيعيين والإلهيين ، وتارة يبنونه على قول الفلاسفة وقول المجوس الذين يعبدون التوراة[٢] ، ويضمون إلى ذلك الرفض ، ويحتجون لذلك من كلام النبوات ، إما بقول مكذوب ينقلونه كما ينقلون عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : " أول ما خلق الله العقل " ، والحديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث ؛ ولفظه : " أول ما خلق الله تعالى العقل ، قال له أقبل فأقبل ، فقال له أدبر فأدبر " ، فيحرفون لفظه ، ويقولون : " أول ما خلق الله العقل " ، ليوافق قول المتفلسفة أتباع أرسطو ، أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل . وإما بلفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيحرفونه عن مواضعه ، كما يصنع أصحاب رسائل إخوان الصفا ونحوهم ، فإنهم أئمتهم . وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين ، وراج عليهم حتى صار ذلك في كتب طوائف من المنتسبين إلى العلم والدين ، فإن كانوا لا يوافقونهم على أصول الدعوة المادية ، وهي درجات متعددة . ويسمون البهاية[٣] البلاغ الأكبر ، والناموس الأعظم ومضمون الفلاح الأكبر ، جحد الخالق تعالى والاستهزاء به ، وبمن يقرّ به حتى قد يكتب أحدهم اسم الله في أسفل رجله . وفيه أيضاً جحد شرائعه ودينه ، وما جاء به الأنبياء ودعوى أنهم كانوا من جنسهم طالبين الرياسة . فمنهم من أحسن في طلبها ، ومنهم من أساء في طلبها حتى قتل . ويجعلون محمداً وموسى من القسم الأول ، ويجعلون المسيح من القسم الثانى . وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم والحج وتحليل نكاح ذوى المحارم وسائر الفواحش ما يطول شرحه .

ولهم إشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضاً ، وهم إذا كانوا في بلاد المسلمين التى يكون فيها أهل الإيمان ، فقد يخفون على من لا يعرفهم . وإما [إن] كثروا فإنه يعرفهم

---

(١) فى الأصل " التورية " .

(٢) فى الأصل " التورية "

(٣) كذا فى الأصل

عامة الناس فضلا عن خاصتهم . وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء لا يجوز منا كحتهم ، ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم ، ولا يتزوج منهم امرأة ، ولا تباح ذبائحهم.

وأما الجبن المعمول بأنفحتهم ، ففيه قولان مشهوران للعلماء . كسائر أنفحة الميتة ، وكأنفحة ذبيحة المجوس وذبيحة الفرنج الذين يقال عنهم : إنهم لا يذكون الذبائح . فمذهب أبى حنيفة ، وأحمد فى إحدى الروايتين أنه يحل هذا الجبن ، لأن أنفحة الميتة طاهرة على هذا القول ، لأن الأنفحة لا تموت بموت البهيمة ، وملاقاة الوعاء النجس فى الباطن لا ينجس . ومذهب مالك والشافعى ، وأحمد فى الرواية الأخرى ، أن هذا الجبن نجس ، لأن الأنفحة عند هؤلاء نجسة ، لأن ابن أنفحتها عندهم نجس ، ومن لا تؤكل ذبيحته فذبيحته كالميتة ، وكل من أصحاب القولين يحتج بآثار ينقلها عن أصحابه . فأصحاب القول الأول نقلوا أنهم أكلوا جبن المجوس ، وأصحاب القول الثانى نقلوا أنهم إنما أكلوا ما كانوا يظنون أنه من جبن النصارى ؛ فهذه مسألة اجتهاد ، للمقلد أن يقلد من يفتى بأحد القولين .

وأما أوانيهم وملابسهم فكأوانى المجوس وملابس المجوس ، على ما عرف من مذاهب الأئمة . والصحيح فى ذلك أن أوانيهم لا تستعمل إلا بعد غسلها ، فإن ذبائحهم ميتة ، فلا بد أن يصيب (ص ١١٢) أوانيهم المستعملة ما يطبخونه من ذبائحهم ، فتنجس بذلك . فأما الآنية التى لا يغلب على الظن وصول النجاسة إليها فتستعمل من غير غسل ، كآنية اللبن التى لا يضعون فيها طبيخهم ويغسلونها قبل وضع اللبن فيها ، وقد توضأ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية ؛ فما شُك فى نجاسته لم يحكم بنجاسته بالشك .

ولا يجوز دفنهم بين مقابر المسلمين ، ولا يصلى على من مات منهم ، فإن الله تعالى نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على المنافقين كعبد الله بن أبىّ ونحوه . وكانوا يتظاهرون بالصلاة والزكاة والصيام والجهاد مع المسلمين ، ولا يظهرون مقالة تخالف دين المسلمين ، لكن يسرون ذلك فقال الله تعالى : (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) ، فكيف بهؤلاء الذين هم مع الزندقة والنفاق و يظهرون الكفر والإلحاد .

وأما استخدام مثل هؤلاء فى ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فإنه من الكبائر ، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعى الغنم ، فإنهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم ، وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة ، وهم شر من المخامر الذى يكون فى العسكر، فإن المخامر قد يكون له غرض ، إما مع أمير العسكر وإما مع العدو ، وهؤلاء لهم غرض مع الملة ونبيها ، ودينها وملوكها ، وعلمائها ، وعامتها وخاصتها ؛ وهم أحرص الناس على تسليم الحصون إلى عدو المسلمين ، وعلى إفساد الجند على ولى الأمر وإخراجهم عن طاعته .

ويجب على ولاة الأمور قطعهم من دواوين المعاملة ، ولا يتركون فى ثغر ولا فى غير ثغر ؛ وضررهم فى الثغور أشد ، وأن يستخدموا بدلهم من يحتاج إلى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الإسلام ، وعلى النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ؛ بل إذا كان ولى الأمر لا يستخدم من يغشه وإن كان مسلماً ؛ فكيف يستخدم من يغشه ويغش المسلمين كلهم ؛ ولا يجوز له تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه ، بل أى وقت قدر على الاستبدال بهم وجب عليه ذلك . وأما إذا استخدموا وعملوا العمل المشروط عليهم فلهم إما المسمى وإما أجرة المثل ، لأنهم عوقدوا على ذلك ؛ فإن كان العقد صحيحاً وجب المسمى ، وإن كان فاسداً وجب أجرة المثل . وإن لم يكن استخدامهم من جنس الإجارة فهو من جنس الجعالة الجائزة ، لكن هؤلاء لا يجوز استخدامهم ، فالعقد عقد فاسد فلا يستحقون إلا قيمة عملهم . فإن لم يكونوا عملوا عملا له قيمة فلا شىء لهم ، لكن دماؤهم مباحة وكذلك أموالهم إذا لم يكن لهم ورثة من المسلمين . وإن كان لهم ورثة من المسلمين فقد يقال إنهم بمنزلة المرتدين ، والمرتد هل يكون ماله لورثته المسلمين ؟ فيه نزاع مشهور . وقد يقال إنهم بمنزلة المنافقين ، والمنافقون يرثهم ورثتهم المسلمون فى أصح القولين ؛ لكن هؤلاء المسئول عنهم لا يكاد يكون لهم وارث من المسلمين . وإذا أظهروا التوبة ففى قبولها منهم نزاع بين العلماء . فمن قبل توبتهم إذا التزموا شريعة الإسلام أقر مالهم عليهم ، ومن لم يقبلها ورثهم من جنسهم ، فإن مالهم يكون فيئاً لبيت المال ، لكن هؤلاء إذا أخذوا فإنهم يظهرون التوبة ، إذ أصل مذهبهم التقية وكتمان أمرهم ، وفيهم من يعرف ومن

قد لا يُعرف ؛ فالطريق فى ذلك أن يحتاط فى أمرهم ولا يتركون مجتمعين ، ولا يمكنون من حمل السلاح ، وأن يكونوا من المقاتلة ، ويلزموا بشرائع الإسلام من الصلوات الخمس وقراءة القرآن ، ويترك بينهم من يعلمهم دين الإسلام ، ويحال بينهم و بين معلميهم ؛ فإن أبا بكر الصديق رضى الله عنه وسائر الصحابة لما ظهروا على أهل الردة وجاءوا إليه ، قال لهم الصديق : " اختاروا منى إما الحرب الملجئة[1] ، وإما السلم المخزية " . قالوا : " يا خليفة رسول الله هذه الحرب الملجئة[2] قد عرفناها ، فما السلم المخزية ؟ " قال : " تدون قتلانا ولا نرى قتلاكم ، وتشهدون أن قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ، ونقسم ما أصبنا من أموالكم ، وتردون ما أصبتم من أموالنا ، وننزع منكم الحلقة والسلاح ، وتمنعون من ركوب الخيل ، وتتركون تتبعون أذناب الإبل حتى يُرى الله خليفة رسوله والمؤمنين أمراً يعذرونكم به . فوافقه الصحابة فى ذلك إلا فى تضمين قتلى المسلمين ، فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : " هؤلاء قتلوا فى سبيل الله ، وأجورهم على الله — يعنى هم شهداء ، فلا دية لهم — فاتفقوا على قول عمر فى ذلك . وهذا الذى اتفق الصحابة عليه هو مذهب أئمة العلماء ، والذى تنازعوا فيه (ص ١١٣) تنازع فيه العلماء ؛ فذهب أكثرهم أن من قتله المرتدون المجتمعون المحاربون لا يضمن ، كما اتفقوا عليه آخراً . وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد فى إحدى الروايتين ، ومذهب الشافعى وأحمد فى الرواية الأخرى هو القول الأول . فهذا الذى فعله الصحابة فأولئك المرتدون بعد عودهم إلى الإسلام يفعل من أظهر الإسلام ، والتهمة ظاهرة فيه ، فيمنع من أن يكون من أهل الخيل والسلاح والدروع التى يلبسها المقاتلة ، فلا يترك فى الجند من يكون يهودياً ولا نصرانياً ، ويكرمون الإسلام حتى يظهر ما يفعلونه من خير وشر ؛ ومن كان من أئمة ضلالهم وأظهر التوبة أخرج عنهم ، وسير إلى بلاد المسلمين الذين ليس لهم بها ظهور ، فإما أن يهديه الله تعالى ، وإما أن يموت على نفاقه من غير مضرة المسلمين .

ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات ؛ وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب ، فإن جهاد هؤلاء

(١، ٢) فى الأصل . "المجلية" ، وما هنا من مجموعة فتاوى ابن تيمية ، ج ٤ ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

حافظ لما فتح من بلاد الإسلام ، وينبغى أن يدخل فيه من أراد الخروج عنه ، وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة إظهار الدين وحفظ رأس المال مقدم على الربح وأيضاً فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر أولئك ، بل ضرر هؤلاء من جنس ضرر من يقاتل المسلمين من المشركين ، فأهل الكتاب ضررهم فى الدين على كثير من الناس أشد من ضرر المحاربين من المشركين وأهل الكتاب ، ويجب على كل مسلم أن يقوم فى ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب ، فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم بل يفشيها ويظهرها ، ليعرف المسلمون حقيقة حالهم . ولا يحل لأحد أن يعاونهم على بقائهم فى الجند والمستجدين ، ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر الله به ورسوله فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله تعالى ؛ وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) . وهؤلاء لا يخرجون عن الكفار والمنافقين ، والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الإمكان ، له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى ؛ فإن المقصود بالقصد الأول هو هدايتهم ، كما قال الله تعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) . قال أبو هريرة رضى الله عنه : كنتم خير الناس للناس — تأتون بهم فى القيود والسلاسل حتى تدخلوهم فى الإسلام . فالمقصود بالجهاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهداية العباد لمصالح المعاش والعباد ، بحسب الإمكان . فمن هداه الله منهم سعد فى الدنيا ، ومن لم يهتد كف ضرره عن غيره . ومعلوم أن الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو أفضل الأعمال ، كما قال صلى الله عليه وسلم : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة[1] سنامه الجهاد فى سبيل الله تعالى . وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن فى الجنة لمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض ، أعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله " . وقال صلى الله عليه وسلم : " رباط يوم وليلة فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطا مجاهداً جرى عليه عمله وأجرى عليه رزقه من الجنة

(١) فى الأصل " . وكرروه سامة " ، وما هنا من ابن تيمية : مجموعة الفتاوى ، ج ٤ ، ص ٢٥٩ .

وأمن الفتن" . والجهاد أفضل من الحج والعمرة كما قال تعالى : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ . يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) .

ملحق رقم ٢

وصف الحروب بين مملكة غرناطة الإسلامية ومملكة قشتالة المسيحية سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) . وهو منقول من النويري : نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٣٠ — ١٣٤ . صور شمسية بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة ، من مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس .

(ص ١٣٠) ذكر الحرب الكائنة بجزيرة الأندلس بين المسلمين والفرنج وانتصار المسلمين عليهم . كانت هذه الوقعة المباركة التى انجلت عن الظفر والغنيمة فى شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة وسبعمائة ، ووصل الخبر بها إلى الديار المصرية فى سنة عشرين وسبعمائة ، واجتمع بى من حضر هذه الوقعة ، وقص على نبأها ، وعلقت ذلك منه ثم فقدته . ورأيت هذه الواقعة قد ذكرها الشيخ شمس الدين الجزرى فى تاريخه عن الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى بن ربيع المالقى ويتلخص ما نقله عنه [فى] أنه لما بلغ النصارى حال أمير المسلمين بجزيرة الأندلس ، وهو السلطان الغالب بالله أبو الوليد إسمعيل بن كبير الرؤساء أبى سعيد فرج بن إسمعيل بن نصر ، سبط أمير المسلمين المجاهد

الغالب بالله أبى عبد الله محمد بن أمير المسلمين يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر ، وأنه أخذ بالعزم فى تحصين البلاد والثغور ، وإصلاح حال الرعية وحياطتهم ، كبر ذلك عليه ، وعزموا على منازلة الجزيرة الخضراء ، وانتـدب لذلك سلطان قشتالة واسمه بطرة ، وجهز المراكب والرجالة ، وجاء إلى طليطلة ، وهى مقام بابهم الذى ترجع الملوك إليه ويقفون عند أمره ، وعرفه ما عزم عليه من غزو الجزيرة الخضراء ، واستئصال من بها من المسلمين ، ويسأله أن يتقدم أمره لملوك جزيرة الأندلس بمساعدته وإعانته على ذلك ، فبشره ذلك وتقدم إلى الملوك بالاهتمام فى هذا الأمر ، وإعانته عليه . واتصل خبر اهتمامهم بأمير المسلمين أبى الوليد إسمعيل ، فكتب إلى سلطان بلاد المغرب أبى سعيد عثمان بن أبى يوسف ، ويعقوب بن عبد الحق المرينى ، وعرّفه ما دهم المسلمين من هذا العدو الثقيل ، واجتماعه وكلبه على البلاد الإسلامية ، وسال إنجاده بطائفة من جيشه . وسير إليه بكتابه أبا عبد الله الطنجالى[1] محدث الأندلس وعالمها ، وأبا عبد الله الساحلى عابد الأندلس ، وأبا جعفر بن الزيات الصوفى ، وأبا تمام غالب الغرناطى التتارى[2] (ص ١٣١) الصالحى الزاهد ؛ وصحبتهم جماعة من الناس . فتوجهوا إليه فى البحر والبر حتى انتهوا إلى مدينة فاس ، واجتمعوا به ، وسألوه إغاثة المسلمين وإعانتهم ، فتقاعد عن نصرتهم ، واستصعب هذا الأمر ؛ فعادوا عنه وقد أيسوا من نصره . فلجأ المسلمون إلى الله تعالى ، وأخذوا فى إصلاح الجزيرة الخضراء وتحصينها . واتصل خبر تقاعد المرينى بالفرنج فاستبشروا بذلك ، وتحققوا أنهم يملكون البلاد ويستأصلون المسلمين . وقدموا فى جيوش عظيمة اشتملت على خمسة وعشرين ملكا ، منهم صاحب اشبونه وقشتاله والفرنبيرة وأرغون وطلبيره ؛ ووصلت إليهم الأثقال والمجانيق وآلات الحصار والأقوات فى المراكب التى جهزوها ؛ وانتهت المراكب بذلك إلى جبل الفتح وطريف لمجاورتها للجزيرة الخضراء . ووصل إلى الزقاق ثلاثة عشر جفنا[3] كبار

(١) فى الأصل . " الطنجالى " وما هنا من المقرى . نفح الطيب . بولاق ، ج ٢ ، ص ١٢٥٩ .

(٢) فى الأصل " الشارى " ، وما هنا من مخطوطة نهاية الأرب برقم ٥٤٩ معارف عامة ، بدار الكتب المصرية ، ج ٣٠ ، ص ٤٤٢ .

(٣) فى الأصل . " جبنا " وما هنا من المخطوطة رقم ٥٤٩ معارف عامة ، ج ٣٠ ، ص ٤٤٤ .

غزوانية وترددوا بين الجزيرة والمرية ، ووصلت جموع الفرنج إلى غرناطة ونزلوا منها على عشرة أميال بموضع يقال له قنطرة بينوش بالقرب من جبل البيرة فامتلأت بهم تلك الأرض وأمدت جيوشهم فى طول وادى شنيل ، ولم يكن لهم بدّ من النزول على الوادى بطلوله بسبب الماء ولما علم المسلمون بوصولهم إلى هذا المكان عزم أمير المسلمين على أمير جيشه ، الشيخ الصالح أبى سعيد عثمان بن أبى العلا ، أن يخرج إليهم بأنجاد المسلمين وشجعانهم فى صبيحة يوم الاثنين الخامس عشر من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبعمائة فتأهب الناس لذلك فى الأحد .

ولما كان فى عشية يوم الأحد أغارت سرية من العدو على ضيعة من ضياع السلطان القريبة من البلد ، فخرج إليهم جماعة من فرسان الأندلس الرماة المعروفين برماة الديار ، فقطعوهم عن الجيش وفروا أمامهم بجهة أرض المسلمين ، فتبعوهم طول الليل ، وأصبحوا بأرض لوشة ، فاستأصلهم المسلمون بالقتل والأسر ، وكان ذلك أول النصر . وأصبح المسلمون فى يوم الاثنين وقد غاب من جمعهم هذه الطائفة المشهورة بالشجاعة والرمى ، فلم يتوقف الشيخ أبو سعيد عن لقاء العدو بسبب غيبتهم ، وعزم على الخروج لقتالهم ، وذلك يوم عيدهم ، عيد العنصرة ، وهو الرابع عشرين من حزيران . فخرج إليهم فى طائفة يسيرة من الفرسان مع أبناء أخيه ، منهم الشيخان الشقيقان أبو يحيى وأبو معروف ، أميرا جيش مالقة ، ابنا الشيخ الشهيد أبى محمد عبد الله بن أبى العلا ، ومنهم أخوهم الشيخ أبو عامر خالد أمير جيش رنده ، ومنهم الشيخ العارف أبو مسعود محمد بن النابغى ، ومنهم أمير جيش الخضراء الشيخ المرابط أبو عطية مناف بن ثابت المغراوى ، وأمير لوشة الشيخ أبو المكارم ريان بن عبد المؤمن ، ولكل واحد من هؤلاء أولاد وأتباع ، وأمر مطاع . وخرج مع هؤلاء الفرسان جماعة رجال أنجاد نحو خمسة آلاف رجل من أهل غرناطة ، وسلكوا مع الشيخ أبى سعيد طريق الجبل لكونه أمنع ؛ وأوصاهم أن يكونوا بموضع عينه لهم . ووصل فرسان المسلمين الثالثة من النهار إلى قرب الجيش ، فلما شاهدهم الفرنج عجبوا من إقدامهم عليهم مع قلتهم بالنسبة إلى كثرة الفرنج ، وخرج إليهم وزير ملك الفرنج ، فقال : ما هذا القدر فعلتموه ، وكيف أتيتم والملك فى يوم عيده ، فارجعوا وأبقوا على أنفسكم فإنه إن علم بكم

ركب لقتالكم ولا ملجأ لكم منه . فعند ذلك حصل للشيخ أبى سعيد حال أخرجه عن غفلته ، فنزل عن فرسه باكياً متضرعاً إلى الله تعالى ؛ وارتفعت أصوات المسلمين بالدعاء لهم ثم أتاهم من كان قد بقى بغرناطة من فرسان المسلمين يتبعون آثارهم ، فحرض أبو سعيد المسلمين على قتال عدوهم وصلى ودعا .

وبينما هو فى صلاته ركب العدو بجملتهم وحملوا على المسلمين ولم يعلموا برجال المسلمين التى وصلت من اغرناطة ، فنزلوا بجهة العليا من المنزلة الخالية ، وقصدوا المسلمين فلم تزعهم كثرتهم . واستمر الشيخ أبو سعيد فى صلاته حتى أكملها ، ووقف المسلمون ينتظرون ركوبه ، ولما رأى العدو ثباتهم توقفوا وتهيأوا وخرج من الفريقين فرسان يحركون القتال فاستشهد أمير رنده ، فاجتهد أقرباؤه فى أخذ ثأره ، وأمر الشيخ أصحابه أن يقصدوا طارف المحلة ، ففعلوا (ص ١٣٢) وأفادهم ذلك . ومال الروم إلى جهة المحلة بجملتهم ، فألقى الله الرعب فى قلوبهم ، فانهزموا أقبح هزيمة وأخذتهم السيوف الإسلامية ، فما زال المسلمون يقتلونهم من الساعة السابعة إلى الغروب .

ولما أظلم الليل أخذ الفرنج فى الهرب ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون . وغاب الجيش عن اغرناطة بجميع الأموال ، وأخذ الأسرى ، فاستولوا على الأموال وأسروا وسبوا ما يزيد على خمسة آلاف من الرجال والنساء والأولاد ، وأحصى من قتل من العدو فزاد على خمسين ألفاً ومنهم من قال ستين ألفاً . ويقال إنه هلك منهم بالوادى مثل هذا العدد لقلة معرفتهم به ، ونقلهم بالعدد . ولم يبلغ القتلى من المسلمين بالمحلة عشرة . وأما الذين قتلوا بالجبال والسعارى[1] وسائر بلاد المسلمين من العدو فلا تحصى عدده كثرة . ووجد الملوك الخمسة وعشرين بالمحلة قتلى ، منهم دون بطرة ، وعمه دون خان ، وعلق دون بطرة على باب الحمراء باغرناطة ، وأما عمه كان ممن يخدم المسلمين ففديت جثته بشىء كثير وأسارى . وأسر من العدو فى بقية الشهر خلق كثير ، فكان المسلمون يحتاجون فى كل يوم لقوت الأسرى وقوت من تحتهم ، ولحفظ الدواب خمسة آلاف درهم .

---

(١) كذا فى الأصل

قال : وزعم الناس أن الذى وجد من الذهب والفضة بالحلة سبعين قنطاراً ، ولم يظهر سوى ربع هذا المقدار ، وأما الدواب والعدد والأخبية فشىء كثير . قال : ولقد عزم على بيع ما يحصل من ذلك وقسمته فتعذر ذلك . واستمر البيع فى الأسرى و بعض الأسلاب والدواب ستة أشهر متوالية ولم يكمل ، قال : و بعضها باق إلى الآن . وضجر الناس وملوا من كثرة البيع . قال : ونهاية ما كان من فرسان المسلمين فى ذلك اليوم بعد رجوع الرماة مما كانوا فيه ألفان وخمسمائة ، ولم يستشهد منهم غير أحد عشر رجلا ، منهم خالد بن عبد الله المذكور ، وعمر بن باحوزت ، وكان من خيار المسلمين رحمه الله تعالى . هذا آخر كلامه فى هذا الفصل و بعضه بمعناه .

وأخبرنى من شهد هذه الوقعة ، كما زعم ، وظاهره غير متهم ، فإن عليه آثار الخير ، أنه شاهد رجلا يقاتل العدو و يقتل منهم فى هذه الوقعة قال فشبهته ببعض من أعرفه فجئت أحرضه على القتال ، ثم دنوت منه فلم أجده ذاك ؛ وشبهته بآخر فحرضته كذلك ، فلما قربت منه نظر إلىّ وقال لست فلاناً ولا فلاناً النصر من عند الله ، ثم غاب عنى . وفى هذا دلالة على أن الله تعالى أمد هذه الطائفة بالملائكة فى هذه الغزاة فإن القدرة البشرية تضعف عن مقاومة هذه الجموع الكثيرة بهذه الطائفة البشرية ، وقد ورد كتاب إلى الديار المصرية من غرناطة من جهة الشيخ حسين بن عبد السلام تضمن من خبر هذه الغزاة أنه قال : جاء دون بطره[1] وجوان وهما ملكا قشتالة[2] ، وجيش هائل ما رأى المسلمون قط مثله ، وعزموا على دخول أغرناطه ، فأول نزولهم على حصن يقال له طشكر ، وفيه صاحبه ابن حمدون . فلما نازلوه بعث إليهم صاحب الحصن فى تسليمه على إبقاء المسلمين ، فأجاب ملك الروم إلى ذلك ، واستقر أن يسكن المسلمون والروم فى الحصن ، فواعدهم صاحب الحصن أن يبعثوا إليه فى نصف الليل خمسمائة فارس من الشجعان ، فبعثهم الملك إليه مع قائد يقال له أرمند ، فلما دخلوا الحصن فرقهم صاحب المجالس وقتلهم عن آخرهم ، ولم يشعر بعضهم ببعض . فلما علم ملك الروم أنه غدرهم حلف أن لا يرجع إلى بلاده حتى يدخل مدينة

(١، ٢) فى الأصل . « دون مطرار حران وهما ملكا قشتيلة » وما هنا من القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٧٠ .

اغرناطه عليه قهراً ، فنازلها بمن معه على أربعة أميال فيها ، فلم يخرج إليه أحد ثم تقرب حتى صار منها على ميلين ، فلما رأى المسلمون قربه من المدينة وقع فى نفوسهم رعب عظيم ، وتضرعوا إلى الله تعالى . فلما رأى سلطان البلد ما نزل بالمسلمين بعث إلى ملك الفرنج يقول له : ارحل عنى بأجنادك وأنا أعطيك عشرين حملا من المال ، ولا تفسد زرع البلاد . فامتنع من قبول ذلك ، وأبى إلا أخذها غلبة وقهرا . فبعث إليه ثانياً وبذل له خمسة وعشرين (ص ١٣٣) حملا من الذهب ، وفى كل يوم مائة دينار ، وفى كل جمعة ألف دينار . فامتنع ملك الروم من القبول وحبس رسول المسلمين . فعلم المسلمون حينئذ أنه لا ينجيهم إلا النصر من الله تعالى ، فبعثوا إلى أمير يعرف بأبى الجيوش من بنى مرين وسألوه إنجادهم بنفسه ، فجاء ومعه ألف فارس ، فسكن فى موضع آخر ، وخرج ملك المدينة بعد خروج عثمان المذكور ، وخرج بعد الملك أمير يعرف بالمزاوى فى ثلثمائة فارس من بنى مرين ، ومع كل طائفة منهم نقاراتان وصناجق ، ووقع عليهم ملك المدينة واقتتلوا ؛ فانهزم المسلمون أمامهم إلى جهة المدينة استجراراً لهم ، فتبعهم الفرنج طمعاً فيهم . ثم عطف المسلمون عليهم ، وخرج عليهم الكمناء من كل جهة ، ورفعوا أصواتهم بذكر الله تعالى ، وألقى الرعب فى قلوبهم فقتل منهم ثمانون ألفا وسبى من الأولاد والنساء تسعة آلاف ، وأسر ما لا يحصى كثرة قال ...

وأما ما وزن من الذهب من المغنم منهم فثلاثة وأربعون قنطاراً ، ولم يفلت من الفرنج إلا من نجا به فرسه . وقتل الملكان فيمن قتل وحصلت امرأة جوان وأولاده فى الأسر ، فبذلت فى نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصنا ، فلم يقبل المسلمون ذلك . قال : واستشهد من المسلمين سبعة : ثلاثة من بنى مرين ، وأربعة من الأندلسيين من أعيانهم . قال ثم وصلنا أنه خرج من إشبيلية أربعة عشر مركباً ونزلوا على سبتة ، فخرج إليهم المسلمون فأخذوا منهم أحياناً وأسروا من بها . قال ووقعت الغزوة المباركة فى الخامس عشر من الشهر فكان بين الوقعتين ليلة واحدة . هذا ملخص كتابه ومعناه .

ونقل الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى الحاكى الأول قال : ولما كان فى يوم الخميس مفتتح سنة عشرين ، وهى استهلت عندنا بيوم الثلاثاء ، وعزم الشيخ

أبو يحيى ، أمير جيش مالقة ، أن يتوجه إلى رنده و يجتمع فيها بابنه مسعود الذى تولى أمر جيشها بعد عمه الشهيد خالد ، و يصل إليه الشيخ أبو عطية مناف بن ثابت ، و يتوجهوا للإغارة على شريش من بلاد النصارى . فعلم بذلك النصارى المجاورون لمالقة ولبلاد المسلمين فعزموا أن يغاروا على تامرة وحصن نوح من شطر مالقة وبالقرب منها . فارتقبوا يوم انفصاله وكان يوم الخميس ، فاجتمعوا فى نحو ألف فارس وخمسة آلاف راجل من أهل استجه[1] وشنتياله واشبونه وسبته وملى والنسابه وقبره ومرشانه . وكان الفرنج فى الحشد الأول قد خافوا على هذه البلاد المجاورة للمسلمين ، فتركوا أهلها بها لحراستها . فوصلوا صبيحة السبت ودخلوا قامرة ، فأخذوا جميع كسب سلطان المسلمين وكثيراً من كسب الرعية وخرجوا مطمئنين ؛ وكان قد خرج فارسان من المسلمين ليلحقا الجيش ، فظفر الفرنج بأحدهما ، وهرب الآخر ، فأدرك الشيخ أبا يحيى بحيطين[2] خضر الوزير من الحكيم يعرفه الحال ، وهو بجماعة مالقة خاصة ، فرجع لقصد العدو لحضر على حصن اطيبه ، فتبعه من فرسانها نحو ثلثمائة فارس ممن يعتمد عليهم ، وترك الضعفاء والنقلة ، ونهض إلى حيث ذكر له الفارس أنه لقيهم فى أول الليل فى دخولهم ، فوجدهم قد خرجوا بالمغنم بموضع يقال له برجه تحت حصن سم لى[3] ، وذلك بعد الظهر . فارتفع الفرنج فى كدية عالية ، ونزل أنجاد فرسانهم للقتال ، فقاتلهم المسلمون قتالا شديداً ، فقتلوا أكثرهم ، واستشهد من المسلمين رجل واحد يقال له : سعد المدانى ؛ ثم ظهرت ساقة المسلمين ، فارتفع من سلم من مقاتلة النصارى إلى الكدية وتحصنوا بها بالبرادع والدرق والدراريب ؛ وامتنعوا . ووصل الرماة من انتقيره وحصن المنشاة ، وكان العون من الله تعالى عليهم . فما زالوا يجادلونهم ويقاتلونهم إلى ثلث الليل الآخر ، فأذعن من سلم من النصارى إلى الإسار ، فنزل ما ينيف على خمسمائة فأسروا وقتل بقيتهم بالرماح والسهام ، ورجع الشيخ أبو يحيى بهم إلى مالقة ، وجعل منهم أربعمائة أسير

---

(١) فى الأصل . " اسبجه " ، وما هنا من القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٢٧

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) كذا فى الأصل .

واثنين وثمانين أسيراً فى جبل واحد وسائرهم مثقلين بالخراج ، وأركبهم على دوابهم ، وأخذ منهم قاضى النصارى باستجه[١] ، وحمل ما غنم (ص ١٣٤) من عدوهم من السيوف والرماح على خمسة وأربعين جملا ، ومن القسى على خمسة وأربعين دابة ، والدرق على نحو ثلاثة عشرة دابة ، وأراح الله تعالى من هذه الأعداء ونصر عليهم وله الحمد والمنة .

ملحق رقم ٣

نص المرسوم الذى أصدره السلطان الناصر محمد بن قلاودون سنة ٧٢١ هـ (١٣٢١ م) بشأن أحوال أهل الذمة فى عصره ، وهذا النص منقول من النويرى : نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧ — ٨ ، من صور شمسية بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ ، معارف عامة ، من مخطوطة المكتبة الأهلية فى باريس .

(ص ٦) فلما كان فى يوم الخميس السابع والعشرين من الشهر جلس السلطان على العادة ، وحضر الأمراء وغيرهم إلى الخدمة فخاطب السلطان أكابر الأمراء فى هذا الأمر ، وقال : قد قررت على النصارى مضاعفة الجزية (ص ٧) فيؤخذ منهم جزيتان . وأمر أن ينادى فى المدينتين أن يلبسوا الثياب الزرق مضافة إلى العمائم ، وأن يشدوا الزنانير فوق ثيابهم ، وأن يميزوا إذا دخلوا الحمام بجلجل يجعلونه فى أعناقهم ، وأن لا يستخدموا فى الدواوين السلطانية ولا فى دواوين الأمراء ولا فى الأعمال والبرور . فنودى بذلك ، وبرزت الأمثلة الشريفة السلطانية به ، وقرئت على المنابر بالمدينتين ، ونفذت إلى العملين ، وتضمن المثال المجهز[٢] منها إلى الوجه القبلى الذى قرئ على منابر المدن ما مثاله بعد البسملة :

---

(١) فى الأصل " من ناسخة " وما هنا من مخطوطة رقم ٥٥١ معارف عامة ، جـ ٣٠ ، ص ٤٥٢ .

(٢) فى الأصل " المحاسن " ، وما هنا من مخطوطة رقم ٥٥١ معارف عامة ، بدار الكتب المصرية .

" الحمد لله مظهر هذا الدين المحمّدى على كل دين ، ومؤيد بنا الإسلام وأهله ، ومحل بناء المشركين ؛ الذى قهر بتأييدنا جميع الأعداء ، وحقن بعفونا وحلمنا دماء الكافرين ؛ نحمده على ما أولانا من فضله العميم وذخره المبين ونشكره شكراً نستزيد به من كرمه وسيجزى الله الشاكرين . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة خالصة باليقين ، ونشهد أن سيد البشر محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين وخاتم الأنبياء الذين أرسلهم إلى العالمين ، وأن عيسى بن مريم عبده ورسوله الذى بشر ببعثه وآمن برسالته قبل ظهور دينه المبين ، صلى الله عليه وعلى آله خصوصاً على مؤيد شرعه أول خلفاء المسلمين ، وعلى من فتح البلاد ، وضرب الجزية على أهل الكتاب فى كل ناد[1] وأعلن بالبادين[2] ، وعلى من جهز جيش العسرة وثوقا بضمان سيد المرسلين ، وعلى ممزق جموع الكفر وجامع شمل المؤمنين ، صلاة دائمة باقية مستمرة إلى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيراً .

وأما بعد فإن لله تعالى لما أقامنا لنصر الإسلام وأهله ، وصرفنا فى عقد كل أمر وحله ، وأيدنا بنصره ، وعصمنا بحبله ، لم نزل نعلى كلمة الإيمان ، ونظهر شعائر الإسلام فى كل مكان ، ونقف عند الأوامر الشرعية لتكون كلمة الذين كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا .

وكان جماعة من مفسدى النصارى قد تمدوا وطمعوا ، وتمادوا فى المخالفة إلى ما تقتضى بعض العهود ، وبغوا ومكروا مكراً كباراً ، فأدخلوا ناراً ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ؛ وتعرضوا الرمى بنار أطفأها الله تعالى بفضله ، ومكروا مكراً سيئاً (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) ؛ اقتضى رأينا الشريف أن نأخذهم بالشرع الشريف فى كل قضية ، ولنجدد عليهم العهود العمرية ، وأن نقرّر على من شمله عفونا ممن ضعف منهم الجزية ما تكون به أنفسهم تحت سيوفنا مرتهنة ، ونضرب عليهم فى لباسهم وحرماتهم الذلة والمسكنة . فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى ، لا زال ناصر الدين بجنوده ، مظهر دين الحنيفية على الدين كله ، أن تستقر الجزية على سائر النصارى بالوجه النبيل ضعف ما عليهم الآن ، ويؤخذ من كل نصرانى جاليتان : المستقرة

(١) فى الأصل . " ونتح " وما هنا من المخطوطة رقم ١٠٠ معارف عامة .

(٢) كذا فى الأصل .

أولا واحدة ، والزيادة نظير ذلك للخاص الشريف مهما كان مستقراً بسائر النواحى بالوجه القبلى فى الإقطاع ، حسب ما قررت فى الروك المبارك الناصرى ، يكون للمقطعين ، والزيادة الثانية المضاعفة الآن تكون للخاص الشريف ، وأن تلبس سائر النصارى عمائم زرقاً وجهابًا زرقاً ويشدّوا والزنار فى أوساطهم ، وأن لا يستخدم أحد من النصارى فى جهة من الجهات الديوانية والأشغال السلطانية ، وكذلك لا يستخدم أحد من الأمراء أحداً من النصارى عنده ، وأن يبطلوا جميعهم من الجهات التى كانوا يخدمون بها . والحذر ثم الحذر من أن أحداً منهم يخرج عما رسمنا به ، ومن فعل ذلك منهم كانت روحه قبالة ذلك ، ولا تنفعه بعدها فدية ولا جزية . وتحسم مادة فسادهم ، وينكشف بذلك ما أظهروه من سوء اعتمادهم فليثبت حكم[1] هذا المرسوم الشريف ، وليدخل تحت أمره المطاع كل قوى وضعيف ؛ وليستقر ضرب هذه الجزية استقراراً بلا زوال ، مستمراً بدوام الليالى والأيام ، باقية بدوام الأعوام والسنين ، مخلدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . فإنها حسنة ساقها الله تعالى لدولتنا الشريفة ، ومثوبة وذخيرة صالحة لم تزل فى صحائفنا الطاهرة مكتوبة ، ومعدلة يسرها الله تعالى على يدينا فى الآفاق ، وأجراً يكون ثوابه عند الله باق . وسبيل كل واقف عليه ، والياً ونائباً ، وحاضراً وغائباً ، وناهياً وآمراً ، وشاهداً وناظراً ، ومأموراً وأميراً ، وكبيراً (ص ٨) وصغيراً ، الانتهاء عند هذا التحذير ، فيبادرون إلى امتثال هذا المرسوم الشريف ، ويسمعون ويسارعون إلى العمل بما فيه ، وينفذونه ، ويقفون عند حكمه ويمتثلونه (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) والله تعالى يعلى منار الإسلام ، ويزيده قوة وإظهاراً ، ويجعل الدائرة على أعداء الدين ، ولا يذر على الأرض من الكافرين دياراً . بعد الخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه وكتب فى سابع عشرين جمادى الأول سنة إحدى وعشرين وسبعمائة حسب الأمر الشريف .

(١) فى الأصل " فيثبت " وما هنا من المخطوطة رقم ٥٥١ ، بدار الكتب المصرية ، معارف عامة .

ولما برز هذا المثال وغيره من الأمثلة لم ينفذ حكمها ، ولا طولب نصرانى بزيادة . ومنع النصارى من المباشرات أياما قلائل ، وأسلم بعض كتاب الأمراء ، فاستقر على وظائفهم . ثم استقر سائر المباشرين من النصارى على مباشراتهم ، وذلك أن كريم الدين الناظر أنهى إلى السلطان أن جماعة منهم فى الأشغال السلطانية ، ومتى صرفوا قبل انتهاء السنة فسدت الأحوال وتعطلت المصالح . وسأل أن يستمروا بقية هذه السنة ، وينفصلوا بعد رفع الحساب ؛ فوافقه السلطان على ذلك .

المقريزى

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

فهارس للجزء الثانى

فهرس الأعلام والدول والقبائل والفرق

أسماء الأماكن والمدن والشوارع والأسواق والحارات والخطط والرباع والمساجد والجوامع والخوانق والخانات والأنهار والترع والجسور

الألفاظ الاصطلاحية وأسماء الدواوين والوظائف والرتب والألقاب وأنواع الضرائب وأدوات الحرب والملبوسات والمحاصيل والمقاييس والأعياد والملاهى